بسم الله الرحمن الرحيم

قامت الطالبة بتصحيح المآخذ التي رآها أعضاء اللجنة مستأنسة بما قدمناه لها من ملاحظات

المشرف — المحكم

د. سامي الصقار — د. هاشم عبد العزيز حسن — أحمد السيد دراج

١٥/٨/١٤٠٨

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا الشرعية

التاريخ الإسلامي

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٢٩٨

طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي

(٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

جامعة أم القرى - قسم التصوير الفاعلي والميكروفيلم

إعداد

الطالبة / آمنة حسين محمد علي جلال

١٠٢٢٩٥

جامعة أم القرى / مكة المكرمة - عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات - UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف

الأستاذ الدكتور / أحمد السيد دراج

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م



الإهداء

(إهداء)

إلى من كان سبباً في وجودى وأشرف على تربيتي وتعليمي .

إلى من أشركهم الله معه في قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾.

إلى من أتعبا نفسيهما في تأديبي وتهذيبي حتى نلت هذه الجائزة العلمية ، أقدمها بحياء إليهما ليحصدا ثمارما زرعا ، وأيضا من كل قارئ لرسالتي أرجوه أن يدعو لهما بالعمر الطويل .

وكذلك أهدى هذه الرسالة إلى زوجي الذى جعلني أصدح بآيات العلم ،،،

الباحثة

شكر وتقدير

(شكر وتقدير)

إليك يا أستاذى العزيز أزف شكرى وتقديرى ، وإلى روحك الكريمة أبعث تحياتي ومن عقلك النير أستمدت هذه التوجيهات إعترافًا مني بفضلك لأن الحكمة الخالدة تقول " من علمني حرفاً صرت له عبداً ". وإستئناساً بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾ .

كما يجب أن لا أنسى أن أنوه بجهود ومساعدة الأساتذة معالي الدكتور راشد الراجح ،مدير جامعة أم القرى ، وسعادة الدكتور عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وكذلك سعادة الدكتور سعد الراشد ،عميد شئون المكتبات بجامعة الرياض ، والأستاذ إبراهيم سندى مدير مكتب العمل ، ولكل من له فضل عليّ في إخراج هذه الرسالة على الوجه المطلوب داعياً لهم بأن يسدد الله خطاهم ويبارك لهم في حياتهم وأعمالهم ،والله الموفق ،،،

آمنة حسين جلال

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن موضوع بحثي لدرجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي عن " طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ٦٤٨ هـ - ٩٢٣هـ" . وهناك تعريفات كثيرة للحجاز أختلف الجغرافيون فيها ، أما بالنسبة لموضوع بحثي فهو المنطقة المحصورة من تبوك شمالاً ، والطائف جنوباً ، والبحر الأحمر غرباً ، وسلسلة الجبال التي تفصل صحراء نجد عن الحجاز شرقاً . وكان الحجاز يحكمه الأشراف الهواشم الذين ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم حتى تمكن الشريف قتادة بن إدريس الحسنى في نهاية القرن السادس الهجرى بإقامة إمارة حسنية بمكة وبذلك شهدت مكة في عصره الأمن والإستقرار حتى امتد نفوذه على الحجاز كله واليمن ، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال السياسية بمكة بعد وفاة الشريف قتادة إذ أصبحت ميدان للصراع بين الأيوبيين الذين حكموا اليمن وبين بنى رسول في اليمن ، وظلت أحوالها مضطربة حتى أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجرى حيث استقل الشريف محمد بن أبو نمى بإمرتها وكان ذلك في مطلع العصر المملوكي .

ونلاحظ أن المماليك في بداية حكمهم بعد سقوط الدولة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ انشغلوا بحماية مصر وتأمينها ضد الغزو المغولى ؛ ولذلك لم يشغلهم أمر الحجاز حتى تحسنت الأحوال في عهد الظاهر بيبرس وأخذ يقوى قبضته بمد نفوذه على الحجاز خاصة بعد إحياء الخلافة العباسية حتى يصبحوا في نظر العالم الإسلامي حماة الإسلام والمسلمين . وكانت هناك إمارتين بالحجاز ، إمارة بمكة المشرفة ، وأخرى بالمدينة المنورة ، وبذلك أدرك أمير مكة الشريف أبو نمى ببعد نظره أن

المماليك غدوا مركز الثقل في العالم الإسلامي فأعلن الولاء لهم . وهكذا بدأ عصر جديد مع الدولة المملوكية في جميع النواحي السياسية والإقتصادية والدينية والإجتماعية .

وبإعتبار الحج ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ولذا فإن الحجاز يعتبر مركزاً للهداية والإرشاد ومنبع الإشعاع الروحي ، تقام في رحابه المقدسة المناسك ، ويجتمع في حرميه الشريفين العالم الإسلامي كل عام ،ويحضر إليه أعظم العلماء والفقهاء والزعماء والملوك والأمراء والأغنياء والفقراء ويلتقون حول نقطة واحدة ، رغم إختلافهم في الحضارات والثقافات . ولذلك حرص الخلفاء والملوك والسلاطين على بسط سيادتهم على الحجاز للإستفادة من ذلك في أغراضهم السياسية ، ولكي يتشرفوا بخدمة الحرمين الشريفين لترتفع منزلتهم ويعلو ذكرهم في قلوب المسلمين . بل ان إهتماماتهم تعدت شئون الحرمين الشريفين وما يتعلق بهما في الحج والزيارة إلى بلاد الحجاز عامة وبخاصة طرق الحج التي كان يسكنها الحجاج ،فعنوا بها من حيث توفير الراحة والأمن للحجاج في سلوكهم لهذه الطرق وبخاصة طرق الحج الرئيسية التي تربط الحجاز بالعراق واليمن والشام ومصر . ومع علمي بأن هذه الأجزاء تقع خارج الحجاز جغرافيا الا أنني أتناولها حتى تزيد الوضع إيضاحا .

هذا وقد سبق أن قام بعض الباحثين قبلي بالدراسة في الفترات السابقة على العصر المملوكي . فقد قام الأستاذ الدكتور سعد الراشد بدراسة لطريق الحج العراقي بين الحدود السعودية ومكة وهو المعروف بدرب زبيدة . وهي دراسة تاريخية وميدانية جاءت في تسعة فصول وملاحق .

ففي الفصل الأول تكلم عن طرق الحج وأعمال الطرق خلال فترة الخلافة الأموية ،ووصف طريق الكوفة - مكة قبل فترة العباسيين.

وفي الفصل الثاني تكلم عن إنشاء درب زبيدة خلال فترة العباسيين وإسهام ومشاركة السيدة زبيدة فيه .

وفي الفصل الثالث تحدث عن تدهور الطريق من جراء الإعتداءات القبلية ، وأثر هجمات القرامطة ،وبعض العوامل الأخرى .

وفي الفصل الرابع تحدث عن الطريق خلال العصور المتأخرة بعد سقوط بغداد ،ووصف الطريق من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين.

والفصل الخامس عبارة عن دراسة ميدانية لدرب زبيدة كوصف عام للمواقع التي زارها المؤلف ،أو تحديد المحطات الرئيسية على طول الطريق .

والفصل السادس عن هندسة وتأسيس الطريق من ناحية الطرق التي استعملت في إنشائه ،وكذلك الأعلام "علامات الطريق".

والفصل السابع عن التسهيلات على الطريق من إمدادات المياه والآبار والإستراحات والحماية ،وكذلك التعرض للمقارنة بين خزانات المياه على طول درب زبيدة ،وخزانات المياه في أماكن أخرى ،كتونس والأردن وسيناء وجنوب النقب وسوريا وفارس وغرب وجنوب الجزيرة العربية .

أما الفصل الثامن فعن معالم النقوش الكوفية التي وجدت قرب درب زبيدة .

والفصل التاسع عن الموجودات الصغيرة من الفخار والزجاج التي ترجع إلى العهد الإسلامي الأول ، وثلاثة قطع من النقود العباسية .

أما الملاحق فتضمنت أسماء القائمين على إدارة طريق الكوفة ومكة في العهد العباسي .

كما أنه تعرض بالشرح والتفصيل لركب الحج العراقي . وهذه الدراسة في مجملها تعتبر من الدراسات الجيدة عن درب زبيدة وهو أشهر دروب الحج حتى سقوط الدولة العباسية .

كما أن للدكتور سعد الراشد بحوثاً جانبية نشرت في بعض المجلات العلمية يتحدث فيها عن أهمية درب زبيدة ، وما أقيم فيه من إصلاحات . فالبحث الأول بعنوان " شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة "(1) يذكر فيه أهم الشخصيات التي أسهمت في إصلاح درب زبيدة من حيث حفر الآبار والبرك ، وتمهيد الطريق وإزالة العقبات وغيره . والبحث الآخر بعنوان " برك المياه على طريق الحج العراقي ".(2) تكلم فيه عن أهمية المياه في هذا الطريق ، وما جاء فيه من إمدادات المياه لمساعدة الحجاج فيه على تحمل العطش.

---

(1) كلية الآداب - جامعة الرياض - العدد الخامس سنة ١٣٧٧هـ ، ص

(2) مجلة أطلال وحولية مديرية الآثار العربية السعودية - العدد الثالث ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

وجاء الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر ،وقدم لنا كتابه بعنوان " الملامح الجغرافية لدروب الحجيج " كدراسة متكاملة للمحاور المتعددة التي تقصد مكة المكرمة من الكوفة و دمشق والقاهرة ،والتركيز على المنازل الهامة الواقعة عبر مسيرة تلك الدروب ،ومواقعها على الخرائط مع أهم ملامح الموضع إذا كان لا يزال موجوداً ، أو إن كان قد درس موضعه وتلاشى وجوده ، مع إبراز المشاكل التي كانت تعترض مسيرة موكب الحجيج ، وإظهار الأيدى التي امتدت إلى الدروب بالإصلاح والتعمير ، وكذلك تحويل الدروب في بعض الفترات الزمنية نحو مسارات جديدة مؤقتة أمام أخطار كانت تهدد أمن وسلامة مسيرة الدرب . وتنقسم موضوعات الكتاب إلى أربعة أقسام على النحو التالي :

القسم الأول : درب الحج العراقي " درب زبيدة " الكوفة مكة .

القسم الثاني : درب الحج المصرى - القاهرة - المدينة المنورة .

القسم الثالث : درب الحج المصرى البحرى - القاهرة - عيذاب - جدة .

القسم الرابع : درب الحج الشامي - دمشق - المدينة المنورة .

كما كانت رسالة الماجستير للدكتور سليمان عبد الغني مالكي عن " مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي الإسلامية المقدسة من السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية " فقد تناولت الدراسة في الفترة الزمنية المخصصة لها وصف طرق الحج الأربعة وهي طريق الحج العراقي ،والشامي ،والمصرى ، واليمني ، وما أقيم فيها

من مرافق ، وما تم بها من خدمات للحجاج ،كتوفير المياه والطعام ،فضلاً عن خدمات الحجاج في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة ، وأعطيات الخلفاء والملوك والسلاطين لولاة مكة المكرمة والمدينة المنورة ولأهالي الحرمين .

أمّا جاك جوميير ،العالم الفرنسي ، في كتابه "المحمل المصرى" فقد قام بالتحدث عن المحمل المصرى وأهميته ،وطريقة خروجه من مصر إلى مكة ،كما أهتم بوصف الطريق المصرى البرى وما أقيم فيه من إصلاحات في المنازل وقد استعنت بمجلة دارة الملك عبد العزيز في ترجمة بعض فصول الكتاب .

هذا ويذكر موضوع بحثي لدرجة الدكتوراه طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي حيث كانت السيادة فيه على الحجاز للدولة المملوكية ، وحيث عنى سلاطين وأمراء المماليك بأمر الحجاز فاهتموا بشئون الحرمين الشريفين عامة ، وبشئون الحج ومرافقه وخدماته خاصة سواء على إمتداد طرق الحج المصرى والشامي على وجه التخصيص أو في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة وجدة . وهذه الدراسة محاولة لاستكمال دراسة الأستاذ الدكتور سعد الراشد لدرب زبيدة وبخاصة في العصر العباسي .

وقد علمت أن الباحث اليمني الكبير القاضي إسماعيل بن علي الأكوع على وشك الإنتهاء من دراسة طريق الحج اليمني ،وكنت أتمنى أن تتاح لي فرصة الإستفادة من هذه الدراسة ،وبخاصة في دراستي لطريق الحج اليمني في العصر المملوكي .

أما خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة وستة فصول .

فالفصل الأول يشتمل على طرق الحج الرئيسية ، فيبدأ بوصف الطريق المصرى البرى (بركة الحاج - العقبة - الساحل) من بدء خروج القافلة ، وطريقة تنظيمها وتعيين أميرين لها وهما أمير الحج ، وأمير المحمل ، ثم توضيح أعمال السلاطين والأمراء ، وكبار رجال الدولة من حيث حفرهم للآبار ، وتكفلهم بحمل الفقراء والمعوزين ، وإزالة العقبات ، وبناء الخانات في الطريق ، وترتيب الأموال لرؤساء القبائل منعاً من إعتدائهم على الحجاج ، ثم وصف الطريق المصرى البرى ، وبيان المنازل والمراحل بين كل منطقة وأخرى ، والأعمال الخيرية التي قامت في هذه المناطق . ثم وصف الطريق المصرى (الفسطاط - عيذاب - جدة) وأعمال المماليك فيه ، ووصف طريق الحج البحرى (السويس - الطور - جده) وعناية المماليك به . ثم وصف طريق الحج الشامي وما حدث فيه من إعتداءات العربان على قوافل الحجاج .

ووصف طريق الحج العراقي ، وبعض أعمال الخير فيه .

ثم وصف الطريق اليمني ، وما قدم به من خدمات وأعطيات لقافلة الحج اليمني .

أما الفصل الثاني فيشتمل على إلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة على الأطعمة ، وذلك مقابل تعويض أميرى مكة والمدينة عن ذلك ، كما يتناول الفصل جباية المكوس بجدة من التجارة والحجاج على خلاف ماكان يحدث في مكة والمدينة ، وبخاصة بعد أن أصبحت جدة المركز الرئيسي لتجارة البحر الأحمر في عهد السلطان المملوكي برسباى (٨٢٥-٨٤١هـ) .

وأما الفصل الثالث فيتناول الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين وكيفية تأثر الحجاز بإنخفاض النيل وما كان يترتب على ذلك من قحط وجدب ومجاعة في بعض الفترات مما كان يؤثر على أعطيات المماليك لأهالي الحرمين ولولاة مكة والمدينة .

ويتناول الفصل الرابع موضوع توفير الأطعمة ، وإلغاء المكوس عليها في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ففي بعض السنوات كان يعم الرخاء بسبب هطول الأمطار ، وإرسال الأعطيات والهبات العينية والنقدية ، وفي بعضها كان يعم الجدب ، ويقل الطعام بالأسواق بسبب عدم هطول الأمطار .

أما الفصل الخامس فيعالج موضوع توفير المياه في الحرمين الشريفين ، وذلك بإرسال السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة للقيام بحفر الآبار والبرك وإقامة الأسبلة والمطاهر في الحرمين والمشاعر .

وفي الفصل السادس والأخير فقد تحدثت عن الخدمات الدينية والمدنية للحجاج في العصر المملوكي في مكة المكرمة ، وفي الطريق من مكة إلى المدينة المنورة ، وفي المشاعر المقدسة ، وفي المدينة المنورة وفي جدة ، فقد تحدثت عن المساجد التي بنيت في هذه الفترة في مكة المكرمة ، وفي مرّ الظهران ، وفي خليص ، وعن مساجد المشاعر المقدسة (منى - ومزدلفة - وعرفة) وعن مساجد المدينة المنورة ، وعن مسجد جدة . كما تكلمت عن المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكذلك عن الأربطة بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، والبيمارستان بمكة المكرمة والمدينة المنورة .

وأخيراً الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث من حيث أعمال السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة وبعض الشخصيات الإسلامية سواء في طرق الحج أو في أراضي الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وجدة . وعن شئون التجارة وكيف تحولت من عدن إلى جدة .

أما الملاحق فاشتملت على حجة وقف الأشرف شعبان وإلغائه للمكوس بمكة وبالمدينة المنورة . وحجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونص اللوحة التأسيسية لعمارة عين عرفة في عهد السلطان قايتباى ،والخرائط الخاصة بطرق الحج فقد صممت بعضها على حسب الطرق التي تضمنت موضوع بحثي .

أما من حيث معلومات البحث فقد كرست جهدى في الإطلاع على المصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع العربية والمعربة والأوروبية المتعلقة بالموضوع ،واستفدت كثيراً من المعلومات المبثوثة خلالها حتى خرجت بحصيلة علمية تاريخية ضخمة .

وفيما يختص بالمصادر المخطوطة ،المكية والمدنية التي رجعت إليها يأتي في مقدمتها المصادر التالية :

* مخطوطة " زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال في تاريخ مكة والمدينة".

للمؤرخ محمد بن عمر الإسفرائيني المتوفى سنة ٧٦٢هـ. وهذه المخطوطة بها خطوط مختلفة ويبدو أن نساخها متعددون ،وهي تتحدث عن الكثير من أخبار مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد وجدت بها بعض المعلومات التي تخص بحثي .

* ومخطوطة "الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ".

للعالم المكي تقي الدين محمد بن شهاب الدين أبو العباس الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ . وهو من علماء مكة في القرن الثامن الهجرى وبداية

القرن التاسع الهجرى ،وقد عاصر بعض سلاطين دولة المماليك . وقد أستفدت إستفادة كبيرة منها في أغلبية معلومات بحثي وخاصة فيما يتعلق بإلغاء المكوس ومنح الأعطيات وتوفير المياه والأطعمة والإنشاءات الدينية والمدنية بمكة المكرمة ، وللفاسى مخطوطة أخرى بعنوان " تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام " وهي تحمل نفس المعلومات .

* ومخطوطة " تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف " لإبن الضياء القرشي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ ، وتشتمل على ما يتعلق بأحوال مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة. وقد عاصر المؤرخ بعض أحداث القرن الثامن الهجرى وأغلبية أحداث القرن التاسع الهجرى لمدة أربعة وخمسين سنة في الحجاز ،فأفادتني بعض المعلومات القيمة في بعض فصول البحث التي تتعلق بالأعطيات والمنشئات الدينية والمدنية .

* وأيضا مخطوطة " الأرج المسكى في التاريخ المكى ". للمؤرخ على بن عبد القادر محمد الطبرى المتوفى سنة ١٠٧٠هـ . وقد رتب المؤرخ الكتاب على مقدمتين وثمانية أبواب في قواعد علم التاريخ ،وفي فضل الحرم ،وفضائل مكة والكعبة وكسوتها ،ومن أعتنى بتعظيم البيت من الخلفاء والملوك في الجاهلية والإسلام وولاة مكة والأشراف من آل قتادة ، وبها الكثير من المعلومات المعاصرة لبحثي .

* ومخطوطة " منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم". للمؤرخ على السنجارى المتوفى سنة ١١٢٥هـ ،وتتناول أخبار مكة وولاتها وعلماءها في ثلاث مجلدات بخط حسن ، كما تتحدث عن بعض سلاطين المماليك وإلغائهم للمكوس وعن أعطياتهم.

* وكذلك مخطوطة "إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن". للمؤرخ محمد بن علي بن فضل الطبري المتوفى سنة ١١٧٣ هـ . ويتحدث فيها عن ولاة مكة زمن النبي ،صلى الله عليه وسلم ، وإلى زمن الشريف مكثر بن عيسى ،ومن الشريف قتادة بن إدريس حتى سنة ١١٤٠هـ . وقد أفادتني ببعض المعلومات عن توفير المياه والأطعمة والمنشآت الدينية والمدنية .

* ومخطوطة " تحصيل المرام بأخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام " لابن الصباغ المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ ، وفيها يتحدث عن أمطار مكة وسيولها وبعض سنوات الغلاء والجدب وجباية المكوس وإلغائها .

* وأيضا مخطوطة " مختصر حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج " للمؤرخ أحمد بن محمد الحضراوى المتوفى سنة ١٣٢٤هـ ، وبها بعض المعلومات المتعلقة بإمرة الحرمين الشريفين وأحوالها وإمارة الحاج .

* أما مخطوطات العصر المملوكي في مصر ،فأهمها مخطوطة " زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة " للأمير بيبرس الدوادار المتوفى سنة ٧٢٥ هـ . وهذا المؤرخ يمدنا بمعلومات قيمة عن عهده لأنه أمير من أمراء المماليك ، ويسرد لنا حقائق معاصرة له أفادتني في بحثي .

* وأيضا مخطوطة " درة الأسلاك " للحسن بن عمر بن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ،وتشتمل على تاريخ دولة الأتراك وأولادهم وأمرائهم ، وذكر الحوادث الكائنة في عصرهم . وقد أشتملت على بعض المعلومات القليلة

فيما يتعلق بالأعطيات لأهل الحرمين والأوقاف الموقوفة عليهم .

أما المصادر المملوكية المطبوعة، فأهمها كتاب "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" وكتاب "الروض الزاهر في سيرة الملك الناصر" للمؤرخ إبن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ . فهذا المؤرخ عاصر السلطان الظاهر بيبرس، والسلطان المنصور قلاوون ،وقد ذكر الكثير من أعمالهم بالحرمين الشريفين .

وكذلك كتاب "الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية" وأيضاً كتاب "الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر" للمؤرخ إبن أيبك الدوادار المتوفى سنة ٧٠٩ هـ. فهذا المؤرخ عاش زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأولاده وعاصر أحداثهم عياناً ،وقد أفادني بمعلوماته التي تخص الحرمين الشريفين وعلاقاتها بمصر .

وأيضاً كتاب "أنباء الغمر بأبناء العمر" وكتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" للمؤرخ إبن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ. وهو من مؤرخي نهاية القرن الثامن والنصف الأول من القرن التاسع ، وقد سجل أحداث الدولة المملوكية و أعمالها الخيرية في الحجاز ،وعلاقات المماليك بأشرافها ،وهو يعتبر من المصادر المعاصرة لفترة بحثي .

وكذلك كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ. ويتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن تاريخ الدولة المملوكية في مصر والشام وغيرها ،وعلاقاتها بالدول الأخرى بشرح واف مسهب ،وله أيضاً " حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور " وهو مطبوع . وأما في التراجم فله " المنهل الصافي " ولا يزال مخطوطاً ، وأما مختصره " الدليل الشافي على المنهل الصافي " فقد قام بتحقيقه الأستاذ فهيم شلتوت ،وقام على طبعه مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، وهذا المؤرخ القدير أفادني بكتبه كثيراً في أكثر فصول الرسالة.

وكذلك مؤلفات المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ التي أمدتني بالكثير من المعلومات في جميع فصول الرسالة لمعاصرته للأحداث ، ويعتبر من أهم الكتب المملوكية التي أعتمدت عليها . ومن أهمها كتاب " السلوك " وكتاب " الذهب المسبوك " وكتاب " إغاثة الأمة بكشف الغمة " وكتاب " المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ".

وأيضاً كتاب ابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ المسمى " بدائع الزهور " وهو من معاصرى السلطان قايتباى ،والسلطان قانصوه الغورى، وقد شاهد أحداث دولتهم وكتب عنهم وخاصة فيما يتعلق بأحداث جدة.

أما المصادر المكية المطبوعة ، فأهمها كتابا " شفاء الغرام" و" العقد الثمين " ،وهي من الكتب المكية المعاصرة لأحداث الحجاز للمؤرخ الجليل أبي الطيب تقي الدين بن محمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ. وقد تحدث الفاسى عن أخبار مكة من أول عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم وحتى وفاته ،ومن ثم وجدت فيها مادة دسمة

بالنسبة لتوفير الأطعمة وإلغاء المكوس عليها ،وتوفير المياه ،والمنشـــئآت الدينية والمدنية .

وكذلك كتاب "إتحاف الورى بأخبار أم القرى" لابن فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام ،الثلاثة الأجزاء الأولى حققها الأستاذ فهيم شلتوت ،وقد نشرها مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، والجزء الرابع حققه الدكتور عبد الكريم الباز ،وكان موضوع رسالته لدرجـــة الدكتوراه ،وهوفي طريقه إلى الطبع . والكتاب تاريخ حافل بأحداث الحجاز في جميع النواحي سياسية واقتصادية واجتماعية حتى وفاة مؤلفه .

ومن المصادر المدنية كتاب السمهورى المتوفى سنة ٩١١ هـ بعنوان "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" وهوحافل بالمعلومات التي تتعلق بالمدينة المنورة ،خاصة وأنه عاصر السلطان الأشرف قايتباى عندما حج وزار المدينة المنورة سنة ٨٨٤ هـ ، وما قام به من أعمال خيرية بالنسبة لأهلها .

ومن المصادر المدنية أيضاً كتاب السخاوى "التحفة اللطيفة فـــي تاريخ المدينة الشريفة" وقد أفادني كثيراً فيما يختص ببحثي عن المدينـــة المنورة ،كما لا يخفى علينا أهمية كتابه التاريخي "التبر المسبوك في ذيل السلوك" من حيث الأحداث المتصلة بالحجاز ، وكتاب التراجم الضخم "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الهجرى" الذى لا يستغنى عـــنه أى باحث .

ويأتي على رأس الكتب الخاصة بأخبار الحج وبطرق الحج كتاب "درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة" للمـــؤرخ الجزيرى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ،وهو مقسم إلى جزئين ، وقد أستفدت منه فـــي

أكثر المعلومات التي تخص الطرق الرئيسية الأربعة ،وخاصة طريق الحج المصرى ،وما أقيم فيه من إصلاحات وإنشآءات ،لأن الجزيرى له خبرته الطويلة بأخبار الحج وطرقه حيث كان يشغل مع أبيه إمارة ديوان الحج ، ثم انفرد به بنفسه في أوائل العصر العثماني في مصر.

كما أعتمدت على بعض المصادر اليمنية مثل كتاب " العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية " للخزرجي المتوفى سنة ٨١٣ هـ. ويعتبر الخزرجي من المؤرخين العرب الذين اهتموا بعلم التاريخ وبخاصة تاريخ اليمن في عهد بنى رسول ، ومن ثم فإن الوقائع التي أودعها دفتى كتابه لها قيمة خاصة لأنها على لسان شاهد عيان، ولأن دولة بني رسول عاصرت الدولة المملوكية.

وأيضاً كتاب " قرة العيون بأخبار اليمن الميمون " لابن الديبع المتوفى سنة ٩٤٣ هـ. وفي هذا الكتاب لم يحفل ابن الديبع بالشخصيات بقدر ما أهتم بالأحداث وسردها في تسلسل زمني ،وهو ليس بالمختصر المخل ولا بالمطنب الممل . والكتاب يسد ثغرة من تاريخ اليمن من الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجرى .

وكذلك كتاب "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني " للمؤرخ يحى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠هـ ،ويعتبر من المصادر الهامة في تاريخ اليمن.

ولم يغفل البحث كتب الرحالة لأنهم يعتبرون شاهد عيان بالنسبة لمرئيات الأحداث لكل ما شاهدوه ورأوه وسجلوه . ومن أهم هذه الكتب

" رحلة ابن جبير " المتوفى سنة ٦١٤ هـ ،وقد عاصر الدولة الأيوبية أيام صلاح الدين الأيوبى ، وسجل في رحلته كيفية جباية المكوس وإلغائها على الحجاج ، و رحلة " ابن بطوطة " المتوفى سنة ٧٧٩ هـ التي أفادتني في وصف الطريق المصرى ،والطريق العراقي . ورحلة " العبدرى" المتوفى سنة ٦٨٨ هـ ، وأيضا رحلة " ابن رشيد الأندلسي " ،وتعليقه على الطريق المصرى والشامي . ورحلة " التجيبي " المتوفى سنة ٧٣٠هـ المسماة " مستفاد الرحلة والإغتراب " وغيرها من الرحلات.

أما مصادر التاريخ الإسلامي العام، فيأتي في مقدمتها كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٥ هـ . وفي الجزء الرابع عشر يحدثنا ابن كثير عن بعض أعمال سلاطين المماليك وعلاقاتهم بالحجاز.

وكتاب " أخبار الدول وآثار الأول " للقرماني . كما اعتمدت على بعض الكتب التي أفادتني في طرق الحج مثل كتاب " المناسك " للحربي ، وكتاب " صفة جزيرة العرب " للهمذاني ،وكتاب " الخراج " لابن قدامة وغيره من المصادر التاريخية القديمة.

وكذلك أعتمدت على بعض المصادر التاريخية المعربة مثل كتاب " مرآة الحرمين " للمؤرخ التركي أيوب صبرى باشا ،وقد ترجمت بعض فصول هذا الكتاب بالإستعانة بالدكتور الصفصافي مرسى بدارة الملك عبد العزيز بالرياض ،ووجدت في ذلك بعض الصعوبة إلا أننى خرجت منه بحصيلة لا بأس بها عن مكة والمدينة ،وخاصة التي تخص الأشرف قايتباى ،وكذلك بعض المنشآت الدينية والمدنية وغيرها.

وأحب أن أنوه للقارئ بأنني لم أجد لبعض الكتب القديمة أسماء محققيها.

أما المراجع العربية الحديثة ،فأهمها كتاب " الملامح الجغرافية لدروب الحجيج " لسيد عبد المجيد بكر ،وقد أمدني هذا

الكتاب بالكثير من المعلومات عن طرق الحج الرئيسية الثلاثة : المصرى ، والشامي ، والعراقي .

وأيضاً كتاب الدكتور سعد الراشد " درب زبيدة " وما فيه من معلومات تتعلق بطريق الحج العراقي .

وكذلك كتاب الدكتور على السليمان عن " العلاقات الحجازية المصرية " وهو يشمل علاقات الدولة المملوكية بالحجاز ، وقد خرجت منه بالكثير من المعلومات القيمة .

وأيضاً تاريخ مكة لأحمد السباعى الذى تناول فيه أحداث مكة منذ قيام الإسلام حتى الدولة السعودية .

وأيضا كتاب " المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى " للدكتور أحمد دراج .

وأيضا كتاب " الأحوال السياسية والإقتصادية في العصر المملوكي " لريتشارد مورتيل .

أما من حيث تعريف الأوزان والمكاييل والنقود فقد اعتمدت على كتاب ابن رفعه المسمى " الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان " وكتابى " القيم النقدية في الوثائق المملوكية " و " المكاييل في صدر الإسلام " للدكتور سامح عبد الرحمن فهمي ، وكتاب " النقود العربية " للدكتور عبد الرحمن فهمي .

وهناك بعض الوثائق التي شملت بعض الأوامر السلطانية بإلغاء المكوس ، والصرف على المنشآت الدينية والمدنية في الحجاز وكذلك على الفقراء والمجاورين .

كما اطلعت على الكثير من البحوث في المجلات العلمية ، وأستخلصت منها الكثير من المعلومات ،منها مقال الأستاذ حمد الجاسر الذى علق فيه على رحلة ابن رشيد الأندلسي وطريق الحج المصرى والشامي ،ومقال عن طريق الحيرة - مكة . وأيضاً مقال محمد التهامي بعنوان "الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ".

وأيضاً بحوث الدكتور سعد الراشد بعنوان " برك المياه على طريق الحج " و " شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة " ، وهذان المقالان يتعلقان بطريق الحج العراقي .

وأيضا بحوث الدكتور أحمد دراج بعنوان " عيذاب " وأيضاً " إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى " وكذلك "رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباى ومحمود شاه خلجي سلطان مندوه بالهند ".

هذا فضلاً عن الكثير من المخطوطات والمصادر والمراجع والبحوث التي يجد القارىء ثبتاً كاملاً بها في نهاية الرسالة.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في خدمة المعرفة ،وفي إيفاء الموضوع حقه من البحث . هذا وقد كان لآراء الأستاذ المشرف الدكتور أحمد دراج حظها من العناية والتقدير ، كما كان لجهوده ولمؤازرته أكبر الأثر في إخراج هذا البحث على النحو المرجو .

والله ولي التوفيق ،،،

الفصل الأول

طرق الحج

وتوفير الراحة والأمن فيها للحجاج

١ - طرق الحج .

٢ - طريق الحج المصرى .

- إهتمام سلاطين المماليك بطريق الحج المصرى .

- طريق الحج المصرى (البرى).

- وصف طريق الحج المصرى البرى (بركة الحاج - سيناء - العقبة - الساحل) وأعمال المماليك به .

- وصف طريق الحج المصرى (الفسطاط - عيذاب - جده) وأعمال المماليك به .

- وصف طريق الحج المصرى البحرى (السويس - الطور - جده) وأعمال المماليك به .

٣ - طريق الحج الشامي .

٤ - طريق الحج العراقي .

٥ - طريق الحج اليمني .

٦ - اعتداءات القبائل على الحجاج .

١ - طرق الحج

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة ،كما أنه لم يقتصر على تأدية الفريضة ، بل تجاوزها إلى منافع أخرى قال تعالى ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (١).

وهكذا أرتبطت مكة المكرمة منذ فجر الإسلام بطرق حج تسلكها قوافل الحجاج من مصر والمغرب والأندلس والشام والعراق ،وشبه الجزيرة العربية .

ومن ثمار دروب الحج ، تأتت منافع حضارية عديدة ،منها هذا اللقاء بالبيت الحرام وبالمشاعر المقدسة التي تضم المسلمين من كل لون ومن كل جنس في أيام معدودات ،وفي هذا اللقاء يتعايش المسلمون في وئام ومحبة ،وان إجتماع الحجاج يؤدى إلى قيام تماس بين الخبرات التي اكتسبها الحجاج في الحضارات التي يعيشون في ظلها .

وعلى إمتداد دروب الحج شيدت المساجد ،والمنازل والقصور ، والخانات،والقلاع ، وآبار المياه والبرك لخدمة الحجاج . وفي المنازل الرئيسية عبر هذه الدروب أقيمت الأسواق التجارية لتفي بحاجة الحجاج ،ثم نشأت بها مدن وقرى أصبحت معالم بارزة في خارطة العالم الإسلامي .

---

(١) سورة الحج : آية ٢٧ ،٢٨ .

وعبر مسيرة دروب الحج ،وفي العواصم الإسلامية التي كانت تخرج منها ركبان الحجاج ،كان لقاء علماء المسلمين في مكة المكرمة ،وفي موسم الحج ،وفي المدينة المنورة وهم في زيارة الرسول ،صلى الله عليه وسلم ،كان لقاؤهم الأكبر هو الإمتثال لما فرضه الله سبحانه وتعالى إلى جانب منافع أخرى مثل الدراسة والتدارس والتجارة . وهكذا كانت دروب الحج روافد ثقافية إسلامية .

ونظراً لهذه الأهمية الكبرى لدروب الحج فقد اهتم كثير من علماء المسلمين مشارقة ومغاربة ممن رافقوا مواكب الحجيج وأدوا الفريضة بوصف هذه الدروب ،فتركوا لنا تراثاً جغرافياً وتأريخياً ضخماً تمثل فيما سجلوه من وصف مراحل هذه الدروب ومنازلها ومناهلها ،وما أقيم على إمتدادها من منشئآت ومرافق لخدمة الحجيج ،حتى يتيسر لهم قطعها والتغلب على مشاق الرحلة إلى الديار المقدسة.(١)

ولهذا كله كانت دروب الحج منذ فجر الإسلام موضع العناية من قبل خلفاء المسلمين وامراءهم ، بل وأعيانهم من الأثرياء والتجار ،لتوفر سبل الراحة للحجاج في سلوكهم لدروب الحج المختلفة ، سواء بتوفير الأمن لقوافل الحج ،أو بإقامة المنازل والمنشئات والمرافق المختلفة ، تيسيراً على المسلمين في إجتياز هذه الدروب وأداء فريضة الحج .

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٩-١٢
سعد الراشد : شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة - مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض- العدد الخامس ،١٣٧٧هـ ، ص ٥٥ .

وكانت ركبان الحج من الأمصار الإسلامية في إتجاهها إلى مكة المكرمة تسلك أربعة طرق رئيسة تشق شبه الجزيرة العربية من شرقها وشمالها وجنوبها . وهذه الطرق هي نفسها على وجه التقريب طرق التجارة القديمة التي كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ،ومسلوكة إلى مكة المكرمة سواء للتجارة أو الحج . وهذه الطرق هي التي عرفت منذ فجر الإسلام بطريق ركب الحج العراقي الذى أشتهر فيما بعد بدرب زبيدة نسبة إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، بسبب إهتمامها الكبير بإقامة المنشآت والأعمال الخيرية به لخدمة الحجاج ،(١) وطريق ركب الحج الشامي ،وطريق ركب الحج المصرى ، وطريق ركب الحج اليمني .

فطريق ركب الحج العراقي يسلكه معظم حجاج العراق وفارس وخراسان ،وبقية بلاد المشرق الإسلامي ،والذين يتجمعون في الكوفة .

وطريق ركب الحج الشامي يسلكه حجاج الشام بعد تجمعهم في دمشق.

وطريق ركب الحج المصرى يسلكه جميع حجاج مصر والمغرب والأندلس والتكرور (غرب أفريقية) بعد تجمعهم في الفسطاط ،ثم فيما بعد في القاهرة بعد إنشائها وإتخاذها عاصمة للدولة الفاطمية .

---

(١) سعد الراشد : برك المياه على طريق الحج من العراق إلى مكة ونظائرها في الأقطار الأخرى ـ أطلال ـ حولية الآثار العربية السعودية ـ العدد الثالث ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٦٦ .

وطريق ركب الحج اليمني يسلكه حجاج جنوب شبه الجزيرة العربية بما فيها ظفار، وعمان بعد تجمعهم في صنعاء.(١)

ويذكر سعد الراشد أنه بالإضافة إلى هذه الطرق الأربعة الرئيسية يوجد ثلاث طرق أخرى، وهي : طريق البصرة-مكة، وطريق صنعاء-مكة، (الطريق الداخلي) وطريق عمان-مكة.(٢)

هذا ولم يحدث أى تغيير منذ فجر الإسلام وحتى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى على وجه التقريب بالنسبة لطرق الحج المصرى، والشامي، والعراقي، واليمني. فقد ظلت قوافل الحجاج المصريين(٣)، والشاميين(٤)،

----

(١) عن طرق الحج الرئيسية الأربعة. انظر سليمان عبد الغني مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، لم تطبع ص ٥٦-٧٥.

(٢) عن طرق الحج التي تربط شرق شبه الجزيرة العربية بمكة المكرمة. انظر الحربي : المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة العربية، تحقيق حمد الجاسر، ص ٦١١-٦٢١.

(Saad Al-Rashid : Darb Zubaydah, p 4-6.)

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ٨٠.

(٤) سيد عبد المجيد بكر: المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠ (كان حجاج الشام يقطعون المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة في أكثر من شهر، وبعد مد خط حديد الحجاز عبر مسيرة درب الحجاز في مستهل القرن العشرين الميلادية أصبح الطريق يقطع في أربعة أيام).

والعراقيين [١] ،واليمنيين [٢] تقطع في سلوكها إلى مكة المكرمة هذه الدروب نفسها . أما الحج المصرى فقد تعددت طرقه بسبب تعدد طرق الإتصال بين مصر والحجاز ،وبسبب الظروف السياسية والعسكرية والإقتصادية التي مرت بها مصر والشام منذ منتصف القرن الخامس الهجرى .

فمنذ فجر الإسلام وحتى سنة ٤٦٠ هـ كان الطريق الذى يسلكه الحجاج المصريون هو الطريق البرى الذى يبدأ من الفسطاط ثم فيما بعد من القاهرة مروراً بشبه جزيرة سيناء والعقبة ،وعلى إمتداد الساحل الحجازى حتى ينبع ،ومنها إلى مكة المكرمة . وهذا الطريق هو الذى كان يعرف بدرب الحج المصرى ،أو بطريق العقبة ،أوبطريق الساحل .

وبعد إنتقال الفاطميين إلى مصر أخذت ميناء عيذاب [٣] على الساحل الغربي للبحر الأحمر خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ،ص ١٨ .

(٢) سليمان عبد الغني مالكي : المرجع السابق ،ص ٩٧ - ٩٩ .

(٣) عيذاب : ثغر تجارى عظيم يقع على الشاطئ المصرى للبحر الأحمر (القلزم) قبالة جدة على الشاطئ الآخر ،وهي من أشهر المراسي تأتي إليها السفن من اليمن والحبشة والهند ،وكانت طريق الحج المصرى يسير إليها الحجاج من قوص ثم يركبون منها إلى جدة ، وقد كان حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة يتوجهون إلى الحجاز عن صحراء عيذاب حتى بطل إستعمالها وتلاشت في النصف الأول من القرن التاسع الهجرى ، وكل ما يؤكل منها مجلوب ،وكان لأهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ٧٥١ - المقريزى : المواعظ والإعتبار،ج ١ ،ص ٢٠١- السلوك ،ج ١/١ ،، ص ٦٤ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٦٩ بالهامش) .

تقوم بدور رئيسي في تجارة الشرق الأقصى والبحر الأحمر ،وذلك بسبب سياسة الخلفاء الفاطميين الحكيمة في حسن معاملة التجار والترحيب بهم ، وتوفير الأمن والإستقرار في دولتهم التي سيطرت بسيادتها على المغرب ومصر والشام والحجاز على هذه المنطقة الإستراتيجية الهامة من الشرق الأوسط التي تتحكم بتجارة المرور بين الشرق الأقصى وأوربا . كما كانت أهمية عيذاب ترجع إلى عمق وغزارة مياه مينائها ،وخلوها من الشعاب المرجانية التي يمتلىء بها البحر الأحمر ،والتي كانت من أكبر الأخطار التي تتعرض لها الملاحة في هذا البحر . ثم أزدادت أهمية ميناء عيذاب إبتداءً من سنة ٤٦٠ هـ بسبب الشدة العظمى التي قاست ها مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ،فقد أدى خراب الوجه البحرى إلى تحول التجارة ،ورَكْب حجاج مصر والمغرب والتكرور عن طريق شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز إلى طريق النيل من الفسطاط حتى قوص (١) ،ومنها كانوا

---

(١) قوص : بالضم ثم السكون ، مدينة كبيرة عظيمة واسعة ،وهي قصبة صعيد مصر ،بينها وبين الفسطاط إثنا عشر يوماً ،وأهلها أرباب ثروة واسعة ،وهي محط التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة ،وهي شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية ،وبينها وبين قفط فرسخ ،وهي شرقي النيل وتقع عند تقاطع خط عرض ٥٥ - ٢٥° شمالا وخط طول ٣٥ - ٣٢° شرقا . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ٤١٣ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ،ص ١٦٩) .

يعبرون الصحراء الشرقية إلى ميناء عيذاب ،ومنها يعبرون البحر الأحمر إلى جدة بواسطة الجلاب.(١)

وبعد إنتهاء الشدة العظمى ظل طريق عيذاب الطريق الذى يسلكه حجاج مصر والمغرب والتكرور بسبب تزايد أهمية ميناء عيذاب ،إذ كانت قد أصبحت القاعدة الرئيسية لتجارة البحر الأحمر. وبالإضافة إلى هذا العامل السابق ذكره فإن قيام مملكة بيت المقدس الصليبية في العقد الأخير من القرن الخامس الهجرى ،ثم ما قام به أول ملوكها بلدوين الأول من السيطرة على صحراء النقب ،وعلى رأس خليج العقبة ،قد أدى إلى إغلاق الطريق البرى للقوافل بين مصر والشام والحجاز ،وبذلك عزلت مصر عن بقية العالم الإسلامي في الشرق إلى أن قام السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٦ هـ بإخراج قافلة الحج المصرى عن طريق البر عبر شبه جزيرة سيناء بعد مازالت الظروف السياسية والعسكرية التي كانت قد أدت إلى إغلاق هذا الطريق في وجه الحجاج.(٢)

غير أن طريق عيذاب على الرغم مما كان يتعرض له الحجاج من أخطار وأهوال في قطعهم له ظل مستخدماً ،وإن كان قد قل سلوك الحجاج له ،وذلك بسبب تفضيل الحجاج المغاربة له ،وبسبب إستمرار

---

(١) الجلاب : مفردها جلبه وهي نوع من السفن الصغيرة المخيطة أى التي لا تستعمل في صنعها المسامير وتستعمل في البحر الأحمر وهي مراكب للتجارة بين عدن والحجاز (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٣٨).

(٢) أحمد دراج : عيذاب ،مجلة نهضة أفريقية ،السنة الأولى ، العدد التاسع ،يوليو ١٩٥٨م - والعدد العاشر ،اغسطس ١٩٥٨- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٦٣.

الحركة التجارية في ميناء عيذاب .

ومن الذين حجوا عن هذا الطريق ،ودونوا لنا ما كان يعاني منه الحجاج من أخطار وأهوال في سلوكهم للصحراء الشرقية ،وفي ميناء عيذاب عند جباية المكوس منهم ،الرحالة ناصر خسرو سنة ٤٤٢ هـ ،وابن جبير سنة ٥٧٩ هـ ،وأبو القاسم بن يوسف التجيبي سنة ٦٩٦هـ ،وابن بطوطة الذى سلك هذا الطريق إلى عيذاب سنة ٧٢٧ هـ بقصد أداء الحج ولكنه بسبب ما لقيه من أهوال في عبوره للصحراء الشرقية إلى عيذاب لم يستطع أن يكمل رحلته إلى جدة وعاد من عيذاب . فقد عاصر ناصر خسرو طريق عيذاب في أول استخدامه للحج ،ومر به ابن جبير في أوج إزدهاره ، وسار فيه أبو القاسم التجيبي في بداية إضمحلاله ، ثم شهد ابن بطوطة فترة تداعى هذا الطريق ،واقتراب نهاية عيذاب.(١) ثم مالبث أن بطل إستخدام الحجاج له بعد خراب الصعيد عقب المجاعة الكبرى التي صحبها الوباء ،والتي حلت بمصر من سنة ٨٠٦ هـ حتى سنة ٨٠٩ هـ . والتي وصفها المقريزى في كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة " ووصف فيها ما حل بالصعيد خاصة .(٢)

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : مرجع سابق ،ص١٤٩ .

(٢) المقريزى : الخطط ،ج ١ ، ص ٢٠١ - إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق زيادة - الشيال ،القاهرة ١٩٤٠م، ص ٤٢ - ٤٣ .

(Ahmad Darrag :L'Eggpte Sous le Regne de Barsbay , p 201-202.)



وبسبب ما حدث من تحول في تجارة البحر الأحمر منذ أن أصبحت جدة منذ سنة ٨٢٨ هـ القاعدة الرئيسية لهذه التجارة ، وما ترتب على ذلك من قيام السلطان برسباى بوضع جدة تحت الإدارة المصرية المباشرة ، وجباية المكوس بها بدلاً من شريف مكة ،فقد إقتضى ذلك ربط جدة بقلعة القاهرة مقر الحكم عن طريق الحمام الزاجل ، وربط ميناء جدة بميناء الطور والسويس بخط بحرى مباشر .(١)

وقد أدى إنشاء هذا الطريق البحرى المباشر بين السويس وجدة إلى تيسير الحج بحراً للحجاج الذين يرغبون في تفادى أهوال الطريق البرى عبر شبه جزيرة سيناء ، فضلاً عن إختصار فترة الرحلة إلى الأراضي المقدسة. وقد عرف هذا الطريق بطريق البحر أو بطريق السويس - الطور - جدة . وممن حج عن هذا الطريق الرحالة الأندلسي أبو الحسن على القلصارى الذى أدى فريضة الحجة سنة ٨٥١هـ .(٢)

وقد بدأت عناية الخلفاء بطرق الحج في العصر الأموى ،وعلى وجه التحديد منذ سنة ٧٩ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان ، وذلك بسبب إنشغال الخلفاء الراشدين والأمويين الأوائل بالأحداث الكبرى التي مرت بها الدولة الإسلامية من فتوحات وفتن وحروب داخلية في الفترة السابقة على ذلك .(٣)

----

(١) Ahmad Darrag : Op. cit. p 175-176, 185, 202-203.

(٢) رحلة القلصاوى : لأبي الحسن على القلصارى الأندلسي (ت ٨٩١ هـ) ص ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٧ .

(٣) سليمان عبد الغني مالكي : مرجع سابق ،ص ٧٨ - ٧٩ .

وكان طبيعياً أن تتركز عناية الخلفاء بطريق الحج الذى يصل عاصمة الدولة الإسلامية بمكة المكرمة ،وإن كان هذا لم يحل دون الإهتمام بطريق الحج الأخرى كما فعل الخليفة يزيد بن عبد الملك عندما أمر عامله على الكوفة في سنة ١٠٤ هـ بتعبيد طريق الكوفة - مكة بأن ينشيء فيه المحطات ،وأن يحفر به الآبار لأن حجاج الركب العراقي كانوا يجدون صعوبة في سلوكه ،وكما فعل الخليفة المهدى في سنة ١٥٦ هـ عندما أمر بإقامة محطات للبريد في الطريق من مكة إلى اليمن.(١)

فمن عاصمة الدولة كان يخرج ركب الحج ،وعلى رأسه أمير الحج ممثلاً للخليفة ،والطريق الذى يقطعه هذا الركب يوفر له الخلفاء سبل الأمن والحماية ،ومن الخدمات والمرافق ما يعين الحجاج على سلوكه دون مشقة ، ومن ثم تتابع إهتمام الخلفاء بطرق الحج الثلاثة الشامي ، والعراقي ،والمصرى مع تتابع العواصم الإسلامية من دمشق إلى بغداد إلى القاهرة ،فكان إهتمام الخلفاء الأمويين يتركز في طريق الحج الشامي ،وإهتمام الخلفاء العباسيين يتركز في طريق الحج العراقي ، وإهتمام سلاطين المماليك في مصر وخاصة بعد إحياء الخلافة العباسية في القاهرة(٢) ، يتركز في طريق الحج المصرى ،

---

(١) سليمان عبد الغني مالكي : مرجع سابق ،ص ٦٢ - ٩٨.

(٢) أعطى إحياء الخلافة العباسية في مصر لسيادة سلاطين المماليك على الحجاز صفة شرعية ،وذلك بمقتضى التقليد الذى فوض فيه الخليفة العباسي إلى السلطان الظاهر بيبرس حكم البلاد الإسلامية بما فيها الحجاز (انظر المقريزى : السلوك ، تحقيق زيادة ،ج ١ ،ص ٥٠٢).

واهتمام أمراء اليمن في عهود الإستقلال يتركز في طريق الحج اليمني [(١)].

---

(١) سليمان عبد الغني مالكي : مرجع سابق ، ص ٦٢ ومابعدها (طريق الحج العراقي) ص ٦٩ ومابعدها ، (طريق الحج الشامي) ، ص ٨٦ ومابعدها ، (طريق الحج المصرى) ص ٦٨ ومابعدها ، (طريق الحج اليمني).

٢ - طريق الحج المصرى

إهتمام سلاطين المماليك بطريق الحج المصرى :

تتجلى مظاهر ذلك بإهتمام سلاطين المماليك بالعناية بطريق الحج المصرى على الأخص طريق سيناء - العقبة - الساحل الحجازى الذى يجمع الحاج المصرى وحجاج المغرب والأندلس والتكرور ، وذلك بالتيسير عليهم في قطع ذلك الطريق والعمل على إستتباب الأمن به ، وحمايتهم من أى إعتداء عليهم من العربان ، وتوفير المياه الكافية لهم ذهاباً وإياباً ، بحفر البرك والآبار ، وإقامة الأسواق التي تمدهم بالمؤن ، فضلاً عن القيام بما يتطلبه الأمر من إصلاحات في الحرمين المكي والمدني ، وتخصيص الأوقاف لها للإنفاق على صيانتها وعلى القائمين عليها.(١)

كما أهتم سلاطين المماليك بالإحتفال بخروج ركب الحج المصرى إحتفالاً كبيراً كان يهز المشاعر ، ويحرك نوازع الرغبات الروحية الكامنة تشوقاً لأداء فريضة الحج .(٢)

---

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ص ١٨٤ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦١ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الحادية عشرة ، شوال سنة ١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م ، ص ٤٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - هشام عجيمي : قلعة المويلح ، دراسة معمارية حضارية ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٣هـ ، ص ١٥ - حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٥ - ١٦ .

وكان ركب الحج المصرى في العصر المملوكي أكثر ركبان الحج إنتظاماً وعناية وأمناً للأسباب الآتية :

١ - أن بلاد الحجاز كانت تابعة من الناحية السياسية للدولة المملوكية .

٢ - قيام سلاطين المماليك بالعناية بطريق الحج المصرى ،وذلك بتوفير سبل الراحة للحجاج أثناء قطعه ، وحمايتهم من إعتداءآت الطريق ،وإرسال المبرات إلى أهل الحرمين من أوقافها في مصر ،وقيامهم بإرسال المحمل (١) الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة .

---

(١) عن نشأة المحمل الذى تُنسب عادة إرساله إلى مكة المكرمة حاملاً كسوة الكعبة المشرفة إلى هودج السلطانه شجر الدرزوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما قامت بأداء فريضة الحج ، ثم إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذى كان أول من أدار المحمل وارسله مع قافلة الحج في سنة ٦٦٤ هـ ، ثم أصبح بعد ذلك رمزاً للسيادة المملوكية على بلاد الحجاز انظر:

Jacques Jomier : Le Mahmal et le Caravane Egyptienne des pelerins de la reqne , le Caire 1953 Chap II, pp. 11-26,

(عن نشأة المحمل المصرى) عن المحمل المصرى رمز السيادة المملوكية .
Chap III, p.p. 27-34.
و (عن نشأة المحمل المصرى) و (عن المحمل المصرى رمز السيادة المملوكية على بلاد الحجاز) .

===

. . . .

=== انظر أيضاً في هذا الكتاب اللوحة رقم (١) وهي صورة محمل السلطان قانصوه الغورى الذى لا يزال محفوظاً وعليه كسوة الكعبة في متحف طو قبو سراى باستانبول .

وانظر أيضاً مقال الدكتور عبدالله عنقاوى (المحمل - نشأته وآراء المؤرخين فيه ، مجلة كلية الاداب - جامعة الرياض ، المجلد الثاني - السنة الثانية ١٣٩١هـ / ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م/ ١٩٧٢م ، ص ٣٢٣ - ٣٣٨) في هذا المقال يناقش الدكتور عنقاوى الرأى الذى يرجع أصل المحمل إلى هودج الملكة شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما أدت فريضة الحج ،وإلى ما قام به السلطان المملوكي الظاهر بيبرس من إرسال المحمل مع قافلة الحج في سنة ٦٦٤ هـ ،وهو ما أصبح تقليداً سار عليه من جاء بعده من سلاطين المماليك . وفي مناقشة لهذا الرأى يقرر أن عادة إرسال المحمل مع قافلة الحج قد بدأت قبل عهد المماليك ، ويعطينا بعض الأمثلة على ذلك إبتداء من الحجاج بن يوسف الثقفي الذى كان أول من أحدث المحامل في طريق مكة ،وإنتهاءً بالملك المعظم عيسى سلطان دمشق سنة ٦٢٢ هـ ،وبالملك الأشرف الأيوبي سنة ٦٢٤ هـ . وفي ختام المقال يذكر إنه لم يثبت له بالدليل القاطع أن شجرة الدر ،ولا الظاهر بيبرس كان صاحب فكرة المحمل وارساله مع قافلة الحج . هذا وكنت أتمنى أن تتاح لى فرصة الإطلاع على رسالة الدكتور عنقاوى الذى نال بها درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج سنة ١٩٦٨م ، وعنوانها :

(The Organization and role of the pilgrimage) during the Mamluk period.

٣ - إلتحام قوافل الحجيج الأخرى ،وخاصة من بلاد المغرب والشام (طريق غزة - العقبة) بقافلة الحج المصرى لتضمن وصولها سالمة إلى الحرمين الشريفين ،كما أن حجاج الشرق في بعض الأحيان كانوا يأتون إلى مصر ليسيروا مع قافلة الحج المصرى إلى الحرمين الشريفين .(١)

وكان المحمل المصرى يخرج على رأس عدة ركوب قد تصل في بعض السنوات إلى سبعة ركوب لكل ركب أمير ،ويرأسهم أمير الحج الذى هو أمير الركب كله .(٢)

و في السنوات التي يخرج فيها للحج أحد السلاطين ،أو أحد زوجاته ، وكذلك إحدى كبار أمراء المماليك ، كانت تزداد العناية بركب الحج المصرى سواء من حيث توفير الأقوات والمياه ، أو الحراسة على طول إمتداد الطريق ،الأمر الذى كان يستفيد منه عامة الحجاج ،فيقطعون الطريق إلى مكة المكرمة في راحة وأمن وطمأنينة .(٣)

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ،تحقيق عبد الكريم الباز ،رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦هـ ،ص ٧٢. اعتقد ان هناك التباس لأنه ليس من المعقول ان يتخطى حجاج الشرق دمشق ويخترقون فلسطين وسيناء إلى القاهرة ثم يعودون لعبور سيناء مرة أخرى في طريقهم إلى الحجاز ولكن بوسع هؤلاء الحجاج إذا لم يأمنوا طريق الحج أن ينضموا إلى ركب الحج الشامي الذى يلتقي بالركب المصرى في منطقة العقبة.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) Jacques Jomier : Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des pelerine de le regne , p.75-76.

ومن الأمثلة على ذلك :

ففي سنة ٦٩٠ هـ توجه الركب المصري إلى الحجاز بقيادة بدر الدين بكتوت العلائي [(١)] المنصوري من قبل سلطان مصر الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وقد تساوى الناس في المنازل والمناهل ، كما فرقت العطايا على حجاج الركب. [(٢)]

وفي سنة ٦٩٤ هـ حج ولد سلطان مصر الملك المجاهد أنس بن العادل كتبغا [(٣)] في موكب عظيم من الأمراء ، وصرف مالاً كثيراً ، وسقى الحجاج طول الطريق الروايا ملأى بالسكر ، وفرق من الحلوى ما رخص سعره حتى بيع كل علبة بدرهمين ، وخلع على الأمراء العطايا الواسعة [(٤)] .

وفي الثامن عشر من محرم سنة ٧١٩ هـ قدم المحمل المصري إلى القاهرة ، وجهز محمد الماردينى مائتي جمل عليها الزاد والماء لكل من انقطع في الطريق من الحاج . [(٥)]

---

(١) انظر فصل الأعطيات ، ص ٢٣٥

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣١٧ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤١ - المقريزي : السلوك ، ج ١ / ٣ ، ص ٧٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

(٣) انظر فصل الأعطيات ، ص ٢٣٧

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٥٧ - ٥٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، تحقيق فهيم شلتوت ، ج ٣ ، ص ١٢٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦١١ - ٦١٢ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ٢ / ١ ، ص ١٩٠ .

وفي سنة ٧٣٩ هـ حج الأمير سيف الدين يشبك الناصرى ،وفعل الكثير من أعمال الخير والبر في طريق الحج المصرى ،ففرق على الحجاج والمشاه الماء والكعك ،وجعل لهم خياماً يستظلون بها.(١)

وفي سنة ٩١٧هـ كان الحجاج في تمام الرضا من معاملة الأمير طوماى باى وما فعله من أعمال الخير في طريق الحج المصرى ،كحمل المنقطعين ، والصدقات على طول الطريق للفقراء والمحتاجين.(٢)

وكان أول خطوات تنظيم خروج ركب الحجيج تتمثل في النداء بالحج ،ودوران المحمل إيذاناً بقرب خروج الحجاج ،وكان النداء سُنّة مأثورة عن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،(٣) حيث كان ينادى بالمدينة المنورة بالحج في أول شهر ذى القعدة من كل عام ،على إعتبار أن المسافة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة كانت تستغرق عشرة أيام ، وحيث أن ركب الحج المصرى والشامي كان يقطع طريق الحج إلى مكة المكرمة في أربعين يوماً ،فإن النداء بالحج كان يحدث عادة في النصف الثاني من شهر رجب

---

(١) الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ،ص ٥٠ - ٥٣ -ابن الوردى : تتمة المختصر ،ج ٢ ،ص ٤٦٢ - ٤٦٣ - المقريزى : السلوك ، ج ٢/٢ ،ص ٤٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ص ٦٤٣.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٩٦ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٣٨.

(٣) سيرة ابن هشام ، ج ٣ ، ص ٣٠٨.

سواء في مصر أو الشام ،وكان يصاحب ذلك الإحتفال دوران المحمل المخصص لحمل كسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية ، ثم يحتفلون احتفالاً أكبر من هذا الإحتفال في النصف الثاني من شهر شوال بخروج ركب الحج إلى الحجاز ، وكان الإحتفال بدوران المحمل يعتبر من الأعياد الكبرى لدى أهالي القاهرة ،ويشهده أهم الشخصيات في المجتمع المملوكي ، حيث كان يصاحبه القضاة الأربعة ،ووكيل بيت المال ،والمحتسب ، وأعلام الفقهاء ، كما كان أهالي القاهرة يهتمون بتزيين منازلهم وحوانيتهم على إمتداد الطريق الذى يمر به المحمل ،والذى كان يسير أمامه الأمير المعين للإشراف على سفر ركب الحج إلى الحجاز في تلك السنة ،وبصحبته مجموعة من القائمين على حراسة الركب ،وتأمين سلامة الحجاج .(١) كما أحاط سلاطين المماليك المحمل بعدد كبير من الجند لحراسته ،ولحراسة قافلة الحج ، وكان يضم إلى القافلة عدداً من الموظفين القائمين على تنظيم سيرها ،وإمدادها بالأقوات ،وتوفير المياه الكافية لها ،ووسائل الراحة لها .(٢)

وبعد الإحتفال بدوران المحمل يقصد الركب بركة الحاج(٣) إنتظاراً لتجمع الحجاج . ثم تبدأ القافلة في التحرك إلى الأراضي المقدسة ،

---

(١) عن الإحتفال بدوران المحمل بالقاهرة إبتداء من سنة ٦٧٥ هـ انظر : السيوطي : حسن المحاضرة ،ج ٢ ،ص ١٩٤ ،ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١٨ هـ.

Jacques Jomier :Op. Cit. , chap.III, pp. 35-42.

دكتور عبدالله عقيل عقاوى : المقال السابق ،ص ٣٣٢- محمد التهامي : المقال السابق ،ص ٨٥.

(٢) -Jacques Jomier : Op. Cit. , p. 74.

(٣) عن بركة الحاج أولى مراحل طريق الحج المصرى انظر فيما بعد ،ص ٤٢

وغالباً كان يتحرك الركب على دفعتين ،حيث يسير ركب المحمل ومعه كسوة الكعبة المشرفة ،ثم يتبعه ركب الحجاج في اليوم التالي . وعندما تنتهي إستعدادات المسير تحيط الفرسان والحراس بالقافلة إحاطة السوار بالمعصم لحمايتها ممن تُسول له نفسه الإعتداء عليها ،ولمساعدة المتخلفين عن الإلتحاق بالقافلة ،وكذلك المرضى والمحتاجين الضعاف . وكان المسير يبدأ في الهزيع الأخير من الليل ،فيقوم الدليل بالسير أمام القافلة ليرشدها إلى الطريق الصحيح ولم تكن مسيرة الحج المصرى عشوائية ، بل كانت تسير وفق نظام معين دقيق يخضع إليه كل من في القافلة ، فلا ينزلون ولا يرحلون الا عندما تدق الطبول إيذاناً بالرحيل أو النزول نظراً للأعداد الهائلة من الحجاج . وكان لكل مجموعة من الحجاج علامة يعرفون بعضهم البعض بها . كما زودت القافلة بكل الإحتياجات اللازمة لها من مأكل ومشرب وملبس ، فضلاً عن توفير أرباب الحرف والصنائع ،والأئمة والمؤذنين والأطباء وغيرهم. بالإضافة إلى الأدوية والعقاقير اللازمة لهم (١). وكان أمير الحج يتلقى الأمر من السلطان ،وينوب عنه في المحافظة على مسيرة القافلة ،وإقامة شعائر الحج للمسلمين في مكة ،ولذلك كان يتوجب على أمير الحج الإلتزام بالأمور الآتية :

---

(١) الجزيرى ،درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ،
محمد التهامي : المقال السابق ، ص ٨٦ - على السليمان: العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٨٢ - ٨٣ .

١ - تقسيم الأماكن على عدد مجموعات القافلة ، ويسميه الجزيري في كتابه درر الفرائد ، بالتقطير والتعقيب .

٢ - المحافظة على تجمع القافلة خوفاً عليها من التفرقة ،أو تعرضها لقطاع الطرق .

٣ - النظام في السير وعدم العجلة ، رحمة بالضعيف والعاجز آخذا بقوله صلى الله عليه وسلم (الضعيف أمير الركب) .

٤ - أن يسلك بهم أوضح الطرق وأوفرها ماء وأقلها وعورة .

٥ - الإهتمام بالحراسة الشديدة خوفاً عليهم من السراق وقطاع الطرق .

٦ - الدفاع عنهم بالرجال والمال .

٧ - أن يسمع شكواهم ويصلح بينهم.

٨ - المحافظة على تنظيم الوقت فلا فوتاً ولا عجلاً ، بحيث يصلون في الوقت المناسب إلى غايتهم ،ويحرمون من ميقاتهم ،ويخرجون مع أهل مكة إلى المواقف الشريفة .(٢)

---

(١) الجزيري ،درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - الزيلعي :مكة وعلاقاتها الخارجية ،الرياض - كلية الآداب - جامعة الملك سعود سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ،ص ٨٣ .

(Jacques Jomier: Op.Cit., p. 94.)

كما تولى سلاطين المماليك مهمة بسط الحماية الكافية للحجيج في طريق الحج المصري ،لأن الأعراب كانوا مصدر خطر و خوف لأمراء الحج والحجاج . ورأى سلاطين المماليك أن خير وسيلة للحد من هذا الإعتداء ،هو تعيين هذه القبائل خفراء في طريق الحج مع إعطائهم أتاوات سنوية في سبيل تأمين الحماية الكافية للتجارة والحجاج ، بالإضافة إلى الهدايا ،إذ أنهم كانوا في سبيل الحصول على الأموال لم يكونوا يتورعون عن الإعتداء على الحجاج لإغتصاب أموالهم ،وما كانوا يجلبونه من أقوات (١) .

*

طريق الحج المصري " البرى " :

لقد تناول الجزيرى في كتابه درر الفرائد المنظمة طريق الحج المصري " البرى " بطريقة مختصرة نقلاً عن شهاب الدين بن فضل الله العمرى في كتابه مسالك الأبصار ،ولكن بطريقة أخرى شرح طريق الحج المصري مبيناً الإصلاحات التي تمت فيه ،وواصفاً كل منزلة و منهل ،وناقداً الذين كتبوا قبله ، خاصة وأن الجزيرى كان يشغل ديوان الحج سنة ٩٤٤هـ، وكان والده قد شغله قبله في أوائل القرن العاشر الهجرى ،فعرف الكثير

---

(١) (Jacques Jomier: Op.Cit., p. 12.)

- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - ٧٤ -

- هشام عجيمي : قلعة المويلح ، ص ١٦ - ١٧ .

من التفاصيل عن والده ، هذا بالإضافة إلى معاصرته للفترة الأخيرة من حكم الدولة المملوكية [١] .

ومن ثم فقد اعتمدت في وصف طريق الحج المصرى ، وما قام فيه من إصلاحات على كتاب الجزيرى ، خاصة وأنه أستخدم آلة المنكاب [٢] لقياس الطريق ذهاباً وإياباً .

وقسم الجزيرى الطريق إلى دركات تتولى الحراسة فيها القبائل العربية المحيطة بالطريق في مقابل مبالغ معينة من المال ، وكانت هذه المبالغ تحول إلى مرتبات . كما ذكر الجزيرى أن المماليك أقاموا المحارس يميناً وشمالاً في الطريق لتسهيل طريق المرور لقافلة الحج ، وذلك بإزالة العقبات ، مثل محرس بين حسما وعش الغراب ، ومحرس عند قبر السقاف بوادى عسفان ، ومحرس بالقرب من دار السلطان الأشرف قايتباى ، وبالقرب من حدرة دامة . وكانت المشاة من العسكر الرماة توزع على رؤوس الجبال والمحارس فإذا كانت المنطقة بها طريق ضيقة بين الجبال

---

(١) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) المنكاب : آلة كانت تستخدم قديماً لمعرفة إمتداد الزمن كالساعة . (الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣١٤) .

كان ينزل الركب وأمير الركب ودواداره[(١)] ليعملوا على تسهيل المرور في هذه المضايق.[(٢)]

كما وضعت الخطط لتزويد الحجيج بالماء اللازم لا سيما عندما يأتي موسم الحج في أوقات الحر الشديد، فقسم الطريق إلى مناهل[(٣)] كبرى، أو مناهل صغرى، بالإضافة إلى إنشاء البرك وخزانات المياه. وقسم الطريق إلى منازل أيضاً، وتخفيفاً على الحجاج من أن يحملوا أقواتهم خلال فترة الحج فقد بنيت الخانات[(٤)] ليحفظ بها الحجاج

---

(١) الدوادار: إسم فارسي مركب من لفظين أحدهما عربي وهي الدواة والثاني دار معناها ممسك ووظيفته حمل دواة السلطان أو الأميرأو غيرهما ويتولى أمرها مع ما يلتحق ذلك من المهمات مثل تبليغ رسائل السلطان أوالأمير - المقريزى: السلوك ج ١، ص ١٤١ - القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩، ج ٥، ص ٤٦٢.

(٢) الجزيرى: درر الفرائد، ج ١، ص ٤٨٧ - ٥١٧ - عبد المنعم رسلان: الأزنم خاناً وبرجاً - مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي - جامعة أم القرى - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة - العدد الرابع سنة ١٤٠١ هـ - ص ٣٦٩.

(٣) المنهل: عبارة عن مورد المياه بالطريق، والمناهل الكبرى هي مناهل الأرباع. أما المناهل الصغرى فكانت دون ذلك (عبد المنعم رسلان: الأزنم خاناً وبرجاً، ص ٣٦٩ - حاشية ٦).

(٤) الخان: كلمة فارسية استعملت بكثرة في مصر والشام ومعظم البلاد الإسلامية الشرقية ذكرها المؤرخون في عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك، والخان عبارة عن مبنى ضخم يحتوى على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة، ومستودعات للبضائع، ويتوسط الخان فناء ضخم على هيئة رواق مغطى حيث يحفظ التجار بضائعهم، ويجدون في الخان المأوى لهم ولدوابهم وبه مسجد. (المقريزى: الخطط، ج ٢، ص ٩٢ - نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية، ص ٢٩٣ - القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص ١٩٧).

الأمتعة والأغذية التي يمكن الإستغناء عنها ،ولذلك زودت بالتحصينات اللازمة.(١)

هذا وكان طريق الحج المصرى البرى يتقسم إلى أربعة أقسام :

الربع الأول :

من صحراء القاهرة إلى أيلة(٢) ،ويسير فيه الحجاج ستة عشر مرحلة ، وهو قليل الماء والشجر ،وساعاته مائة واثنتا عشرة ساعة وثلث من ساعة ، ومجموع ذلك ألف وستمائة وخمسة وثمانون درجة(٣) . وقد جعل

---

(١) عبد المنعم رسلان : المقال السابق ،ص ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) أيلة . نسبة إلى أيلة بنت مدين ،وتقع في طريق مكة ،وهي أول حد الحجاز ،كما أنها ميناء لفلسطين ومصر والاردن والحجاز لأنها تقع على ساحل بحر المالح ،وهي مدينة جليلة القدر يجتمع إليها الحجاج من مصر والمغرب ،ولها الكثير من الآبار والبرك.
الهمذاني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣ - الحميرى : الروض المعطار، ص ٧١.

(٣) الدرجة : هي وحدة زمنية تقدر بحوالي ست دقائق وهي التي تنتقل فيها الشمس من منزلة إلى منزلة ،وكان الطريق من القاهرة إلى مكة حسب وصف الجزيرى يقطع في ٤٥٤ ساعة ، ومن القاهرة إلى مكة ثم المشاعر وعرفة ،ثم إلى المدينة المنورة والعودة منها كان الطريق يقطع في ١١٠٠ ساعة ،وكان الطريق من بركة الحاج إلى مكة يتكون من ٣٠ مرحلة ويبلغ مسافة ١٦٠٠ كيلومتر على وجه التقريب .

(Jacques Jomier : Op.Cit., p. 204.)

وفي العصر الحديث قلت مسافة الطريق ،كما قلت مراحله وساعات قطعه (سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٨١ - ٨٢) نقلاً عن البتنوني في رحلته المسماة الرحلة الحجازية ، وابراهيم رفعت في كتابه المسمى مرآة الحرمين .

سلاطين المماليك حماية هذا الربع لأقوى القبائل، وهي قبيلتا العائد (١) وعطية (٢) وكان لكل منهما إثنان وأربعون ديناراً وما زالت تزداد حتى أصبحت خمسمائة دينار .

الربع الثاني :

من أيلة إلى الأزلم (أو الأزنم) وهو أقصر الأرباع، ويبلغ إحدى عشرة مرحلة، وهو أكثر مياهاً من الذى قبله، وشجره كثير للغاية، وساعاته خمس وتسعون وثلث من ساعه، ومجموعه ألف وأربعمائة وثلاثون درجة، وأشهر قبائله الرشيدات (٣) من بني عطية ، ويتقاضون في

---

(١) العائد : بطن من بطون جذام من القحطانية، مساكنهم فيما بين بلبيس من الديار المصرية إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين وعليهم درك الحاج إلى العقبة . (القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٦٤ - ٦٥) .

(٢) بنو عطية : والنسبة لهم عطوى، وهم من القحطانية، ويقال أن بني شاكر الحجر كانوا أصحاب درك عقبة أيلة، فاستولى بنو عطية على دركهم وتركه بنو شاكر لهم، وتنقسم إلى ثلاث فروع العطيات - العقيلات - الخميسات، وبيوتهم حول العقبة إلى عجرود من مصر . (البلادى : معجم قبائل الحجاز ، ص ٣٣٦) .

(٣) الرشيدات : بطن من بطون الحميدين من جذام من القحطانية سكنوا الحجاز ثم انتشروا في مناطق أخرى ومنازلهم من بلاد الشرقية من الديار المصرية . (القلقشندى : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ١١٥) .

في مقابل ذلك مائتين وعشرين ديناراً ،كما يخلع عليهم التشاريف السلطانية .(١)

الربع الثالث :

بين الأزلم وينبع ومراحله أربعة عشرة مرحلة ،وهو من الأرباع المعطشة وأطولها وأوحشها . وساعاته مائة وخمس عشرة ساعة ،ومجموعها ألف وسبعمائة وخمس وعشرون درجة ،وأشهر قبائله الأحامدة (٢) من بلى (٣) ، وبنو حسن من جهينة (٤) ،ولهم الكثير من الأرزاق والأكسية والأموال (٥)

---

(١) الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٠٧ - ١٣٠٨ .

(٢) الأحامدة : نسبة إلى أحمدي بطن من ميمون بن سالم من حرب ، ديارهم جبل الأشعر ،تحضر منهم كثيرون في مكة وجدة والمدينة المنورة وينبع ،ومن فروعهم ، الصخور ،والصميدات . (البلادي : معجم قبائل الحجاز ،ص ١٣) .

(٣) بلى : بفتح الباء وكسر اللام بطن من قضاعة من القحطانية ،النسبة إليهم بلوى ، وهم بنو بلي بن عمرو بن الحارث من قضاعة ،ومنازلهم بالداما وهي ماء دون عيون القصب إلى أكرى فم المضيق ،وعليهم درك الحجيج . (القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٨١ - قلائد الجمان ،ص ٤٥) .

(٤) جهينة : حي عظيم من قضاعة منازلهم بين ينبع والمدينة إلى وادي الصفراء جنوباً والعيص وبلاد بلى شمالاً على الضفة الشرقية للبحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة (البلاذري : معجم قبائل الحجاز ،ص ٩٥) .

(٥) الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٠٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٣ - سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٠٢ .

الربع الرابع :

بين ينبع ومكة بمقدار ثلاث عشرة مرحلة ،وساعاته مائة وساعتان ومجموعها ألف وخمس وعشرون درجة ،وأشهر قبائله بنوابراهيم.(١) أما المسافة بين مكة والمدينة فحمايته تؤول لأمراء مكة والمدينة المنورة(٢) . وكان هناك أيضاً بعض العربان مهمتهم حمل الحبوب والإمدادات وغيرها ،ولهم خفراء يتقاضون ثلاثين نصفاً(٣) إلى خمس وعشرين من الفضة ،وكانت مهمة أمير ينبع تقديم الجمال والرجال لحمل هذه الإمدادات والأرزاق ،ولقواد هذه الجمال رواتب مقدارها ثلاثون نصفاً لكل جمل ،كما أن لقبيلتهم نصيب من الأموال (٤)

---

(١) بنو إبراهيم : بطن من بني مالك من جهينة كان لهم خطر قبل القرن العاشر الهجرى فآل الأمر إلى إخضاعهم ،وهدم معقلهم وقريتهم الدهناء ،وديارهم بينبع النخل وما حولها . (البلادى : معجم قبائل الحجاز ، ص ١١ ، ١٢) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٠٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٠٢ .

(٣) النصف فضة : هي مسكوكات دقيقة من الفضة ،ويطلق على الواحد منها اسم نصف أو نصف فضة ،وهي المعروفة باسم " الميدى " ، والميدى تعريف لكلمة مؤيدى ، وقد تقرر في أيام الاحتلال الفرنسي لمصر أن يصرف كل ألف نصف فضة بخمسة وثلاثين فرنكا . (حسين أفندى الروزنامجي : مصر عند مفترق الطرق - تحقيق شفيق غربال - كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول - المجلد الرابع - الجزء الأول - مايو سنة ١٩٣٦م - الطبعة الثانية ، ص ١١) .

(٤) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٥ .

وصف طريق الحج المصرى البرى (بركة الحاج - سيناء - العقبة - الساحل) وأعمال المماليك به :

سبق أن ذكرت أهمية كتاب درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة للجزيرى في وصف طريق الحج المصرى لأنه كان يشغل ديوان الحج في مصر سنة ٩٤٤ هـ، أى أنه كان معاصراً للفترة الأخيرة من حياة الدولة المملوكية، ولأنه أيضاً عرف الكثير عن أحوال هذا الطريق عن أبيه الذى كان يشغل من قبل الديوان نفسه، ولهذا يعتبر الجزيرى المصدر الرئيسي لنا في وصف مراحل هذا الطريق وما قام به سلاطين المماليك وأمراؤهم، وكبار رجال الدولة المملوكية على إمتداد هذا الطريق في العصر المملوكي من منشئات ومرافق لخدمة الحجاج تيسيراً لهم في سلوكه، وسبق الجزيرى في وصف هذا الطريق وإن كان وصفاً موجزاً عدد من الرحالة المسلمين الذين أدوا فريضة الحج على إمتداد العصر المملوكي .

ومن هؤلاء الرحالة ابن رشيد الأندلسي (٦٨٥هـ) والعبدرى (٦٨٩هـ) ، وأبو البقاء شهاب الدين بن الجيعان (٨٨٤ هـ) ، وقد أغنانا سيد عبد المجيد بكر في كتابه القيم عن الملامح الجغرافية لدروب الحجيج عن تتبع منازل هذا الطريق كما جاءت في كتب هؤلاء الرحالة، فقد نقل ذكر منازل الطريق كما أوردها كل منهم في إيجاز.(١)

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٧٩ - ٨٠ .

فمنازل هذا الطريق كما وردت في رحلة ابن رشيد هي : البويب - "باب الدرب" وهي بعد بركة الحاج - القباب - نخل - عقبة أيلة - مغاير شعيب - عيون القصب - سلمى - الوجه - ينبع - ينبع النخل - وادى الصفراء . ثم يتابع الطريق مسيرته إلى مكة المكرمة ومنازله كما وردت في رحلة العبدرى هي : البركة (بركة الحاج) - السويس - بئر مبعوق (في سيناء شمال شرقي السويس) بئر النخل (نخل)- عقبة آيله - مغاير شعيب - عيون القصب - كفافة (وادى سلمى)- الوجه - أكرا - الحوراء - المغيرة - ينبع النخيل - الدهناء - بدر ، ثم يلتحم الطريق مع طريق مكة المكرمة .

ومنازله كما وردت في رحلة ابن الجيعان هي : البركة - البويب - المنصرف (وادى المنصرف) - التيه - نخل - القريص - عرقوب البغلة - سطح العقبة - العقبة - حقل - الشرفة - وادى عقال - مغاير شعيب - عيون القصب - الشرمه - المويلح (النبك) - الأزلم - سطارة الدخاخين (بين الأزلم واصطبل عنتر) - إصطبل عنتر - وادى الأراك - الوجه - أكرا - الحنك - الحريرة (الحريرا) - الينبوع - العبرك (وادى الحمراء) - وادى الصفراء - المدينة المنورة .

وبمقارنة هذه المنازل كما أوردها كل من الرحالة الثلاثة ،بما ذكره الجزيرى عن منازل الطريق يتضح أن هناك خلافاً في ذكر المنازل بين بعضها البعض وبين الجزيرى ، فضلاً عن إيجازها . وربما يرجع ذلك إلى عدم دراية هؤلاء الرحالة بتفاصيل مسار الطريق من وقت لآخر لتفادى إعتداءات القبائل ،أو بحثاً عن آبار جديدة للمياه لنضوب الآبار القديمة .

وأياً كان الأمر ،تبقى الأهمية لوصف الجزيرى لهذا الطريق لأنه كان يشغل ديوان الحج هو وأبوه من قبل ، ولأنه كان معاصراً للفترة الأخيرة من حياة الدولة المملوكية ،وهي الفترة التي استقر فيها مسار الطريق على النحو الذى وصفه لنا الجزيرى . هذا فضلاً عن انفراد الجزيرى دون هؤلاء الرحالة بذكر ما قام به سلاطين المماليك وأمراؤهم وكبار رجال الدولة من أعمال بهذا الطريق . ومن ثم فإن الجزيرى هو مصدرنا الرئيسي في وصف هذا الطريق ، وما تم به من أعمال في العصر المملوكي .

فالجزيرى يذكر إجتماع الركب المصرى بالقاهرة ما بين الرابع عشر والعشرين من شهر شوال ،ولكن إبتداء من سنة ٧٤٠ هـ أصبح الركب يغادرها في الرابع والعشرين من هذا الشهر إلى بركة الحاج (١) بخمس وسبعين درجة ،فيمكث بها خمسة أيام (٢) - انظر خريطة رقم (١)و(٢)- وكانت تعرف قديماً في القرنين الثالث والرابع الهجريين بإسم

---

(١) البركة : هي بظاهر القاهرة من شمالها ، ويطلق عليها بركة الجب في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وكان يطلق عليها بركة الحاج لنزول حجاج البر بها ،وتبعد عن القاهرة ب ١٢ ميلاً . (المقريزى : المواعظ والإعتبار ،ج ٣/١ ص ٤٨٩).

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٠٩ - ١٣١٠ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٦٥.

جب عمير[١] ، ولكن بعد تحول طريق الحج إلى عيذاب بسبب الشدة العظمى ، وبسبب الحروب الصليبية ، وبعد عودة طريق الحج إلى شبه جزيرة سيناء والعقبة في النصف الثاني من القرن السابع الهجرى ، أصبحت تعرف بإسم بركة الحاج لنزول حجاج البر بها ، وبسبب إنخفاض أرضها عن منسوب الأراضي الزراعية ، وتبعد عن القاهرة بـ ١٢ ميلاً[٢] . وبها آبار طيبة ، وسوق كبير يستكمل منه الحجاج جميع لوازمه[٣] . ويصاحب معظم سكان القاهرة الحجاج إليها ، منهم المودعون للأقارب والأصدقاء ، ومنهم باعة الطعام للحجيج ، وآخرون لبيع ما يحتاجه الحجاج في الطريق ، وبالبركة بئر شعيب التي تنسب إلى مياهه

---

(١) جب عمير : نسبة إلى ابن تميم بن جز التجيبي قريب من القاهرة يبرز اليه الحاج والعساكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٠) .

(٢) الميل : هو مسافة مد البصر ، وسميت الأعلام التي توضع في الطريق أميالا ، أى ما يعادل الف باع ، والباع أربعة أذرع ، أى ٤ × ١٠٠٠ × ٤٦٫٢ = ١٨٤٨ مترا . (ابن رفعة : الإيضاح والتبيان ، ص ٧٧) .

(٣) رحلة العبدرى ، ص ١٥٣ - الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ س ٤ ، شعبان ١٣٨٩هـ - تشرين الثاني نوفمبر ١٩٦٩م ، ص ١٦٨ - المقريزى : المواعظ والإعتبار ، ج ٣/١ ، ص ٤٨٩ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٣٣ . البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٣ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

فضائل علاجيه [١] ، وبها الكثير من النخيل ،وفسقية ماء عظيمة أنشأهـــا عبد الباسط بن خليل الدمشقي [٢] سنة ٨٢٨ هـ على عهد الأشرف برسباى ، وأنشأ بها بئراً وبستاناً ،كما أصلح كثيراً من مسالك الحجاز [٣] . وبالبركة أيضا أنشأ إبراهيم بن علي المتبولي الصوفي [٤] بستاناً كبيـــــراً ، وزاوية لصلاة الجمعة ،وسبيلاً هائلاً عم النفع بـه خاصه أيام الحج ، وسقى للدواب، [٥]

---

(١) Jacques Jomier: Op. Cit., p. 173.

(٢) عبد الباسط بن خليل الدمشقي : ولد سنة ٧٨٤ هـ ،وقدم دمشق في سلطنة المستعين بالله ،عاصر السلطان المؤيد ،والأشرف برسباى ، والظاهر جقمق ،حج سنة ٨٤٤ هـ ،٨٥٣ هـ ، وكان له صدقات كثيرة لأهل الحرمين . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٢ ،ص ٢٤-٢٥ .

(٣) الرشيدى : حسن الصفا ،ص ٣٩

Ahmad Darrag :L' Eggpte Sous l e regne de Barsbay, p. 191.

- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٠ .

(٤) إبراهيم بن علي بن عمر بن برهان الدين المتبولي : قدم من بلدة متبول من الغربية ،ثم تحول إلى القاهرة ،واستقر ببركة الحاج ،واشتهر أمره ،وفعل الكثير من الخيرات ، زار القدس ، وتوفي بها ليلة الاثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ١ ،ص ٨٥ - ٨٦) .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ٨٨ .

(Jacques Jomier: Op. Cit., p. 176.)

وأنشأ كذلك علان بن ططح الأشرفي [١] حوضاً وسبيلاً بالبركة [٢].

وفي صبيحة اليوم السادس يرحل الركب إلى البويب [٣] ، وهي مضيق بين جبلين صغيرين ، وبينها وبين بركة الحاج حوالي ثلاث ساعات ، بمقدار ١٥ كيلومتراً على خمسين درجة [٤].

---

(١) علان بن ططح الأشرفي برسباي أحد أمراء العشرات ، وأمير ركب الرجبية سنة ٨٧١ هـ ، انشأ سبيلاً حسناً في بركة الحاج ، وتوفي يوم الخميس سلخ ربيع الاخر سنة ٨٨٦ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ١٥٠) .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١٨٢ .

(٣) البويب : هي منطقة يصل إليها الحجاج في اتجاه الشرق بالصحراء ، ومعناها الباب الصغير.

(Jacques Jomier, Op. Cit., p. 177.)

والبويب : مضيق بين جبلين ، وفي شرقه تل رمل مستطيل يقع في طريق الحج المصرى ، وهو مدخل أهل الحجاز الى مصر.
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٢) .

(٤) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ، ج ٢ ، س ٤ ، شعبان ١٣٨٩ هـ ، تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٦٩ م ص ١٦٧ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ، ص ١٣١٨ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٥ .

ومن منطقة البويب إلى الدار الحمراء (١) بخمس وسبعين درجة ثم يمر الركب بالطليحات ويقطع المصانع ، وبها فسقية ماء معطلة ، وبئر خراب ، ويسير بالقرب من مفرح عويبد على مائة وستين درجة (٢).

ويتابع الركب سيره حتى يصل إلى منطقة عجرود (٣) بمائة وخمسين درجة ، وبها بئر عمقها سبعون متراً تعلوها ناعورة تنسب إلى الأمير آل ملك الجوكندار (٤) ، وبها أربعة برك وبئر وساقية من

---

(١) الدار الحمراء : قرية من قرى مصر في طريق الحج المصرى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص (٣٠١) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣١٩ .

(٣) عجرود : منزل في طريق الحج المصرى ، وهي إلى الغرب من السويس على مسافة ٢٠ كيلومتراً . (السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٦) .

(٤) سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار : كان من أعيان الأمراء بالقاهرة في دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وولي بعده نيابة السلطنة بمصر بنحو سنتين ، عمل بنيابة صفد ، ثم اعتقل بالإسكندرية ، وله مآثر كثيرة ، توفي سنة ٧٤٦ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ - المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٧٢٣) .

أعمال السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وهذه البرك الأربعة والبئر والساقية قد قام بإصلاحها السلطان الأشرف برسباى سنة ٨٢٨هـ [١] . كما أنشأ السلطان الغورى سنة ٩١٥ هـ خاناً بها على يد خاير بك المعمار ، وعمل استراحة بها ،وفي كل سنة كان يرسل بعض الثيران لتعبئة البركة بالمياه لسقي دواب القافلة في الذهاب والإياب . [٢] وتقع عجرود إلى الغرب من السويس على مسافة عشرين كيلومتراً ،ومنها كان يرجع المرضى من الحجاج والمشيعون وتقع قرب تقاطع خط العرض ٦ - ٣٠° شمالاً .

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ص ١٣٢٠ .

(Jacques Jomier: Op. Cit., p. 181.)

- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٠ - عبد المنعم رسلان : الأزنم خاناً وبرجاً ،ص ٣٧٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٠٦ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ١٥٢ - السيوطي : حسن المحاضرة ،ج ٢ ،ص ١٦٥ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٢٠- النهروالي : الأعلام ،ص ١٦٢ .

(Jacques Jomier : Op. Cit., p. 181.)

- أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،جـ ٢ ،ص ٢٤٠ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧١ - عبد المنعم رسلان : الأزنم خاناً وبرجاً ،ص ٣٧١ - محمود رزق سليم : عصر سلاطين

===

بخط الطول ٣٠ - ٣٢° شرقاً[1] .

وبعد قضاء الركب ليلته بعجرود يرحل في الصباح إلى المنصرف على مائة وأربعين درجة ، ثم يصل إلى وادى القباب[2] بمائة وعشرين درجة ، ثم يواصل سيره حتى يصل إلى ثغرة حامد[3] بخمس وخمسين درجة ، وبالقرب منها على مسافة بريدين[4] مورد ماء عذب .

ثم يرحل الركب إلى رأس التيه[5] بخمس وستين درجة .

=== المماليك ، ج ٢ ، ص ١٧٣ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الاراضي المقدسة ، ص ٢٥٤ .

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٦ .

(٢) وادى القباب : يسمى لذلك لوجود قباب مبنية به ، وكله رمل صعود وهبوط . (الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٢٤) .

(٣) ثغرة حامد : إسم رجل من العربان كان قاطناً بها فصار إسمه علماً عليها . (الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٢٤) .

(٤) البريد : يقال برد بريداً ، أى أرسل رسولاً ، وهو المسافة المعلومة بين المنزلتين ، وهو مقياس طول ثابت المقدار في الشريعة حدد بأثني عشر ميلاً أى ما يعادل بحساب الزراع الشرعية ٢٢٫١٧٦ كيلومترا (ابن رفعه : الإيضاح والتبيان ، ص ٧٧) . ولكن على حسب القياس الصحيح فانها تعادل ١٩٫٢٠٠ كيلومترا .

(٥) رأس التيه : فضاء مطلق على يمينه الطور ، وعلى يساره العريش وهو مكان متعب لقلة الماء به . (الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٢٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤١) .

ومنه إلى منطقة نخل [١] مائة وخمسون درجة ، وهي المنهل الثاني وأرضها وطريقها محجر أبيض ورمل لطيف يسمى بطن نخل لسقوط بعض التراب على الناس ،كأنه نخل نخلاً ،وقام الأمير سلار نائب السلطنة بالديار المصرية في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإنشاء ثلاث برك للمياه شمال القلعة مبنية بالحجارة ،طول أكبرها ٢٧٫٤ متراً ،وعرضها ١٤ متراً ،وعمقها ٤٫٦ متراً ، وذلك لتسهيل حصول الحجاج على المياه . والبركة الكبرى تصلها قناة من بئر القلعة ،وكان على هذا البئر ساقية ، والبئر الآخر له سلم لينزل إليه الحاج [٢] . كما أنشأ السلطان الغوري بها قلعة كانت تعرف قديماً بالخان سنة ٩١٥ هـ على يد خاير بك المعمار ، وبه بعض الحراس من الترك . وقد ذكر الأستاذ سيد عبد المجيد بكر بأن قلعة نخل تقع على هضبة

---

(١) نخل : موقع في طريق الشام من ناحية مصر (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٢٧٦).

(١) يقع على الجانب الأيمن لوادي العريش ،وهو اهم محطة في طريق الحج المصري ، وبها العديد من الآبار والبرك لتوفير المياه العذبة به . (سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٠٨).

(٢) الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ،ج ٢ ،س ٤ شعبان ١٣٨٩هـ ، تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٦٩م ،ص ١٦٧ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ص ١٣٢٧ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٣ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٠ - سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٠٨ .

يصل إرتفاعها ١٧٥٠ قدماً (١)، وهي تقع قرب تقاطع خط العرض ٥٥َ-٢٩ْ شمالاً"، وغربي خط الطول ٣٤ شرقاً، وهي أهم محطة في طريق الحج المصري، وبينها وبين العقبة سبعون ميلاً أي ١٢٩,٣٦٠ كيلومترا (٢). وفي سنة ٩٠١هـ وصل الحجاج إلى منطقة نخل ولم يجد ماء فقاسوا مشقة عظيمة، فعرج بهم أمير الركب إلى عيون موسى (٣).

وبعد أن ينظم الركب بمنطقة نخل يسير نحو الشرق بانحراف قليل نحو الجنوب الشرقي إلى وادي الفيحاء (٤) بسبعين درجة حتى يصل إلى حدرة وادي القريض بالقرب من آبار العلائي بمائة وخمسين درجة.

---

(١) رحلة العبدري، ص ١٥٧ - ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢ ١٥- الجزيري: درر الفرائد، ج ٢، ص ١٣٢٩ - الموسوي: رحلة الشتاء والصيف، ص ٦٧ - أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ج ٢، ص ٢٤١ - علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٧٠ - سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٠٨ - ١١١ - عبد المنعم رسلان: الأزنم خاناً وبرجاً، ص ٣٧١ - محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ج ٢، ص ١٧٣.

(٢) قد ذكر سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٠٨-١١١ بأن ٧٠ ميلا يعادل ١١٧ كيلومتراً، ولكن القياس الصحيح ١٢٩ ر ٣٦٠ كيلومتراً.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣١٥.

(٤) الفيحاء: نهر يقال له نهر الفيحاء، وهو كثير النخل والتين والعنب. (البكري: معجم ما استعجم، ج ١، ص ٣٣٠).

وبها بئران وحوش في داخله فسقيه وقبتان وفي بعض الأحيان يكون ماء الفسقية متغير من بقايا الأمطار (١) فلا ينقطع به . وبين نخل ووادى القريص يمر الركب بعدة أودية مثل وادى أبو طريفية ،ووادى الرواق ،ووادى أبو درج ،ووادى القيحى ،ووادى الربد ،ثم يسير بين التلال حتى يصل بئر القريص ، وبينها وبين نخل حوالي ٥٠ كيلومترا . (٢)

بعد ذلك يرحل الركب إلى منطقة الضيدرة على خمس وتسعين درجة ، ثم يقطع نقب البغلة وتسمى عراقيب البغلة ،وهي عقبة صغيرة صعبة في الصعود والهبوط تؤدى إلى موت الناس والجمال (٣) . ويطلق عليها رأس النقب ،وذلك لأنها رأس مثلث النقب الممتد في جنوب فلسطين ويطل على رأس خليج العقبة ،ويصعد المسافر بمنحدر من مسافة طويلة من الغرب حتى يصل قمتها فإذا أراد النزول إلى الجهة الشرقية صار نازلاً صاعداً في أرض حجرية تارة وأخرى رملية ناعمة ،وأخرى خشنة

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج٣ ،ص ١٣٣٢ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

(٢) وقد ذكر البتنوني ان هذا البئر يعرف ببئر أم عباس لأن والدة الخديوى عباس الأول أصلحتها . (البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٤- سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١١٢ .

(٣) رحلة العبدرى ؛ ص ١٥٩ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٦٧- أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٤١ .

أو زلطية إلى أن يمر في مضيق لا يسع إلاّ جملاً جملاً ،وهو على شكل حلزوني ،وقد أصلحه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٢ هـ عندما توجه إلى الحج حيث جهز الأمير ايتمش المحمدي [(١)] ، ومعه الفعلة والمعماريين لتمهيدها وإصلاحها [(٢)] ،ثم أصلحها السلطان الغوري سنة ٩١٥ هـ على يد خايربك المعمار حيث مهدها وقطع الأماكن الصعبة التي بها العراقيب. [(٣)]

ثم يواصل الركب سيره إلى مدينة العقبة وهي وريثة مدينة

---

(١) ايتمش بن عبدالله المحمدي الناصري : نائب صفد توفي سنة ٧٣٦ هـ بصفد .(ابن تغري بردى : الدليل الشافي ج ١ ، ص ١٦٤).

(٢) المقريزي : الذهب المسبوك ،ص ١٠٦ - ١٠٧ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٣٣ - يوسف غوانمة : التاريخ السياسي لشرق الأردن ، ص ١٨٧ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٨٧ - محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ،ج ٢ ،ص ١٧٣ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، مجلة الدارة ،العدد الأول ،السنة الحادية عشرة ،شوال سنة ١٤٠٥هـ ،يونيو سنة ١٩٨٥م ، ص ٨٨ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ،ص ٧١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ،ص ١٥١ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٣٣ - البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١١٥ - عبدالمنعم رسلان: الأزنم خاناً وبرجاً ،ص ٣٧١ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧١.

آيلة القديمة ،ولذلك تسمى عقبة أيلة ،إذ كانت بندراً تجارياً هاماً ، ولقد صالح رسول الله ،صلى الله عليه وسلم أهلها على الجزية ، وكتب بينهم وبينه عهداً وميثاقاً (١). وتوجد العقبة قرب تقاطعخط العرض ٣٢ - ٢٩° شمالاً ، بخطالطول ١ - ٣٥° شرقاً على الضفة لوادى عربة ،وقرب الطرف الشمالي الشرقي لخليج العقبة ،ومن العقبة إلى المدينة المنورة ٩٣٣ كيلومتراً ،وقد امتلكها الفرنج سنة ٥٦٦ هـ ،فهاجمهم صلاح الدين الأيوبي وانتصر عليهم ،وبذلك عاد طريق الحج عبر شبه جزيرة سيناء إلى العقبة وظهرت أهميتها كمحطة هامة في طريق الحج المصرى ،وفيها يلتقى حجاج الشام ومصر والمغرب ، وتقام بها أسواق لبيع جميع أنواع الطعام ،ومنها يستكمل الحاج جميع إحتياجاته (٢) ، وفيها يفصل

-----

(١) سيرة ابن هشام ، ج ٤ ،ص ٥١٥ .
سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١١٨ .

(٢) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد ،تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ، ج ٢ ،س ٤ شعبان ١٣٨٩هـ ، تشرين الثاني ،نوفمبر سنة ١٩٦٩م ،ص ١٦٧ - ١٦٨ - رحلة العبدرى ،ص ١٥٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٣٥ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٢٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٢٠ .

أمير الحج المقطوعين الذين لا يمكنهم الإستمرار على السفر لمرضهم أو لفقرهم، ويعطيهم المؤنة الكافية من البقسماط وغيره، ثم يستأجر لهم سفينة تنقلهم إلى مصر أو إلى جدة[١]. ويقيم بها الركب أربعة أيام أو خمسة أيام[٢].

وفي يوم الجمعة من محرم سنة ٨٤٩ هـ توجه من يلاقي الحجاج بعقبة أيلة، وصحبتهم أنواع من المأكولات والعلف[٣].

وفي جنوبي مدينة العقبة، وعلى مسافة قليلة من الخليج لا تزيد على ٥٠ متراً في سفح الجبل المجاور لمدينة العقبة تقع قلعة العقبة، وهي على غرار قلعة نخل، حيث كان الحجاج ينصبون خيامهم بجوارها[٤]، وقد أنشأها الظاهر بيبرس، وكان يطلق عليها خاناً أو قلعة، ثم أعاد بناءها السلطان الغوري سنة ٩١٥ هـ على يد خاير بك المعمار[٥]،

---

(١) وفيها يفصل أمير الحج الذين لا يمكنهم الإستمرار على السفر لمرضهم أو لفقرهم، ويعطيهم المؤنة الكافية من البقسماط وغيره ثم يستأجر لهم سفينة تنقلهم إلى مصر أو إلى جده. (الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج، ص ٤١ - البتنوني : الرحلة الحجازية، ص ٣٥).

(٢) الجزيرى : درر الفرائد المنظمة، ج ٢، ص ١٣٣٥ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ٦٥.

(٣) السخاوى : التبر المسبوك، ص ١١٤.

(٤) الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج، ص ٤٠، سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٢٠.

(٥) الديار البكرى : تأريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج ٢، ص ٤٣٥.

وجعل فوق كل ركن من أركانها برجاً ،ونقش على حجرين على جانبي القنطرة المؤدية إلى القلعة إسم السلطان الغوري ،وفي داخلها مخازن الذخائر والحبوب ومخبز للحراس ،ويوجد من خارجها بئران ،وهما منهلان للحجاج ، وجعل بها بعض الحراس الترك يقيمون في القلعة سنة ثم يعودون إلى مصر ويتوجه غيرهم ، ويقيم الركب بها ثلاثة أيام.(١)

ثم يواصل الركب مسيرته فيتجه من عقبة ايلة نحو الجنوب محاذياً الشاطئ الشرقي لخليج العقبة ،فيسير في سهل رسوبي مبتعداً عن المناطق الوعرة حتى يصل إلى منطقة حقل.(٢) وتقع حقل قرب تقاطع خط العرض ٢٨ - ٢٩° شمالاً ،وخط الطول ٨ َ٥ - ٣٤° شرقاً ،وتقع في وسط منطقة منخفضة تحيط بها الجبال من الشمال والجنوب ،وخليج العقبة من الغرب وتوجد قرب مصب وادى المبرك ،ويعتبر أهم أودية المنطقة ،

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ١٥١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٤٤ - ١٣٤٧.

(J. Jomier : Op.Cit., p. 188.)

- الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٢٠ - ٢١ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٢٠ - عبدالمنعم رسلان : الأزنم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧١ - على السليمان :العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧١ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ،ص ٨٨.

(٢) حقل : ساحل تيماء وهي قريبة من أيلة على البحر ،وتبعد عن آيلة ستة عشر ميلاً. (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٢٧٨).

وينبع من أعالي الجبال الشرقية س حقل كحسمى ،ومعلق ، والخميس ،وترفده أودية عديدة ،وسيول هذا الوادى تهدد مدينة حقل ،والمسافة بين حقل والعقبة ٢٥ كيلومتراً ،ومن حقل إلى مكة المكرمة ١٣١٩ كيلومتراً ،وهي تعرف قديماً بميناء تيماء ،وهي من محطات طريق الحج المصرى.(١)

ثم يتجه الركب جنوباً حتى يصل إلى منطقة ظهر الحمار(٢) بمائة درجة ، وكان ظهر الحمار عقبة صعبة في طريق الحج المصرى ،وهو فضاء فوق علوه حدرة طويلة كثيرة المحجر ،متعبة للرجال والجمال لأن بها مضيقاً بين جبلين على البحر لا يسع إلاّ جملاً جملاً.(٣)

ثم يتجه الركب جنوباً بانحراف قليل نحو الشرق إلى وادى أم جرفين ، وهي عبارة عن جرفين مرتفعين ،ثم ينتقل من ضفة إلى أخرى في الوادى حتى يسير في واد منخفض فيمر بين عدة جبال مثل جبل ذئب ،وعيره ، والمنذرتين ،والخضراء ،والمعضد ، وجلة حتى يصل إلى بئر مجيفل وهو إسم لبئر وواد وجبل وجميعها تقع شمال منطقة الشرف (شرف بني عطية) التي تشتهر بكثرة أخشابها ورخصها ،وبئر مجيفل من مناهل

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٥٠ - ١٣٥١ - سيد عبدالمجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) ظهر الحمار : وهي قرية بها قبر بنيامين صلى الله عليه وسلم ويوسف عليه السلام (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٦٣). تقع على مسافة خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوبي عقبة أيلة . (J. Jomier : Op. Cit., p. 190- 191 .)

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٥١ - البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٥ .

الحجاج قديماً وهـي قرب تقاطع خط العرض : ٤ - ٢٩° شمالاً ، بخط الطول ٦ - ٣٥° شرقاً .(١)

ويسير الركب بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي متجهاً نحو منطقة الشرف أو الشرفا ، وهي منطقة جبلية عالية جنوب شرق حقل وتبعد حوالي ٤٥ كيلومتراً عن حقل ، وعن منطقة ظهر الحمار ٥٥ كيلومتراً (٢)، ويصل إرتفاعها حوالي ١٧٦٣ متراً ، وتنحدر منها عدة أودية مثل وادى المجيفل نحو الشمال ، ووادى عقال نحو الجنوب ، وهي منطقة وعرة وشاقة ، تتمثل وعورتها عند العودة من الحج لأنها تحتاج إلى صعود حتى يصل الركب إلى منطقة الشرف ، وبها عدة جبال مثل جبل البوارة ، وجبل العلمية ، وجبل أم حطب ، وتمتاز المنطقة ببرودة مناخها .

ثم يرحل الركب إلى منطقة وادى عفان ، وبذلك يكون قد قطع مئتين وستين درجة ، وبالقرب منه مياه مثل حفيرة حميضة ، وحفيرة البوارة ، وحفيرة بيرا .(٣)

ثم يتجه الركب إلى منطقة المظلة أو المظلات بتسعين درجة ، وتقع بين جبلين ، ويسكنها بنولام .(٤)

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٣ .

(٢) (J. Jomier : Op. Cit ., p. 191 .)

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٥٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٤ .

(٤) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

ثم بعد ذلك يصل الركب إلى مغاير شعيب بمئة وثلاثين درجة وبالقرب من مغاير شعيب مدينة مدين (١) وبها موضع البئر الذى استسقى منه موسى عليه السلام (٢) ، وتمتد من العلا جنوباً حتى آيلة شمالاً ، ومن تبوك شرقاً إلى رأس الشيخ حميد على البحر الأحمر غرباً ، وتوجد مغارة شعيب قرب تقاطع خط العرض ٢٩ -٢٨° شمالاً ، بخط الطول ٦ - ٣٥° شرقاً (٣) ، ويعمل أهلها بالزراعة ، وتكثر بها بساتين النخيل ، ومياهه عذبة (٤) .

---

(١) مدين : تقع على بحر القلزم ، محاذية لتبوك على نحو ست مراحل ، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام ، وسميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام ، وحيزها بين وادى القرى والشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٧٧) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٥٨ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ، ص ١٨٥ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٥ .

ومغارة شعيب كبيرة مرتفعة السك ،متسعة من بابها إلى داخلها ، مضيئة لأجل إتساعها وبين باب المغارة وقاعها حوالي ستون أو سبعون ذراعاً (١) ، وقد بنى بها كزل العجمي (٢) سنة ٨٢٨ هـ مناهل لسقاية الحاج (٣) ، كما فعل المقر العلائي على بن الملك المؤيد الكثير من أوجه الخير في طريق الحج المصرى ، حيث شكر الحجاج سيرته بعد معاناتهم وتعبهم عند مغارة شعيب ،وهي مورد هام للحاج ، حيث يوجد بئر وساقية ،وفسقية ماء بقبة ،والمغارة متسعة وبها منفذ من جهة الساقية المبنية بالطوب الأحمر ،وبها حظير مبني بالآجر (٤) ،ومخزن للتبن ،ومحل للسواقي ،وتجاه ذلك بناء مبني بالآجر شبه مسجد ،ويظهر أنه كان مسقفاً ،وبصدره سلماً معقوداً يصعد منه إلى سطحه ،وللساقية مجراة بالأرض طويلة من الحجر النحيت الأبيض تصب في فسقية كبرى ،ويظهر إنه كان منهلاً للحجاج . وهناك بعض التواريخ المنقوشة على ألواح من الحجر في بعضها إسم السلطان قايتباى ،وتاريخاً آخر يظهر أنه نقش في نصف وثمانمائة عليه إسم

---

(١) رحلة العبدرى ، ص ١٦٠ .

(٢) كزل العجمي الظاهرى : برقوق المعلم كان خاصكياً لسيده جمقدار ، ثم إمرة عشرة ،قدمه الناصر فرج وولاه الحجوبية الكبرى ، حج أمير محمل ،ونفاه المؤيد إلى دمشق ،ثم صار أمير طبلخانة .
(السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٦ ،ص ٢٢٨) .

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ،ص ٨٩٩ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٥ ، ص ١٧٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٦٢٥ .

(٤) مادة البناء تسمى الآجر وفقا لمعجم الصحاح وهو يعنى الطوب باللهجة المصرية فهو شيء واحد .

السلطان برسباى ،وبها آثار سور قديم مبني بقطع من الحجر الأبيض الصفير ومن داخل السور هيئة خندوق محفور. (١)
ثم يسير الركب إلى قبر الطواشي (٢) بسبعين درجة ،ويواصل سيره حتى يصل إلى عيون القصب (٣) بمائة وستين درجة ، وكانت تعرف قديماً بإسم عينونه، وهي قرب تقاطع خط العرض ٥ - ٢٨° شمالاً ،بخط الطول ١آ - ٣٥° شرقاً (٤) . وهنا يأخذ الحاج ما يحتاجه من الغلال

---

(١) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ،ج ٢ ،ص ٤ ، شعبان سنة ١٣٨٩ هـ ،تشرين الثاني ،نوفمبر سنة ١٩٦٩م ، ص ١٦٧ - ١٦٨ . الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٥٦ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٠ . وبما أن السلطان برسباى تولى السلطة سنة ٨٢٥ هـ وتوفى ٨٤١ هـ فان تاريخ النقش يمكن ان يكون بين هذين التاريخين .

(٢) قبر الطواشي : دفن بهذه الدار فأصبح إسمه علماً عليها . (الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٦٠).

(٣) عيون القصب : منزلة في طريق الحج المصرى ببلاد الحجاز ،وبه ماء يخرج من بين جبلين فيسيح على وجه الأرض فينبت حوله القصب وبذلك عرفت بعيون القصب ،وهي قريبة من شاطئ البحر في طريق الحجاز بين العقبة والمويلح على بعد ثمانين كيلومتراً من المويلح . (القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٤ ،ص ٣٨٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٥٢).

(٤) (J. Jomier : Op. Cit., p. 171 .)

- سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٢٨ .

والمأكولات الآتية من الطور[١] ، وماؤها سريع التغير يصلح للغسل والإستعمال ، ويغتسل الحاج بها ويقيم بقية يومه . ويكثر بعيون القصب النخيل والشجر مثل شجر الطرفاء والبردى ،وفي سنة ٧١٩ هـ حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية ،وأغدق أعطياته بمنزلة عيون القصب[٢] ، وفي عهد السلطان برسباى حفر القاضي ناظر الجيش زين الدين عبد الباسط الدمشقي بئراً بها[٣] ، كما حفر

---

(١) الطور : قرية صغيرة على الشاطيء الغربي لشبه جزيرة سيناء في الجهة الجنوبية الشرقية من خليج السويس ،
(ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ج : ٨ ، ص ١٥٢).
وبينها وبين السويس ١٤٠ كيلومتراً .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٦٠ - المقريزى : الذهب المسبوك ،ص ١٠٣ - ١٠٤ - ابن اياس : بدائع الزهور ،ج ١ ،ص ٤٥٠ .

(٣) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ،ج ٢ ،ص ٤ شعبان سنة ١٣٨٥هـ ، تشرين الثاني ،نوفمبر سنة ١٩٦٥م ،ص ١٦٦ - رحلة العبدرى : ص ١٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٧٠ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ١٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٤٣ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٠ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ،ص ٨٨.

شاهين الطويل سنة ٨٣٤ هـ بئراً آخر.(١)

ثم يرحل الركب إلى منطقة الشرمة(٢) على خمس وسبعين درجة ،ومعظمها تلال رملية ، والمسافة من عيون القصب إلى الشرمة ٢٥ كيلو متراً ،وهي قريبة من ساحل البحر ،وتقع قرب تقاطع خط العرض ٢ - ٢٨° شمالاً ، وقرب خط الطول ٢٧ - ٣٥° شرقاً ، وبها قليل من الزرع والشجر والنخيل لوجود نبع ماء بها يصب في البحر قرب جزيرة شرمة.(٣)

وبعدها يسير الركب إلى الجنوب الشرقي فيصل منطقة المويلح(٤) على مائة وأربعين درجة ،وقبل المويلح يمر الركب بوادي تريم ، ثم وادي وجدان ،ثم وادي العوجة .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ، ص ٣٥٥ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج ٣ ،ص ٢١٨ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، ص ٨٨ .

(٢) الشرمة : سميت بذلك على إسم عين تجرى بالقرب منها ، وهي لبني عقبة. (الجزيرى: درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٣٧٧). وتتبع حالياً إمارة ضبا .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٧٧ - أيوب صبرى : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٤٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٢٨.

(٤) المويلح : منزل من منازل الحاج على شاطئ البحر الأحمر جنوبي العقبة. (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٠ ،ص ٢٢٣). تقع في طريق الحج المصرى ، وتمر بها القوافل الآتية من اليمن في الجنوب ،وبلاد الشام في الشمال . (هشام عجيمي : قلعة المويلح ،ص ١٤ - ١٥).

يقع المويلح عند مصب وادى السرو عند تقاطع خط العرض ٤١- ٢٧° شمالاً ، بخط الطول ٢٨- ٣٥° شرقاً[١] ، وقد ذكرها الجزيرى بإسم النبك[٢] ،وتقع ما بين ضبا والمويلح ،وماؤها يميل إلى الملوحة لقربها من الساحل ،وبها بئران أحدهما خارج القلعة على مقربة منها لرى الأراضي الزراعية ،أما الآخر فطمر ويرجع إنشاؤه إلى الأمير سيف الدين ال ملك الجوكندار . وقد بنيت البئران بحجر رملي على شكل دائرى وبجانبهما حوض للماء ،ويبدو أن هاتين البئرين كانتا تتعرضان لإعتداءات البدو بغرض التحكم في الحاج .[٣]

---

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٥ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) النبك : جمع نبكة ،وهي أكمة محدودة الرأس بها حجارة وتلال تقع في طريق الحج المصرى ،وتعرف بالمويلحة . (ابو إسحاق الحربي : المناسك ،ص (٦٥) .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٧٨ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ١٧ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - هشام عجيمي : قلعة المويلح ، ص ١٩- ٢٠ .

ثم يرحل الركب إلى دار السلطان (١) بمائة وخمس وعشرين درجة ،وسبب تسميته بذلك لنزول السلطان قايتباى به عندما توجه للحج فسميت دار السلطان ، أو إستراحة قايتباى ،وتسمى أيضاً كفافه. وبالقرب منه ماء يسمى سلمى ينبع من سفح الجبل ،وماؤه غزير عذب، وفي طريقها مضيق شق العجوز. (٢)

ثم يتجه الركب نحو الجنوب الشرقي فيمر بوادى العمود ،ثم وادى بهر ، ثم وادى رما ،ثم يقطع وادى المر فيصل إلى قبر سيدى مرزوق بمائة وعشر درجات ، وهو قبر لأحد الصالحين (٣)، وبعد ذلك يصل إلى

----

(١) دار السلطان : نسبة إلى مرور السلطان قايتباى بها عندما توجه للحج قاصدا مكة . (الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٨٣).

(٢) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ،ج ٢ ،س ٤ شعبان سنة ١٣٨٥هـ تشرين الثاني ،نوفمبر سنة ١٩٦٥م ص ١٦٦ - رحلة العبدرى ،ص ١٦١ - البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص٣٥ .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٨٤ - ١٣٨٥ .

منطقة الأزلم (١) على مائة وسبعين درجة ،وهو الربع الثالث ويبدأ من الأزلم إلى ينبع ،ومراحله عشرة منازل (٢) . ويطلق عليها إسم الأزنم ، وهي منتصف الطريق بين القاهرة ومكة ،وتقع على وادى الأزنم ، ويصب جنوب رأس أزلم على شاطيء البحر الأحمر ،وتحيط به بعض الوديان ، مثل وادى عين من الشرق ،ووادى المر وقلعة الأزلم تقع عند تقاطع خط العرض ٢٧ً شمالاً ، بخط الطول ٣ً - ٦٣ ْ شرقاً (٣) . وهنا يودع الحاج بعض أزواده في خان بناه الأمير الكبير المقدم الحاج ال ملك الجوكندار في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ،ووكل بحفظه أناساً أجرى لهم رواتب ،وعمل بئراً لينتفع الناس بها (٤) .

وفي سنة ٨٢٨ هـ بني كزل العجمي بهذه المنطقة عدة مناهل

----

(١) الأزلم : يقال لها الأزنم ،وهي في طريق الحج المصرى ،بين الأثيلات ورأس وادى عنتر ،وتعد منتصف الطريق بين القاهرة ومكة ،وسميت بذلك لأنه ينبت بها نبات كأنه من الزلم وهو السهم . (القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ١٤ ، ص ٣٨٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ،ص ٣٤٨) .

(٢) الجزيرى: درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٤٤ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ .

(J.Jomier : Op.Cit., p. 191 .)

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ,ص ١٣١ .

(٤) الديار البكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ص ٤٣٥ .

لينتفع بها الحجاج.[١]

وفي سنة ٨٣٠ هـ أصاب الحجاج عطش شديد بهذه المنطقة مات بسببه خمسة آلاف شخص ،فأرسل السلطان برسباى الحجارين والبنائين والآلات لإصلاح المياه التي في الطريق وحفر الآبار في المنقطعات التي لا ماء بها[٢] ،وقد جدد بناء الخان في عهد السلطان الغورى سنة ٩١٦هـ على يد الأمير خشقدم ،أحد أمراء العشروات وبنى به برجاً ،وجعل به دقيقاً لمأكولات من يرد عليه من المنقطعين ، وأبناء السبيل ،وكان يقام سوق بهذه المنطقة[٣] . وهناك البئر الواقعة ناحية يمين الداخل إلى حوش القلعة، وربما استخدمت بعض سقاطات الأبراج مراحيض[٤] .

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٦٢٥- الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٨٩ - عبد المنعم رسلان: الأزنم خاناً وبرجاً ،ص ٣٧١ .

(٢) الحضراوى : حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٥٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ١٥٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٩١ - عبد المنعم رسلان : الأزنم خاناً وبرجاً ،ص ٣٧١ - وفيما يختص بوصف الخان وتخطيطه المعمارى انظر ص ٣٧٤ ومابعدها - وانظر أيضاً هشام عجيمي : قلعة المويلح ،ص ٥٦ - ٥٧ .

(٤) هشام عجيمي : قلعة المويلح ،ص ٥٧ .

ثم يسير الركب من الأزلم فيمر على منطقة زاعم وقبقاب[1] وفي عودة الحجيج سنة ٨٣٣ هـ قاسوا كثيراً من العطش بالوجه ، وقد مات منهم هناك بسبب العطش حوالي ثلاثة آلاف حاج ، وفي العام الثاني بعث السلطان برسباى الأمير شاهين الطويل فحفر بئرين في زاعم وقبقاب حتى لا يحتاج الحجاج إلى ورود الوجه ، فعم الإنتفاع بها ، وبطل منذ سنة ٨٣٤ هـ سلوك الحجاج على طريق الوجه[2] ، ثم يسير الركب

---

(١) زاعم وقبقاب : إسم لمكان استغنى فيه عن النزول بمنطقة الوجه ، يقع في طريق الحج المصرى ، لأن الوجه كان الحاج لا يجد فيه الماء ، وبهذه المنطقة ضمن الحجاج وجود الماء فعدلوا عن النزول بالوجه . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٥٥ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٣ ، ص ٢١٨) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ص ٣٧ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٣٥ .

(Ahmad Darrag: L' Eggpte Sous le regne de Barsbay , p. 191.)

- عبد المنعم رسلان : الأزنم خاناً وبرجاً ، ص ٢٧٠ .

والوجه : منزله من منازل الحاج بها ماء عذب ، في دارى فسيح بعد منزلة الأزنم بخمس مراحل وقبل منزلة اكرا بمرحلتين ، وتقع في شمال الحجاز (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، ح ١) .

إلى وادى تلبة على ثلاثين درجة ،ويوجد بالقرب منها ثلاث مناهل للمياة ، الأبيض والعلياء والمغيراء ،وبها عين تسمى الشعبين .(١)

ويواصل الركب سيره فيصل إلى إسطبل عنتر ،ويقال له بركة عنتر ، وهي فضاء صغير بين جبال ووعرات وحدرات ،وبه مضيق وعين ماء تجرى (٢) ، وتقع قرب تقاطع خط العرض ٣٨ - ٢٦ شمالاً ، بخط الطول ١٨ - ٣٦ شرقاً ،وتبعد عن الأزنم بخمسين كيلومتراً (٣) ،وهي جنوب شرقي الأزنم ،والطريق بين الأزلم وبركة عنتر يمر بمنطقة جبلية وعرة بين صعود وهبوط ،ويمر بوديان مر ،ووادى تلبة على مائة وستين درجة ، ووادى حيان ،ووادى أبي القزاز ،ووادى سطيحة .(٤)

ويواصل الركب سيره فيمر بمنطقة الرحبة ،وبها بئر مالحة،ثم يصل إلى مفرش النعام بمائة وثمانين درجة وتسمى أكرا (٥) وبها الكثير من المياه

---

(١) رحلة العبدرى ،ص ١٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ، ص ٣٣٥ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٣٩٤ .

(٢) البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٥ .

(٣) (J.Jomier : Op. Cit., p. 191 .) - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٣١ .

(٤) المرجع السابق ،ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٥) أكرا : منزلة من منازل الحج المصرى ،وتقع بين منزلة المخاطب ورأس القاع الصغير . (القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ١٤ ،ص ٣٨٦- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٦ ،ص ١١٣) .

العذبة والمالحة ، وهي على مائة وثمانين درجة [١] ، وفي سنة ٨٦١ هـ وقع للحجاج عطش شديد فيما بين الوجه وأكرا ومات بسببه خلائق كثيرة [٢]. وهو وادى كبير وماؤه غزير عذب يحفر عنه نحو القامة ، وعن يمينه ناحية البحر على مسافة جيدة ماء يسمى اليعبوب ، وهو وادى أكرا من أسفله [٣].

ثم يتجه الركب من أكرا إلى منطقة الحنك على مائة وستين درجة ، وتقع قرب مصب وادى ظروفي ، وهي قرب تقاطع خط العرض ٣٤ - ٢٥ شمالاً ، بخط الطول ٥٧ - ٣٦ شرقاً وقد ذكر سيد عبد المجيد بكر بأن الحنك تتبع إمارة أملج ، وهي قسم من منطقة تبوك وهي منطقة كبيرة وواسعة وسهلية [٤].

ثم يمر الركب على بئر القروى والمحاطم ، ووادى حزبان فيكون قد قطع مائة وسبعين درجة . ويمر بالعقبة السوداء وتسمى الحريرا ، وهنا يحضر جماعة من أهل ينبع فيلاقون الركب بالتمر ومعهم العليف ، ويقدم أمراء الركب الهدايا والأعطيات لأمير ينبع وصحبه [٥].

---

(١) رحلة العبدرى ، ص ١٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٠ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٣) رحلة العبدرى : ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٤) البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٣٦ .

(٥) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٣ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، ص ٨٧ .

ثم يسير الركب بعد ذلك إلى منطقة الحوراء[١] على مائة درجة ،وهي قرية من قرى الحجاز على ساحل بحر القلزم ،وتقع شمال أملج ، وبينها وبين أملج خمسة أميال أى ثمانية كيلومترات ،وتباع بها العجوة وماؤها غير صالح .[٢]

ويواصل الركب سيره من الحوراء فيقطع العقيق حتى يصل إلى صحين مرمر[٣] على مائة وثلاثين درجة ،والعقيق من مضايق الحجاز.

---

(١) الحوراء : ميناء ومرفأ لسفن مصر وقد خرب ،ويقع إلى الشمال من بلدة أملج ، وبها تلال رملية ، وماؤه يغلب عليه الملوحة . (الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٦٣ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٧٢) .

(٢) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ،ج ٢ ، س ٤ شعبان سنة ١٣٨٥هـ تشرين الثاني ،نوفمبر ،سنة ١٩٦٥م ، ص ١٦٥ - رحلة العبدرى : ص ١٦٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤٠٤ - البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٢٧ .

(J.Jomier : Op. Cit., p. 171. 191.)

(٣) صحين مرمر : هو عبارة عن أرض مستديرة كالكرة ذات رمل أبيض غزير كثير الأفاعي . (الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ،ص ١٤٠٧) .

ثم يتجه الركب إلى منطقة نبط[(١)] على مائة وثلاث درجة، وبها ثلاث أبيار من عمل الحاج ال ملك الجوكندار[(٢)] . وهذه المنطقة يطلق عليها إسم المغيرة ،وهي وادى بين جبلين ،والمغيرة هي العرجاء. ويوجد بنبط مياه كثيرة عذبة ،وبئر نبط يوجد قرب تقاطع خط العرض ٤١ - ٢٤° شمالاً ، بخط الطول ٢٩ - ٣٧° شرقاً[(٣)].

ثم يمر الركب بوادى مرتجه ،ثم وادى العجل ،ثم وادى النار على مائة وخمس درجة ،ثم يمر بالسبع الوعرات على مائة وخمسين درجة حتى يصل إلى وادى تيماء على خمس وتسعين درجة فيصل الخضيراء[(٤)].

بعد ذلك يقطع الركب الثلاث وعرات على مائة وخمسين درجة فيصل ينبع النخل على خمس وخمسين درجة[(٥)] ، وهناك يلتقى أمير الركب المصرى مع أمير ينبع الذى يحضر بطبوله وخيوله وزينته في

----

(١) نبط : هو المستخرج بالحفر ،وهو شعب من شعاب هذيل ،ومنهل من مناهل الحجاز ،وبه الكثير من الآبار العذبة ،ومنزل من منازل الحاج المصرى على مرحلتين من الحوراء . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٥ ، ص ٢٥٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٨٧).

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤٠٨.
(J.Jomier : Op. Cit ., p. 191.)

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٤٠.

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٥) (J.Jomier: Op. Cit., p. 204.)

مشهد عظيم لإستقبال أمير المحمل الذى يلبسه التشريف السلطاني المجهز من الديار المصرية ، وينعم على أمير ينبع وولده وقاضيه ،وهي آخر الربع الثالث[١] . وتمتد ينبع النخل بين تقاطع خطي العرض ٦ - ٢٤° شمالاً ، ٣٠ - ٢٤° شمالاً ،وبين خطي الطول ٢٣ - ٣٨° شرقاً ، ٣٠ - ٣٨° شرقاً ، والمنطقة عامرة بالسكان ،وتبعد عن المدينة المنورة حوالي مائة وخمسين كيلومتراً[٢] . وسبب تسميتها بينبع لكثرة ينابيعها ، ولقد أقطعها رسول الله ،صلى الله عليه وسلم لرجل من جهينة يدعى كسد بن مالك ثم أشتراها عبد الرحمن بن أسعد الذى اشتراها منه علي بن أبي طالب ،كرم الله وجهه ،وتصدق بعينين من عيونها[٣] ، وهي محطة هامة على طريق الحج المصرى ،وكذلك التجار ،وقد امتدت يد الإصلاح والتعمير أيام المماليك لمدينة ينبع ،فقد انشئت بها الكثير من الأسواق ،

---

(١) رحلة العبدرى ،ص ٦٣ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤١٢ - البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٦ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٦٧ . يذكر حمد الجاسر نقلاً عن الجزيرى في كتابه درر الفرائد أن أمير ينبع كان يدفع مائتي دينار للعربان الذين كانوا يحافظون على حماية ركب الحج وأصحابه ثلثمائة دينار وقد أوضح تفصيل وتوزيع هاتان الضريبتان في سنة ٨٤٤ هـ (انظر تفصيل ذلك في كتاب حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٢٩-٣٠) .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٤٠ .

(٣) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ،ج ٣ ،ص ٢٩٤ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ،ص ١٤١٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٤٠ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ،ص ١٠ - ٢٣ .

وفي سنة ٨١٢ هـ وصل جابر الحراشي [(١)] من مصر إلى ينبع وبنى بها قلعة وسوراً ، وبذلك اكتسب مالاً كثيراً فازدهرت المنطقة [(٢)] ،وقد ساعد على إزدهارها تحول التجارة والحجاج إليها في منتصف القرن السابع الهجرى ،وتركهم طريق البحر ،وبذلك استمرت محطة بحرية برية لحجاج مصر والشام والمغرب ،وأصبحت سوقاً عظيماً تجلب إليه العديد من السلع والمتاجر لأن به الكثير من الحوانيت لبيع القماش والثياب والمأكولات ، ليشترى الحجاج جميع ما يحتاجون لتكملة الطريق إلى مكة [(٣)] ،وببطن ينبع مسجد العشيرة وهو مسجد القرية التي ينزلها حجاج الركب المصرى ، وبها الكثير من المياه ،أشهرها عين البركة ،وعين علي كرم الله وجهه ،

----

(١) جابر بن عبدالله الحراشي : ولد سنة ٧٥٦ هـ باليمن ونشأ بها ، عمل بالتجارة ،ثم خدم الشريف حسن بن عجلان ،وكان مشهوراً بالأمانة والحرمة ،وحسن المعاشرة حتى قرر لبنى حسن الرسوم وزادها ، وبنى فرضة بجدة ،ثم تغير على مخدومه الشريف حسن ووالى أصحاب ينبع وباشر لهم ،وعمل لهم قلعة وسوراً لمدينتهم ، قبض عليه الشريف حسن لكن أفرج عنه فرحل إلى اليمن ، وتوفى سنة ٨١٦ هـ. (ابن حجر : انباء الغمر ،ج ٣ ،ص ٢٣ - ٢٤).

(٢) الفاسى : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ٤٠١ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٤٧٨.

(٣) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ،ج ٢ ،ص ٤ شعبان سنة ١٣٨٥هـ تشرين الثاني ،نوفمبر سنة ١٩٦٥م ،ص ١٦٤ - ١٦٥ . رحلة العبدرى ، ص ١٦٣ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤١٥ - على السليمان: العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ويكثر بها النخيل والزرع وقد أنشأ بها الشريف هلمان بن أجود [(١)] من أمراء ينبع جامعين سنة ٨٥٢هـ [(٢)].

وهناك ينبع البحر ،ويمتد من الحوراء فيسير نحو الجنوب الشرقي ويمر بوادي خماس ،ووادي نبط ،ووادي كمال، وتقع عند تقاطع خط العرض ٥ - ٢٤° شمالاً ، بخط الطول ٣ - ٣٨° شرقاً على خليج ممتد من البحر الأحمر ، وبه بعض الجزر مثل جزيرة العباس ،وبينها وبين المدينة المنورة ٢٠٨ كيلومترات،ويعتبر ميناء المدينة المنورة ،ولقد شهد ينبع البحر نهضة أيام حكم المماليك [(٣)] ، ويوجد به خان بناه الأمير خشقدم سنة ٩١٦ هـ في عهد السلطان الغوري وهو على بعد مرحلة من ينبع البحر ، وكان شريف ينبع يأخذ المكس على المراكب المارة به [(٤)].

---

(١) هلمان بن وبير بن نخباز الحسيني : صاحب ينبع ،تولى الامرة سنة ٨٤٩ هـ ،وتوفى في أواخر جمادى الأولى سنة ٨٥٥ هـ ،وكان على مذهب قومه ،عنده أدب وتواضع ،وبشاشة ،وهو صديق السيد بركات أمير مكة . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ١٠ ،ص ٢٠٩) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤١٥ .

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٤٠ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ،ص ٣٤ .

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤١٧ - عبد المنعم رسلان : الأزنم خاناً وبرجاً ،ص ٣٧١ .

وفي سنة ٨٣٣هـ حصل لحجاج الركب المصرى مشقة عظيمة أثناء الطريق ببعض أودية ينبع من قلة الماء، وشدة العطش فمات عالم كبير من الحجاج، وأيضاً مات الكثير من جمالهم وحميرهم (١).

وفي سنة ٨٧٥هـ حصل لحجاج الركب المصرى مشقة عظيمة من قلة الماء والحرارة التي أدت إلى موت الكثير من الحجاج والجمال فما كان من يشبك الدوادار إلا أن أرسل إليهم شقادف (٢) محملة بالزاد والماء للمنقطعين، ولاقاهم قرب ينبع (٣).

ثم يرحل الركب من ينبع ويستقبل الربع الرابع وعدد مراحله ثلاث عشرة مرحلة، فيصل إلى الدهناء بمائة وثلاثين درجة، وهي قرية عامرة بها حدائق وأشجار وعيون جارية (٤)، ولكن لتسببهم في أذى الركب المصرى والشامي جهز إليهم السلطان الغورى عسكراً على يد خاير بك، فخربت قريتهم، وجفت عيونهم (٥).

ثم يرحل الركب إلى مفرح العذيبة، وتسمى واسط (٦) على

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) الشقادف مفردها شقدف وهو عبارة عن سريرين من الخشب وقاعدتهما من الحبال وعلى حافة كل سرير من الجنب الخارجي والخلفي شبكة من العيدان اذا ضم السريران على ظهر الجمل بحبال متينة يكونان قبة تغطى بشيء تقي الراكب من الشمس والمطر. والشقدف يسع نفرين ويمكنهما ان يناما فيه كما يمكن أن يجلس الراكب على راحته بواسطة مخدات صغيرة وخفيفة يضعهما على ما يحب.
(ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١٤٦، ج ٣).

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور، ج ٣، ص ٥١-٥٢.

(٤) رحلة العبدرى، ص ١٦٣- الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤٢٢- أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب، ج ٢، ص ٢٤٥- حمد الجاسر : بلاد ينبع، ص ١٨٣.

(٥) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤٢٢.

(٦) واسط : قرية بين العذيبة ووادى الصفراء. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٥٢).

خمس وتسعين درجة ،وهي فضاء واسع قربها كثيب من الرمل .[(١)]

ومن واسط يرحل الركب إلى بدر[(٢)] بتسعين درجة ،وببدر مسجد الغمامة ،وغربي المسجد توجد قبور الشهداء ،وهي من البقاع المشرفة بالآثار النبوية ،وأما محطة أهل الركب ففيها الكثير من العيون الجارية والنخيل والمنازل[(٣)] ،وبها عين جارية وفسقية كبيرة ،وقبة ماء (سبيل) لارواء الحجاج أنشأها السلطان الغوري على يد علاء الدين ناظر الخاص سنة ٩١٥ هـ[(٤)] ، وبها سوق كبير وأهلها يتحينون الفرصة لوصول الركب فيستعدون لبيعهم التمر والعلف وغيره .[(٥)]

----

(١) الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٤٢٣ .

(٢) بدر : بين مكة والمدينة ،وبها الوقعة الكبرى التي كانت بين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،وقريش ،وهي لسفل وادى الصفراء ، بينها وبين الجار ليلة واحدة ،وبينها وبين المدينة سبعة برد . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٣٥٧ - القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٧٨) .

(٣) رحلة العبدرى ،ص ١٦٣ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٦٧ .

(٤) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ،ج ٢ ،ورقة ١١٣ - الديار البكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،ج ٢ ،ص ٤٣٥ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٥) رحلة العبدرى ،ص ١٦٣ - ١٦٤ .

ويواصل الركب سيره حتى يصل إلى رابغ (١) بمائة وخمسين درج ، وهي بجانب البحر ،وماؤه يعتمد على المطر ،ومنها يغتسل الحجاج للاحرام، ومنها يحرمون ،وهي دون الجحفة (٢) بمسافة . وفيها مخازن بهــا مؤن ركب المحمل وذخائره ،وبها صهاريج عذبة ،وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ، وكل من يأتي عن طريقها . (٣)

ثم يرحل الركب بعد ذلك إلى منطقة الجرينات حتى يصل إلــى منطقة طارق قديد (٤) على مائة وخمسين درجة ،وهي قرية بيــن مكــة والمدينــة كثيــرة المياه والمرعى والحشيــش

----

(١) رابغ : وادى يقطعه الحجاج بين الأبواء والجحفة وهي علــى عشرة أميال من الجحفة فيما بين الأبواء والجحفة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٤١١) .

(٢) الجحفة: ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ،وهي على ستة أميــال من البحر ،وثمان مراحل من المدينة المنورة ،وثلاث مراحل مــن مكة . (الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص١٤٤٨ - ١٤٤٩) .

(٣) البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٦ - صلاح عبد الجبار عيسى : رؤية جغرافية ،مجلة الدارة ،العدد الأول ،السنة الحادية عشرة ،شوال سنة ١٤٠٥هـ ،يونيو سنة ١٩٨٥م ،ص ١٥ .

(٤) قديد : بضم أوله على لفظ التصغير ،وهي قرية كثيرة الماء والبساتين ،سميت قديد لتعدد السيول بها . (البكرى : معجم ما استعجـم ،ج ٢ ،ص ١٠٥٤) . وقديد وادى منحل من أودية الحجاز ،وينقسم إلى قسمين علوى وسفلي . فالعلوى يسمى ستارة ،والسفلي يسمى قديداً ، ويبعد عن مكة ١٣٠ كيلومتراً من ناحية الشمال على طريق المدينة . (البلادى : معجم معالم الحجاز) .

أيام المطر[١].

ثم يتجه الركب إلى عقبة السويق ،ومن العوائد أن أمراء الحج يبادرون بتجهيز السقائين لنصب الحيضان الجلد الكبار أسفل العقبة ويملؤونها بالسكر المذاب لسقاية الحجاج،فيعمون بذلك الكبير والصغير ، والغني والفقير[٢].

ويواصل الركب سيره حتى يصل إلى منطقة خليص[٣] على سبعين درجة ، وبها الكثير من النخيل والفواكه والخضار والمياه الجارية ، ويوجد بها قلعة منيعة على ربوة مرتفعة ،ويقيم بها العربان سوقاً للحجاج يجلبون إليها الغنم والتمر والسمن وغيره[٤] . وبها مسجدان لرسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، مسجد عند عقبة خليص ،

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٤٥٧) .

(٢) رحلة العبدرى ،ص ١٦٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٤٥٨ .

(٣) خليص : حصن بين مكة والمدينة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ، ص ٣٨٧) .

(٤) رحلة العبدرى ،ص ١٦٦ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ،ص ١٤٥٩ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٦٧ - البتنوني : الرحلة الحجازية ،ص ٣٦ .

ومسجد عند عين خليص[1]، وأول من أنشأها الأمير ارغون[2]. وفي سنة ٨٤٤ هـ حصلت وقعة بين أمير ركب الكركيين وبين حجاج ينبع قتل فيها من الينابعة أكثر من عشرين رجلاً ونهبت أموالهم[3].

ثم يتجه الركب إلى بئر وادى عسفان[4]، وهي قرية جامعة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة على نحو يومين من مكة، وسميت بذلك لعسف السيول بها، ويوجد بها آبار وبرك وعين تعرف بالعولاء[5].

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤٦٠ - حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة العربية، ص ١٨٦.

(٢) الأمير سيف الدين أرغون الدوادار، كان دوادارا لأستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون، وولي نيابة السلطنة بالقاهرة، ثم نيابة حلب، كان يحب العلم وأهله، وتوفى سنة ٧٣١ هـ. (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي، ج ١، ص ٦٠٦ - الصفدى : الوافي بالوفيات : ج ٨، ص ٣٦٠ - ٣٦١).

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١٢٦ - ابن اياس : بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٢٩ - الجزيرى : درر الفرائد : ج ٢، ص ٧٢٩.

(٤) عسفان : بلدة على ثمانين كيلومتراً شمالي مكة على طريق المدينة المنورة، يلتقي فيها واديان، بها آبار عذبة قديمة. (البلادى : معالم مكة، ص ١٨٨ - ١٨٩).

(٥) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٤٦٢ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف، ص ٦٧ - البتنوني : الرحلة الحجازية، ص ٣٦.

وبعد عسفان منزلة العقلة التي صلى بها رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،صلاة الخوف[1] حين كان العدو في جهة القبلة ،ثم يصل الركب بعد ذلك إلى جبل المنحنى على مائة وعشرين درجة.[2]

ويسير الركب بعد ذلك إلى وادي فاطمة ،ويسمى وادي مر[3] بالجموم ،ومنه إلى مسجد السيدة ميمونة[4] رضى الله عنها ،ثم مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها حتى يصل إلى التنعيم.[5]

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ٣ ، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٤٦٢ - حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة العربية ، ص ١٨٦.

(٣) وادي مرّ : عند أهل الحجاز يسمى وادي فاطمة أو مر الظهران ،وهو واد قرب مكة ،وعنده قرية يقال لها مرّ فيقال مرّ الظهران . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٦٣).

(٤) مسجد السيدة ميمونة : يقع على يسار طريق المدينة المنورة الواصل بين مكة وبلدة الجموم على بعد ١٦ كيلومتراً من الحرم المكي ، وقد بنى رسول الله ،صلى الله عليه وسلم بميمونة رضي الله عنها في هذا المكان أثناء عمرة القضاء ،وتوفيت ودفنت به . (الغزاوي : مكة المكرمة في شذرات الذهب ،تحقيق عبد العزيز الغامدي ،ومحمد السرياني ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ،البلادي : معالم مكة التاريخية ، ص ١٣٣).

(٥) التنعيم : موضع بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ،وسمي بذلك لأن الجبل الذي على يمينه يقال له نعيم ،والذي على يساره يقال له ناعم ،والوادي نعمان ،ويحرم منه المكيون للعمرة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٤٩ - الحميري : الروض المعطار ،ص ١٣٨).

ومن التنعيم يسير الركب إلى وادى الزاهر على مائة وخمسين درجة ، وبه الكثير من الحدائق والعيون، وهو عامر بالمنازل والسكان ، ويغتسل الحجاج عند سبيل الجوخي ، وهو سبيل الزيني عبد الباسط ناظر الجيش في عهد السلطان برسباى إستعداداً لدخول مكة بعد المبيت بذى طوى (١) . وفي الصباح يتوجهون إلى مكة بعد تزيين المحامل ، وتقديم التشاريف السلطانية لأميرها ، وقضاة مكة وأعيانها ، من عند قبور المهاجرين بكدى ، ثم يسير الركب إلى الأبطح ، وهو وادى مكة ناحية المعلاة ، ثم يتوجهون من ناحية مقبرة المعلاة المسماة الحجون (٢) . ولمكة ثلاثة أبواب : باب الشبيكة ، وباب الماجن أى من عند المسفلة ، وباب المعلاة بين الثنيتين ، فيدخلون بأعلامهم من هذا الباب ، ثم ينزل أمير الحج بعد ذلك بمدرسة السلطان الأشرف قايتباى بعد أن يذهب شريف مكة إلى منزله ، ويتفرق الحجاج بضواحي مكة ومنازلها (٣) .

----

(١) ذى طوى : بتثليث الطاء والفتح أشهر من الضم ، وهو أشهر من الكسر ، وهو وادى بمكة على فرسخ منها في طريق التنعيم ، ويعرف بالزاهر ، وهو الوادى الذى يمر بين الحجون ، وريع الكحل ماراً بجرول ، وبه بئر معروفة بجرول بين القبة وريع أبى لهب .
(البلادى : معالم مكة التاريخية ، ص ١٦٨) .

(٢) رحلة العبدرى ، ص ١٦٧ - ١٦٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٦٧ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٤٦٦ .

أما من يريد التوجه إلى المدينة المنورة لزيارة الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، فمن بدر يعطف على طريق المدينة المنورة إلى وادى الصفراء (١) بتسعين درجة ،وهو واد معمور به ماء ونخل وبنيان (٢) .

ثم يرحل من وادى الصفراء إلى ذى الحليفة (٣) ،وهي على بعد سبعة أميال ،وهي بطحاء لينة سهلة ،وبها بئر علي كرم الله وجهه . وينزل الركب بها للإستراحة ،ثم يرحل الركب إلى فسقية الأمير طاز على مائة وعشرين درجة . بعد ذلك يتجه الركب إلى ملل (٤) على مائة وأربعين درجة ،حتى يصل المدينة المنورة على مائة وستين درجة (٥) .

----

(١) وادى الصفراء : قرية كثيرة النخل والزرع ،وماؤه من العيون وهي فوق ينبع مما يلي المدينة المنورة ، وهي لجهينة الأنصار في طريق الحاج على مرحلة من بدر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ،ص ٤١٢) .

(٢) رحلة العبدرى ،ص ٢٠٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٠٧ .

(٣) ذى الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ،ومنها ميقات أهل المدينة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٢٩٥) .

(٤) ملل : إسم موضع في طريق مكة بين الحرمين على طريق المدينة المنورة إلى مكة بمسافة ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة المنورة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ١٩٤) .

(٥) رحلة العبدرى ،ص ٢٠٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٣٠٧ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٦٧ .

وصف طريق الحج المصرى (الفسطاط - عيذاب - جدة) وأعمال المماليك به :

كما سبق أن ذكرت بدأ إستخدام هذا الطريق منذ منتصف القرن الرابع الهجرى ، ثم ازدهر إزدهاراً كبيراً حوالي قرنين من الزمان من سنة ٤٦٠ هـ حتى سنة ٦٦٥ هـ وهي السنة التي أعاد فيها السلطان الظاهر بيبرس تسيير قافلة الحج المصرى عبر الطريق البرى ،طريق شبه جزيرة سيناء ،ومع ذلك فقد ظل هذا الطريق مستخدماً وإن كان بأعداد قليلة حتى حلت المجاعة الكبرى بمصر وما صحبها من وباء في سنة ٨٠٦ هـ والتي أدت إلى خراب الصعيد (الوجه القبلي) (١) . وكان الحجاج يلقون الأمرين من عواصف البحر الأحمر في عبوره من عيذاب الى جدة ،وبسبب بدائية المراكب الشراعية التي تحطمها العواصف والأمواج الصاخبة التي تبتلعها في جوفها ،غير أن جبروت العواصف البحرية كان يتضاءل أمام جبروت طواغيت التجار الذين كانوا يتولون أمر حملهم عبر الصحراء الشرقية من قوص إلى عيذاب وكانوا يأخذون الناجين منهم ويحملونهم على الجمال بأجور مرتفعة التكاليف ،بل يتعمدون أن يسلكوا بهم طرقاً بعيدة عن موارد المياه حتى ينال منهم الظمأ فيهلكون ،وبذلك يغنم التجار ما بقي معهم من مال ومتاع . أما الذين يسلمون منهم من أهوال عبور الصحراء

---

(١) عن هذه المجاعة وما صحبها من وباء أدى إلى خراب مصر عامة والصعيد خاصة انظر المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ،تحقيق زيادة والشيال ص ٤١ ،وهو إحدى رسائل المقريزى الصغيرة التي كتبها بهذه المناسبة.

الشرقية فيرحلون إلى عيذاب ،ويحملون في المراكب الشراعية بأجور مرتفعة الثمن وكانوا يحشدون الناس بعضهم فوق بعض سعياً وراء المزيد من المال غير مبالين في هذا السبيل إن غرقوا أم نجوا مرددين عباراتهم المألوفة علينا بالألواح وعليكم بالأرواح [(١)] . وكانت رحلة الحجاج تتجه من الفسطاط بطريق نهر النيل ،أو عن طريق البر إلى مدينة قوص جنوبي مصر ، ثم يجتازون الصحراء الشرقية من قوص بواسطة الإبل إلى عيذاب ، ومنها يركبون البحر في الجلاب إلى جدة . وكذلك كان تجار الهند واليمن والحبشة يصلون إلى عيذاب ثم يركبون الإبل إلى قوص ومنها يصلون إلى القاهرة والفسطاط . [(٢)] - انظر خريطة رقم (٣) -

فمن الفسطاط بطريق نهر النيل تتجه الرحلة إلى قرية أسكر [(٣)] .

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٦٥ - المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٤.

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٠.

(٣) أسكر : بالفتح ثم السكون ،قرية مشهورة نحو صعيد مصر بينها وبين الفسطاط يومين وهي من كورة الأطفحية ،وقد زعم بعضهم أن موسى ابن عمران ولد بها . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ، ص ١٨٢).

وتعرف بالسكرية أو بأسكور ،وهي من القرى المصرية القديمة ،وتقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ،وتستغرق الرحلة إليها يومين ،وهي تتبع الآن مركز الصف بمحافظة الجيزة[(١)].

ثم ترحل القافلة بعد ذلك إلى المنيا وكانت تسمى حتى عهد محمد علي منية ابن الخصيب[(٢)] نسبة إلى أحد عمالها صاحب خراج مصر في عهد هارون الرشيد ،وهي على شط النيل ،وتستغرق الرحلة إليها خمسة أيام ، وهذه المدينة واسعة المساحة بها الأسواق والحمامات ،وسائر مرافق المدن ، وتكثر بها المساجد والزوايا والمدارس ،وهي إلى الشمال قليلاً من تقاطع خط العرض ٢٨° شمالاً ،وغربي خط الطول ٥٠ - ٣٠° شرقاً[(٣)].

ثم يتجه الطريق النهرى إلى أنصنا[(٤)] ،وهي فسيحة بها آثار

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٥٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٠.

(٢) منية ابن الخصيب : بالضم ثم السكون ثم ياء مفتوحة ،مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطيء النيل في الصعيد الأدنى ، بها جامع ،وفي قبلتها مقام إبراهيم عليه السلام . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٢١٨).

(٣) رحلة ابن جبير ،ص ٥٦ - رحلة ابن بطوطة ،ص ٣٩ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٠.

(٤) أنصنا : مدينة قديمة من نواحي الصعيد على شرقي النيل . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٢٦٥).

قديمة ،وكان بها سور قديم هدمه السلطان صلاح الدين الأيوبي .(١)

ثم تقلع الرحلة إلى مرسى جبل المقلة أو المقلا ،ويقع بالشط الشرقي للنيل ،وهو نصف الطريق إلى قوص على مسيرة يومين من المنيا ،وتسعة أيام من الفسطاط .(٢)

ثم يواصل الركب الطريق إلى مدينة منفلوط(٣) ،وتقع على الشاطئ الغربي لنهر النيل ،وهي محطة للطريقين البحرى والبرى من الفسطاط وبها الكثير من الأسواق ،وفيها جامع واحدى عشرة معصرة للسكر ،كما تشتهر المدينة بجودة قمحها .وتوجد عند تقاطع خط العرض ٧ ٦ - ٢٧° شمالاً ، وبالقرب من خط الطول ١ ٣° شرقاً .(٤)

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٥٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٣ .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٥٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٠ .

(٣) منفلوط : بفتح الميم وسكون النون ثم فاء مفتوحة بلدة بالصعيد في غربي النيل . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٢١٤) .

(٤) رحلة ابن جبير ،ص ٥٨ - رحلة ابن بطوطة ،ص ٤٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٠ .

ثم تقلع من منفلوط إلى مدينة أسيوط (١) ،وهي بلدة تقع على الشاطىء الغربي لنهر النيل ،وهي من مدن الصعيد المشهورة ، بينها وبين الشط الغربي لنهر النيل ثلاثة أميال ،وبها مسجد قديم ،وحولها بساتين النخيل،وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٢٦ - ٢٧° شمالاً، بخط الطول ٣٢ - ٣١° شرقاً. (٢)

ثم تقلع السفن مارة ببلدة أبي تيج ،وهي على الشط الغربي لنهر النيل ،وبها الكثير من الأسواق ،وبقية مرافق المدينة. (٣)

ومنها تمر السفن بمدينة أخميم (٤) ، وهي من مدن الصعيد

---

(١) أسيوط : مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر ،وهي مدينة جليلة ،كثيرة البساتين والفواكه . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤) .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٥٨ - رحلة ابن بطوطة ،ص ٤٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥١ .

(٣) رحلة ابن جبير ،ص ٥٨ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥١ .

(٤) أخميم : بالكسر ثم بالسكون ، بلدة بالصعيد ،وهي بلد قديم على شاطىء النيل بالصعيد ،وبها البرابي ،وهي أبنية عجيبة بها تماثيل وصور . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ١٢٤ - القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٣ ،ص ٤٠٠) .

المشهورة شرقي النيل ، وتكثر بها الآثار القديمة ، وبها مسجد ذى النون المصرى ، وبعض آثار بنيان لبعض كنائس النصارى ، وتقع قرب خط تقاطع عرض ٣٣ - ٢٦ ° شمالاً وخط الطول ٤١ - ٣١ ° شرقاً (١)

وبعدها تمر الرحلة بموضع يعرف بمنشاة السودان على الشط الغربي من نهر النيل ، وهي قرية قديمة ومعمورة ، بينها وبين النيل رصيف عال (٢) . ومنها تقلع السفن إلى قرية البلينا (٣) وتقع على الشاطيء الغربي لنهر النيل ، وبها الكثير من النخيل (٤) .

ثم تتجه الرحلة بعد ذلك إلى الشاطيء الشرقي لنهر النيل على بلدة دشنا (٥) ذات البساتين والنخيل الكثير ، وبها جميع مرافق المدينة ،

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٥٨ - رحلة ابن بطوطة ، ص ٤١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ٦٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .

(٣) البلينا : بسكون اللام ، وياء مفتوحة مدينة على شاطيء النيل بصعيد مصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٣) .

(٤) رحلة ابن جبير ، ص ٦٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٢ .

(٥) دشنا : بكسر أوله وسكون ثانيه ، ونون مفتوحة بلد بصعيد مصر شرقي النيل ذو بساتين ، ومعاصر للسكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٦) .

،وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٥َ - ٢٦° شمالاً ، وخط الطول ٢٤َ - ٣٢° شرقاً[١] .

ومن دشنا تقلع السفن إلى منطقة دندرة[٢] ، وهي من مدن الصعيد ، كثيرة النخيل ،وتشتهر برطبها وتمرها الجيد[٣] .

ومن دندرة إلى مدينة قنا[٤] وهي من المدن المشهورة بصعيد مصر ،وتشتهر بجمالها ،وأناقة منظرها ،وجميع نسائها لا يظهرن في شوارعها ، وبينها وبين قوص يوم واحد ،وتوجد على الشاطئ الشرقي لنهر النيل قرب تقاطع خط العرض ٩َ - ٢٦° شمالاً ، بخط الطول ٢٤َ - ٣٢° شرقاً[٥] .

----

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٦٠ - رحلة ابن بطوطة ،ص ٤١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٦ .

(٢) دندرة : بفتح أوله وسكون ثانيه ودال أخرى مفتوحة ،بليد في غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص ، وهي ذات بساتين ونخيل كثير . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨) .

(٣) رحلة ابن جبير ،ص ٦٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٦ .

(٤) قنا : مدينة بالصعيد لطيفة بينها وبين قوص يوم واحد . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٣٣٩) .

(٥) رحلة ابن جبير ،ص ٦١ - رحلة ابن بطوطة ،ص ٤٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٦ .

وبعدها تصل الرحلة إلى مدينة قوص بعد مدة ثمانية عشر يوماً يقضيها الحجاج في النيل ،وهي مدينة كبيرة ،كثيرة الأسواق ، مشهورة بالتجارة لوفور تجار اليمن والحبشة والهند والصين وغيرها ، ولأنها ملتقى حجاج المصريين والمغاربة ، وهي تعتبر المحطة النهائية للطريق النهرى ،وبداية الطريق البرى عبر صحراء عيذاب إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر ، وبها فندق كبير لنزول الحجاج والتجار به (١) . وهي آهلة عامرة بالسكان وتشتهر بكثرة الأعناب والنخيل والفواكه والتوت الأبيض الطيب الطعم ، وبها مدارس عليها أوقاف جمة ،وكانت تؤخذ بها المكوس من الحجاج إلى أن أمر السلطان المملوكي المنصور لاجين في الثامن عشر من جمادى الثانية سنة ٦٩٦هـ باسقاط جميع المكوس التي تؤخذ من الحجاج بها (٢) ، وهي عند تقاطع خط العرض ٥٥َ- ٢٥ْ شمالاً ،بخط الطول ٤٥َ- ٣٢ْ شرقاً (٣) .

وتبدأ الرحلة الثانية من قوص إلى عيذاب عبر صحراء مصر الشرقية ، فتكون المسيرة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي تقطع (صحراء عيذاب)

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٦١ - رحلة ابن بطوطة ،ص ٤٢ - القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٣ ،ص ٤٠١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٤٠٦- ٤٠٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٣ .

(٢) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ،ص ١٧٣- ١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٣ .

الصحراء بين قوص إلى جنوب رأس بغدادى على ساحل البحر الأحمر ثم تسير موازية لساحل البحر حتى منطقة عيذاب ،وتقطعها القافلة في سبعة عشر يوماً . وهذه المسيرة شاقة لقلة الماء ،وقسوة البجاة (١) ، واستغلالهم للحجاج ، وكانت قوافل الحج والتجارة تقطعها في حوالي أربعة عشر يوماً ،وتقدير هذه المسافة خطأ وقد قام الأستاذ سيد عبد المجيد بكر بتصحيح قطع المسافة فقال لوقدرنا أن القافلة تسير في اليوم من ٣٠ كيلومتراً إلى ٤٠ كيلومتراً يكون طول المسافة ٥١٠ كيلومترات وإذا أخذنا المتوسط يكون طول المسافة ٥٩٥ كيلومتراً وبذلك كانت المسافة من الفسطاط وعيذاب تقدر بحوالي ١٢٠٠ كيلومتراً يقطعها الحجاج والتجار في حوالي خمسة وثلاثين يوماً (٢).

وتبدأ المسيرة من قوص إلى منطقة المبرز ،وفيها يجتمع الركب لقضاء جميع لوازمهم ،وتقع جنوبي قوص ، وهي كثيرة النخيل (٣).

ثم يرحل الركب إلى مكان يسمى الحاجر فتقضى القافلة ليلتها به ثم ترحل في الصباح إلى مكان يسمى اللقيطة ،وهي شرقي قوص وبها نخيل وآبار عذبة ،وتبعد عن قوص بخمسة عشر كيلومتراً ،أى نصف يوم تقريباً ،وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٣٤َ - ٢٥ْ شمالاً ،بخط الطول ٧َ - ٣٣ْ شرقاً (٤).

---

(١) هم قبائل البجاة التي تسكن الصحراء الشرقية في مصر . عنهم انظر: (المقريزى : المواعظ والإعتبار ،ج ١ ،ص ١٩٤ - ١٩٧).

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٤ .

(٣) رحلة ابن جبير ،ص ٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ص ٤٠٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٤- ١٥٥ .

(٤) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

وبعدها يتجه الركب إلى وادى دندان ،ولا يوجد به ماء ،ثم يمر بفضل الخيام ولا ماء به أيضاً . وتتابع القافلة سيرها حتى تصل إلى منطقة المحدث ،ثم الميراد ، وبه بئر زيدون وهو منهل للحجاج ،ويوجد قرب تقاطع خط العرض ٤٣- ٢٥° شمالاً ،بخط الطول ٤٤ - ٣٣° شرقاً.[١]

ثم يمر الركب بوادى منيح ،ووادى الشلول ،ثم يرحل إلى ماء يسمى الدغيج ،وهو ماء قليل لا يزيد عن دلو ،ثم يرحل وينزل بمكان يسمى الجهندى ، وهو منهل للحجاج ،ويقع عند تقاطع خط العرض ٢٠- ٢٥° شمالاً ، بخط الطول ٢٣- ٣٣° شرقاً.[٢]

و منها يسير الركب فيصل إلى منطقة الحريفاء التي لا ماء بها حتى تصل دنقاش ،وهي على مسيرة أربعة أيام من اللقيطة ، وبها الماء الكثير، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٤٥-٢٤° شمالاً ،بخط الطول ٣٥ - ٣٣° شرقاً.[٣]

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٦١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٤٠٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ،ص ٢٠٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٦ .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٦٢ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٤٠٨ .

ثم يمر الركب بمنطقة شعتان ،ويوجد بئر أم قيور في بطن هذا الوادى قرب تقاطع خط العرض ٥٣-٢٤° شمالاً ، بخط الطول ٥٣-٣٣° شرقاً .(١)

ثم يواصل الركب سيره غربي شواطىء البحر الأحمر نحو الجنوب فيقطع وادى نتش ، ثم وادى عشر ،ثم وادى خشب الوعر حتى يصل إلى منطقة أمتان ،ويوجد بها بئر ماء عذب .(٢)

ثم يرحل الركب إلى منطقة حميثرة وهي قرب تقاطع خط العرض ٠١-٢٤° شمالاً ، بخط الطول ٤٠-٣٤° شرقاً في جنوب غربي جبل أبي حماميد ، وعلى مقربة من حميثرة ، يوجد قبر أبي الحسن الشاذلي الذى توفى سنة ٦٥٦ هـ وهو في طريقه إلى الحج .(٣)

وبعدها ينحرف الطريق إلى الجنوب الشرقي ،فيقطع منابع وادى الخريط حتى يصل إلى منطقة سلاعى وتعرف بصليعة ،وتقع شمال وادى كوان ،وهي قرب تقاطع خط العرض ٥٧-٢٣° شمالاً بخط

----

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٥٧ .

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ٤٢ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٨ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

الطول ٣٥ - ٣٤° شرقاً[١] . وتعترض القافلة بعض مرتفعات البحر الأحمر حتى تصل إلى السهول الساحلية[٢] . فتتجه إلى وادى بتان ، ويوجد بئر بتان قرب تقاطع خط العرض ٣٨ - ٢٣° شمالاً ، بخط الطول ٣ - ٣٥° شرقاً ، والمسافة بين أمتان ورنقاش مسيرة ستة أيام[٣] .

ثم ترحل القافلة إلى مكان يعرف بمجاج ، وهي مورد ماء عذب[٤] .

ثم تتجه القافلة إلى منطقة الحسا بعد إجتياز مرتفعات البحر الأحمر ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٥٨ - ٢٢° شمالاً ، بخط السهول الساحلية على البحر الأحمر ، وبه الكثير من المياه[٥] .

وبعد الحسا يتجه الطريق إلى شهاب ، وتقع إلى الجنوب من الحسا والمسافة بين بئر الحسا وعيذاب يومين أى حوالي ٨٩ كيلومترًا . ثم تمر القافله

----

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .

(٢) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٢ - سيد عبدالمجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .

(٣) سيد عبد المجيد بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٧ .

(٤) رحلة ابن جبير ، ص ٦٢ - ٦٣ ، التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٤ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٤٠٨ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٨ +

(٥) سيد عبد المجيد ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٨ .

بمنطقة ضيغان والفنلكة حتى تصل إلى منطقة المعشراء ، وبه الكثير من شجر العشر ،وماؤه غيرنقي ، وهي تبعد عن أمتان مسيرة أربعة أيام ،وهي إلى الجنوب من الحسا ، وتبعد عن عيذاب مسيرة يومين (١) .

ثم ترحل القافلة إلى منطقة الجنيب ،وتدعى الخبيب ،وهي قريبة من عيذاب ،ويمكن رؤيتها عن قريب ،وبها بئر عظيمة كثيرة المياه (٢).

ثم تصل القافلة إلى عيذاب ،وهي ميناء على ساحل البحر الأحمر ، ومركز تجمع تجار الشرق والحجاج ،وسلع الحبشة واليمن التي تصلها بحراً . وأهلها سود ،وبيوتها من الأخصاص ، وكل شيء بها مجلوب . وهي من أشد البلاد حراً ،وبها عامل من قبل سلطان مصر وآخر من قبل ملك البجاة يقتسمان جبايتها نصفين (٣) ،واشتهرت عيذاب بأهميتها

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٦٣ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٤٠٩ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٥٨ .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٦٣ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٩ .

(٣) رحلة ابن جبير ،ص ٦٣-٦٤ - ذكر التجيبي في كتابه :مستفاد الرحلة والإغتراب ،ص ٢٠٥ - ٢٠٦ بأن ذلك حدث سنة ٦٩٦ هـ. الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٤٠٩ .

التجارية من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجرى ،ولكن ضعفت أهميتها وشهرتها بعد تحول التجارة إلى العقبة ،وشبه جزيرة سيناء، كما نقل السلطان الأشرف برسباى الجمارك منها إلى الطور سنة ٨٣٠ هـ ، ويوجد بها مسجد (١) .

ثم يجيء الحجاج بعد ذلك عبر البحر من عيذاب إلى ميناء جدة ، وهي من أصعب المراحل ،ويستغل أصحاب المراكب الحجاج استغلالاً فاحشاً من حيث الأجور ،وشحن عدد كبير في مراكب واهنة ،ونتيجة ذلك تزهق الأرواح الكثيرة من الحجاج ،ويسلكون بهم مسافات بعيدة حتى يهلكون عطشاً فيأخذون كل ما معهم من مال ومتاع . والمسافة من عيذاب إلى جدة كانت تستغرق ثمانية أيام إذا كانت الريح مواتية والبحارة مهرة ،وقد تستغرق أكثر من هذا فربما تعود المراكب إلى عيذاب بعد إقلاعها لثوران الموج واشتداد الريح ، فقد بدأت رحلة ابن جبير من عيذاب في ٢٦ ربيع الأول ووصل جدة في ٤ ربيع الثاني سنة ٥٧٩ هـ ،وأما القاسم التجيبي فقد استغرقت رحلته من عيذاب إلى جدة اكثر من ٢٤ يوماً (٢) .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ٥٣ و

(Ahmad Darrag: L' Egypte Sous le regne de Barsaby , p. 202-210.)

- سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٦٠-١٦١.

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٦٤ - ٦٥ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب، ص ٢٠٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٦٤.

ومن عيذاب يصل الحجاج إلى منطقة الجدير ومن هناك يحرم جميع القاصدين إلى الحجاز ، ثم تتجه الرحلة إلى المربوطة ومنها إلى أبحر ، ومن هناك إلى جدة ، وهي ساحل مكة بينهما أربعون ميلاً (١) ، وأهلها موصوفون بكثرة الثروة ، وبها عامل من قبل شريف مكة لأخذ المكوس والضرائب من الحجاج ، فيذكر القاسم التجيبي سنة ٦٩٦ هـ أنه أخذ من غرائر الطعام نحو ربع كل غرارة ، وضريبة عن من له متاع ، وضريبة على الجمال التي يكتريها الحجاج (٢) .

---

(١) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

وصف طريق الحج المصرى البحرى (السويس - الطور - ينبع - جدة)
وأعمال المماليك به :

كما سبق أن ذكرت بدأ هذا الطريق منذ سنة ٨٢٨ هـ نتيجة للتحول الكبير الذى طرأ على تجارة جدة [١]، ومما ساعد على إقبال الحجاج على إتخاذ هذا الطريق، قصر الرحلة البحرية من السويس إلى جدة ، وما تهيأ لها من الأمان . فعن هذا الطريق كان يسافر كل عام وقت الموسم من القاهرة إلى جدة ناظر جدة والشاد بها من قبل السلطان لجباية المكوس بها من التجار الوافدين إلى جدة من الهند والصين والحبشة واليمن ،وكان يسافر في صحبة الناظر والشاد بجدة تجريدة عسكرية يتراوح عددها ما بين الثلاثين والخمسين مملوكاً لمساعدتهما في جباية المكوس ، وحماية جدة من أى تعرض من قبل شريف مكة الذى كان يقوم بجباية المكوس بجدة حتى سنة ٨٢٨ هـ [٢].

وقد حج عن هذا الطريق الرحالة الأندلسي أبو الحسن على القلصاوى سنة ٨٥١ هـ [٣]، وهو يصف الرحلة إلى البقاع المقدسة على هذا النحو :

---

(١) أنظر ص ١١ .

(٢) Ahmad Darrag: L'Egypte Sous le regne de Barsbay , p. 201 - 208.

(٣) رحلة القلصادى ،ص ١٤٧ .

((ثم سرت يوم الأحد السادس والعشرين لرجب (١٧ اكتوبر ١٤٤٧م) إلى التربة المسماة بتربة عبد الغني ، ورحلنا منها يوم الثلاثاء ، وبلغنا إلى الطور يوم الخميس الثامن من شعبان (١٩ اكتوبر ١٤٤٧م) ، وركبنا البحر هناك السادس عشر من الشهر (٢٧ اكتوبر ١٤٤٧م) ، وبلغنا إلى الينبوع عند الزوال من يوم الجمعة السابع من شهر رمضان المعظم (١٦ نوفمبر ١٤٤٧م) وكان سفرنا من الينبوع يوم الأحد سادس عشر من رمضان (٢٥ نوفمبر ١٤٤٧م) ، ولما بلغنا إلى رابغ أزلنا المخيط ، واغتسلنا وأحرمنا منه بعمرة ، وذلك سحر يوم الأحد الثالث والعشرين (٢ ديسمبر ١٤٤٧م) وبلغنا إلى جدة عند الزوال يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رمضان (٤ ديسمبر ١٤٤٧م) وذلك بعد مشقات عظام تحار في وصفها المحاير والأقلام ، ثم زرنا بجدة مقام أمنا حواء وما أمكننا زيارته ، وارتحلنا منه بعد صلاة المغرب في الثامن والعشرين من الشهر (٧ ديسمبر ١٤٤٧م) وبلغنا مكة المشرفة في الثلث الأول من ليلة الجمعة التي صبيحتها التاسع والعشرين من رمضان (٨ ديسمبر ١٤٤٧م) ، فدخلنا على باب الشبيكة ، وحططنا الرحال في داخل المدينة ، وقد ذهب عنا تعب السفر بتحصيل البغية والظفر ، فذهبنا إلى الحرم الشريف))(١).

وبعد اكتشاف البرتغاليين رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، وصل فاسكو دا جاما في

---

(١) رحلة القلصادى ، ص ١٢٩ - ١٣١ .

ثلاث سفن إلى قاليقوط (١) بالهند بعد رحلة استغرقت أربعة أشهر، وأخذ يهاجم المراكب الإسلامية التي تحمل الحجاج والمتاجر من الهند هذا بالإضافة إلى وضع جزء من أسطوله عند مدخل البحر الأحمر لإغلاقه أمام السفن الإسلامية، وبذلك تعرضت سفن المسلمين لهجوم مستمر من قبل الأسطول البرتغالي في المحيط الهندى (٢).

وزاد إهتمام سلاطين المماليك بجدة بعد إعتداءآت البرتغاليين على سفن المسلمين في مياه المحيط الهندى، وسواحل البحر الأحمر، بل وتهديد الدولة المملوكية في عقر دارها (٣).

كما أن إستيلاء البرتغاليين على الكجرات والدكن من بلاد الهند، وبناء قلعة حصينة بساحل الدكن، وإستيلاء هم على مضيق هرمز (٤)،

---

(١) قاليقوط : من أشهر موانيء الهند، وتقع في الجنوب الغربي، وقد ازدهرت بتجارة التوابل والأحجار الكريمة. (ريتشارد مورتيل: الأحوال السياسية والإقتصادية، ص ١٨٢).

(٢) إبراهيم طرخان : مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٩١- أحمد دراج : المماليك والفرنج، ص ١٣٦ - نوال حمزه صيرفى : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص ١٠٤.

(٣) أحمد دراج : المماليك والفرنج، ص ١٣٦.

(٤) هرمز : بضم أوله وسكون ثانيه، مدينة في البحر إليها خور وهي على ضفة ذلك البحر، وتقع على بر فارس، وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب، ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان (ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٠٢).

وإعتداءهم على سفن التجار المسلمين جعل مظفر حاكم الكجرات ،وعامر بن عبد الوهاب حاكم اليمن يرفعان شكواهم إلى سلطان مصر ، السلطان الغورى الذى أرسل بدوره رسالة إلى الدول الأوروبية يشكو إليها أعمال البرتغاليين ، ولما لم يجد صدى من جانب هذه الدول لرسالته تلك ،أصدر أوامره إلى الأمير حسين الكردى باعداد حملة بحرية حربية تتكون من خمسين سفينة تبحر من السويس إلى جدة ومعه الكثير من الفعلة والبنائين ،وذلك للتعرض لسفن البرتغاليين ،ولبناء سور وعدة أبراج حول مدينة جدة خاصة ،وأن جدة كانت معرضة لغارات عربان زبيد (١) . فمنذ سنة ٩٠٢ هـ وحتى سنة ٩١١ هـ وعربان زبيد وجهينة ،وبنو إبراهيم وبنو لام يعتدون على قوافل الحجاج المصريين ،ويخربون منازل الطريق كعجرود والأزنم ، والمويلح وينبع ،بل أنهم قطعوا الطريق بين ينبع والمدينة ،وبين مكة وجدة ،وهددوا جدة بالنهب ،بل بلغ بهم الأمر أن عاثوا في مكة فساداً، وصادروا أموال بعض مشاهير تجارها،الأمر الذى أدى إلى تعطل طريق الحج بالنسبة لأهل مصر والمغرب والشام ،هذا بالإضافة إلى ما استجد من تهديدات البرتغاليين لتجارة البحر الأحمر ،والأراضي الإسلامية المقدسة ، وقد دفعت هذه الأحداث السلطان الغورى إلى القيام بسلسلة التحصينات العسكرية في سنتي ٩١٥هـ و٩١٦هـ على يد المعمار خاير بك المعمار ، والأمير خشقدم في عجرود ،ونخل ،والعقبة ،والأزلم (٢) .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ، ص ٨٤ - ٨٥ ،أحمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) انظر قبل إعتداءات القبائل على الحجاج ،ص ٣٠ .

وفيما يختص بجدة فإن الأمير حسين الكردى ما أن وصل إليها سنة ٩١١ هـ حتى شرع في بناء سور حولها وقلعة وعدة أبراج .(١)

وفيما يلي ما ذكره ابن فرج عن بناء سور جدة :

((وكان الأمير حسين الكردى صارماً شديد الوطأة على الأهالي ، ففرض عليهم حمل الحجارة والطين لمساعدته في البناء . وكان لهذا السور ستة أبواب ، باب مكة ، وباب المدينة ، وباب شريف ، وباب الشهداء ، وباب البحر ، وباب المغاربة ، ويفتح باب مكة ناحية الشرق ، وباب المدينة ناحية الشمال ، وباب شريف ناحية اليمن ، وباب الشهداء والمغاربة والبحر ناحية البحر ، وكان طول أساس السور في الأرض إثنى عشر ذراعاً ، وطول المحيط من جهة القبلة إلى اليمين ثلاثة آلاف ذراع ، غير الأبراج وهي ستة ، وعرض السور أربعة أذرع ، وأما الأبراج فطول الشامي واليماني من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعاً ، والبرجان الأصليان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن ، والآخر باب النصر وهو الأيسر فقد نزل بهما الغواصون في البحر اثني عشر ذراعاً ، وجملة ما صرف على هذا السور وتوابعه من الأبراج ، ودار النيابة ، وجامعها ، ومصلى العيد ، وحفر الخندق ، مائة ألف دينار ، وقد انتهت هذه العمارة

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

خلال تسعة شهور» .[1]

---

(١) ابن فرج : السلاح والعدة في تاريخ جدة ،ص ٢٨ - ٣٠ ،
وعن بناء سور جدة انظر أيضاً ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،
ورقة ٤٤ - السنجارى : منائح الكرم ،ج ٢ ، ورقة ٣٨ -
الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ج ١ ، ورقة ١٥٨ - ١٥٩ -
أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ١٧٢ -
عبد القدوس الأنصارى : تاريخ مدينة جدة ،ص ٢٩٨ .

٣ - طريق الحج الشامي

كانت قريش تقوم برحلة الشتاء والصيف بين اليمن والشام ، حسبما ورد في قوله تعالى ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (١) ، فكانت قوافل قريش تصل إلى الشام عن طريقين داخلي يمر بالمدينة المنورة ،فتبوك ثم إلى بصرى الشام فدمشق ،وهو الذى كان يسمى " التبوكية " ،وطريق ساحلي يسمى " المعرفة " سلكته قوافل قريش في عودتها من الشام في عهد الرسول ،صلى الله عليه وسلم ،عندما حدثت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ،وسلكته الجيوش الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق ،رضي الله عنه ، فقد سلك يزيد بن أبي سفيان لفتح الشام طريق تبوك ،وسلك عمرو بن العاص طريق إيليا " العقبة " لفتح الشام أيضاً (٢) ،وكانت مواكب الحجيج تسير في إنتظام بعد إستقرار الدولة العباسية لا يزعجها سوى هجمات البدو. وقد اهتمت الدولة الأموية ولا سيما في خلافة عبد الملك بن مروان بطريق الحج الشامي وسارت على منوالها الدولة العباسية ، خاصة عندما حج بعض خلفائها ، فقد أمر أبو جعفر المنصور بتمهيد طريق الحج الشامي ،وبناء المساجد والإستراحات وحفر الآبار ،كما أمر الخليفة المهدى ببناء محطات

---

(١) سورة قريش : آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤.

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحج ، ص ١٧٠.

البريد ، وحفر هارون الرشيد الكثير من الآبار والبرك (١) . وإذا كان إهتمام الخلفاء العباسيين انصب على طريق الحج العراقي ،إلا أن طريق الحج الشامي استمر كأحد الطرق الرئيسية للحج ،ولا سيما عندما قطع القرامطة طريق الحج العراقي ،الأمر الذى جعل حجاج شمال العراق وغربه يتحولون إلى طريق الحج الشامي كما حدث العكس في بعض الأوقات ،مثال ذلك عندما تحول الحج الشامي إلى طريق العراق بسبب الإحتلال الصليبي لبلاد الشام بعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية فقد شهد ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ أثناء عودته من الحج الركب الشامي يرافق الركب العراقي في عودته إلى الكوفة (٢) ،وبسبب سيطرة الصليبيين على فلسطين والأردن حتى خليج العقبة انقطع طريق الحج الشامي لفترة زمنية طويلة ،كما انقطع أيضاً طريق الحج المصرى عبر شبه جزيرة سيناء قرابة قرنين من الزمان .

وبعد إنتهاء الحروب الصليبية ،واستقرار الأمور في بلاد الشام عاد ركب الحج الشامي مرة أخرى . وكان هناك طريقان داخلي يبدأ

---

(١) المقريزى : الذهب المسبوك ،ص ٣٧ - ٤٢ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٨٠ .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ١١٠ .

من دمشق إلى معان وتبوك فالمدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة ، والآخر يبدأ من جنوب فلسطين إلى العقبة ،ويلتحم بدرب الحج المصرى في العقبة فساحل البحر الأحمر إلى ينبع فالمدينة المنورة ،ثم إلى مكة المكرمة ،وعرف بدرب غزة ،وهو طريق حجاج جنوب فلسطين ، وقد ظل هذا الوضع طيلة حكم دولة المماليك بمصر والشام.(١)

وقد أفاض الجغرافيون والرحالة المسلمون في وصف طريق الحج الشامي الداخلي (طريق تبوك) ، ومن ثم فهو الذى يعنينا في هذا المجال ، لأن طريق غزة كان يلتحم بطريق الحج المصرى الساحلي الذى سبق لنا دراسته في شيء من التفصيل .

وفي العصر المملوكي سلك ابن رشيد الأندلسي هذا الطريق الداخلي عندما حج سنة ٦٨٤ هـ وذكر من منازله (بصرى - الأزرق - جفار - المعظم - تبوك الحجر - العلا). وفي سنة ٧٢٧ هـ سلكه ابن بطوطة في حجه وذكر من منازله (الكسوة - صنمين - ذرعه - بصرى - حصن الكرك - معان - ذات حج - تبوك - الأخضر - بركة المعظم - الحجر - العلا - وادى العطاش - هدية).(٢)

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ، ص ٢٢٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) سيد عبد المجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٧٢.

منازل طريق الحج الشامي الداخلي :

كانت قافلة الحج الشامي تتحرك في الخامس عشر من شوال تحت رئاسة أمير الحج ،فتخرج من قبة الحاج خارج دمشق التي كانت تعتبر نقطة البدء للقافلة[١] ،ومنها تتجه القافلة نحو الكسوة[٢] جنوبي جبل المضيع شمالي نهر الأعوج ،وهي أول محطات درب الحج الشامي.[٣] - انظر خريطة رقم (٤) - . وتقع عند تقاطع خط العرض ٢٢-٣٣° شمالاً ، بخط الطول ١٥-٣٦° شرقاً ، وهي ذات نهر جار ،وتبعد عن دمشق ٢٠ كيلو متراً أى ١٣ ميلاً ،ويقيم بها الحجاج يومين حتى يكتمل شمل القافلة.[٤]

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٢٧.

(٢) الكسوة : هي أول منزلة لقافلة الحج الشامي بعد خروجها من دمشق ،ويقال إن سبب تسميتها بالكسوة ، لأن غسان قتلت رسل الروم لما أتوا إليها لأخذ الجزية منهم ،واقتسمت كسوتهم (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ٤٦١).

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٧ - ابن طولون : البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي ،تحقيق حمد الجاسر ، مجلة العرب ،ج ١١ ، ١٢ ،س ١٠ جمادیان سنة ١٣٩٦هـ ،ایار ،حزیران ،مایو ، یونیو ،سنة ١٩٧٦م . ص ٨٧١ - الجزیری : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٢٥٤ - سلیمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٧١.

(٤) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٨٢.

ثم ترحل القافلة من منطقة الكسوة فتنزل الصنمين [١] ، وتقع على وادى العرام ،وهي من قرى حوران ،وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٥-٣٣° شمالاً ، بخط الطول ١١-٣٦° شرقاً [٢].

ثم تتجه القافلة بعد ذلك إلى منطقة ذ رع وقيل درعا ،وهي بلدة صغيرة من بلاد حوران ،وتكثر بها المياه و وبينها وبين دمشق ثلاث مراحل ،ويقيم بها الركب يومين [٣].

وتواصل القافلة سيرها إلى بصرى [٤] ، ويُأخذ إليهافي ثلاث مراحل ، وقد وصل إليها رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الصنمين أوصنمان : قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران ،بينها وبين دمشق ستة فراسخ (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ٤٣١).

(٢) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٥- سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٨٣-١٨٤.

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٧ - الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ،ص ٤٥١ - ابن طولون: البرق السامي ،ص ٨٧١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٢٩- سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٧٧.

(٤) بصرى : من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ،مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ، ص ٤٤١).

(١)
في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد ،رضي الله عنها ،وبها مبرك ناقته .
ثم افتتحها المسلمون في خلافة أبي بكر الصديق ،رضي الله عنه ،وأقاموا
مكان مبرك ناقة الرسول مسجداً . ويقيم الحاج ببصرى ثلاثة أو أربعة
أيام حتى يلتحق بالقافلة من كان لا يزال بدمشق يقضي
حاجاته (٢).

ثم تسير القافلة من بصرى إلى وادى عنتر ومنه إلى منطقة
الأزرق (٣) ،وهي قرية صغيرة على يوم واحد من الزرقاء (٤).

وتتجه القافلة بعد ذلك إلى زيزا (٥) بعد أن تسلك إليها
مضيقاً بين جبلين ،وعقبة صعبة ،وهي على مرحلتين من منطقة
الأزرق ، ويقيم بها الحاج ثلاثة أيام أو أربعة ،وبها أسواق

---

(١) ابن هشام :السيرة النبوية ،ج ١ ،ص ١٨٧- ١٨٨.
(٢) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٧ - الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي - تحقيق حمد الجاسر ،ج ٥ س ٣ ذو القعدة سنة ١٣٨٨هـ - شباط (فبراير) سنة ١٩٦٩م ،ص ٤٥١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٧٧.
(٣) الأزرق : ماء في طريق حاج الشام . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ، ص ١٦٨).
(٤) الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ج ٥ س ٣ ذو القعدة ١٣٨٨هـ ،شباط (فبراير) ١٩٦٩م ،ص ٤٥١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ص ١٢٥٦- أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ص ٢٢٩.
الزرقاء : موضع بالشام بناحية معان . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ، ص ١٣٧).
(٥) زيزا : من قرى البلقاء ، وهي كبيرة المساحة يطؤها الحاج ،===

وبرك مياه لسقيا الحجاج [١] ،وقال الشاعر فيها :

قلت لمن وافقني في السرى
لقيت تكريما وتعزيزا
سرى ولو كنا على خنفس
لا بد لي من أن أرى زيزا [٢]

بعد ذلك تسير القافلة إلى منطقة الكرك ،ويؤخذ إليها في خمس مراحل ، ويقيم الحجاج بها في مكان يعرف بالثنية ثلاثة أو أربعة أيام ،وهو حصن من أعجب الحصون ،وأمنعها ،ويسمى حصن الغراب ، ويحيط به الوادى من كل مكان ،ويلجأ إليه الملوك وقت النوائب ،فقد لجأ إليه الملك الناصر محمد بن قلاوون ،فأظهر أنه يريد الحج فلما وصل عقبة أيله توجه للحصن ،وأقام به أعواماً إلى أن قصده أمراء الشام [٣] . وتشتهر منطقة الكرك بخصوبة أرضها وكثرة مياهها ،

=== ويقام لهم بها سوق ،وبها بركة عظيمة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ١٦٣) .

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٧ - ابن طولون : البرق السامي ،ص ٨٧١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٦ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٨ .

وهي ذات محاصيل وفيرة خاصة الفواكه التي تأتي من الشوبك ، وسكانها من قبائل البدو .[١]

ثم ترحل القافلة إلى الحسا[٢] ويؤخذ إليها في مرحلتين ، وهي بين الكرك ومعان ، وحولها أطلال ، وتكثر بها المياه الجارية العذبة ، هذا علماً بأن جميع المراحل التي قبل الحسا عامرة ومأهولة ،[٣] وتبعد الحسا عن قطرانة ٥٢ كيلومتراً ، وعن جنوبي عمان ١٢٤ كيلو متراً ، وعن العقبة ١٧٠ كيلومتراً ، وتقع عند تقاطع خط العرض ٥٠ - ٣٠ْ شمالاً بخط الطول ٥٨ - ٣٥ْ شرقاً .[٤]

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٧ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ .

(٢) الحسا : من أعمال الكرك ، وبها نهر لطيف . (الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٢) .

(٣) رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٧ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ .

(٤) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ - حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة العربية ، ص ١٨٤ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

وفي سنة ٧٨٥ هـ خرج قريش أخو زامل بن مهنا أمير آل فضل في ثمانية آلاف شخص على حجاج شيراز والبصرة بمنطقة الحسا ، فأخذ ما معهم من اللؤلؤ وغيره ،وقتل منهم خلقاً كثيراً ،فرجع بعضهم حافياً عارياً ،كما قدم بعضهم إلى مكة مع حجاج بغداد ، بعد أن أخذ قريش عشرين ألف دينار عن كل جمل خمسة دنانير ، ثم مكنهم من مكة (١) .

ثم ترحل القافلة إلى عنيزة (٢) ،وتبعد عن الحسا ٤٥ كيلومتراً ، وهي من أعمال الكرك ،وبها الكثير من المنحنيات والإنحدارات ، وتقع عند تقاطع خط العرض ٣٠ - ٣٠° شمالاً ، بخط الطول ٥٢ - ٣٥° شرقاً ، وبها خان ،والطريق إليها مأمون لقربها من الشوبك (٣) .

ثم ترحل القافلة إلى معان (٤) وهي أول الحجاز وآخره ،وآخر بلاد الشام ،وهي أرض رمل وحجارة ،وجبال متباعدة ،وبها

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،تحقيق فهيم شلتوت ،ج ٣ ،ص ٣٤٢ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج ١ ،ص ٨٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١ / ٢ ،ص ٣٤١ - الجزيري : درر الفرائد ،ج٢ ،ص ٦٧٠ .

(٢) ليست عنيزة القصيم.

(٣) الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٢٣٢ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٣٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٩٠ .
الشوبك : قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وآيلة والقلزم قرب الكرك . (ياقوت : معجم البلدان ،ج٣ ، ص ٣٧٠) .

(٤) معان : بالفتح وآخره نون ،هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٣) .

عيون جارية ، و يؤخذ إليها في مرحلتين ، ومن معان يرجع المودع ، ويقيم بها الحاج ثلاثة أيام وبها قلعة وماء آبارها ليس بالجيد ،إلا أن مياهها تدفع عن الحجاج والمسافرين شدة العطش ،وتعتبر سوقاً هاماً للحجاج الذين يجمعون بين فريضة الحج والتجارة ،فيحملون بعض السلع والثياب من دمشق ،ويبادلونها بسلع أخرى (١) . وهي تقع عند تقاطع خط العرض ٢٦ - ٣٠° شمالاً ،بخط الطول ٤٤ - ٣٥° شرقاً) وبينها وبين دمشق ٤٥٩ كيلومتراً ،وبينها وبين عمان ١٣٧ كيلومتراً ،وبينها وبين تبوك ٢٣٣ كيلومتراً ،وبينها وبين العقبة ١٢١ كيلو متراً (٢) .

ثم ترحل القافلة إلى عقبة الصوان ،وهي منحدر على نصف ميل ، ويؤخذ إليها في ثلاث مراحل ، وبها جبال وواد وعقبة ، ثم بركة ماء من مياه المطر ، وبجانبها بعض الأعراب ، وظهر العقبة يسمى عادان ،

----

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٨ - رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق،ج١،ص ٢٧٨ - ابن طولون : البرق السامي ،ص ٢٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٩ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٢٣٢ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

وتشتهر بتمورها الجيدة ويسمى طبيليات .[١]

وتواصل القافلة سيرها إلى ذات حج [٢] ، وهي عبارة عن وادى به قلعة ورمل وتلال ،وآبار تحفر ،وماء مطر ،وبعض نخل وأعراب ، ويؤخذ إليها في مرحلتين [٣] ،وتوجد بها عند تقاطع خط العرض ٣ - ٢٩° شمالاً ، بخط الطول ١٠ - ٣٦° شرقاً ، وماؤها عذب مستطاب .[٤]

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٨ - ابن طولون : البرق السامى ،ص ٨٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ، ص ٢٣١ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٧٨ .

(٢) ذات حج : هي في طريق الحاج الشامي ،تقع على وادى ينحدر إليها من هضبة حسمى ،ويدخل في الطرف الشرقي لهذه الهضبة . (سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٩٦) .

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٨ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٥٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٣١ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٧٨ .

(٤) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ١٩٦ .

وتسير القافلة متجهة إلى تبوك [1] وتقع بين جبلي حسمي وشروري ، وهي أدنى أرض الشام ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، ومنذ القدم كانت طريق التجارة بين اليمن والشام ، وهي مدينة قديمة غزاها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في السنة التاسعة من الهجرة ، وهي آخر غزواته [2]. ويقيم بها الحجاج للراحة والإستجمام لأن بها سوقاً ومسجداً ، وعين ماء مباركة ينزل السقائين على جوانب العين ، وهم الذين يقيمون بسقاية الحاج مقابل أجر معلوم ، ولهم أحواض مصنوعة من الجلد فيملأون الروايا والقرب ، ولكل أمير حوض كبير يسقى منه جماله وجمال أصحابه ، وبعض الناس يتفق مع السقائين على سقي جماله وملء قربته مقابل شيء معلوم [3] ، وتشتهر تبوك بتمورها ، وبها شجرة خضراء يقال أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم نام تحتها فأخضرت ، وحولها منازل للعرب ،

---

(١) تبوك : تقع بين وادى القرى والشام ، وقيل هي بين الحجر وأول الشام على أربعة مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ، وهي حصن به عين ونخل . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٤).

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥١٥ الى ٥٢٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٨ - الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي ، تحقيق حمد الجاسر مجلة العرب ج ٥ ، س ٣ ذو القعدة سنة ١٣٨٨ هـ ، شباط (فبراير) سنة ١٩٦٩ م ، ص ٤٥٢ - رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٨ - ابن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

وبها بعض الأشجار، وتقع عند تقاطع خط العرض ٢٣َ - ٢٨° شمالاً ، بخط الطول ٢٣َ - ٣٦° شرقاً ،وتبعد عن دمشق ٦٩٢ كيلومتراً ، وعن المدينة المنورة ٦١٠ كيلومتراً (١) .

ومن تبوك يستعد الركب للمفازة الكبرى ،وهي منطقة العلا (٢) ويؤخذ إليها في إثني عشر مرحلة فيحمل الحاج معه الماء ،ولا توجد بهذه المنطقة مياه سوى بئر وسط الوادى يعرف بالوادى الأخيضر (٣) ،وهو وادى مثلث الجوانب قرب تقاطع خط العرض ٦َ - ٢٨° شمالاً ، بخط الطول ١١َ - ٣٧° شرقاً ،وهي تبعد عن تبوك ٨٨ كيلومتراً ، وبها مسجد قديم ،وبئر ماء أهتم به تجار الشام وأصلحوه ،ويكثر بهذه المنطقة النخيل ونبات الشيح (٤) ، ولا يوجد بها

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٩٨ .

(٢) العلا : بضم أوله وهو جمع العليا إسم لموضع من ناحية وادى القرى بينها وبين الشام . نزله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى تبوك ، وبنى مكان مصلاه مسجداً.
(ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ١٤٤) .

(٣) الأخيضر : منزل قرب تبوك بينها وبين وادى القرى ، وقد نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مسيره إلى تبوك .
(ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ١٢٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٢٠١) .

(٤) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٧ - الحجاز في القرن السابع الهجرى على
===

غير مواجـن (١) أشهرها بركة المعظم التي بناها الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ،وبها قلعة يقال لها قلعة المعظم ،وتبعد عن وادى الأخيضر ٦٢ كيلومتراً ،وهي قرب تقاطع خط العرض ٥٤َ - ٢٧° شمالاً ، بخط الطول ٣١َ - ٣٧° شرقاً - وفي العلا يودع الحجاج أزوارهم لحين الرجعة (٢) ، ويغتسلون ويستجمون ،وتكثر بها التمور والفواكه . (٣)

=== ما في رحلة إبن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ،ج ٥ س ٣ ذو القعدة ،سنة ١٣٨٨هـ ،شباط (فبراير) سنة ١٩٦٩م ، ص ٤٥٥ - إبن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٣ ، - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٦٢ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ، ص ٢٣٢ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٢٠٢ .

(١) مواجن : جمع ماجن ،وهي اماكن تجمع الأمطار . (الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ١٢٦٢ - حاشية رقم ١) .

(٢) رحلة إبن بطوطة ،ص ٧٩ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٢٦٢ - الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ، ص ٢٣٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٣٢ - حمد الجاسر : في شمال غرب الجزيرة العربية ،ص ١٨٥ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) رحلة إبن بطوطة ، ص ٧٩ - الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة إبن رشيد الأندلسي ،تحقيق حمد الجاسر ،مجلة العرب ، ج ٥ ،س ٣ ذو القعدة سنة ١٣٨٨هـ ، شباط (فبراير) سنة ١٩٦٥م ،ص ٤٥٨ - ابن طولون : البرق السامي ،ص ٨٧٣ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٦٣ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

وهي تبعد عن المدينة المنورة ٣٢٢ كيلومتراً ، وعن دمشق ٩٨٠ كيلومتراً ، وعن تبوك ٢٨٨ كيلومتراً .(١)

وفي سنة ٧٤٤ هـ ، اشتد الحر بوادى الأخيضر على حجاج الركب الشامي وهم رجوع ، فمات منهم جماعة عطشاً وكان السبب في ذلك أن أمير الحج في الذهاب ضرب الموكلين بعمل الفساقي بسبب قلة ما بها من الماء فلما عاد الحاج من الحجاز لم يجدوا ماء بالفساقي لأنهم حقدوا على أمير الحج وما فعله بهم ، ولما وصل أمير الحج اقتتل الحجاج على البئر فمات منهم خلق كثير من الزحمة والعطش .(٢)

ثم تسير القافلة بين جبلين متباعدين فتصل إلى منطقة هدية ، وهو شعب مسيل به نخل ، وماؤه من أروى المياه . وسمومها يورث الحميات ، وبعض الأحيان يكون ماؤه طيباً عند وجود السيول ويؤخذ إليها في خمس مراحل ، وتقع عند تقاطع خط العرض ٢٣ - ٢٥ شمالاً ، بخط الطول ٤٤ - ٣٨ شرقاً .(٣)

---

(١) سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٦ .

(٢) إبن حجر ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ٧٩ - إبن طولون : البرق السامي ، ص ٨٧٤ - رحلة البلوى : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، ج ١ ، ص ٢٧٩ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٦٣ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٢٠٩ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٧٨ .

ثم يرحل الركب إلى عيون حمزة ،ويؤخذ إليها في خمس مراحل ، ويرد ماءها . وهذه المسافة شاقة هلك فيها الكثير من الحجاج لصعوبة الطريق مثل إجتياز العقبة السوداء ،ووادى العظام ، ولإجتياح السيول لهذه المنطقة ،ومن عيون حمزة يتأهب الحجاج لدخول المدينة المنورة .(١)

أما من يريد مكة فيسير من المدينة المنورة إلى ذى الحليفة ،ويسمى بئر علي ،وهو ميقات حجاج الشام ،ويبعد عن المدينة المنورة بمرحلة واحدة ،وبه آبار كثيرة ،ومنه يحرم الحاج ويهلون بالتلبية .(٢)

ثم يرحل الركب إلى الصفراء ويؤخذ إليها في ثلاث مراحل ، ثم يصل إلى بدر ،وهي قرية تشتهر بحدائق النخيل ،وبها عين فوارة يجرى ماؤها .(٣) وبين ذى الحليفة والصفراء بئر في رأس بني سالم حفرها ابن الداية ،وهي تملأ الفسقية التي حفرها الأمير طاز(٤)

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٧٨ .

(٢) الجزيرى : المصدر السابق ،ص ١٢٦٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٢ ،ص ١١٤ .

(٤) الأمير طاز بن عبدالله الناصرى: أحد أعيان الأمراء بديار مصر وهو الذى كان سبباً في خلع السلطان حسن وتولية أخيه الملك الصالح ،ووقع له حوادث إلى أن قبض عليه ،وأخرج لنيابة حلب ، توفي سنة ٧٦٣هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ، ص ٣٥٨) .

أحد أمراء المماليك.[١]

ثم يسير الركب إلى رابغ ،ومنها يحرم حجاج مصر والمغرب ،وهي قرية على الساحل بها الكثير من المزارع ،وتشتهر بالسمك.[٢]

أما في العودة فيأخذ الركب الشامي طريقه مرة ثانية إلى المدينة المنورة ، ولذلك فهو الركب الوحيد الذى يزور الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، مرتين ،وفيها يسير إلى الحسا ،ومنها إلى زيزا ثم دمشق دون أن يدخل إلى بصرى وزرع بل يسير يساراً إلى أزرعات ،أو يميناً في الطريق الوسطى على تيماء.[٣]

وفي سنة ٦٨١ هـ حج بالناس من الشام بدر الدين الصوابي[٤] ، ودفع من ماله ما كان يؤخذ من الحجاج بطريق الشام بسبب مداراة العربان ،

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ٧٨ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٦٤- الموسوى : رحلة الشتاء والصيف ،ص ٢٤٢ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٦٤ - ١٢٦٥.

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٦٥.

(٤) بدر الدين الصوابي الحبشي : أصله من خدام الطواشي صواب العادلى ، ولي تقدمة المماليك أكثر من أربعين سنة ، كما شغل وظيفة أمير مائة ، ومقدم ألف ،وتوفي سنة ٦٩٨ هـ. (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ج ١ ،ص ١٨٣).

يكون ذلك نحو ثلاث آلاف درهم ،وكان يلحق بكل جمل عشرون درهماً ، وذلك من ديوان الملك الظاهر بيبرس ،وكانوا يكتبون الجمال في الكرك ويجبون من الحجاج طول الطريق ،ويفرق أول بأول على أهل الطرقات والمجاورين (١) .

وفي سنة ٨٢٧ هـ كان أمير الحج قراسنقر كاشف الفيوم فحصل للحاج مشقة عظيمة أثناء الطريق من عطش وهم في طريق الرجعة بمنطقة حوران بسبب تراكم الرياح ،فرحل نائب دمشق تنبك البجاسي بالزاد والماء ،وفرق عليهم البغال ،فانتفع بها الغني والفقير (٢) .

وفي سنة ٨٤١ هـ نزل بركب الحج الغزاوى ومن انضم إليه من أهل الرملة ،وأهل القدس ،وبلاد الساحل وأهل ينبع لما نزلوا في عودتهم من مكة بوادى عنتر قريبا من الأزلم بلاءٌ عظيمٌ . فقد خرج عليهم من عرب بلى نحو أربعين فارساً ،ومائة وعشرين راجلاً يطلبون منهم مالاً فأما الينابعة فإنهم جبوا لهم مبلغاً من الذهب ،ودفعوه إليهم فكفوا عنهم وتركوهم ،وأما الركب الغزاوى فاستعد مقدمهم ورمى العرب بالنشاب وقتل منهم ثلاثة فحملوا عليه حملة منكرة وراحوا يقتلون ويأسرون وينهبون ،وأخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها ،وعليها من المال والمتاع والبضائع والذهب والفضة (٣) .

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٠٧ .

(٢) الجزيرى : المرجع السابق ،ص ٧٠٨ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٩٠ - ٩١ .

٤ - طريق الحج العراقي

(درب زبيدة)

قبل أن أبدأ في وصف طريق الحج العراقي في الفترة موضوع البحث تجدر الإشارة إلى أن هذا الطريق كان موضع العناية من قبل الخلفاء الأمويين ، ثم أزدادت العناية به من قبل الخلفاء العباسيين منذ قيام دولتهم وحتى سقوطها على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ بوصفه الطريق الذى تشرف عليه الدولة العباسية صاحبة السيادة على الحرمين الشريفين حيث كانت تخرج من الكوفة قافلة الحج الرئيسية التي تشمل حجاج العراق وخراسان وفارس وبقية بلاد المشرق الإسلامي يتقدمها أمير الحج . فقد اهتم الخلفاء العباسيون بعمارة هذا الطريق الذى يزيد طوله على ١٤٠٠ كيلومتر ، وبتزويده بالمرافق من أجل راحة الحجاج مثل بناء القصور والحصون والبرك والآبار ،واقامة الأميال ،ورصف بعض أماكن الطريق الوحلة ،وتمهيد المناطق الجبلية والأماكن الوعرة ،وتعيين ولاة في الطريق لتفقد أحوال ومعالم الطريق ،بل جاوز الأمر الخلفاء إلى زوجاتهم ، فالسيدة الخيزران زوجة المهدى قامت بإنجازات كثيرة على جادة الطريق ،والسيدة زبيدة ،زوجة الرشيد اهتمت بتوفير المياه على طول الدرب ،وبلغت ضخامة ما قامت به من أعمال البر بهذا الطريق أن أصبح يعرف بدرب زبيدة .

وكان هذا الدرب وما أقيم به من منشآت ومرافق في العصر العباسي خاصة موضوعاً لدراسات جامعية جادة يأتي على رأسها كتاب الدكتور سعد الراشد الذى نال به درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٧م وعنوانه

(درب زبيدة وطريق الحج من الكوفة إلى مكة) وبحوثه الأخرى عن هذا الدرب [(١)] . وأيضاً رسالة الماجستير للدكتور سليمان عبدالغني مالكي من كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨م وموضوعها (مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية) [(٢)] وكذلك رسالة الماجستير للأستاذة ملك الخياط من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ، وموضوعها (السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني) [(٣)] .

ومن الدراسات الجادة أيضاً عن هذا الدرب تلك التي قام بها الرحالة لويس موزل بعنوان (طريق الحج العراقي القديم) والمنشور في مجلة العرب ،ج٣ ،رمضان سنة ١٣٩٢هـ / اكتوبر سنة ١٩٧٢م .

---

(١) (Darb Zubaydah . The Pilgrim Road from Kufa to Mecca , Riyad University Libraries, Riyad 1980)

وكذلك بحثه بعنوان (شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحاج من الكوفة إلى مكة) - مجلة كلية الاداب - جامعة الرياض المجلد الخامس ،سنة ١٣٧٧هـ ،وبحثه الثاني عن درب زبيدة في العصر العباسي ،مجلة الدارة ١/ ٤ سنة ١٣٩٨هـ .

(٢) عن طريق الحج العراقي انظر الرسالة (لم تطبع) ،ص ٥٨ .

(٣) عن طريق الحج العراقي وأعمال السيدة زبيدة ،انظر الرسالة المذكورة (لم تطبع) ص ١١٠ - ١٩٨ .

وتلك التي قام بها الباحث سيد عبد المجيد بكر وضمنها كتابه القيم (الملامح الجغرافية لدروب الحجيج) فقد أفرد القسم الأول من هذا الكتاب لدرب الحج العراقي.(١)

ويأتي على رأس البلدانيين والرحالة المسلمين الذين وصفوا هذا الطريق في العصر العباسي أبو اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) في كتابه المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، وابن خرداذبه (ت بعد ٢٧٢هـ) في كتابه المسالك والممالك. واليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ) في كتابه البلدان، وابن رسته (ت ٣٦٠هـ) في كتابه الأعلاق النفيسة، وأبو الفرج قدامه بن جعفر (ت فيما بين ٣١٠ هـ - و٣٣٧ هـ) في كتابه الخراج وصنعة الكتابة، وأبو محمد الحسن يعقوب الهمذاني (ت ٣٣٤هـ) في كتابه صفة جزيرة العرب، والمقدسي (ت حوالي ٣٩٠ هـ) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وابن جبير الذى صحب ركب الحج العراقي في عودته من مكة إلى المدينة المنورة ثم إلى الكوفة سنة ٥٨٠ هـ، وقد قام سيد عبد المجيد في دراسته لدرب الحج العراقي بمقارنة منازل هذا الدرب كما وردت في كتب هؤلاء البلدانيين والرحالة المسلمين، وبيان نقاط الخلاف بينهم، وانتهى من هذه الدراسة إلى أن المنازل الرئيسية من الكوفة ومكة المكرمة هي :

---

(١) مطبوعات تهامة : الكتاب الجامعي، رقم ٦، جدة - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م، ص ١٧ - ٧٠.

القادسية - العذيب - المغيثة - القرعاء - واقصة - العقبة - القاع - زبالة - الشقوق - البطان - الثعلبية - الخزيمية - الأجفر - فيد - توز - سميرا - الحاجر - النقرة - مغيثة - الماوان - الربذة - السليلة - عمق - معدن بني سليم - الافيعية - المسلح - غمره - ذات عرق - بستان بني معمر - مكة المكرمة .[١]

غير أن العراق منذ سقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ، وحتى مطلع القرن العاشر الهجرى - وهي الفترة التي تقابل العصر المملوكي في مصر والشام تعاقب في حكمه المغول لايلخانيون ، ثم الجلائريون ، ثم التيموريون ، ثم تركمان قبيلة قراقيونلو ، ثم تركمان قبيلة آق قيونلو ، وأخيرا الصفويون ، واتسمت أحواله بكثرة الحروب والفتن الداخلية التي نشبت بين هذه الأسرات التي تعاقبت في حكمه . وكان لاضطراب أحوال العراق في هذه الفترة أكبر الأثر في عدم إنتظام خروج قافلة الحج العراقي وإنقطاع الحج عن طريق هذا الدرب في معظم السنوات . وفي أحيان كثيرة كان حجاج العراق وخراسان وفارس وبقية بلاد المشرق الإسلامي يتوجهون إلى الشام لتضمهم قافلة الحج الشامي . فلم يكن يستخدم هذا الطريق إلا عندما كان استقرار الأحوال في بغداد يسمح بتيسير قافلة الحج العراقي ، مثال ذلك ما حدث سنة ٦٦٦ هـ ، وما حدث سنة ٧٢٠ هـ عندما سير سلطان المغول أبو سعيد خربندا قافلة الحج بعد أن تم الصلح بينه وبين سلطان المماليك الناصر محمد بن قلاوون في هذه السنة ، وما حدث سنة ٧٢٦هـ ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٦ - ٣١ .

وهي السنة التي عاد فيها إبـن بطوطـة مع قافلة الحج العراقي من مكـــة إلى المدينة و منها إلى بغداد .

غير أنه ما أن مات السلطان أبو سعيد خربندا سنة ٧٣٦ هـ حتى اضطربت أحوال العراق مرة أخرى ،وأدى ذلك إلى توقف قافلة الحـــج العراقي لمدة إحدى عشرة سنة متتالية . ومن الملاحظ أنه خلال النصـــف الثاني من القرن الثامن الهجرى ،والقرن التاسع الهجرى قل إستخدام هذا الطريق ،كما قلت أعداد الحجاج السالكين له . كما أننا طوال هذه الفترة الطويلة تفتقـر فيما عدا رحلة ابن بطوطـة - إلى المصادر التاريخية التـــي تصف هذا الطريق ،وتتحدث عن أية أعمال من أعمال البر التي أقيمت بـــه لخدمة الحجاج .(١)

فابن بطوطـة الذى عاد مع ركب الحج العراقي عن هذا الطريـــق إلى بغداد عدد منازله على هذا النحـو (مكة المكرمة - بطـن مـــرّ -

----

(١) انظر في هذا الصدد :
Saad Al Rashid : Darb Zubaydah The Pilgrim Road from Kufa to Macca, ch. 4, The Road during later periods p.p. 57-91.

- هذا وقد ذكر ابن تغرى برد ى (النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ،ص ٣٢٢) . في حوادث سنة ٨٣١ هـ قدوم محمل العراق أربعمائة جمل بعد انقطاعه سنين طويلة .

عسفان - خليص - بدر - وادى الصفراء - المدينة المنورة - وادى العروس - العسيلة - النقرة - الحاجر - سميراء - وادى الكروش - فيد - الأجفر - زرود - الثعلبية - بركة المرجوم - المشقوق - ذات التنانير - زبالة - الهشمين - عقبة الشيطان - واقصة - العذيب - القادسية - مشهد علي - بغداد) . [١] وهذا الوصف يختلف في كثير من المواقع عما ذكره البلدانيون والرحالة المسلمون في العصر العباسي .

كما أن الجزيرى في وصفه لهذا الطريق يختلف مع هؤلاء البلدانيين والرحالة المسلمين ،وخاصة بعد منطقة واقصة ،فيذكر الجزيرى بعد واقصة منطقة خاديت ،ثم زرور ، ثم الأجفر - ثم مرشيت - ثم فنن - ثم تخت سليمان - ثم عاج - ثم بويرات ، فذات عرق - وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر محقق كتاب درر الفرائد للجزيرى أن طريق الحج العراقي منازله واضحة ومعروفة في كثير من كتب المسالك وليس من بينها هذه الأسماء [٢] . وكيفما كان الأمر فإن وصفنا لهذا الطريق في الفترة موضوع الدراسة - وهي العصر المملوكي تعتمد بصفة أساسية على وصف ابن بطوطة والجزيرى له .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٧ - ١١٩ - لويس موزل - طريق الحج العراقي القديم - مجلة العرب ،ج ٣ ،رمضان سنة ١٣٩٢هـ ، اكتوبر سنة ١٩٧٢م ،ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦ ،حاشية رقم ٣ .

وصف طريق الحج العراقي (درب زبيدة):

تبدأ مسيرة قافلة حجاج العراق من منطقة بغداد بعد أن يلتئم شمل القافلة ،ويكتمل جمعها فتصل صرصر (١) على مرحلة -انظر خريطة رقم (٧) -.
ثم ترحل إلى فراشة (٢) وتؤخذ إليها في مرحلتين ،ثم إلى شط الفرات ويؤخذ إليه في مرحلة واحدة ،ثم ترحل القافلة إلى مدينة الحِلّة (٣) على مرحلة واحدة ،وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقيها ،وبها أسواق جامعة للمرافق والصناعات ،وهي كثيرة العمارة ،وحدائق النخيل تكثر بها . ثم تصل القافلة إلى بئر سلامة ،ويؤخذ إليه في مرحلتين (٤).

---

(١) صرصر : بالفتح وتكرير الصاد ،أصله صرصر من الصر أى البرد ، وصرصر في طريق الحاج العراقي من بغداد ،وكانت تسمى قديماً قصر أو صرصر الدير . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ،ص ٤٠١).

(٢) فراشة : بفتح أوله ،وتخفيف ثانيه فراش القاع والطين ،وهي قرية زراعية مشهورة في سواد بغداد ينزلها الحاج . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٢٤٣).

(٣) الحِلّة : بالكسر ثم التشديد مدينة كبيرة بين الكوفة و بغداد ،كانت تسمى الجامعين طولها سبع وستون درجة وسدس ،وعرضها إثنتان وثلاثون درجة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ، ص ٢٩٤).

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ،ص ١٢٧٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٥٠ .

ومنها تتجه القافلة بعد ذلك إلى منطقة الكوفة على مرحلتين ،وهي نقطة الإلتقاء والتجمع للحجاج القادمين من بغداد ، ومن المدن والقرى الواقعة في آسيا شرقي العراق . وتبعد ١٦ كيلومتراً شرقي النجف في جنوبي غربي بغداد ، وتبعد عنها ١٥٦ كيلومتراً ،وهي أرض منبسطة سهلة ،بها جامع كبير،وتقع قرب تقاطع خط العرض ٥ - ٣٥° شمالاً ،بخط الطول ٢٥ - ٤٤° شرقاً ، وهي مثوى الصحابة والتابعين ،ومنزل العلماء (١).

ثم يرحل الركب من الكوفة وينزل مشهد الامام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ،ويسمى النجف (٢) ،ويؤخذ إليه في مرحلة ،وهي تعتبر محطة هامة على طريق الحج العراقي ،وتقع جنوبي الكوفة ،وتعتبر حداً بين الصحراء ووادى الفرات . وهي مدينة فسيحة مربعة الشكل يحيط بها جدار إرتفاعه ٣٠ قدماً ،وبها ٣٠ مسجداً و ١٥ مدرسة ،وهي عامرة

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ص ١٢٧٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٥٠ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٣٤ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ١٠٠ - ملك خياط - السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني ،رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠١هـ ، ص ١١٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة حتى سقوط الخلافة العباسية ،ص ٥٨.

(٢) النجف : بالتحريك تقع بظهر الكوفة ،وتمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة وبالقرب منها قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ياقوت: معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٢٧١).

بالأسواق والزوايا ،وتكثر بها بساتين النخيل ،وفي جنوبها الغربي بعض الهضاب[(١)] .

ومنها إلى القادسية[(٢)] ،وهي قرية كبيرة بها الكثير من حدائق النخيل ،وهي على مرحلة واحدة من النجف ،والمسافة بينهما ١٥ ميلاً ،وتقع على جانب بادية العراق ،وبها كانت وقعة القادسية في فتح العراق سنة ١٦ هـ بقيادة سعد بن أبي وقاص ،ويقيم فيها الركب يوماً[(٣)] .

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ١٥٣ - رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٩ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٢٧٥ - أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٤٩ -سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٣٥ .

(٢) القادسية : منطقة من مناطق درب الحاج العراقي ، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ،وطولها تسع وستون درجة ، وعرضها احدى وثلاثون درجة وثلثا درجة ،وبها كانت وقعة القادسية بين المسلمين والفرس . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٢٩١) .

(٣) رحلة ابن جبير ،ص ١٥٣ - رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٩ -الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ٩٩ -سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٣٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٥٨ . - ملك خياط - السيدة زبيدة ودورها السياسي ،ص ١١٦ .

ثم يتجه الركب إلى منطقة العذيب (١) وهو واد خصيب، ويؤخذ إليه في مرحلة واحدة، وتعتبر أول منازل البر، وبين القادسية والعذيب أقل من ٦ أميال، وتقع قرب تقاطع خط العرض ٢٤ - ٣١ شمالاً، بخط الطول ٢٠ - ٤٤ شرقاً (٢). وتعرف الان بإسم عين السيد (٣)، وفيها قال الشاعر:

(٤)
لا نوما ولا قرارا حتى ترى لي بالعذيب نارا

---

(١) العذيب: هو ماء بين القادسية والمغيثة، وبينه وبين القادسية أربعة أميال، والى المغيثة إثنان وثلاثون ميلاً، وهو وادى لبني تميم، ومنزل من منازل الحج العراقي.
(ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٢).

(٢) رحلة ابن جبير، ص ١٥٣ - رحلة ابن بطوطة، ص ١١٩ - الجزيري: درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ٣٦ - سليمان مالكي: مرافق الحج والخدمات المدنية، ص ٥٨.

(٣) حمد الجاسر: طريق الحيرة إلى مكة، مجلة العرب، ج ٥، ٦ س ١٤ ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٩٩هـ، ص ٣٦٤.

(٤) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٣٦ - ملك الخياط: السيدة زبيدة، ص ١١٦.

ثم تواصل القافلة سيرها إلى منطقة الرحبة(١) ، وتؤخذ إليها في مرحلتين ، وهي قرية عامرة بحذاء القادسية يجرى بها الماء من عين تابعة في أعلى القرية ، وبها خان(٢) ، ويتزود الحجاج بالماء قبل رحيلهم إلى سلمى ،وهى إحدى جبلى طئ ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ،وإلى الغرب من جبل سلمى وادى يسمى رك ويقصده حجاج الركب العراقي لوجود الماء به ،ويقيم الحجاج بها يوماً.(٣)

وتتابع القافلة سيرها إلى الجنوب الغربي فتصل القرعاء(٤) ويكون قد مر الركب ببركة حمد عند تقاطع خط العرض ١٥َ- ٣١ْ شمالاً ، بخط الطول ٣َ- ٤٤ْ شرقاً ،ويحتمل أن تكون القرعاء بعد بركة الحمام ،

---

(١) الرحبة : بضم أوله وسكون ثانيه ،قرية بحذاء القادسية على مرحلة واحدة من الكوفة على يسار الحجاج اذا أرادوا مكة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ٣٣).

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٥٣ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٣٧ .

(٣) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٥٨ .

(٤) القرعاء : سميت بذلك لقلة نباتها ،وهو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة ،وقبل واقصة ،وبين القرعاء وواقصة ثمانية فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٣٢٥).

ثم يصل إلى بركة المسيجيد عند تقاطع خط العرض ٣١ شمالاً ، بخط الطول ٥٨ - ٤٣° شرقاً ، وفي جنوبها الغربي بركة السمعية ، وبانحراف قليل نحو الشمال الغربي توجد شراف (١) ، والمسافة بينهما قدرت بميلين ، وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٣٧ - ٣٠° شمالاً ، بخط الطول ٤٥ - ٤٧° شرقاً (٢) ، وبها بركة تعرف باللوزة ، وثلاثة آبار كبار عمقها أقل من عشرين قامة ، وماؤها عذب (٣) .

ثم تتابع القافلة سيرها إلى واقصة (٤) ، وتعتبر من أشهر مناهل طريق الحج العراقي ، وهي على أربعة مراحل من القرعاء ، وماؤها من البرك والآبار . بينها وبين الكوفة ثلاثة أيام ، وتبعد عن النجف ٩٤ ميلاً ،

---

(١) شراف : بفتح أوله وآخره فاء ، وثانيه مخفف فعال من الشرف وهو العلو ، وتقع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء التي لبني وهب ، ومن شراف إلى واقصة ميلان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣١) .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٣٨ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٤) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة ، وقبل العقبة لبني شهاب من طيء ، وهي دون زبالة بمرحلتين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٥٤) .

ومن القرعاء الى واقصة ٢٤ ميلاً ،وبين بركة المغيثة وواقصة ٥٦ ميلاً أى ٨٨ كيلومتراً تقريباً. وهي تقع عند تقاطع خط العرض ٣٦ - ٣٠° شمالاً ، بخط الطول ٤٦ - ٤٣° شرقاً ،وبها الدور والقصور ،ولذلك يجتمع إليها التجار عند قدوم الحجاج من الحجاز فيبيعون عليهم التمر والفواكه وغيرها.(١)

بعد ذلك تتجه القافلة إلى خاديت(٢) ويؤخذ إليها في أربع مراحل(٣) ثم تواصل سيرها فتصل إلى منطقة زرود(٤) ويؤخذ إليها

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٨ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦- أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ،ج ٢ ،ص ٢٥٠ - على محسن مال الله : أدب الرحلات ،ص ٢٧٤ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ٩٩ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص ٣٨ - ٣٩ - ملك خياط : السيدة زبيدة ،ص ١١٧ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٥٨.

(٢) خاديت : تسمى أخاديد جمع أخدود ، وهو اسم المنزل الثالث من واسط للمصعد إلى مكة ،وهي ركايا في طريق البسر ،وبها قباب وماؤها عذب. (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ١١٨).

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦.

(٤) زرود : لعلها سميت بذلك لابتلاعها الماء التي تمطرها السحائب لأنها رمال ، وهي بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحج من الكوفة إلى مكة (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ١٣٩).

في ست مراحل من خاديت . ولقد خلط أغلبية المؤرخين القدماء بأن زرود هي الخزيمية ، غير أن زرود هي منخفض منبسط من الأرض ، وهي منطقة رملية واسعة ،ويطلق عليها شامة زرود ،وهي بين الثعلبية والخزيمية ،وهي بداية حدود الحجاز (١) . وتقع عند تقاطع خط العرض ٥٠َ - ٢٧° شمالاً ، بخط الطول ١٢َ - ٤٣° شرقاً . ومن الشمال الغربي من زرود تقع منطقة الهاشمية عند تقاطع خط العرض ٥٥َ - ٢٧° شمالاً ، بخط الطول ٠٦َ-٤٣° شرقاً . وتقع الخزيمية إلى الجنوب من الوسيط ،وإلى الجنوب من زرود بميل قليلا نحو الجنوب الغربي تقريباً ، والهاشمية في شمالها الغربي (٢) .

ثم تتجه القافلة نحو الجنوب الغربي فتعبر عرق الأبيتر ، ووادى الخوير حتى تصل إلى منطقة الأجفر (٣) ،ويؤخذ إليها في

---

(١) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٥٩ .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ١٥١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ، ص ١٢٧٦ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ٩٩ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٤٥ - ملك خياط : السيدة زبيدة ودورها السياسي ، ص ١٢٦ .

(٣) الأجفر : بضم الفاء جمع جفر وهو البئر الواسعة ،موضع بين فيد والخزيمية ،وبينها وبين فيد ٣٦ فرسخاً نحو مكة . (ياقوت: معجم البلدان ،ج ١ ،ص ١٠٢) .

مرحلتين ،وتقع عند دائرة عرض ٢٨-٢٧° شمالاً ،وبها بعض الآبار والبرك ،كما تكثر بها بعض الصخور الرسوبية ،وبين الخزيمية والأجفر ٢٤ ميلاً ،وتمر القافلة بجبال الأجفر ،ويطلق عليها المؤرخون القدماء عقبة الأجفر ،وهي لبني سوادة من بني أسد ،وتوجد قرب تقاطع خط العرض ٢٩-٢٧° شمالاً ، بخط الطول ٤٣° شرقاً. وبين الخزيمية والأجفر كثير من الآبار والبرك من أعمال خلفاء بني العباس ،مثل بركة خالصة للخيزران على يمنة الطريق ،وتعتبر منهلاً من مناهل الطريق.(١)

ومن الأجفر تسير القافلة إلى مرشيت ،وهي على ست مراحل ، ثم تتجه إلى منطقة فنن ،وهي على أربع مراحل ، وهو جبل قرب سميراء.(٢)

ومن فنن ترحل القافلة إلى تخت سليمان ،ويؤخذ إليه في أربع مراحل.(٣) ويقع تخت سليمان قرب عين صبر ،ويبعد

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ١٥١ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦- الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ٤٥ - ملك خياط : السيدة زبيدة ودورها السياسي ،ص ١٢٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٥٩.

(٢) ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ٢٧٦ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦.

(٣) الجزيري : نفس المصدر والصفحة.

عن العقبة مسيرة ليلتين ،وبه ماء قديم من الجاهلية ،وسمي بذلك نسبة إلى سليمان الحميرى ،ويقال أنه لبني أسد ،وقد نزله بنو ضبة ، وبنو نمير ،ويرتبط تخت سليمان بيوم من أيام الجاهلية ،ويعتبر من الأيام المشهورة بين وائل وبني تميم .(١)

ثم ترحل القافلة إلى عاج ،ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، وهو اسم جبل في وادى عاج بقرب ماوان .(٢)

ثم تتجه القافلة إلى بويرات ،وهي قرب وادى القرى ،ويتزود منها الحاج بالماء من آبارها ،ويؤخذ إليها في ثمان مراحل .(٣)

ثم تواصل القافلة سيرها حتى تصل إلى ذات عرق (٤) ،ويؤخذ إليها في ست مراحل ، وهي ميقات أهل العراق ،فمنها يحرم الحاج ويهللون بالتلبية ،وسميت بذات عرق نسبة إلى عرق أبيض بالجبل .

----

(١) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٥٩ .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦ .

(٣) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص٥٩ .

(٤) ذات عرق : منهل من مناهل الحاج العراقي ،وهو الحد بين نجد وتهامة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ،ص ١٠٧) .

وعلى بعد ميلين ونصف منها مسجد رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، وبها حوالي ٣٠ بئرا ،ويوجد بها قصر وبركة ماء.(١)

ثم ترحل القافلة إلى وادى نخلة (٢) ، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، وهي من أحسن وديان مكة لكثرة الماء والزرع بها ، ومنها يتأهب الحجاج لدخول مكة من أعلاها ،ثم تدخل القافلة إلى مكة على مرحلة واحدة.(٣)

أما من يرد المدينة المنورة فيأخذ طريقه من الأجفر فيصل سميراء (٤) ،وهي على مرحلتين ،وتمتد في خط مستقيم لمسافة ٣ كيلومترات

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٦ - سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٦٧ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٦٠ .

(٢) وادى نخلة : من أودية الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين ،إحدى الليلتين من مكة يجتمع إليها حاج اليمن ونجد ومن جاء إليها من نفس الطريق ،وعمان وهجر فيجتمع حاجهم . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٢٧٨).

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٧ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٦٠ .

(٤) سميراء : بفتح أوله وكسر ثانيه بالمد ،وقيل بالضم ،وهو منزل بطريق مكة بعد توز مصعداً ،وقبل الحاجر ،وسمي سميراء لأن حوله آكام ،وجبال سود . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ١٢٥٤).

من الشمال الشرقي حتى الجنوب الغربي ، وعرضه كيلومتر على ضفتي وادى سميراء ،وبها بركة مستطيلة في الجنوب الغربي ،ويوجد آثار بركتين متداخلتين في الجهة الشمالية من الوادى ،وأساس قلعة مبنية من اللبن ، وفي شمال شرقي الوادى يوجد أحواض للمياة على شكل أقواس متداخلة متصلة بعضها ببعض ،كما توجد آثار مباني سور محيطه بالمدينة على شكل تلال تنتهي بأساسات مبنى كبير من اللبن على شكل قصر بواسطة آثار أساسات مسجد مبني بالآجر واللبن (١) . ومياه آبار سميراء عذبة ظاهرة الحلاوة ،توجد عند تقاطع خط العرض ٢٩ً - ٢٦ْ شمالاً ، بخط الطول ٧ً - ٤٢ْ شرقاً ،وهي عند لقاء وادى العقيلة ،وأهلها يبيعون للحجاج التمر والعسل والسمن واللحم ،وبها بعض الآبار والبرك (٢) .

ثم ترحل القافلة إلى النقرة (٣) ويؤخذ إليها في مرحلتين ،

---

(١) صلاح الحلوة : نيل ماكنزى : التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة سنة ١٣٩٩هـ ،سنة ١٩٧٩م ،أطلال ، حولية الاثار العربية السعودية ،العدد الرابع ،سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م لوحة ٤ ب ،ص ٤٥ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٧ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ١٠٠ - سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٥٢ .

(٣) النقرة : كل أرض منصوبة في وهدة فهي نقرة ،وبها سميت النقرة بطريق مكة ،ويقال لها معدن النقرة ،وبها بركة وثلاث آبار ،بئر تعرف بالمهدى ،وبئران تعرفان بالرشيد ،وآبار صغيرة للاعراب ===

وهو ماء مالح لا يستطاب طعمه ،وهي قرب خط طول ٦٧-٤١° شرقاً ،ودائرة عرض ٣٧-٢٥° شمالاً ، ومنها يخرج طريق الحج إلى المدينة المنورة ، وإلى مكة المكرمة نحو الجنوب ،وبها مصانع وآبار للمياه ،وهي منطقة سهلة منبسطة . ويوجد نقرتان وهما منهلان ،نقرة شمالية ،وأخرى جنوبية ، وبينهما مسافة لا تزيد عن ٣ كيلومترات ،وطريق الكوفة مكة يمر إلى الشرق منهما ،أما طريق المدينة فيمر إلى الجنوبية ،وبها ثمانية أعلام للأميال علمان للدخول ، وعلمان للخروج ،وعلمان لطريق البصرة ،وعلمان لطريق المدينة المنورة ، وبها قصر وبركتان (١) وقد جرت العادة أن يذهب الركب العراقي إلى مكة لتأدية فريضة الحج ثم يعطف بعد ذلك إلى المدينة المنورة ،لذلك فهو يأخذ في السير من النقرة على طريق مكة إلى مغيثة ثم الربذة حتى يصل إلى ذات عرق (٢).

ثم تتجه القافلة إلى وادى العروس ،ويؤخذ إليه في خمس مراحل ، وهو ماء عذب ، ويتزود الحجاج بالماء بعد

=== تنزح عند كثرة الناس وماؤهن عذب ،وعندها يفترق الطريق ، فمن أراد مكة نزل المغيثة ،ومن أراد المدينة سار نحو العسيلة (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٢٩٨-٢٩٩).

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٧٧ - سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ٥٤-٥٥ - الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ١٠٠ - صلاح الحلوة : نيل ماكنزى : التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة ،سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ،أطلال - حولية الآثار العربية السعودية ،العدد الرابع ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م لوحة ٣٤ ، ص ٣٦.

(٢) ريتشارد مورتيل : مكة وعلاقاتها التجارية ، ص ١٠٠.

أن يحفروا في الأرض فينبع الماء ويروى أغلبية الحجاج ، ثم تصل القافلة إلى المدينة المنورة فيؤخذ إليها في أربع مراحل (١) وقد أشارت المصادر إلى تعرض قافلة الحج العراقي إلى إعتداءات العربان في العصر العباسي (٢) . إلا أنه في الفترة موضوع إهتمامنا وهي العصر المملوكي لم تشر لنا المصادر بشيء إلى ذلك إلا مرتين.

ففي سنة ٧٢٠ هـ اهتم أبو سعيد بن خربندا بإمرة الحج العراقي فحلي المحمل بالحرير ، ورصعه بالذهب واللؤلؤ والياقوت وأنواع الجوهر، إلا أن ألف فارس من عرب البحرين خرجوا عليهم ، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار ، ولكن عندما علموا أنهم مسيرون من قبل السلطان الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر إلى الحجاز ، عدلوا أن يأخذوا منهم أى شيء ، وبذلك أغدق الناصر محمد عليهم هباته وعطاياه (٣).

وفي سنة ٨٣٠ هـ خرج عرب الشرق من الحجاز على ركب الحج العراقي فنهبوه ، وذهب الكثير من الأموال للتجار (٤).

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١١٧ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ١٢٧٧ .

(٢) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ٦٨ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - المقريزى : السلوك ، ج ٢/١ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ - ابن فهد : إتحاف الورى ، تحقيق فهيم شلتوت ، ج ٣ ، ص ١٧١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ .

٥ - طريق الحج اليمني

هناك عدة طرق برية للحج اليمني ،الطريق العليا ،وطريق تهامة .
ويفترق إلى طريقين طريق ساحلي واخرى متوسطة بين الطريق العليا والساحلية لكنهما يلتقيان في منطقة السرين .(١)

فأما الطريق العليا فقد وصفه الجغرافيين المسلمين الأوائل اليعقوبي ،والحربي ،والهمذاني ،وابن قدامة ،غير أن الحربي يعتبر أوفى هؤلاء الجغرافيين في وصف منازل هذا الطريق(٢) . هذا ولم يعرض لوصف هذا الطريق في العصور الإسلامية المتأخرة أحد من الجغرافيين والرحالة المسلمين ،ولذلك فإن إعتمادى في وصفه على الحربي في كتابه المناسك .(٣)

وأما طريق تهامة -فهو الذى كان يفضله حجاج اليمن لأنه يمر عبر الأراضي الزراعية حيث تتوفر المياه والغذاء والمناطق المأهولة بالسكان. ويعتبر الهمذاني والحربي أكثر الجغرافيين المسلمين الأوائل دقة في وصف هذا الطريق(٤) ، غير أن الجزيرى - وهو معاصر للفترة الزمنية موضوع الدراسة ، يعطينا تفاصيل أكثر عن منازل هذا الطريق ،والمسافات بين منزلة وأخرى(٥) ،ولذلك فهو المعول عليه في وصفنا له .

---

(١) عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص ٤٢ .

(٢) انظر في هذا الصدد :
Saad Al-Rashid: Darb Zubaydah , p. 5-6.

(٣) الحربي : المناسك ،ص ٦٤٦ .

(٤) انظر في هذا الصدد :
Saad Al Rashid: Op.Cit., p. 6.

(٥) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩١ .

الطريق الداخلي : ويسمى الطريق العليا ويبدأ الطريق من مدينة صنعاء التي تعتبر قاعدة بلاد اليمن الأولى ، وهي مدينة كبيرة واسعة ،بناء منازلها بالجص والآجر ،وتشتهر بكثرة الفواكه والأشجار والزروع ،وهي معتدلة المناخ ،طيبة الماء ،وبها جامع كبير .(١) -انظر خريطة رقم (١٠) -.

ثم ترحل القافلة من صنعاء إلى الرحابة (٢) ومنها إلى ريدة (٣) ،وبينهما بركتا ماء ،وبين صنعاء وريدة عشرون ميلاً .(٤)

ثم يرحل الركب إلى رأس الحيفة ، وبعدها ما جل الطريق حتى تصل إلى ريدان (٥) ، ومنها

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) الرحابة : بضم أوله ،وبعد الألف ياء موحدة ،وهي مخلاف باليمن ،ورحاب أى واسعة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ،ص ٣٢) .

(٣) ريدة بفتح أوله ،وسكون ثانيه ،ودال مهملة ،مدينة باليمن على مسيرة يوم واحد من صنعاء ذات عيون وكروم . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ١١٢) .

(٤) الحربي : المناسك ،ص ٦٤٣ - الهمذاني : صفة جزيرة العرب ،ص ٣٣٩ .

(٥) ريدان : بفتح أوله وسكون ثانيه ،ودال مهملة وآخره نون ، وهو حصن باليمن في مخلاف يحصب . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ١١١) .

إلى خيوان [١] ،وبينهما بركة ماء تسمى ذى قين ،ثم أثافث [٢] حتى يصل إلى الفقع ،وبين ريدة وأثافث ستة عشر ميلاً ، ومن خيوان إلى خافق وبينهما بركة الرادعين ،ثم يواصل سيره إلى صالعين [٣] ، ثم العرايق ،ويمر بالأعسية ،وعرعرة الغراب حتى يصل إلى الأعين ثم إلى صعدة [٤] ،وهي مدينة آهلة بالسكان ، بها الكثير من المدابغ ، وهي خصبة عرضها ست عشرة درجة . ومنها إلى سروم الإبل فيمر بحلاحل ،وهو وادى ضيق فيصل إلى الجسيلين ،وهما جبلان عظيمان فيهما عقبتان [٥] .

---

(١) خيوان : بفتح أوله وتسكين ثانيه ،وآخره ن ،وهو مخلاف باليمن ويقال خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٤١٥) .

(٢) أثافث : بالفتح والفاء المكسورة ،اسم قرية باليمن ذات كروم كثيرة ، وبينها وبين صنعاء يومان . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٨٩) .

(٣) الحربي : المناسك ،ص ٦٤٣ - الهمذاني : صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٩ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ص ١٧٤ .

(٤) صعدة : بالفتح ثم السكون ،مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً ،وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ،ص ٤٠٦) .

(٥) الحربي : المناسك ،ص ٦٤٣ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ص ١٧٤ .

ثم ترحل القافلة إلى الفرجة فتصل إلى الثجة [(١)] ، ومن حلاحل إلى طلحة الملك [(٢)] ،وتعرف باسم طلحة ،وهي قرية تقع على الدرجة ٤٨ - ١٧° و ٣٠ - ٤٣° تقريباً [(٣)] .

ثم ترحل القافلة إلى قبور الشهداء ،ومنها الى ذات عشى [(٤)] حتى يصل إلى كتنه ،وبين كتنه والثجة عشرون ميلاً [(٥)] . ومن كتنه إلى يبنبم [(٦)] ،وبينهما الماء ،وهي على مسافة عشرين ميلاً .

---

(١) الثجة : بالضم ثم الفتح من مخاليف اليمن بينه وبين الجند ثمانية فراسخ ،وكذلك بينه وبين السحول . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٧٤ - ٧٥) .

(٢) طلحة الملك : اسم وادي باليمن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ،ص ٣٨) .

(٣) الحربي : المناسك ،ص ٦٤٣ - الهمذاني : صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ - ابن قدامة : الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩١ .

(٤) ذات عش : في الطريق بين صنعاء ومكة ،وهو منزل بين قبور الشهداء وكتنه . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ١٢٦) .

(٥) الهمذاني : صفة بلاد العرب ،ص ٣٣٩ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ص ١٧٥ .

(٦) يبنبم : بفتح أوله وثانيه ،وسكون نونه ،وهو موضع . (ياقوت: معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٤٢٨) .

ثم ترحل القافلة إلى بنات حرب ،وهي على مسافة عشرين ميلا ،وهي جبال حمرلا تزال معروفة ،تقع شمال شرق بيشة ،وهذه القرية تشتهر بالذهب ،ويكثر بها النخيل والآبار . وبين يبنبم وبنات حرب ماء بنجر وبهرجاب عشرون ميلاً[(١)] . وبهرجاب واد عظيم يقع قرب درجة ١٥-١٩° ، ٤٠-٤٢° شمالاً ويلتقي بواد بيشة .[(٢)]

ثم ترحل القافلة إلى الجسداء على اثنين وعشرين ميلاً ،ثم الميثاء فتصل إلى بيشة[(٣)] على إحدى وعشرين ميلاً .[(٤)]

---

(١) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٤ - حاشية ٣ .

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) بيشة : قرية في واد بأرض اليمن بينها وبين تبالة أربعة وعشرون ميلاً . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٥٢٩) وبها وادى بيشة وهو من أخصب الأودية ،ويأتيه الماء من جبل الحجاز ،ويزرع به الدخن والشعير والخضروات ،ويشتهر بحدائق النخيل ،وتكثر به القرى . (البركاتي : الرحلة اليمانية ،ص ٨٤) .

(٤) الهمذاني : صفة جزيرة العرب ،ص ٣٣٩ - ابن قدامة : الخراج وصنعة الكتابة ،ص ١٩٢ .

ومن بيشة ترحل القافلة إلى تبالة [١] وبينهما أحد عشر ميلاً ،ومن تبالة إلى أجرب ثم إلى كرى [٢] ،وهي حرة بني سالم، وبينهما بئر خلافة ،ثم إلى ماء بارح ثم القريحا. ومن كرى إلى تربة [٣] خمسة عشر ميلاً ،ثم إلى صفن وهو منهل على مسافة اثنين وعشرين ميلاً ،فيصل إلى أوقح ثم يمر بالفتق ،وهي بين الطائف ومكة على خط الطول من المشرق والمغرب [٤] ، وبين صفن والفتق ثلاثة وعشرون ميلا. [٥]

---

(١) تبالة : موضع باليمن وهي غير تبالة الحجاج بن يوسف الثقفي . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص٩-١٠).

(٢) كرى : يقع وسط الحرة ،وهو كثير المياه ،عيونه تجرى على وجه الأرض ،وغدرانه مملوءة بالماء ،وشجره الأثل والسمر ،ووادى كرى يصب ماؤه أسفل تربه. (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٢٤٢- البركاتي : الرحلة اليمانية ،ص ٨٩) .

(٣) تربة : بالضم ثم بالفتح وادى بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ،وحواليه جبال السراة ،وبها الزرع والنخيل والفواكه.
(ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٢١) .

(٤) الحربي : المناسك ،ص ٦٤٥ ،حاشية ٣ .

(٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ،ص ٣٣٩ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ص ١٧٥ .

ثم تواصل القافلة سيرها فترحل الى قرن [١] ، وبينهما شرب والعايب، [٢] وتعرف قرن الآن بالسيل الكبير وهي قرية . وبين نخلة [٣] ومكة المكرمة آبار الرمة ، وهي أسفل وادي نخلة ، وبها عين جارية [٤] ، ثم ترحل إلى آبار الحداء والجذامى ، ومساس الحبرى والصفاح والأنصاب ثم يدخل مكة . [٥]

---

(١) قرن : جبل مطل على عرفات ، وهو ميقات أهل اليمن والطائف ، ويقال له قرن المنازل ، وبينه وبين مكة إحدى وخمسون ميلاً ، وبينها وبين الطائف ستة وثلاثون ميلا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٢) .

(٢) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٤ .

(٣) نخلة اليمانية : واد يصب فيه يدعان ، وبه مسجد لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين ، ويجتمع بوادي نخلة الشامية في بطن مر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧٧) .

(٤) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٥ ، حاشية ٩ .
وفي عصرنا تسمى الزيمة .

(٥) الحربي : المصدر السابق ، ص ٦٤٥ .

طريـق تهامة : ويفترق إلى طريقين : طريق ساحلية تسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر وأخرى متوسطة بين الطريق العليا والساحلية .

يبدأ الركب مسيرته من مدينة تعز [(١)] ،فينزل الهئر وهو في ذيل الجبل ، ويأخذ إليها في مرحلتين ،ومدينة تعز من أحسن مدن اليمن ،وفيها يتجمع جميع الحجاج القادمين من جنوب الجزيرة العربية ، وبعض مدن اليمن . [(٢)] -انظر خريطة رقم (٩) -.

ثم يرحل الركب بعد ذلك إلى وادى الحناء ،ويؤخذ إليها في ثلاث مراحل ،ويرد ماءها . ثم يرحل بعد ذلك إلى وادى الموز [(٣)] ، ويؤخذ إليه في مرحلة واحدة ،وهو واد كثير الموز والشراب المسكر [(٤)] .

---

(١) تعز : بالفتح ثم بالكسر ،قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ١٣٤) . وتستخدم مخزناً للحبوب ،ومستودعاً للذخيرة والعتاد الحربي . (ابن الديبع : قرة العيون ،ج ١ ،ص ٢٢٩) .

(٢) رحلة ابن بطوطة ،ص ١١٦ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٩٧ .

(٣) الموز : بالفتح ثم السكون أحد مشارف اليمن الكبار من رأس تهامة الأعظم ،وإليه يصب اكثر أودية اليمن . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩٢ - سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ،ص ٩٧ .

ثم يرحل بعد ذلك إلى مدينة زبيد [١] ،ويؤخذ إليها في مرحلتين وهي دار الملك ،وبها يجتمع الركب ويتكامل [٢] . وهي مدينة عظيمة بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً ،وأهلها أغنياء ،وتشتهر بكثرة البساتين والمياه والفواكه ،خاصة الموز والنخيل ،وهي كثيرة العمران ، وبها وادى الحصيب [٣] .

ثم يرحل الركب بعد ذلك إلى حديدة زبيد (الحديدة) ويؤخذ إليها في مرحلتين ،ومنها إلى المعازبة ،ويؤخذ إليها في أربع مراحل ،وتكثر بها المياه العذبة ،ثم يصل إلى فشال [٤] ويؤخذ إليها في أربع مراحل ،ويرد ماءها [٥] .

---

(١) زبيد : بفتح أوله ،وكسر ثانيه إسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها إسم الواد فلا تعرف إلا به ،وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت أيام المأمون ،وبجانبها ساحل غلافقه ،وساحل المندب وينسب إليها كثير من العلماء . (المقدسي :أحسن التقاسيم ،ص ٨٤) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ١٦٥ .

(٤) فشال : قرية كبيرة باليمن تقع على وادى رمع ، وفشال أم قرى وادى رمع . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٢٦٦).

(٥) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩٢ .

ثم يواصل الركب سيره إلى القحمة [(١)] ،فيؤخذ إليها في أربع مراحل ويرد ماءها ،وتقع في حرة بني كنانة بين البرك والشقيق وتبعد عن البرك ٣٠ كيلومتراً ،وعن مكة ٤٩٣ كيلو متراً . [(٢)]

ثم يتجه الركب إلى وادى حمضة [(٣)] ،ويشتهر هذا الوادى بشجر الدوم ،وهو واد متوسط يمر جنوب القمحة على ١٠ كيلومترات ،وبه الكثير من النخيل .

وبعد منطقة وادى حمضة يصل إلى منطقة الشقيق وهي قرية كبيرة ساحلية على ٥٠ كيلومتراً من القمحة جنوباً ويصب عليها وادى ريم ،ولها مرسى ترسو به صفار السفن [(٤)] ،ثم يقطع وادى عتود ، وهو من أودية تهامة يأخذ على مساقط مياهه من السراة الواقعة غرب جنوب أبها حيث يتقاسم الماء مع أعالى فروع وادى بيشة . [(٥)]

ثم يقطع وادى بيش ،وهو واد فحل من أودية تهامة ،وبه الكثير من القرى والزرع . [(٦)]

---

(١) القحمة : بليدة قرب زبيد ،وهي قصبة وادى زوال ،وهي للاشاعرة وفيها خولان وهمذان . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ، ص ٣١١). بينها وبين مكة ٤٩٣ كيلومترا ،وتتبع امارة جازان حالياً (البلاذرى : بين مكة واليمن ،ص ٢٣٠) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩٢ - البلاذرى : بين مكة واليمن ،ص ٢٣٠ .

(٣) حمضة : بالفتح ثم الكسر قرية باليمن من جهة قبلتها . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٣٠٥) .

(٤) البلادى : بين مكة واليمن ،ص ٢٣٥ .

(٥) البلادى : المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ،ج ١ ، ص ٥٢٨ - البلادى : بين مكة واليمن ، ص ٢٤٧ .

ثم يمر بمنطقة عثر (١) ، وهي مدينة عامرة تطل على البحر ،وذكرها الحربي في طريق الحج اليمني ،كما ذكرها الهمداني (٢) ، وكانت معروفة حتى القرن الثامن الهجرى (٣) .

ثم يصل بعد ذلك إلى منطقة جازان (٤) ويؤخذ إليها في أربع مراحل ، وهو واد كثير القرى والروافد يأخذ أعلى مساقط مياهه من أعلى السراة ،ويتقاسم الماء مع نواشغ وادى نجران شمال غربي صعدة ،ويقال ان أول من اختطها رجل من آل الحكمي في القرن السابع الهجرى ، بنى بها عريشاً ،وكان رجلاً صالحاً

---

(١) عثر : بلد باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام ،وهي من الشرجة إلى حلى ،وهي معروفة بكثرة الأسود . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٨٥) .

(٢) الحربي : المناسك ، ص ٦٤٦ - الهمداني : صفة جزيرة العرب ،ص ٣٤١ .

(٣) البلادى : بين مكة واليمن ،ص ٢٥٣ .

(٤) جازان : تقع في وادى جازان في أعلاه . (الحربي : المناسك ، ص ٦٤٦) .

يزوره الناس لطلب العلم [(١)].

ثم يرحل الركب إلى المهجم [(٢)]، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ويرد ماءها. [(٣)] وهي من الأماكن المعروفة والمشهورة في تهامة اليمن شمال شرق زبيد ومور، وتعتبر أعظم أودية تهامة، وتسمى ميزاب تهامة [(٤)]، وبها مسجدان، وهي في مستوى الأرض من مدن التهائم [(٥)].

وبعدها يرحل الركب إلى بياضة ويؤخذ إليها في أربع مراحل حتى يصل إلى حرض [(٦)]، ويؤخذ إليها في أربع مراحل ويرد ماءها [(٧)].

---

(١) البلادى : بين مكة واليمن، ص ٢٦٩.

(٢) المهجم : بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام، وأكثر أهلها خولان. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٩).

(٣) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٩٢.

(٤) البلادى : بين مكة واليمن، ص ٣٥٨، حاشية ١٨.

(٥) حياة مرسى : دور السيدة الحرة بنت أحمد الصليحى، ص ٦٥، حاشية ٤.

(٦) حرض : بفتحتين، وهو في اللغة الذى أذابه الحزن، وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة نزله حرض بن خولان بن عمرو بن مالك ابن حمير فسمى به، وهو بين خولان وهمدان. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٣).

(٧) الجزيرى : درر الفرائد، ج ٢، ص ١٢٩٢.

ومن حرض إلى المحالب [١] ،ويؤخذ إليها في ست مراحل ويرد ماءها ،وهي بلدة تقع على ميزاب مور ،ومن ملحقات الزهرة [٢] .

ثم يرحل الركب إلى حلي بني يعقوب ،ويؤخذ إليها في ست مراحل ،ويرد ماءها وتعرف بابن يعقوب لأن بعض سلاطين اليمن كان ساكناً بها قديماً ،أو أنه مؤسس الأسرة الحاكمة بها ،وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة ،يسكنها طائفتان من العرب ، وهم بنو حرام ،وبنو كنانه ، وبها جامع يسكنه جماعة من الفقراء المنقطعين إلى العبادة [٣] . هذا وتطلق كلمة حلي على وادى حلي بأكمله ،وقد وصلت البلدة إلى قمة تطورها في القرن الخامس الهجرى ،ويتبعها عدد من القرى ، وبها سوق كبير ،وأكثر مساكنها من الخشب والحشيش ،كما دل المسح الأثاري على وجود بعض مخلفات بناء لبعض المنازل استخدم فيه الأحجار والطوب الأحمر . وحلي بنى يعقوب مدينة ساحلية سهلية تقع إلى الداخل في المنطقة الزراعية الممتدة في دلتا وادى حلي الخصيب ،

---

(١) المحالب : وهي بليدة ،وناحية دون زبيد من أرض اليمن . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٥٩) .

(٢) ابن الديبع : قرة العيون ،ج ٢ ، ص ٧ ،حاشية ٢ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ،ص ٦٤ .

إلا أنها رملية بسبب كثرة الرياح ،ويكثر بها شجر السدر ،وهي تقع إلى الشمال الشرقي من مخشوش إلى الجنوب ،وقرى الصلب إلى الشمال .(١)

ويرحل الركب إلى ترعة بني حازم ،ويؤخذ إليها في أربع مراحل ويرد ماءها ،ومنها إلى ملتقى الواديين (٢) ،ويؤخذ إليها في أربع مراحل ،ويرد ماءها ،وكلمة الواديين تطلق على المنطقة التي تحيط بالسرين(٣) ، وكان راجح بن قتادة حاكماً عليها من قبل سلطان بني رسول الملك المنصور ، وهي مدينة عظيمة تقع بين مكة واليمن

---

(١) انظر أحمد الزيلعي : المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي ، حوليات كلية الآداب ،جامعة الكويت ،الرسالة ٣٩ - سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص ١١ - ٢٣ .

(٢) الواديين : هما وادي حلي ،ووادي عليب . (الزيلعي : حاكم السرين راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية في مكة ،مجلة العصور ،المجلد الأول ،الجزء الأول سنة ١٩٨٦م ،ص ٢٢ حاشية ٧) .

(٣) السرين : ميناء على البحر الأحمر ،ومحطة تلتقي وتفترق عندها طرق التجارة والحج بين اليمن والحجاز ،وهي تابعة لإمارة مكة المكرمة ،وتقع السرين على بعد حوالي ١١ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من الوسقة ،وهي القرية المعروفة التي تعتبر واحدة من المحطات الرئيسية على الطريق الحديث بين مكة وجيزان . (الزيلعي : المقال السابق ،ص (٢ - ٢٢) .

بمقربة من يلملم (١) ،وبها الكثير من الأسواق وجامع ،وأكثر بنائها من الخشب والحشيش إلا الجامع فهو مبني ،وبها مزارع ،ومزروعاتهم الذرة والسمسم (٢). وفي منطقة السرين تلتقي الطريق الوسطى بالطريق الساحلي (٣).

ثم يرحل الركب إلى الحسبة (٤) ،ويؤخذ إليها في أربع مراحل ومنها إلى يلملم ،وهو ميقات أهل اليمن ، على مرحلتين منه ،ومنه يحرم الحجاج ويهلون بالتلبية (٥) وهو واد من أودية مكة الجنوبية ،متعدد الروافد ،كثير المياه ،يأتي من السراة الواقعة على ٣٠ كيلومتراً جنوب غربي الطائف ،ثم يتدفق غرباً في إنحدار عميق بين كثير من الجبال فيمر بالسعدية (٦).

----

(١) يلملم : واد يقع جنوب غربي الطائف على ٣٠ كيلومتراً منها ،وهو ميقات أهل اليمن ،ويصب في البحر جنوب جدة على مرحلتين ،وسيله يمر جنوب مكة على ١٠ كيلومترات ،وبه مسجد معاذ بن جبل ،رضي الله عنه . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٤٤١).

(٢) الحميرى : الروض المعطار ،ص ٣١٢ .

(٣) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٤٣ .

(٤) الحسبة : بالتحريك وادى بينه وبين السرين ليلة من جهة اليمن ، (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٢ ،ص ٢٥٨).

(٥) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩٢ .

(٦) البلادى : معالم مكة التاريخية ،ص ٣٢٨ - لجنة من العلماء: تحديد موقع يلملم . مجلة العرب - ج ١ - ٢ س - ١٨ رجب ،شعبان سنة ١٤٠٣هـ ، ابريل ،مايو ،نيسان ،أيار سنة ١٩٨٣م ،ص ٥٩ .

وفي سنة ٧٤٢هـ سار الملك المجاهد سلطان اليمن يريد الحج عن طريق تهامه ،فسار في ركابه من الجيوش والعساكر ما يفوق الوصف ،فغادر تعز صباح يوم الخميس السادس من شوال وحل بزبيد يوم الثلاثاء الحادى عشر منه فعسكر في بستان الراحة ،ورحل عنها رابع يوم الجمعة حيث وصل المهجم يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال ،فعسكر بها حتى ثالث القعدة ،ثم ارتحل عنها ونزل بحلى بني يعقوب الخامس عشر من ذى القعدة واستقر بها حتى الثامن عشر منها ،ثم ارتحل عنها ونزل يلملم يوم الاثنين سلخ ذى القعدة ،وهناك أمر السلطان بنصب الأحواض ، فملئت ماءً وطرح بها السويق والسكر فشرب الناس ،وتصدق عليهم بثياب الإحرام .(١)

ومن يلملم يرحل الركب إلى البئر ،ويؤخذ إليه في أربع مراحل ويرد ماءها ،ثم يدخل مكة على مرحلة واحدة .(٢)

هذا وينسب إلى أمير مكة الشريف محمد بن بركات (ت ٩٠٣ هـ) بعض أفعال الخير بطريق اليمن .(٣)

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج ٢ ،ص٦٩-٧٠ - ٧١ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،تحقيق فهيم شلتوت ،ج ٣ ،ص ٢٢١ - ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ،ص ٨٥ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ١٢٩٣ .

(٣) ابن الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ٢٠٨ .

٦ـ إعتداءآت القبائل :

وبالرغم من هذه العطايا والهبات التي تتمثل في الأموال والأرزاق والخلع لعربان القبائل ،إلاّ أن خطرهم لم يتوقف إذا وجدوا الفرصة والكسب المالي في مصلحتهم ،فكثيراً ما قطعوا الطريق ،ونهبوا الحجاج فيضطر الحاج في بعض الأحيان إلى منعهم من ذلك بإرضائهم بالأموال (١) ، وقد تكررت هذه الإعتداءآت من قبل العربان على الحجاج في العصر المملوكي على الرغم مما وفره سلاطين المماليك لطريق الحج ،ولقافلة الحج المصرى من حراسة وحماية ،وهذا ما يتضح من القائمة التالية :-

ففي سنة ٦٧١هـ نهب العرب ركب حجاج المغاربة وأخذوا أموالهم (٢).

----

(١) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٧٥- ٧٦.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص١٠٢ .

الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٠٤.

وفي سنة ٦٧٧ هـ خرجت جماعة من العرب على الحجاج أثناء الطريق ونهبوا جميع أموالهم ، وقتلوا منهم جماعة .(١)

وفي سنة ٧٧٧ هـ خرجت العرب على الحجاج بطريق المدينة المنورة ، ونهبوا كل ما كان معهم من أموال وجمال ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً .(٢) وفي العام نفسه هجم أمير ينبع الشريف سعد بن أبي الغيث الحسني (٣) على حجاج المغاربة في العقيق على سبيل أن يعطوه شيئاً ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأنهم ضربوه وربطوه حتى هجم عليهم عربانه وخلصوه ، إلا أن حجاج التكرور اصطدموا معهم ونهبت أموالهم .(٤)

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١/ ٢ ، ص ١٦١ .

(٣) سعيد بن أبي الغيث بن قتادة بن إدريس بن حسن بن قتادة الحسني أمير ينبع ، تولى إمرتها غير مرة ، وتردد إلى القاهرة مرارا ، مات معزولا في ذى القعدة سنة ٨٠٤ هـ ، وقد زاد على الستين (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣١٣ - السخاوى : الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ٢٤٨) .

(٤) المقريزى : السلوك ، ج ٣/ ٢ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٨٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١/ ٢ ، ص ٣٤١ . يذكر حمد الجاسر (بلاد ينبع ، ص ٣٢) نقلا عن الجزيرى ان ذلك حدث بمنية ٧٨٥ هـ .

وفي سنة ٧٩٢ هـ هجمت بعض الأعراب على بقية من الحجاج العائدين من الحج ونهبوا أموالهم ومتاعهم.(١)

وفي سنة ٨٠٤ هـ خرجت عرب بني سالم(٢) على الحجاج فتحارب معهم أمير الحج وكسرهم، وقبض على شيخهم وسلموه للسلطان فشنقه.(٣)

وفي سنة ٨٢٨ هـ خرج الشريف زهير الحسيني(٤) على حجاج عقيل ونهبهم وشتتهم وأخذ أموالهم وجمالهم وأحمالهم.(٥)

---

(١) ابن الفرات : تاريخه ، ج ٩ / ١ ، ص ٢٣٨ .
علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) عرب بني سالم : بطن من جذام من لخم من القحطانية ، وديارهم وادي الصفراء وما جاورها . البلاذري : معجم قبائل الحجاز ، ص ٢٠٨ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ٦٣٩ .

(٤) زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن حجاز بن شيحة الحسيني ، كان فتاكاً خارجاً عن الطاعة ، يقطع الطرق على الحجيج والمسافرين ، قتل سنة ٨٣٨ هـ . (ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٥٨ - السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٣٩) .

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ -
الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٢ .

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الثانية سنة ٨٣٤ هـ عارض عرب زبيد ركب الرجبية ،وكان الشيخ تقي الدين المقريزى معهم ،هـذا بالإضافة إلى ألف وخمسمائة جمل مقدمهم سعد الدين إبراهيم بن المرة (١) ناظر جدة الذى صالحهم على مائة دينار من عنده دون أن يكلف أحداً من الحجاج بثمن ذلك خوفاً عليهم من القتل والنهب ،إلا أنهم عندما وصلوا إلى الخريبات (٢) وقديد (٣) أغار عليهم الشريف زهير الحسيني بنحو مائة فارس ،وبعض المشاة ، فقاتلهم القوم وقد قُتل منهم إثنان، ومن الأعراب عشرة ثم تصالحوا على ألف دينار (٤)

---

(١) سعد الدين إبراهيم بن المرة القبطي الأصل المصرى ناظر جدة ، توفى بعد فقر سنة ٨٤٤ هـ. (المقريزى : السلوك ، ج٤/٣ ،ص ٢٣١ - ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج١ ، ص ٣٢ - السخاوى : الضوء اللامع ،ج١ ،ص١٨٤).

(٢) الخريبات : أحد روافد وادى مّر ، فيه خرائب من بعض بقايا عمران قديم ، ويحرم منها الناس . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٤ ، ص ٣٨).

(٣) قديد : وادٍ من أودية الحجاز ،قرب مكة (ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ،ص٣١٣- الهمذاني : صفة جزيرة العرب ،ص ١٢٠- ١٨٥). وينقسم إلى قسمين علوى وسفلى ،فالعلوى يسمى ستارة ،والسفلى يسمى قديدا ، ويسكن النصف السفلي زهيد بن حرب ،ويبعد عن مكة بحوالي ١٣٠ كيلومتراً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة . (البلادى : معجم معالم الحجاز ،ص٤٩٣).

(٤) الدينار : هو العملة الذهبية عند العرب ،والوزن الشرعي للدينار الإسلامي ٤٫٢٥ جرام ،وتم تعريبه في عهد عبد الملك بن مروان . (عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ،ص ٨ - ٩).

ومائة أفلوري(١) ،وبعض الثياب التي تقدر بنحو أربعمائة دينار ،وقد تحمل أصحاب الركب دفع هذه الأموال ،فبعضهم دفع مائة دينار ،وبعضهم دفع ديناراً واحداً فقط كل حسب إستطاعته ، ثم وصل الركب ثامن عشر جمادى الآخرة.(٢)

وفي سنة ٨٥٩ هـ تجمعت للحجاج بالوجه(٣) الكثير من المصائب، ومات ركب الحاج التكروري بأكمله بسبب العطش والمرض ،وإعتداء العرب عليهم ،أما الركب المغربي فقد قاتل العرب.(٤)

وفي سنة ٨٧٢ هـ تقاتل الحجاج مع العرب ،ولم ينج منهم سوى القليل بسبب كثرة القتل والنهب.(٥)

---

(١) أفلوري : يقال له الإفرنتي ،وهي دنانير من ضرب بلاد الفرنجة والروم ،زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط مصري ويقال له المشخص لأن على أحد وجهيها صورة الملك التي ضربت في عهده ،وعلى الوجه الاخر صورة بطرس ،وبولص الحواريين.
(القلقشندي : صبح الاعشى ،ج ٣ ،ص ٤٣٧ - المقريزي : السلوك ،ج ٤/ ١،ص٣٠٥ - حسن الشافعي : العملة وتاريخها ص ١٠٨).

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) انظر فيما بعد ، ص ٦٨.

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٣٧-٣٨-أبو المحاسن : حوادث الايام والدهور ،ج ٢ ، ص ٢٢٢.

(٥) ابن فهد : المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٣٨ - ٣٩.

وفي عصر يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من العام نفسه ، هجم بعض العرب من مجان (١) على الشريف علي بن بركات (٢) ، والقاضي كمال الدين بن ظهيرة ومعهم ركب الحجازيين وبعض تجار الإسكندرية في منطقة الحريرا (٣) ، إلاّ أن الخبر وصل إلى أمير ينبع الذي أدركهم ، وأخذ ما معهم ورده إلى أصحابه ، وقد قتل من اخوة سبع (٤) أخواه سبيع وسباع ، وكان أمير الحج المصري تنبك المعلم ، وأمير أول تنبك الأشقر (٥) .

---

(١) مجان : هي مجنى بطن من بشر من بني عمر بن مسروح من حرب ، بعضهم من نواحي عسفان . (البلادي : معجم قبائل الحجاز ، ص ٤٦٧) .

(٢) علي بن بركات بن حسن بن عجلان ، قدم القاهرة سنة ٨٧١ هـ مفارقاً لأخيه فلم يلبث أن أعيد في موسم حج السنة التي بعدها صحبة الكمال بن ظهيرة ، وهو ذكي كثير الأدب ، محسن لإنشاد الشعر متودد للعلماء والصالحين ، توفي سنة ٨٩١ هـ ودفن بحوش الأشرف برسباي . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ١٩٧- ١٩٨) .

(٣) الحريرا : برائين مهملتين ، وهي موضع بين مكة والأبواء قرب نخلة ، وبها كانت الوقعة الرابعة من وقعة الفجار . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) .

(٤) سبع هو هيجان بن محمد بن مسعود الحسيني : أمير الينبوع ، وليها مرة بعد أخرى إلى أن توفي سنة ٨٨٧ هـ ، واستقر بعده دراج بتقرير من صاحب الحجاز بتفويض أمره إليه .

(السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٤٣) .

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ ، الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٩ - ٤٥٠) .

وفي سنة ٨٧٥هـ حصل للحجاج شدائد من موت الجمال والعطش، وقلة الكراء، وقد قطع بنو عطية على الحجاج الطريق بمنطقة نخـــل[1]، ورجع بعض الناس من العقبة[2] بصحبة الركب[3].

وفي سنة ٩٠٢ هـ توفى الشريف دراج[4] أمير ينبـع فحصل نـزاع على الإمارة بين أبنائه، وبين أبناء الشريف سبع . وكانت إمـــارة ينبع منوطة بالسلطنة نفسها في القاهرة كإمارة مكة المكرمة، وإمارة المدينـة المنورة ، فذهب يحيى بن سبع إلى القاهرة مطالباً بإمارة ينبع لأن والـده سبع كان يوماً في ذلك المنصب، وكان الملك الأشرف قايتباي قد أضافهـا إلى إمارة مكة ، فعين فيها أحد أبناء الشريف دراج، لأن دراجاً كـــان له يد على أمير مكة بسبب مساعدته له بإضافة إمارة المدينة المنورة بعـد حادثة نهب الحجرة الشريفة[5]. ولهذا لم يلب السلطان طلـــب

---

(١) انظر فيما بعد، ص ٥٠

(٢) انظر فيما بعد، ص ٥٢

(٣) الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٥١.

(٤) دراج بن معزى الحسيني : أمير الينبوع، استقر في أواخر سنـة ٨٨٧ هـ عقب سبع الماضي نيابة عن صاحب الحجاز حين فوض أمره إليه . (السخاوي : الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢١٧).

(٥) المقريزي : السلوك، ج ٤/ ١، ص ٧٥ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٦٣ - حمد الجاسر : بلاد ينبع، ص ٥٣ .

يحيى بن سبع فعاد من القاهرة حاقداً على الأبواب الشريفة فعندما مر بمنطقة عجرود [١] إحدى محطات طريق الحج المصرى ذبح ما فيها من الثيران القائمة على إخراج الماء إلى الأحواض، ورمى بجثثها في الفساقي، وبذلك كلف يحيى بن سبع الدولة ثمناً غالياً بسبب عدم تلبية طلبه في إمارة ينبع، وأخذ يؤلب القبائل على الأبواب السلطانية، فأنقادت له قبيلة جهينة لما بينها وبين قبيلته بني إبراهيم من الصلات والروابط، كما انضم إلى يحيى بن سبع، مالك بن رومى، رئيس زبيد، فتألبت هذه القبائل، وتجمعت باسم يحيى بن سبع، وخرجت على الدولة، وقامت بكثير من ضروب العبث والفساد الذى لم يقتصر على الحجاج القادمين من طريق الساحل، بل قطعوا الطريق فيما بعد بين مكة وجدة، وهددوا جدة بالنهب، بل بلغ بهم الأمر أن عاثوا في مكة فساداً، وصادروا أموال بعض مشاهير تجارها [٢].

وفي سنة ٩٠٣ هـ اشتد أذى عربان ينبع مع أميرهم يحيى بن سبع على الحجيج، حتى تضايق سلطان مصر قانصوه الغورى، فأرسل جيشاً تقاتل معهم، وانتهى بهزيمتهم في منطقة السويق [٣].

---

(١) انظر فيما بعد، ص ٤٧

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص ٥٤-٥٥.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٨٢.

السويق: تصغير ساق، وهو جبل بين ينبع والمدينة المنورة.

(ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٦-٢٨٧).

وفي سنة ٩٠٧ هـ وصل أمراء الحج المصرى والشامي إلى ينبع ، فحضر إليهم يحيى بن سبع وصحبته الشريف الجازاني ، وسأل أن يكون عوضاً عن أخيه الشريف بركات ، فامتنع الأمير أصطخر ، فكرر عليه السؤال في إلباسه تشريفاً ويخدمه بمال له صورة ، وألحوا عليه وهددوه بنهب الحجاج ، فألبس الجازاني تشريفاً بإمرة مكة ، وأضمر اصطخر في نفسه أن يمسكه عند دخول مكة ، وأن يكاتب شريف مكة أن يحضر إليه ويكون عوناً عليه ، وبينما هم في ذلك إذ حضر قاصد الشريف بركات ، فوضعه أمير الحج في الحديد فأمن الجازاني لذلك ، وعندما وصل الركب إلى وادى مرّ أطلق أمير الحج قاصد الشريف إلى أمير مكة الشريف بركات ليطلعه أن يتوجه إليه بسرعة ، فأحس الشريف الجازاني بذلك ، وتسلل في الليل ، وبعد أن قضى الركب المصرى مناسكه وأراد التوجه إلى مصر فسألوا الشريف بركات أن يخرج معهم حتى يتجاوزوا ينبع ، فأمهلهم حتى يجمع جيوشه ، ولكنهم لم ينتظروه ، فخرج عليهم الجازاني بالدهناء (١) وقاتلهم ونهبهم ، وأخذ منهم المال والقماش والجمال ، وقتل منهم عدداً لا يحصى ، وبلغ عدد القتلى من المماليك خمسة وسبعين مملوكاً ، غير عدد الحجاج . وهرب الأمير اصطخر إلى منزل قاضي ينبع مستجيراً به حتى فدى نفسه بثلاثين ألف دينار ، وقيل خمسة آلاف دينار ، وأقام الحاج بالينبع خمسة أيام ثم رحلوا وعند وصولهم إلى الأزلم أو " الأزنم " (٢) خرج عليهم عامر بن مشعل ، شيخ قبيلة بلى ومنعهم من النزول بها ، وردم جميع آبار المياه حتى هلك أكثر الحجاج عطشاً ، وطلبوا منهم مالاً فجبوا لهم بعض الأموال . وعند وصولهم

---

(١) الدهناء : تقع فيما بين بدر و ينبع (حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٧) .

(٢) انظر فيما بعد ، ص ٦٦ .

المويلحة (١) خرج عليهم بنو لام ، وبنو عقبة ، وبنو عطية وطالبوهم بالأموال ، الا أن تاجراً يدعى ابن شويته كان بينه وبين العربان معاملة ومعرفة فتوسط في الصلح بينهم على أن يعطوه على كل جمل ديناراً (٢).

وفي سنة ٩١١ هـ أرسل السلطان الغوري قوة هزمت الثوار (يحيى بن سبع وجماعته) ، وأحرقوا الدور التي على ساحل البحر المالح (ينبع البحر) كما أحرقوا غالب دكاكينه ، وشتتوا عربانه ، ثم تبعتها قوة سنة ٩١٢ هـ أنزلت بالثائرين هزيمة ، ونهبوا كل ما كان بمدينة ينبع من مزروعات وحيوانات (٣).

وبسبب ما تعرض له طريق الحج المصرى من النهب والسلب منذ سنة ٩٠٧ هـ تعطل طريق الحج المصرى ، فأصدر السلطان الغورى أوامره سنة ٩١١ هـ بإبطال التوجه إلى الحجاز بالنسبة لأهل مصر والشام وسائر الأعمال قاطبة ، فلم يحج في هذا العام أحد من المغرب أو بلاد التكرور ، واكتفى السلطان بارسال كسوة الكعبة ، وصرر الحرمين والزيت من البحر في مراكب من الطور إلى جدة سنة ٩١٢ هـ (٤) وقد تمكنت

---

(١) انظر فيما بعد ، ص ٦٣.

(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ٢ ، ص ٧٨٣ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠.

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٩٥ - الجزيرى : درر الفرائد : ج ١ ، ص ٧٩١ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٩١ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠.

(٤) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ، ج ٢ ، ورقة ١٠٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٨٩ - حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٥٦ - ٥٧ - ٥٨.

التجريدات المملوكية من الإنتصار على عربان بني إبراهيم وأمير المدينة المنورة ، وأمير مكة مما أدى إلى فتح طريق الحج في السنة التالية . وأدت هذه الأحداث إلى دفع السلطان الغوري إلى القيام بسلسلة التحصينات العسكرية سنة ٩١٥ هـ ، ٩١٦ هـ على يد الأمير خاير بك المعمار ، والأمير خشقدم في عجرود ونخل ، والعقبة ، والأزلم والتي تمثلت في تجديد عمارة الخانات التي كانت من قبل بهذه الأماكن وتحصينها ببناء الأبراج بها .(١)

وفي يوم الأربعاء السادس عشر من شوال سنة ٩٢١ هـ تأخر مبشر الحج(٢) بسبب إعتداء العربان عليه ، وأخذهم كل ما معه من أموال ورسائل الحجاج .(٣)

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٥٢ - عبد المنعم رسلان : الازنم خاناً وبرجاً ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) مبشر الحج : وظيفة قديمة لها معلوم خاص وتسمى عادة المبشر ، ومهمته التوجه من مكة في أول أيام منى (الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢) .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٨٢ .

الفصل الثاني

المكوس بمكة المكرّمة والمدينة المنورة وجدة

١ - إلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة .

٢ - جباية المكوس بجدة .

١ - إلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة :

إن أهمية الحجاز الجغرافية ،وإطلاله على البحر الأحمر جعلا له مركزاً تجارياً منذ القدم ، لإتصاله ببلاد الشام شمالاً ،واليمن جنوباً ،وبمصر براً وبحراً ،مما كان له أثره التجارى داخل شبه الجزيرة العربية.(١)

كما إن الإسلام لا يمنع التجارة مع الحج ،ولذلك نشطت الأسواق التجارية بمكة المشرفة لوقوعها على طرق القوافل القادمة من اليمن ،والقاصدة الشام ،بالإضافة إلى قرب جدة منها التي لم تكن مرفأ لمكة فقط بل للحجاز بأسره.(٢)

ونظراً لأرباح التجارة ،وتوافد الحجاج إلى مكة ،وحاجة حكام مكة من الأشراف لمورد مالي يفي بمطالب الحرمين ،وبمطالب الحكم ،فضلاً عن مطالبهم الخاصة ،فقد فرض أمير مكة المكوس(٣) على التجار والحجاج في مكة المشرفة

---

(١) عائشة باقاسى : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ،ص ٦١.

(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٨٦ - احمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ،ص ١٨٤- ١٨٥ ، عائشة باقاسي : الحجاز في العصر الأيوبي ،ص ٨٣.

(٣) المكوس : جمع مكس ،ومعناها في اللغة الضريبة التي تؤخذ من باشعي السلع في الأسواق أيام الجاهلية ،كما تطلق على مايأخذه العشار ،ويقال له الماكس. (المقريزى : السلوك ،ج ١/ ٢ ،ص ٢٦٧).

وفي جدة التي كانت تابعة له ،وكانت جدة قد زادت أهميتها في العصر الأيوبي بسبب النشاط التجارى بها ،وإزدياد وفود الحجاج والتجار إليها من المغرب والأندلس واليمن والحبشة والهند .(١)

كما زادت أهمية ميناء عيذاب المقابلة لجدة على الشاطىء الغربي للبحر الأحمر في العصرين الفاطمي والأيوبي ،ولم يكن يقل دورها في تجارة البحر الأحمر ،وفي حركة الحجاج عن جدة لوفود المراكب الهندية واليمنية إليها ،كما أنها كانت نهاية قوافل الحجاج المصريين والمغاربة ومركز تجمعهم قبل عبورهم البحر الأحمر إلى جدة ،لا سيما في الفترة التي أغلق فيها الصليبيون طريق الحج المصرى عبر شبه جزيرة سيناء.(٢)

وفي عهد الفاطميين كان المكس يؤخذ على الحجاج والتجار بعيذاب ،ومن لم يف بذلك يؤخذ منه بجدة ،وإلاّ عذّب أشد العذاب أو ضرب ضرباً مبرحاً ،بل يمنع من الحج ومن مزاولة التجارة(٣) . وهذا نص

---

(١) حسنين ربيع : البحر الأحمر في العصر الأيوبي ،ص ٢٠.

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٤٥ - المقريزى : الخطط ،ج ١ ،ص ٢٠٢-٢٠٣- أحمد دراج : عيذاب ،مقال بمجلة نهضة افريقية ،ص ٥٥.

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ١/١ ،ص ٦٤ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ص ١٢٩ - عائشة باقاسى : بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ،ص ٧٠.

ابن جبير الذى أدى فريضة الحج سنة ٥٧٩ هـ عن طريق عيذاب يوضح مقدار المكس ،وطريقة أخذه : " ومن مفاخر هذا السلطان (صلاح الدين الأيوبي) المزلفة من الله تعالى وآثاره التي ابقاها ذكراً جميلاً للدين والدنيا إزالته رسم المكس المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيديين ،فكان الحجاج يلاقون من الضغط في أدائها عنتاً مجحفاً ،ويسامون فيها خطة خسف باهظة ،وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته ،أولا نفقة عنده ، فيلزم أداء الضريبة المعلومة التي كانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر ديناراً مؤمنية على كل رأس ويعجز عن ذلك فينال أليم العذاب بعيذاب ، فكانت كأسمها مفتوحة العين ، وربما اخترع له أنواع من العذاب كالتعليق من الأنثيين ،أوغير ذلك من الأمور الشنيعة ،وكان بجدة أمثال هذا التنكيل وأضعافه لمن يؤد مكسه بعيذاب ، ووصل إسمه غير معلم عليه علامة الأداء".(١)

وقد ألغى صلاح الدين الأيوبي مكس الحاج في سنة ٥٧٢ هـ ، وذلك عندما حج الشيخ علوان الأسدى الحلبي في تلك السنة،(٢)

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٥٥ .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٥٥ - التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ،ص ٢١٩- المقريزى : السلوك ،ج ١/١ ،ص ٦٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٣٨ - ٥٣٩ -السيد الباز العريني : مصر في عهد الايوبيين ،ص ١٥ - أحمد دراج : عيذاب ،ص ٦٠ .

وكانت له صلة وثيقة بصلاح الدين الأيوبي ،وقد رفض دفع المكس وهم بالعودة دون أن يؤدى فريضة الحج ، إلاّ أنّ الأشراف بمكة أمروا باطلاق سراحه وأعفوه من المكس . وقد شرح أمير مكة مكثر بن عيسى (١) للشيخ علوان أحوال مكة فقال له : «نحن قوم ضعفاء ،وما لنا إلا هذه الجهة ، والملوك قد استولوا على البلاد ولا يؤدون لنا شيئا» (٢) ، كما بين له حاجته لهذا المورد المالي لأن دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها مما يضطره إلى أخذ المكس . فكتب الشيخ علوان إلى صلاح الدين الأيوبي يشرح له ذلك (٣) ،فما كان من صلاح الدين إلاّ أن أرسل كتاباً إلى الأمير مكثر بن عيسى يقول فيه :« اعلم أيها الأمير الشريف أنه ما أزال نعما عن أماكنها ، وأبرز الهمم عن مكامنها ،وأثار سهم النوائب عن كنانتها ،كالظلم الذى لا يعفو الله عن فاعله ،والجور الذى لا يفرق في الإثم بين قاتله وقابله ،

---

(١) مكثر بن عيسى : تولى إمرة مكة سنة ٥٧١ هـ حكمها عدة سنين مع أخيه داود ،وبمكثر أنقضت ولاية الهواشم بمكة ،ووليها بعده عز يز بن قتادة ،توفي سنة ٥٨٩هـ . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٧ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٤٠ .

(٣) أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ،ج ٢ ،ص ٣-٤ - المقريزى : السلوك ،ج ١ ،ص ٦٤٠ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ،ص ٧٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٤٠ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ٢٣- أحمد السباعي : تاريخ مكة ،ص ١٢٠-إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ص ٦٩-٧٠ -عائشة باقاسى : الحجاز في العصر الأيوبي ،ص ٧١ .

فأما وهبت ذلك الحرم الشريف وأجللت ذلك المقام المنيف ،وألا قوينا العزائم ، واطلقنا الشكائم ،وكان الجواب ما تراه لا ما تقرأه ،وغير ذلك ،فانا نهضنا إلى ثغر مكة المحروسة في شهر جمادى الآخرى ،طالبين الأولى بالأخرى في جيش قد ملأ السهل والجبل ،وكظم عن انفاس الرياح » (١) . كما عوض أميرى مكة مكثراً وأخاه داود (٢) في كل سنة ألفي دينار وألف أردب (٣) قمح ،عدا عن عدة إقطاعات في صعيد مصر واليمن ،ويقال أن مجموع ذلك يعادل ثمانية الآف أردب قمح تحمل إليه حتى جدة عوضاً عن المكوس التي الغاها (٤) .

---

(١) رحلة ابن جبير ،ص ٥٥ - ٥٦ - الفاسي : العقد الثمين ،ج ٧ ،ص ٢٧٨- أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ،ج ٢ ،ص ٦٩٣ .

(٢) انظر الحاشية رقم " ٣ " الصفحة السابقة (ترجمة الامير مكثر بن عيسى) .

(٣) الأردب : مكيال ضخم بمصر ،ويضم أربعة وعشرين صاعاً ،أو ست ويبات ،والأردب = ١٢٨ رطلا (ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ٣٣٠- ٣٣١) .

(٤) رحلة ابن جبير ،ص ٥٥ - أبو شامة : كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ،ج ٢ ،ص ٣ - ٤ - الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ١٢٧- شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٣١ - المقريزى : السلوك ،ج ١/١ ،ص ٦٤٠ - الخطط ،ج ٢ ،ص ٢٣٣ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ،ص ٧٨- ٧٩ - ابن فهد ، إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ٥٣٩ - القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٧ ،ص ١٠٩-١١٠ -

===

إلا أن ابن جبير لام أمير مكة مكثر بن عيسى على معاملته السيئة للحجاج ،وقد شهد ابن جبير وصحبه في حجته طريقة الترويع والإمساك بالحجاج الذين أخذوا يضمنون بعضهم البعض في دخول مكة ، فإن ورد المال والطعام من قبل صلاح الدين كان بها ،وإلا أخذ المكوس من الحجاج .(١)

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي أعاد السلطان العادل الثاني سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل المكوس مرة ثانية سنة ٦٣٥ هـ ،مما جعل شريف مكة يجبي المكوس من الحجاج والتجار في جدة بسبب عدم إرسال خلفاء صلاح الدين ما التزم به مؤسس الدولة الأيوبية تجاه سكان بيت الله .(٢)

إلا أن المكوس بمكة ألغيت سنة ٦٣٩هـ من قبل صاحب اليمن الملك المنصور عمر بن رسول عندما حج ،وجعل مربعة(٣) بذلك أمام

=== الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،ص ١٦٩ - على السليمان : النشاط التجارى ،ص ١٠٣ - ١٠٤ - جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،ص ١٣١- عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ،ص ٢٥٢ .

(١) عبد القدوس الأنصارى : مع ابن جبير في رحلته ،ص ١٧٢- ١٧٣ .

(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٦١- القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ،ص ٢٣٧ - عائشة باقاسي : الحجاز في العصر الأيوبي ،ص ٧١ .

(٣) مربعة : هي عبارة عن لوحة تكتب بها مراسيم السلطان .

الحجر الأسود على زمزم ،حتى نزعها محمد بن أحمد بن المسيب [(١)] سنة ٦٤٦ هـ عندما كان بمكة [(٢)].

واستمر الحال كذلك حتى سقوط الدولة الأيوبية ،وقيام الدولة المملوكية ،ولكي يتقوى بيبرس سلطان مصر أمام قواده ومنافسيه كان عليه أن يضفي على حكمه الصبغة الشرعية بإحياء الخلافة العباسية سنة ٦٦٠ هـ ، وإعتراف الخليفة العباسي به ،مما كان له الأثر الكبير بالنسبة لمصر كقاعدة للدولة الإسلامية بعد سقوط بغداد على يد التتار ،ومن هنا أصبح المماليك سلاطين قاعدة الخلافة الإسلامية في وضع يسمح لهم بإهتمامهم بشئون الحرمين [(٣)].

---

(١) محمد بن أحمد بن المسيب اليمني : تولى إمرة مكة من قبل سلطان اليمن الملك المنصور سنة ٦٤٦ هـ بعد عزل الأمير فخر الدين الشلاح وأعاد الجبايات والمكوس بمكة ،وخلع مربعة الملك المنصور التي كتبها ،واستولى على الصدقات ، بنى حصناً بنخلة يسمى العطشان. (الفاسى : العقد الثمين ،ج ١ ،ص ٣٨٦).

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج ١ ،ص ٦٩ - الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٣٧ - ابن الديبع : قرة العيون ،ج ٢ ،ص ١٠.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٣ - ٣٤ - عبد العزيز الخويطر : الظاهر بيبرس ،ص ٣٧ - احمد دراج : ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر ،الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،ص ١٩٩.

وعندما حج الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ فض الخلاف بين الشريف نجم الدين بن أبي نمي، وبين عمه الشريف بهاء الدين إدريس، إلا أن الخلاف ما لبث أن عاد مرة أخرى واشتبكا في وادى خليص وأنتهى الخلاف بينهما بقتل الشريف ادريس (١) . وقد وردت الأخبار إلى سلطان مصر الظاهر بيبرس عن طريق أبي نمي يبرر فيها أعماله، فكتب إليه الظاهر بيبرس يشترط عليه إلغاء المكوس، وإباحة بيت الله للعاكف والباد، ولا يمنع زائراً في ليل أو نهار، ولا يتعرض لتاجر بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة بإسمه لقاء عشرين ألف درهم (٢) تقدمها مصر سنوياً (٣) .

---

(١) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب، ص ٣٦ .

(٢) الدرهم : هي وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية، استعارها العرب من الفرس، ووزن الدرهم الشرعي ٢٫٩٧ جرام . (عبدالرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص ٨ - ٩) .

(٣) المقريزى : السلوك، ج ١/٢، ص ٥٧٩ - الذهب المسبوك، ص ٨٧-٨٨ ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٩ -

وقد لعب الظاهر بيبرس دور الحكم بين شريفي مكة المتنازعين أبي نمي وعمه إدريس، كما استغل خلافهما لينيب عنه نائباً له، وهو شمس الدين مروان (١)، ليكون في ظاهر الأمر حكماً بين الشريفين، ويفض نزاعهما، وفي باطنه تقليصاً لسلطتهما، أو ليكون الحل والعقد في شئون مكة بيد نائبه، وبذلك يضمن ولاء مكة له (٢).

وتحقق للظاهر بيبرس ما كان يصبو إليه، فخطب له على منابر الحرمين، وضربت السكة بإسمه، كما ترك أثراً طيباً في نفوس أهالي الحرمين بما وزعه عليهم من مال، وما أمر به من عدم جباية المكوس بالحجاز (٣).

=== الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٠٢-٦٠٣ - ٦٠٣ - أحمد السباعي : تاريخ مكة، ج ١، ص ٢٥٥ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ص ١٧٦.

(١) شمس الدين مروان الظاهري : كان نائباً للأمير عز الدين جاندار الظاهري حج مع الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ، وقد جعله نائباً له بمكة حتى يرجع أمر أميريها إليه اخرجته الأشراف من مكة سنة ٦٦٨هـ.
(الفاسي : العقد الثمين، ج ٧، ص ١٧٢).

(٢) المقريزي : السلوك، ج ١/٢، ص ٥٨١ - ٥٨٢، ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٣ - الجزيري : درر الفرائد ج ١، ص ٦٠٢-٦٠٣.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٩٧ - الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ - زيني دحلان : خلاصة الكلام، ص ٢٧ - ٢٨ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢١.

وفي سنة ٦٨٣ هـ قدم الخبر على سلطان مصر المنصور سيف الدين قلاوون وهو بقلعة الجبل بأن الشريف أبا نمي طرد جند اليمن [١] من مكة وأستبد بها فأشتد على الحجاج في الجباية ،فكان يأخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهماً ، و من حاج مصر على كل جمل خمسين درهماً مع كثرة النهب والتعسف ،وكان الظاهر بيبرس جعلها ثلاثين درهما ،ولكن بعد أن قوى أبو نمي نفسه ،وأخرج جند اليمن ، اشتد على الحجاج في الجباية ،فأشتد غضب سلطان مصر عليه ،فأرسل إليه ثلثمائة فارس صحبة أمير الحج المصرى علم الدين سنجر الباشقردى [٢] ، وأنفق في كل فارس ثلثمائة درهم ،وكتب بخروج مائتي فارس من الشام ، فتوجهوا صحبة أمير الحج الشامي عز الدين يوسف القيمرى ،وتنافر أمير الحج المصرى مع أمير مكة ،وحصلت فتنة بسبب منعه للحجاج من دخول مكة ، فنقب الحجاج سور المعلاة ،ودخلوا مكة هجماً ،وأحرقوا باب المعلاة بعد فرار أبي نمي ،ثم ما لبث أن وقع الصلح بين الفريقين

---

(١) اتفق أبو نمي مع بني رسول وحالفهم ،وأرسل لهم الهدايا ،إلا أن المنصور قلاوون هدده بسبب تقديم ركب اليمن على ركب المصريين ، فحلف أبو نمي سنة ٦٨٣ هـ للسلطان المنصور قلاوون على الطاعة وطرد جند اليمن من مكة ،وخطب لسلطان المماليك خاصة بعدما عرف أن الرسوليين لا يملكون مناصرته ضد قوة المماليك بمصر . (السباعي : تاريخ مكة ج ١ ، ص ٢٥٧) .

(٢) سنجر بن عبدالله الباشقردى : نائب حلب بعد أقوش الشمسي توفى سنة ٦٨٦هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ٣٢٤).

على يد الصاحب بدر الدين السنجارى ،وقيل أن سبب هذه الفتنة ،أن أبانمى تخيل من بعض أمراء بني عقبة ممن حج أنه جاء ليأخذ مكة فغلق أبوابها وحدثت الفتنة (١).

ولم يكن هناك أيّ إلغاءٍ للمكوس من بعد سنة ٦٨٣هـ حتى سنة ٧٠٢هـ ،بل كان التنافس قائما بين مصر واليمن على إغداق الهبات والأعطيات على فقراء الحرمين ،وتعليق كسوة الكعبة (٢). ففي سنة ٧٠٣هـ و سنة ٧٠٤ هـ أبطل أميرا مكة حميضة ورميثة أبناء أبى نمى شيئاً من المكوس (٣).

وفي سنة ٧٠٥ هـ عاد النهب والعسف مرة أخرى من قبل رميثة وحميضة أميرى مكة حتى تضايق أغلبية الحجاج منهما ،مما أوغر صدر الملك الناصر محمد بن قلاوون فعزم على الحج سنة ٧١٢ هـ على رأس مائة فارس ،وستة الآف مملوك على الهجن ، فدخل مكة المشرفة وأجلى رميثة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٠- ٢٤١ -المقريزى : السلوك ، ج ١/ ٣ ،ص ٧٢٤ - ٧٢٥ -ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٢٠ -الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٠٩- ٦١٠.

(٢) أحمد دراج : ايضاحات جديدة ،ص ١٩٩.

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٤٢ -أحمد السباعي : تاريخ مكة ج ١ ،ص ٢٦٤.

وحميضة منهما وولي مكانهما أبا الغيث إلا أن أهالي مكة هاجموا أبا الغيث وقتلوه ،وعينوا بدلاً منه حميضة.(١)

وفي سنة ٧١٩ هـ حج الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية ، وأبطل سائر المكوس ، وعوض أميرى مكة والمدينة المنورة بدلاً منها إقطاعات في مصر والشام.(٢)

وكانت هناك فتنة بين أمير مكة الشريف عطيفة بن أبى نمى ،وأمير الحج المصرى في موسم سنة ٧٢٢ هـ بسبب شدة مغالاة أمير مكة في جباية المكوس من الحجاج ،لأن الناصر محمد بن قلاوون لم يلتزم بما كان عليه بيبرس تجاه أهل بيت الله الحرام ، ولأن أمير مكة الشريف عطيفة لم يقتنع بهذا المبلغ ،إلا أن الصلح تم بينهما ،لأن الناصر محمد بن قلاوون خفف المكس ،وجعله فقط على السلع للتاجر والحاج ،وعوض

----

(١) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٣- العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ٤٠٦- المقريزى : السلوك ،ج ١/٢ ،ص ١١٩- ١٢٠-١٢٢- الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج ١ ،ص ٤٠٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٢١- أحمد السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٢٦٥.

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ١/٢ ،ص ١٩٧ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٥٩ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١ ،ص ٤٥٠- ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٦٥. الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٣١.

أمير مكة الشريف طفيفة بن أبي نمي بثلثي قرية "دمامين "[١] بصعيد مصر ،وألفي أردب قمح تحمل له سنوياً من مصر .[٢]

وفي سنة ٧٥١ هـ أسقط الشريف عجلان ثلث الجباية عن الناس .[٣]

وفي سنة ٧٥٥هـ قل ما بيد الشريف عجلان من مال بسبب عدم قدوم تجار اليمن إلى مكة ،ففرض ضريبة على كل نخلة بوادي مرّ ، مقدارها يتراوح بين درهمين وأربعة دراهم ،كما أسترد الأموال والخيول التي كان قد أهداها إلى الأشراف الحسنيين والقواد .[٤]

---

(١) دمامين : قرية كبيرة بالصعيد شرقي النيل على شاطئه فوق قوص ، عليها بساتين ونخل كثير . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٦٥) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١٩٤ - المقريزي : السلوك ، ج ٢ / ١ ،ص ٢٣٦ - ابن حجر : أنباء الغمر ،ج ١ ،ص ١٩٩ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٦٢٧ - الرشيدي : حسن الصفا والإبتهاج ،ص ١٣٢ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٥٣ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٥٢ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٠٥ - العقد الثمين ،ج ٦ ، ص ٦٤ - ٦٥ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٢٦٣ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة ،ص ١٧٨ .

وفي سنة ٧٦٠ هـ وقع الوباء بجمال المصريين فمات منهم خلق كثير ، كما انتقل الوباء الى قافلة اليمن ،وقد ترصد الشريف ثقبه بالحجاج اليمنيين ، في الواديين [١] ،وطلب منهم جباء بطريق الظلم ،لأن الشريفين رميثة وحميضة قد عزلا عن أمرة مكة بسبب رفضهما الحضور إلى مصر فعزلهما السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ،وأرسل إليهما جيشاً يبلغ مائتي مملوك صحبة الشريف محمد بن عطيفة ،وسند بن رميثة ،ودعى لهما على زمزم ،وانصلح حال مكة ،ورفع عنها الجور ،وانتشر العدل ،وأسقط المكس عن المأكولات ،فجلبت الأقوات ،وتهاودت الأسعار [٢]

وفي سنة ٧٦٦هـ أسقط السلطان المملوكي الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ما كان يجبى على الأطعمة والأقوات في مكة من مكوس ،وعلى ما كان يجبى من الحجاج من مكوس على ما يحملونه معهم من سلع وبضائع ،فيما عدا ما يحمله إليها تجار الكارم [٣] ،

---

(١) انظر الفصل الأول ،طريق الحج اليمنى ،ص ١٤٣

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٨ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٥ ،ص ١٥٩ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٧٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٥٧ .

(٣) تجار الكارم : هم جماعة تجار الصادر والوارد بمصر وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى في العصور الوسطى ،وهم كذلك أرباب المال والأعمال المصرفية الأخرى في الشرق في تلك العصور ،وأصلهم ما زال غامضاً . (المقريزى : السلوك ،ج ٢/٣ ،ص ٨٣٧ - حاشية ٣) .

وتجار الهند والعراق ،وعوض أمير مكة مائة وستين ألف درهم [١] ،وألف أردب قمح ،وعمل ثلاثة محاضر ،بمكة واحداً ،وبالمدينة واحداً ،وبمصرواحداً . ويذكر الفاسي وفي موضع آخرمن كتابه شفاء الغرام ومن نقل عنه من المؤرخين القدامى والمحدثين أن المبلغ ثمانية وستون ألف درهم [٢] ،غير أن مرسوم الأشرف شعبان لا تزال صورته على خمسة أساطين بالمسجد الحرام ،وقد صور الأستاذ محمد الفعر صورة المرسوم من أساطين المسجد الحرام ،ونشر نصه في رسالته بعنوان الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجرى حتى القرن الثاني عشر الهجرى .

وإلى القارئ نص هذا المرسوم الذى لا يزال منقوشاً حتى يومنا هذا على خمسة أساطين بالمسجد الحرام في أكثر من موضع حيث توجد منه نسخة عند باب الزيارة ،ونسخة عند باب الصفا ،ونسخة عند باب العمرة .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٥٨ - ٢٥٩ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٥ ،ص ١٩٨ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١ / ٢ ، ص ١٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٦٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٦٤ .
(Jacques Jomier : Le Mahmal et la Caravane)
(Egyptienne des pelerins de la Mecque le)
(Caire 1953, p. 211-212.)

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٩ - السنجارى : منائح الكرم ، ج ١ ،ورقة ٣٢٥ - السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٢٨٤ .

ونسخة عند باب السلام [١] ،ويحتوى القسم الأول من هذا النص على أربعة عشر سطراً على أعمدة باب الزيارة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وهي :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم لما كان بتاريخ يوم الاثنين المبارك الثالث من جمادى الأولى سنة ست وستين .

٢ - وسبعمائة برز مرسوم مولانا السلطان الملك الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام .

٣ - والمسلمين محي العدل في العالمين أبي الفتح شعبان بن الملك الشهيد الأمجد جمال الدنيا والدين .

٤ - حسين بن السلطان الشهيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون خلد الله سلطانه .

٥ - بالإشارة الكريمة العالية المولوية الأميرية الكبيرية الكفيلية الأتابكية السنية يلبغا الأشرفي .

٦ - أتابك العساكر المنصورة أعز الله تعالى أنصاره بأن تبطل سائر المكوس من مكة المشرفة عن جميع الأصناف .

٧ - التي بها والواردة إليها على إختلاف أنواعها ومايباع بأسواقها من المأكول والمشروب والنيّ والمطبوخ .

---

(١) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجرى حتى القرن الثاني عشر الهجرى ، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ،ص ٣٥ .

٨ - وجميع الحبوب من الحنطة والسيال والذرة والدخن والدقسم والحمص والأرز والعدس والشعير والدقيق وغير ذلك .

٩ - والتمر واللبانة والفواكه والثمار والأعناب والبطيخ والخضروات والأعسال والأقوات والأدم والملح

١٠- والحيوانات من الأبقار والأغنام والجمال وما يصل إليها في البر والبحر من ذلك وغيره وما يؤخذ من حجاج البحر أيضاً من

١١- ساحل جدة من ساير دروب مكة المشرفة ومن نخلة والحجاز وساير المشاعر العظام وذلك خارجاً عن ثلاثة أشياء لاغير

١٢- وهي تجار العراقيين وكارم اليمن والخيل خاصة ولا يؤخذ شيء قل ولا جل مما تقدم ذكره من ذلك مكين[1] بالجملة الكافية ولا يتعرض

١٣- متعرض بهذا السبب إلى صنف من الأصناف في اليوم ولا فيما بعده ويعفى رسم ما كان يستأديه من ذلك كله أمير مكة المشرفة ونوابه .

١٤- ومباشروه ولا يعطى لهم بعد هذا التاريخ شيء من المكوس المذكورة بحكم تعويض أمير مكة المشرفة المشار إليه عن ذلك جميعه بما حصل الإتفاق .[2]

---

(١) هكذا وردت في النص .

(٢) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٣٦ - ٣٧ .

والقسم الثاني من النص يحتوي على خمسة عشر سطرا ،وهي :

١٥- معه عليه وهو في كل سنة مائة وستون ألف درهم تحمل إليه من بيت المال المعمور بقلعة الجبل المحروسة .

١٦- وتستمر هذه الحسنة على الدوام مدى المدد والأعوام باقية على تعاقب الأيام ما أنشأ الأفق غمامه .

١٧- وأظهر البدر تمامه عملاً بقوله ،صلى الله عليه وسلم ،من آستن سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة إبتغاء للأجر

١٨- والثواب وقربها لبيت الله الحرام من مكان ليس يفتح به للظالم الأبواب بحيث لا ينقطع رسم هذا المعروف ولا يمحى ويتم فضله

١٩- المألوف ولا يغير حكمه ولا ينقض إسمه وملعون بن ملعون من يخالف ذلك وخنزير بن خنزير من يسلك غير هذه المسالك أو يأخذ

٢٠- مكسا من المكوس فيلقيه الله به من الغضب المهالك أو لا يدوم على إعتماد هذا الأمر في اليوم ولا فيما بعده أو ينقصه (١)

٢١- من أمير مكة المشرفة أو من ولاة مصر المحروسة و على طول المدة يك كمن يأبى على مر الدهور ويحرم أخذ هذا الحرام.

٢٢- ليكون من قوم يحبهم الله ويحبونه ومن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه و من خان فبدل أو غير

---

(١) هكذا وردت في النص ، والمقصود بها " يكن " لأن النون حذفت منها .

٢٣- فبشر الخائنين(١) ومن تجرأ على إعادته فأولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ومن أخذ به بعد إبطاله كان

٢٤- بريئاً من الله ورسوله كافراً بهما فلا ينال من الرحمة من أمر يتولـه يلقيه الله في الدرك الأسفل من النار وعليه اللعنة

٢٥- والخزى من غضب الجبار ولا يكون من ذرية رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،ولا من نسله ويحرم شفاعته ولا يرد

٢٦- حوض فضله فليبق ذلك الى يوم الدين ويستمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧- وقد التزم أمير مكة جميع ذلك ورضي بما عوض به وأشهد على نفسه بجميع ذلك طائعاً مختاراً وحسبنا

٢٨- الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين .

٢٩- وذلك بمباشرة العبد الفقير الى الله تعالى بهادر الجمالى أستاذ الدار الملكي الأشرفي وبيبغا العلائي ومحمد الطولوني .(٢)

هذا وقد قام أيضاً الدكتور محمد الفعر بنشر حجة وقف السلطان الأشرف شعبان والمؤرخة بالثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ ،والمتضمنة ما يصرف في كل سنة على الحرمين الشريفين وقدره مائتا ألف درهم ،وخمسة عشر ألف درهم نقرة وذلك من ريع ما أوقفه في مصر من ناحية اللحسة وثلثا داريح (٣)

---

(١) الخائنين : المقصود بها القائمين .

(٢) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣) هكذا وردت في النص .

على أن يستغل ريعهما ويصرف لأمير مكة والمدينة بشرط أنهما لا يتناولان شيئاً من المكوس المشترط عدم تناولها بحيث يصير مالاً واحداً ، ويصرف منه لأمير مكة في كل سنة مائة ألف درهم وستون ألف درهم نقرة . وتضيف حجة الوقف إلى مرسوم الأشرف شعبان في هذا الصدد والسابق ذكره كثيراً من الحقائق عن أنواع المكوس والجباء التي ألغيت عن الحجاج والمقيمين والزائرين والمجتازين خلا تجار العراقيين واليمن وما يحضر معهم من التجارة وذلك بما يبتاع من أسواق مكة من مأكول ومشروب ونسيء ومطبوخ وعلى جميع ما يقتات به ، ويحمل إليها براً وبحراً من غلة وحبوب وفواكه وأصال وإدام وإبل وغنم مقابل تعويض أمير مكة عنها بذلك المبلغ وهو مائة وستون ألف درهم نقرة في كل سنة . كما تضيف حجة الوقف أن يعوض أيضاً أمير المدينة المنورة في كل سنة بمائة ألف درهم نقرة مقابل عدم تناوله شيئا من المكوس بحيث يكون حكم أمير المدينة المنورة كحكم أمير مكة فيما شرط عليه من الشروط المعينة التي وردت في حجة الوقف بسبب إبطال المكس وعدم التعرض إليه .

هذا ويجدر بي أن أنوه أن هذا النص الخاص بتعويض أمير المدينة المنورة في كل سنة بمائة ألف درهم نقرة مقابل عدم تناوله شيئاً من المكوس بحيث يكون حكم أمير المدينة المنورة كحكم أمير مكة المكرمة فيما شرط عليه من الشروط المعينة التي وردت في حجة الوقف هذه هو النص الوحيد الذى ورد في المصادر المعاصرة سواء ما كان منها خاصاً بتأريخ المدينة أو بتاريخ مصر المملوكية عن المكوس وإلغائها بالمدينة المنورة طوال العصر المملوكي .

وفضلاً عن ذلك فقد تضمنت حجة الوقف الكثير من أوجه صرف ريع ما أوقفه الأشرف شعبان من أوقاف في مصر سواء على أمير مكة أو على مصالح الحرم الشريف والمرتبين في وظائفه من أئمة وفقهاء ومدرسين وطلبه ومباشرين وفراشين وبوابين ومؤذنين ولمن يقوم بتسبيل ماء زمزم في الحرم الشريف في مكة طوال النهار، ولسدنة الكعبة المشرفة وغيرها من وجوه الإنفاق على مصالح الحرم الشريف، وما يوزع من صدقات على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطعين بمكة والواردين إليها (غير الروافض) على أن يقدم في الصرف أصحاب الأخصاص الذين هم بظاهر مكة، وما يصرف لصالح الميضأة المستجدة الإنشاء الكائنة بباب علي، وعلى مصالح البيمارستان الذى استجده الأشرف شعبان، وعلى مصالح رباط السدرة بمكة، وللحاكم بمكة عن إنتصابه للحكم، والفصل بين الخصوم، ورد المظالم عن المظلوم، وخلاص الحقوق والنظر في المصالح العامة والخاصة، وعلى مصالح مسجد الخيف بمنى، ومساقي المياه بعرفة، وعين جوبان، ولمشايخ عرب خليص لخفارتهم الحجاج ذهاباً واياباً، ولمشايخ حنين الذين تجرى العين في أرضهم، ولخفارتهم الحجاج ذهاباً واياباً.

ونظراً لأهمية حجة الوقف هذه بالنسبة لموضوع بحثي عامة، سواء فيما يختص بإلغاء المكوس أو تقديم الأعطيات والصدقات والمبرات، وتوفير المياه والأطعمة في مكة والمدينة والمشاعر لأهاليها وللمقيمين بها والواردين إليها من أهل السنة فقد استوجب الأمر إعادة نشرها كاملة نقلاً عن الدكتور

محمد الفعر كملحق في آخر البحث.(١)

وفي سنة ٧٧٤ هـ تنازل الشريف عجلان عن إمرة مكة وأعمالها لولده أحمد ،والسبب في ذلك أنه رغب أن يكون إبنه محمد بن عجلان ضداً لأخيه أحمد بأن يفعل في البلاد فعلاً فيظهر به محمد ويغضب به أحمد ، فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه لأنه قوى عليه ،وينال بذلك مقاصده من أحمد ،وقد حدثت مشاحنات بين أحمد وأخيه ،وفي النهاية أعتذر الشريف عجلان لإبنه أحمد بشرط أن يترك له الإمرة على مال جزيل يسلمه له إبنه أحمد وعلى أن يشترى منه ألف غرارة حب ذرة ،وطلب منه ثلثمائة ألف درهم بعضها في مقابل الإمرة ،وبعضها في ثمن الخيل ،فالتزم أحمد مقصود أبيه من المال وأحضره له ،وكذلك اشترط عليه أن يكون له الخبز الذى قرر لعجلان بديار مصر على إسقاط المكس عن ما يصل إلى مكة من المأكولات ، وعن ما يصل من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية براً وبحراً وهو مائة ألف درهم وستون ألف درهم ،وألف أردب قمح ،وأن يديم له ذلك مدة حياته وأن يذكر إسمه في الخطبة ، والدعاء له على زمزم،

---

(١) انظر نص حجة الوقف المثبتة كملحق في آخر الرسالة نقلاً عن الدكتور محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ملحق رقم (٣) ، ص ٥١٨ - ٥٣٣ .

فالتزم إبنه بذلك وأشهد كل منهما على نفسه ،وكُتب بذلك محضر.(١)

وفي النصف الثاني من صفر سنة ٨٢٤ هـ وصل خبر موت سلطان مصر الملك المؤيد أبي النصر شيخ المحمودى إلى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة فما كان منه إلا أن جعل إبنه الشريف إبراهيم حاكماً لمكة مع أخيه الشريف بركات ،ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة ، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه ،ويبطل الرسوم التي كان قررها للأشراف والقواد في كل سنة ،وجعل الأشراف إلى إبنه الشريف إبراهيم ،والقواد إلى إبنه الشريف بركات ،وجعل له الثلث الباقي من الحاصل لأمير مكة يصرفه في مصالحه وخاصة نفسه ، فلم يتم له ذلك ،لأن القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة ،ومضى هو وإبنه الشريف إبراهيم جهة اليمن.(٢)

وفي مستهل صفر من العام نفسه وصل مرسوم للشريف حسن بن عجلان من سلطان مصر المظفر أبي السعادات أحمد بن المؤيد الذى

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٣١٨ - ٣١٩.
- لمزيد من التفصيل عن مرسوم الأشرف شعبان الخاص بإسقاط المكوس عما كان يجبى في مكة مقابل إعطاء شريف مكة مائة ألف وستين ألف درهم ،وألف أردب قمح انظر الفصل بتوفير الأطعمة ، ص ٢٨٧.

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ١٤١ - ١٤٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

تولى الحكم بعد موت أبيه ، ويتضمن هذا المرسوم تفويض إمرة مكـــة للشريف حسن وإبنه بركات ، وقرئ المرسوم بالمسجد الحرام يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول بحضرة الشريف بركات وغيره من القضاة والأعيان يذكر فيه الأمر بمراعاة مصالح الناس بمكة ، وتعظيم آمر حكام الشرع ، والوصية بالشيخ على الكيلاني (١) ، وإعادة ما أخذ من التجار إليهم ، وإسقـــاط ماجد د من المكوسات ، وإعفاء الشريف حسن عن تكلف شيء لأمير الحــج ، ومراعاة مصالح الرعية (٢) .

ومن العام نفسه سنة ٨٢٤ هـ تولى الحكم بمصر السلطان ططـــر الظاهري الذى أبطل المكوس بمكة ، وعوض أمير مكة بدلاً منها ألف دينـــار يحمل إليه سنوياً من مصر ، وسجل ذلك في الدفاتر السلطانية ، كما نقر هـــذا المرسوم على إسطوانة بالمسجد الحرام جهة باب الصفا (٣) .

---

(١) على بن داود الكيلاني : نشأ بمكة ، وحفظ المنهاج ، وأجيز بالإفتاء والتدريس ، ناب في قضاء مكة وإستقلالاً بقضاء جدة سنة ٨٣٥ هـ ، توفى سنة ٨٤٢ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٤٠ - ١٤١ - شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢١٠ - ٢١١ - ابن فهد : إتحاف الـــــــــورى ج ٣ ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٤ - ٧٠٥ .

(٣) مؤلف مجهول : احوال الحرمين الشريفين ، ورقة ٣٥ - الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٥ - إبن حجر : إنباء الغمر ، ج ٢ ، حوادث سنة ٨٢٤ هـ - العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٣٧ - ٣٨ -

===

وفي سنة ٨٣٠ هـ أصبحت مكة دار مكس خاصة عندما نادى منـــاد يوم عرفة: يامعشر الناس من اشترى بضاعة وسار إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان، فأخذ التجار القادمون من جميع الأقطار يسافرون مع الركب المصرى لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم، ثم إذا سافروا من القاهرة إلى بلادهم البصرة والكوفة بالعراق أخذ منهم المكس ببلاد الشام وغيرها.(١)

وفي سنة ٨٣٥ هـ عومل الركب التكرورى(٢) والمغربي أسوأ معاملة فأخذوا المكس منهم على الخيل والثياب والرقيق المجلوبة معهم، بل أخذوا المكس منهم حتى على الهدايا.(٣)

=== ابن فهد : إتحاف الـــــــورى، ج ٣، ص ٥٨١ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٠٤ - ٧٠٥ - النهروالـــي : الإعلام، ص ٢٠٥ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٦٥.

(١) المقريزى : السلوك، ج ٤/٢، ص ٧٥٥ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣١٠ - ٣١١ - ابن فهد : إتحــــاف الــــورى، ج ٣، ص ٦٤٧ - الجزيرى : درر الفرائـــد، ج ١، ص ٧١٧.

(٢) التكرورى : نسبة إلى بلاد التكرور، وهي أحد الأقاليم الافريقيـــة الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من مصر، وقاعدتها مدينة التكرور، وأهلها شبه الزنوج. (القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٨٦- ٢٨٧). وبلاد التكرور هي جمهورية مالي الحالية في غرب أفريقية.

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٢٦٣.

وفي يوم السبت الخامس من ربيع الأول سنة ٨٥٠ هـ وصل مرسوم السلطان الظاهر جقمق من مصر إلى الشريف أبي القاسم أمير مكة بأنه بلغ السلطان أنك أحدثت بمكة المكوس فيجب إزالتها.(١)

وفي يوم الاربعاء الحادى عشر من ربيع الأول سنة ٨٥٥ هـ قرئ مرسوم لناظر الحرم برد بك التاجى (٢) باسقاط مكس "بجيلة" (٣) وكتب ذلك على باب المعلاة في الثامن عشر من المحرم سنة ٨٥٦هـ.(٤)

وفي سنة ٨٧٢ هـ أرسل الأشرف قايتباى خلعة لأمير مكة محمد بن بركات وتأكيده لإمرته على مكة، وخلعة لقاضيها برهان الدين بن علي بن ظهيرة (٥)، ومرسوم بقضائه لمكة، وأبطل جميع المكوس والمظالم.

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٩٣.

(٢) برد بك التاجى الظاهرى : وهو من مماليك الظاهر جقمق ومن خواصه، رقاه إلى أن صار خاصكياً، ثم أمير عشرة، وجعله من رؤوس النوب، وتوفى سنة ٨٨٢ هـ. (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ، ج ١، ص ٨٥).

(٣) بجيلة : قرية بالبادية حول الطائف. (الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢ ، ص ٢٤٩).

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٢٢٩.

(٥) برهان الدين بن ظهيرة : تولى القضاء سنة ٨٦٢هـ، اشتغل بنظارة الحرم وقضاء مكة، وكان سلاطين مصر وأشراف مكة يقربونه لعلمه الواسع، وله عدة اشتباكات مع الأشرف قايتباى، وتوفى سنة ٨٩١ هـ. (ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٨٩١هـ).

ونقر ذلك على إسطوانة بباب السلام بالمسجد الحرام .(١)

هذا ولم تذكر لنا المصادر المعاصرة شيئاً عما كان يجبى فى مكة من مكوس ومظالم ،أو عن إلغائها بعد ما أمر به السلطان قايتباى سنة ٨٧٢هـ.

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٧٠ - العصامي : سمط النجوم العوالي ،ج ٤ ،ص ٤٣ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢٢٣ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ج ١ ،ورقة ١٢٤ السنجارى : منائح الكرم ،ج ٢ ،ورقة ١١ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ١٥٠ - أنور شكرى : لوحان أثريان ،ص ٣٦ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٥٩ .

٢ - جباية المكوس بجدة :

بعد أن قضى الظاهر بيبرس حجه وسافر إلى مصر عاد الخلاف بين الشريف أبي نمي وعمه إدريس والذى انتهى بقتل الشريف إدريس ، وقد كتب الشريف أبو نمي إلى السلطان الظاهر بيبرس يبرر فيها أعماله ، خاصة وأن بيبرس شرط على أبي نمي إلغاء المكوس مقابل عشرين ألف درهم تقدمها مصر سنوياً .(١)

إلا أن أبا نمي عاد مرة أخرى إلى إعادة المكوس ،وكان له عامل بجدة يقبض له مكوسها وضرائبها التي تؤخذ من الحجاج فقد شاهد ذلك الرحالة المغربي التجيبي في رحلته سنة ٦٩٦ هـ لأداء فريضة الحج ، فعن جدة يقول : " وبهذه المدينة عامل من قبل الشريف الأمير نجم الدين أبي نمي الحسني ملك مكة ،شرفها الله تعالى ،وأعظم بذلك أجورهم أخذ منا من غرائر الطعام نحو ربع كل غرارة ،وألزم أيضاً من كان له متاع أن يؤدى ضريبة أخرى على المتاع ،ولهم أيضاً ضريبة أخرى على الجمال التي يكتريها الحجاج

---

(١) المقريزى : السلوك ،ج ١/ ٢ ،ص ٥٧٩ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٩٩ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦٠٢ - ٦٠٣ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٢٥٥- ريتشارد مورتيل ،الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص ١٧٦ .

لركوبهم ،وحمل متاعهم وأزوادهم ،ورفع جميع ذلك للشريف أبي نمي". (١)

وكانت المكوس نقطة الخلاف بين سلاطين المماليك الجراكسة ،وبين أمراء مكة بسبب تدخل سلاطين المماليك في جباية مكوس الحجاج والتجار معا ،وهو أمر لم يكن له عادة أو سابقة من قبل ، فهي كانت خالصة لأمراء مكة لا يشاركهم فيها أحد. (٢)

وقبل أن أستعرض موضوع المكوس بجدة ، عليّ أن أوضح في نبذة بسيطة أسباب تحول التجارة من ميناء عدن إلى جدة ،وسبب إزدهار هذا الميناء . ففي خلال القرن السابع الهجرى كانت تجارة الشرق تمر عبر عدة طرق تجارية هامة منذ القدم ،وهو الطريق البرى الذى يمر عبر أواسط آسيا حتى بحر آزوف ،وطريق الخليج العربي ،وطريق البحر الأحمر. وبسبب السياسة الحكيمة التي اتبعها خانات المغول بعد أن دانت لهم معظم القارة الآسيوية ، وبسبب إستتباب الأمن في أنحاء دولتهم وتأمين طرق القوافل ،وتخفيض الرسوم الجمركية ،والترحيب بتجار الفرنج في بلادهم ، وتيسير سبل الإنتقال لهم والترحال عبر بلادهم إلى الهند والصين ، وتحسين علاقاتهم مع الصليبيين في الشام ،كل ذلك قد أدى إلى إزدهار

---

(١) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٤ - ١٦٥.

الحركة التجارية عبر الخليج العربي ،وبلاد العراق وأرمينية ،وأذربيجان •
إلا أن حروب تيمورلنك المدمرة كانت سبباً في إقفال الطريق التجارى الذى
يربط شبه جزيرة القرم بالصين ،وكذلك طريق الخليج العربي عبر
العراق وأرمينية ،وأذربيجان والبحر الأسود ، فلم يكن يهم تيمورلنك غير
إزدهار الحياة الإقتصادية في خراسان ،وبلاد ما وراء النهر ،ولذلك حرص
على إبقاء الطريق التجارى الذى يربط سمرقند عاصمة دولته بالهند •
وإذا أنتقلنا إلى البحر الأبيض نجد الصراع بين جمهوريتي جنوه والبندقية
من أجل السيطرة على المنافذ التجارية المطلة عليه ،والتي تنتهي إليها
تجارة الشرق (١) •

كما ساعدت حركة ملاحة مراكب الصين في بحار الجنوب في أواخر
القرن الرابع عشر على إزدياد تدفق متاجر الشرق الأقصى إلى عدن والبحر
الأحمر ، فقد تدفقت هذه المراكب منذ أوائل هذا القرن إلى الإبحار
إلى عدن بصحبة المراكب الهندية ،ولم تكن تتعدى في ملاحتها غرباً ميناء
حلى على الشاطىء الجنوبي الشرقي للهند ، غير أنه بعد أن اعتلت
أسرة منج عرش الصين سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م عادت مراكب

---

(١) أحمد دراج : إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر
منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ،الجمعية المصرية للدراسات
التاريخية - ١٩٦٨ م ،ص ١٨٧ - ١٨٨ •

الصين إلى عدن ، وميناء هرمز (١) .

وإذا كانت سياسة خانات المغول قد أدت إلى اقلال النشاط التجارى عبر عدن والبحر الأحمر خلال القرن السابع الهجرى ، فإن بنى رسول باليمن قد بذلوا كافة جهودهم لإستعادة النشاط التجارى مرة أخرى بعدن ، وكان ذلك على يد السلطان المؤيد أثناء زيارته التفتيشية بعدن ، فقد أمر بإلغاء الرسوم غير الشرعية التي تجبى من التجار ، كما أوصى بحسن معاملة التجار وإكرامهم أثناء إقامتهم بعدن (٢) .

كما أزال الملك الأشرف سلطان اليمن أسباب الشكوى التي يشكو منها التجار الهنود ، وألغى الأتاوات والمقررات الجائرة التي كانت تجبى زيادة على الرسوم المقررة من التجار ، كما عين أحد تجار الكارم اليمنيين ليكون مشرفاً على الحركة التجارية ، مما كان سبباً في زيادة النشاط التجارى والإيرادات ، وساعد أيضاً على إزدهار الحركة التجارية تحسين سلاطين بنى رسول علاقاتهم مع ملوك وأباطرة الشرق الأقصى . غير أن إزدهار الحركة التجارية بعدن لم يدم لسوء معاملة سلطان اليمن الناصر صلاح الدين أحمد للتجار الهنود والصينيين ، وجشعه في جباية الرسوم منهم ، بل إن الأمر تعدى إلى تجار الكارم من اليمنيين ، مما جعلهم يتحولون عن عدن إلى جدة ، وشواطيء الهند (٣) .

---

(١) أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وبذلك تخطى أحد كبار تجار الهنود وإسمه إبراهيم ميناء عدن ،وبحث عن ميناء آخر في البحر الأحمر يرسو فيه بسفينته ،وهذا ما سأوضحه فيما بعد .

وبذلك تحولت التجارة إلى جدة بدلاً من عدن ،وبسبب هذا التحول لتجارة الشرق الأقصى تغيرت موازين القوى السياسية ، واخضعت مصر جدة للإدارة المصرية (١) ،كما دفع سلطان اليمن الملك الأشرف إسماعيل إلى إتباع سياسة الضغط الإقتصادى على أشراف مكة ،وسلاطين المماليك وذلك بتحويل السفن التجارية اليمنية إلى ميناء سواكن بدلاً من جدة (٢).

غير ان اليمن لم يكن في وسعها الإستمرار في سياسة المقاطعة الإقتصادية هذه بجدة ،لأن الجانب الأكبر من تجارة الشرق الأقصى كان يأخذ طريقه إلى الموانئ المصرية والشامية ،ولذلك نجد الملك الأشرف سلطان اليمن يغير من سياسته ويتودد إلى سلاطين المماليك (٣).

لكن العلاقات بين سلاطين مصر وسلاطين اليمن ساءت ، كما أن معاملة سلطان اليمن للتجار وجشعه في جباية الرسوم من تجار الهند والصين

----

(١) أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٩٣ .
(٢) المرجع السابق ،ص ٢٠٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

ومصر خاصة جعل التجار يفرون بأموالهم إلى موانيء الهند وميناء جدة . (١)
وبذلك أصبحت جدة القاعدة الرئيسية لتجارة الشرق الأقصى . كما أدت سوء
معاملة الشريف حسن بن عجلان للتجار إلى أن يستغل سلاطين المماليك هذا
التحول التجارى لصالحهم ،فيخضعون ميناء جدة لإدارتهم المباشرة ،وأصبحت
سيادتهم عليها سيادة فعلية بعد أن كانت إسمية ، بها دوائر إدارية
ومالية تتمثل في ناظر جدة ،ومباشر لتحصيل الضرائب والمكوس ، وأعوان
له لإصلاح الميناء والعمائر الأخرى (٢) . كما أبعدوا أمير مكة عن جباية
المكوس بجدة ،بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من هذا ، فقد قاموا بإحتكار هذه
التجارة نظراً لما كانت تعود به عليهم من مكاسب وثروات آجلة كانت مصر
في أمس الحاجة إليها في هذه الفترة بسبب سوء أحوالها الإقتصادية .
غير أن إحتكار هذه التجارة وان كان قد حقق لمصر ولخزائن سلاطين المماليك
أرباحاً وافرة ،إلا أنه عاد على البلاد بأوخم العواقب ،وكان هذا عاملاً
رئيسياً في سقوط الدولة المملوكية (٣) ولنحاول أن نتتبع في المصادر المعاصرة
جباية أمراء مكة ثم سلاطين المماليك الجراكسة للمكوس على ما كان يرد
إلى جدة من سلع وبضائع .

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٦٢١-
أحمد دراج : إيضاحات جديدة ،ص ٢٠٤ - على السليمان :
العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٦٦ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٤/ ٢ ،ص ٢٢٩ .

(٣) أحمد دراج : إيضا حات جديدة ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

ففي سنة ٧٥٢ هـ جاءت مراكب أهل اليمن إلى جدة فجباهم الشريف ثقبة وأخواه سند ومغامس جباءً عنيفاً ،وأخذ منهم أموالاً كثيرة ،وحريراً ورقيقاً ،ومنعهم أن يحملوا أمتعتهم إلى مكة.(١)

وفي سنة ٧٥٤ هـ أخبر الحجاج أن الشريف عجلان مضى قبل قدوم الحجاج من مكة يريد جدة لأخذ مكس التجار الواردة في البحر ، فبعث إليه ثقبه يريد نصيبه فرفض عجلان أن يعطيه شيئاً ،فركب إليه ولقيه ، فلما نزلا غدر ثقبة بعجلان وقبض عليه وسلمه لمن يحفظه ، وركب لأخذ أموال عجلان من وادى نخلة ،إلا أن الموكلين بعجلان اطلقوا سراحه ،وعند قدوم الحجاج لم يدرك ثقبة عجلان.(٢)

وبسبب الدور الذى لعبه الشريف عجلان في أسر الملك المجاهد سلطان اليمن وهو في منى سنة ٧٥١ هـ ،ثم نقله إلى مصر ليسجن بها ، فقد أخذ الملك المجاهد موقفاً من الشريف عجلان ،فما كان منه سنة ٧٥٥هـ إلا أن منع تجار اليمن من الوفود إلى جدة ، ولكنهم لما عادوا إليها

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ٣٩٦ - ج ٦ ،ص ٦٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٥٣ - ٢٥٤ - احمد السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٢٧٥ - ريتشارد مورتيل : الاحوال السياسية والإقتصادية في العصر المملوكي ،ص ١٧٧.

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٢/٣ ،ص ٨٨٧ - ٨٨٨.

في السنة التالية تعرضوا للنهب والسلب من الشريف ثقبة ،وأخويه سند ومغامس بسبب نزاعهم مع الشريف عجلان على إمرة مكة ،بل أنهم استولوا على جميع بضائعهم (١) .

وفي سنة ٧٢٢ هـ قام الشريف سند بن رميثة بالإستيلاء على جلبة (٢) كانت راسية بميناء جدة تحمل بضائع التاجر ابن عرفة ،ووزع هذا المال بينهم ،وحدث ذلك أثناء غيبة الشريف عجلان بحلى بني يعقوب (٣) .

ولما تولى الشريف حسن بن عجلان إمارة مكة حرص على إجتذاب التجار إلى جدة ،ففي سنة ٧٩٩هـ ألغى ثلث الضرائب التي كانت تؤخذ من التجار في جدة ،وأهتم بإعادة الأمن والإستقرار إلى إمارته ،وكانت

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ،ص ٦٥ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية في العصر المملوكي ،ص ١٧٨ .

(٢) جلبة : جمعها الجلبات والجلاب وهي السفن التي لا يستعمل في بنائها المسامير المعدنية، وهذا النوع من السفن يستخدم في البحر الأحمر. (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ١٩٠) .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٠٦ - العقد الثمين ،ج ٤ ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ ، ج ٦ ،ص ٦٩ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٧٠ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص ١٧٨ .

النتيجة أن عاد تجار اليمن إلى جدة .(١)

وفي آخر رمضان سنة ٨٠٢ هـ وصلت مراكب الكارم والجلاب من اليمن إلى جدة ،وكانت تزيد على عشرة مراكب غير الجلاب ،وجبى الشريف حسن بن عجلان من التجار أكثر من العادة بكثير ،ثم رحل التجار بعد ذلك إلى مكة .(٢)

وفي سنة ٨٠٤ هـ حصل للشريف حسن بن عجلان خمسة وستون ألف مثقال بسبب أن مركباً أنصلح بقرب جده لتجار الكارم فأعطوه هذا المبلغ عوضاً عن الربع الذى يأخذه ولاة البلاد فيما ينصلح ببلادهم من الجلاب .(٣)

وفي سنة ٨٠٦ هـ تولى جباية المكوس بجدة جابر بن عبدالله الحراشي من قبل الشريف حسن بن عجلان لحنكته السياسية ، وبنى فرضة بجدة ، وخصص للأشراف الحسنيين نسبة من الضرائب التي تؤخذ

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ٩٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٠٤ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص ١٨٠ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ٩٥ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٢٠ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ،ص ٤٢٥ .

من التجار ، الا أنه قبض عليه من قبل الشريف حسن بن عجلان سنة ٨٠٩ هـ لخبث لسانه.[١]

وفي آخر محرم سنة ٨١٨ هـ وصل إلى جدة القاضي مفلح واستصحب معه المراكب والطراريد[٢] والجلاب ،وبمعاونة الشريف رميثة أخذ من أصحابها المقرر[٣] ،ثم مضوا إلى ينبع . وكان الشريف حسن بن عجلان يرغب أن يعينه بنو حسن على منع المراكب من السقية بجدة فما أعانوه ، وعاد رميثه بعد سفر الجلاب[٤] إلى الجديد.[٥]

---

(١) الخضراوى : الجواهر المعدة ،ورقة ٤٦-٤٧ - ابن حجر : أنباء الغمر، ج ٣ ،ص ٢٣- ٢٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ج ٣ ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) الطراريد : هي سفينة صغيرة سريعة السير والجرى ،واكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً ،أو تحمل بها الغلة ،والطراد نوع من المراكب الحربية لا يزيد طولها عن سبع أذرع ،وعرضها ذراعان ونصف الذراع، وهي اشبه بالبرميل ليس لها سقف ،خالية من المسامير . (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ،ص ٣٥٣ - ٣٥٤) .

(٣) المقرر : هو مصطلح الإدارة المالية في عهد الدولة المملوكية ،ومعناه المكس أو الضريبة . (المقريزى : السلوك ،ج ٢ / ١ ،ص ١٥٢) .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٢٥ .

(٥) الجديد : هي قرية في طريق مكة والمدينة المنورة ،ماؤها عذب ، وبها قبائل الحوازم والأحامدة . (البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ١٠(٢)) .

وفي صفر سنة ٨١٩ هـ وصلت المراكب الكارمية ، والجلاب الينبوعية إلى الشقان ، فأخذ منهم الشريف حسن بن عجلان المقرر له ولخواصه قدر ثلاثة عشر ألف مثقال (١) ومائتي مثقال ، وسمح لهم بالسقية من جدة ثم مضوا إلى ينبع (٢) .

وفي صفر سنة ٨٢١ هـ وصل تجار من اليمن أكثر من كل سنة إلى جدة ، وكان دخولهم بإذن سلطان اليمن ، وسألهم الشريف حسن في المكس المتعلق بحمل السلطان ومضوا لبلادهم سالمين (٣) .

---

(١) المثقال : إسم لما ثقل سواء كبر أو صغر ، وصار في عرف الناس إسماً على الدينار ، ويرجع إطلاق المثقال على الدينار في العصر الإسلامي إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٦هـ بعد إصلاحه نظام النقد في الدولة الأموية إذ جعل المثقال وحدة الذهب ، وقرر أن يكون وزن الدينار مثقالاً واحداً أي ٥ر٦٥ حبة أو ٢٥ر٤ جرام . (المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٤٩) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٢٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة ، ص ١٨٢ -

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٥٥ .

وفي شوال سنة ٨٢٢ هـ وصلت الجلاب من اليمن ، فتحصل للشريف حسن بن عجلان مبلغ جيد ، ثم وصلت المراكب الكارمية إلى جدة ، فصالحهم الشريف حسن على عشرة آلاف أفلوري بعد وصوله إلى مكة لملاقاة الحجاج .[1]

وفي سنة ٨٢٣ هـ وصلت رسالة عتاب إلى الشريف حسن بن عجلان من سلطان مصر الملك المؤيد شيخ لمنع الشريف حسن بعض المراكب المتوجهة من جدة إلى ينبع ، ينكر في رسالته بعض الأمور على أمير مكة منها أخذه المقرر من المتاجر السلطانية لأن بها حملاً سنوياً لصاحب مصر ، وشراء أمير مكة في العام الماضي جميع ما يرد إلى جدة من الحب والتمر وخزنه ثم بيعه للناس ، وعدم إرساله العشرة آلاف دينار المتبقية عليه للخزانة السلطانية المؤيدية التي التزم بها حين عين أميراً لمكة سنة ٨١٧ هـ.[2]

وفي نفس العام حصل بجدة خلل في بعض مراكب الكارم عندما عزموا من جدة إلى ينبع فأمرهم الشريف بالتنجيل[3] ، فصالحوه على

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ١٣٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٦٥ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٥ .

(٣) التنجيل : إنزال التجارة من السفن إلى البر ، وهي كلمة شائعة على ألسنة أهل جدة . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ ، حاشية ٢) .

ذلك بألفي دينار ،ثم توجهوا إلى ينبع .(١)

وفي سنة ٨٢٦ هـ صادر الشريف حسن بن عجلان فلفل التجار الواصلين إلى جدة من الهند ،فهدده السلطان ،ولكن لم يهتم بذلك .(٢)

ونتيجة لسوء المعاملة التي لقيها التجار من السلطان اليمني الناصر أحمد بعدن ،فقد آتجه تاجر هندى من مدينة كاليكوت(٣) إسمه إبراهيم جاء بسفينته سنة ٨٢٥ هـ متجهاً كالعادة نحو ميناء عدن ،فير أنه في هذا العام تعدى عدن وجوّر إلى جدة لأن صاحب اليمن كان يسيء معاملة التجار . ولما أرسى بسفينته بجدة أستولى شريف مكة على ما بها من بضائع وطرحها على التجار . فلما كان العام التالي أرسى بميناء سواكن(٤) ولجزيرة دهلك ،إلا أنه عومل فيهما أيضاً أسوأ معاملة .

----

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ١٣٦-١٣٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٧١ .

(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٦٦ .

(٣) كاليكوت : هي ولاية من ولايات الهند ،وتطلق على حاضرة الولاية حكامها سامريون كفار ،ويعيش المسلمون بجانبهم ،ويجلب منها الفلفل والبهار . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣ ،حاشية ١) .

(٤) سواكن : تقع على ساحل البحر الأحمر ،وقد وصفت بأنها جزيرة فعلاً ، يوصلها بالشاطيء لسان ضيق من الأرض . (المقريزى : السلوك ، ج ١/٢ ،ص ٥٠٦ ،حاشية ٢) .

وفي العام الذى بعده جاء إلى البحر الأحمر ،إلا أنه مر بجدة متجهاً نحو ينبع ،فلما علم بذلك أمير الركب المصرى ،وتصادف وجوده في ذلك الوقت، أرسل إليه يتلطفه وانتهى الأمر بأن قبل إبراهيم تلطفه وأرسى بجدة بمركبين . وفي هذه المرة عومل معاملة حسنة ،وعاد إلى بلاده شاكراً ،ثم عاد في السنة التالية سنة ٨٢٨ هـ ومعه أربعة عشر مركباً موسوقة بالبضائع ، وبذلك أصبحت جدة المركز الرئيسي لهذه التجارة بدلاً من عدن .(١)

وفي جمادى الأولى سنة ٨٢٧ هـ وصل الأمير قرقماس الشعباني الناصرى(٢) ، والشريف علي بن عنان إلى مكة المشرفة ،فدخلاها بغير قتال بعد أن نزح عنها الشريف حسن بن عجلان ،ووصلت عند دخول علي بن عنان إلى جدة مركبان من الهند ،فتوجه إلى جدة لتعشيرها ،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ١٤٨ - المقريزى : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٦٨١ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ٦٠٦ - إبراهيم طرخان : مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة ،ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - أحمد دراج : إيضاحات جديدة ، ص ١٨٧ .

(٢) قرقماس بن عبدالله الأتابكي الشعباني الناصرى فرج الأمير الكبير سيف الدين ،ولي الدوادارية الثانية بعد موت المؤيد شيخ وصار مقدم ألف ،وأمير مائة سنة ٨٢٧ هـ ،ونيابة حلب ،ثم إمرة سلاح ، قتل بالإسكندرية سنة ٨٤٢ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ٢ ،ص ٥٤٢) .

وفرح بذلك لأنه يستعين بذلك على حاله [١].

أما فيما يختص بجباية العشر بجدة في عهد السلطان برسباى، فقد أمر السلطان بجباية العشر [٢] مالاً سنة ٨٢٨ هـ، ثم صنفاً سنة ٨٣٢ هـ، فضلاً عن مزاولته المتجر عندما بدأ تنفيذ سياسته الإحتكارية لتجارة الشرق والغرب، وربما لم يلجأ برسباى إلى إستصدار فتوى تجيز له جباية العشر بجدة، لأنه لم يوفق سنة ٨٢٧ هـ في الحصول على موافقة القضاة والفقهاء بجباية الزكاة من التجار المحليين بسبب حاجته إلى المال لتجهيز حملة عسكرية ضد أحد الأمراء المتمردين عليه في الشام، فقد رد عليه قاضي قضاة الشافعية بأن التجار يؤدون إلى السلطنة من المكوس أضعاف مقدار الزكاة، وفضلاً عن ذلك فهم مأمونون على ما تحت أيديهم من الزكاة [٣].

---

(١) المقريزى : السلوك، ج ٤ / ٢، ص ٦٦٣ - ابن حجر : انباء الغمر، ج ٣، ص ٣٢٦ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٠٦ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٠٨.

(٢) العشر : جمعها عشور، وهي الرسوم التي تؤخذ على اموال وعروض تجارة أهل الحرب، وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام وأول من وضعها عمر بن الخطاب. (أبو يوسف : الخراج، ص ١٢٧).

(٣) أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباى ومحمود شاه خلجي، سلطان مندوة بالهند، بحث منشور في مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الرابع، ج ١، ص ١٠٧.

هذا وقد أنكر شاه رخ سلطان التيموريين فيما بعد على السلطان برسباى اخذ المكوس بجدة من التجار وهو ما لم يسبق به عادة لأحد من السلاطين قبله.(١)

وقد أرسل السلطان برسباى يوم الأحد ربيع الآخر سنة ٨٢٨ هـ صحبة أرنبغا اليونسي الناصري(٢) مائتي مملوك، ومعهم سعد الدين ابن المرة أحد الكتاب لجباية المكوس على السفن الهندية الآتية إلى جدة وعددها أربعة عشر مركباً، وعشورها تزيد على سبعين ألف دينار، الأمر الذى جعل من جدة مدينة مزدهرة على حساب إضمحلال عدن، وكان ذلك بتدبير يشبك الساقي(٣)، بسبب نفيه من قبل المؤيد شيخ إلى مكة،

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٣٣٨-٣٣٩- ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١١٢-١١٣- على السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٦٨.

(٢) أرنبغا بن عبدالله اليونسي الناصري فرج أخو سونجبغا من جملة أمراء الطبلخانات بالقاهرة، وهو الأكبر، وتوفى سنة ٨٥٧ هـ بعد أن تقدم ألف. (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي، ج ١، ص١١١).

(٣) يشبك بن عبدالله الأمير الكبير الساقي الأعرج الظاهرى، اشتراه برقوق، وهو شاب، ثم تآمر في أول دولة الناصر فرج، فنفاه المؤيد شيخ الى مكة، وكان من كبار القائمين بدولة الأشرف برسباى، ومن خيار الأمراء محبا للحق، كثير العبادة والديانة، توفي سنة ٨٣١ هـ. (ابن حجر : انباء الغمر، ج ٣، ص ٤١٧).

فتعرف على أحوالها وحسّن للسلطان فكرة الإستيلاء على مكوس جدة ، وأخذت السفن القادمة من الهند تتزايد في السنة التالية مما ساعد على إرتفاع أرباح السلطان ، غير أن السلطان لم يقنع بهذه الأرباح فزادها ، ولولا تداركه للأمر لخسر أمراء مكة والتجار ،فتراجع عن ذلك واكتفى بأخذ العشر على البضائع النازله بجدة (١) .

غير أن الأحوال الإقتصادية أخذت تزداد سوءاً ،ففي سنة ٨٢٩ هـ حضر الشريف حسن بن عجلان أمير مكة إلى مصر مع أخيه إبراهيم ،وقد فوضه السلطان برسباى إمرة مكة بعدما ألزمه بدفع عشرة الآف دينار كل عام للخزانة المصرية ، هذا بالإضافة إلى تسديد ما عليه من ديون كان قد وعد بها عند إمرته مكة قدرها ثلاثون ألف دينار لم يدفع منها سوى خمسة الآف فقط ،وأن لا يتعرض لما يوءخذ في جدة من عشور

---

(١) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ،ص ٦٨٠ - ٦٨١ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ،ص ٢٧١ - ٢٧٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٦٢٠ - ٦٢١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧١٠ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ،ص ١٤١ - إبراهيم طرخان : مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ص ١٨٤ .

على التجارة الواصلة من الهند .(١)

وأزداد سخط التجار على السلطان برسباى الذى أجبرهم على التوجه ببضائعهم التي اشتروها من تجار الهند إلى القاهرة لأخذ مكوسها منهم قبل أن يتوجهوا إلى الشام ،مما جعل شريف مكة يضيق بالأمر ، فحاول أن يسطو على ما جمعوه قبل أن يبعثوه للسلطان(٢) . هذا بالإضافة إلى شكوى تجار الشام من حملهم البضائع التي يشترونها من بندر جدة إلى القاهرة ،فوقع الإتفاق في شهر ربيع الاخر سنة ٨٣١ هـ على أن يوءخذ منهم بمكة على كل حمل كبر أو قل ثلاثة دنانير ونصف ، وأن يعفوا من حمل ما يقبضونه من جدة إلى مصر ،فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أخذ منهم مكس آخر هناك حسب ما جرت به العادة(٣) .

---

(١) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ،ص ٧٠٦ - ابن حجر : أنباء الغمر ،ج ٣ ،ص ٣٧٦ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٢٨٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٦٣٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧١٤ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٢/٢ ، ص ٢٢٩ - الرشيدى : حسن الصفا الإبتهاج ،ص ١٤١.

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ،ص ٣١٣ - ٣١٤ .

ولذلك أرسل السلطان في نفس العام تجريدة عسكرية قوامها خمسون مملوكاً لتقوية ناظر جدة سعد الدين بن المرة في تحصيله المكوس بجدة ،لأن الأشراف طالبوا الأمير شاهين العثماني بجزء من المتحصل ، الا أن السلطان برسباى تنازل عن ثلث ما كان يجبى في جدة من مكوس للشريف بركات لأنه خشى غضب الأشراف بمكة ووقوع فتن ضده إذ لم ينس أن أمير مكة كان يأخذ جميع المكوس دون إشراك أحد معه (١) .

وقد رضي أمير مكة بذلك عندما وصله في أواخر جمادى الآخرة أو أول رجب سنة ٨٣٢ هـ مرسوم سلطاني صحبة سعد الدين بن المرة في ركب الرجبية بالإنعام عليه بثلث المتحصل من عشر تجارة الهند الواصلة إلى جدة (٢) . وكان المرسوم يقضي أيضاً بأنه بعد موسم الحج يجب على التجار التوجه إلى القاهرة ببضائعهم لأخذ المكس منهم ، وقد نالهم

---

(١) ابن حجر : أنباء الغمر ،ج ٣ ،ص ٤٠٤ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٤ ،ص ٧٨١ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧١٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ،ص ٧٩١ - ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ،ص ٤٢٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤ ، ص ٢٦ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج ٣ ،ص ١٤٥ - ١٥١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧١٨ - السنجارى : منائح الكرم ج ٢ ، ورقة ٣ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج،ص ١٤٣ - أحمد السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٣٠٢ .

التعب من مشقة ذلك الطريق ،كما قام سعد الدين بن المرة ،وشاهين العثماني بأخذ من كل صنف صنفه [١] ،وعن كل جونية [٢] نصف أفلورى ،وقد كتب ذلك المرسوم على فرضة جدة [٣].

وفي سنة ٨٣٤ هـ سار سعد الدين بن المرة إلى مكة بسبب المكس المتعلق بالتجار الواصلين إلى جدة ،وخرج معه نحو ألف نفس للمجاورة ،فلما كان بين الوجه وأكرا وجدوا عدة موتى ممن مات بالعطش في العام الماضي ،ولما نزلوا رابغ خرج عليهم الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور الحسيني ،ومعه مائة فارس ، وأرادوا نهبهم فصالحوه على ألف ومائة دينار بعد أن وقعت بينهم مناوشة ،وقتل عدد قليل من الطائفتين ،كما عارضهم عرب زبيد فصالحوهم على ألف دينار وهبها ابن المرة من ماله الخاص [٤].

---

(١) أى انه أخذ العشر من كل صنف عيناً .

(٢) الجونية : المراد بها السفط ،أو السلة المغطاة بالأدم ، أو الجوناء بمعنى القدر . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٢٧ ،حاشية ٣) .

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ،ص ٧٩١ - ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ،ص ٤٢٣ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج ٣ ،ص ١٤٥ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٢٦-٢٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧١٨ .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر ،ج ٣ ،ص ٤٥٦ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ، ص ٧١٨ - ٧١٩ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٦٧ .

وفي الثاني والعشرين من شوال سنة ٨٣٥ هـ وصلت عدة زنوك[١] من الصين إلى سواحل الهند ، وأرسي منها إثنان بساحل عدن ، فلم تنفق بضائعهم من الحرير والمسك وغير ذلك لإختلال حال صاحب اليمن ، فاستأذن في سير هذين المركبين إلى جدة الشريف بركات أمير مكة وسعد الدين بن المرة ناظر جدة ، فأذن لهم بالدخول إلى جدة لكثرة ما يتحصل منها من مال[٢] .

وفي سنة ٨٣٦ هـ سافر أسنبغا العبادى[٣] إلى جده لتحصيل المكوس الهندية ، وأرسل معه سعد الدين بن المرة كعادته ، وسافر معه جماعة من المجاورين والتجار[٤] .

---

(١) زنوك : لعلها الجنوك ، وهي مراكب الصين الكبيرة ، ويتراوح عدد ما بها ما بين ثلاثة وإثنى عشر قلعاً ، وتتكون القلاع من عيدان الخيزران منسوجة كالحصير . (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ، ص ٣٣٦) .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٦٢ .

(٣) اسنبغا بن عبدالله الناصرى : الأمير سيف الدين رأس نوبة النوب ، وهو من عتقاء الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب ، خدم عند الأمير سودون الطيار ، فعرف به ، وتوفى في ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ج ١ ، ص ١٣٢) .

(٤) ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٥٠١ .

وفي سنة ٨٣٨ هـ أصدر السلطان برسباى مرسوماً بالتفرقة بين تجار الهند واليمن والشام ومصر ،وقرر أن يؤخذ العشر من تجار الهند ، وأما الشاميون والمصريون الذين يجلبون سلعاً من اليمن فعليهم عشران ، وأما تجار اليمن فتؤخذ بضائعهم لحساب السلطان دون ثمن انتقاماً من صاحب اليمن الملك الأشرف إسماعيل بن رسول [1] . وسبب ذلك أن تجار الهند منذ سنين صاروا عندما يعبرون باب المندب يعدون ميناء عدن حتى يرسوا بساحل جدة فأقفرت عدن من التجار ،وصارت جدة هي بندر التجار ،كما كان يحمل من قبل سلطان مصر المرجان والنحاس وغير ذلك مما يحمل إلى بلاد الهند ،فيطرح على التجار مما تسبب في ضيق جميع التجار ،فنزلت جماعة منهم بميناء عدن ، فغضب السلطان عليهم وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وجاء بها إلى جدة إن كان من الشاميين أو المصريين أن يضاعف عليه العشر عشرين ،وإن كان من أهل اليمن تؤخذ بضاعته دون ثمن [2] ،وقرئت هذه المراسيم

---

(١) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ،ص ٧٢٤ - ابن حجر : أنباء الغمر ، ج ٣ ،ص ٥٣٩ - ٥٤٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٦٢ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٧ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٤ / ٢ ، ص ٦٨١ - ابن حجر : أنباء الغمر ج ٣ ،ص ٥٣٩ - ٥٤٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٦٢ - ٦٣ .

أمام الحجر الأسود بالمسجد الحرام. إلا أن الشريف بركات أمير مكة توسط لتجار اليمن عند سلطان مصر ، فتراجع عن قراره وساواهم جميعاً في العشر فقط.(١)

وفي سنة ٨٤٠ هـ وصل من القاهرة مرسوم الشريف بركات بن حسن ابن عجلان أمير مكة . ومعه كتاب يخبره فيه بأن السلطان برسباى أنعم على الشريف بركات بنصف عشور مراكب الهند.(٢)

وعندما اعتلى السلطان جقمق عرش الدولة المملوكية لم يستطع أن يتنازل عن مكوس جدة لأنها أصبحت عصب الخزينة المملوكية ، ولكي يبرر السلطان جقمق موقفه في جباية العشر بجدة إستصدر في سنة ٨٤٣هـ فتوى من الفقهاء تستند على حكم العادة التي اكتسبت قوة الشرع بمرور الزمن ، فقبل أن تصبح جدة الميناء الرئيسي لتجارة البحر سنة ٨٢٧ هـ ،كان العشر يجبى بها عندما كانت تخضع لسلطة شريف مكة ،وكان يجبى من الموانىء المصرية مثل القصير وعيذاب والطور ،وكذلك في عدن وهرمز (٣) ،

---

(١) ابن حجر : أنباء الغمر ،ج ٣ ،ص ٥٤٠ - ابن فهد : اتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٦٤ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ،ص ٧٩ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٧٢٤ - ٧٢٥ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ،حوادث سنة ٨٤٠هـ .

(٣) أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباى ومحمود شاه خلجي سلطان مندوة بالهند ،ص ١٠٨ .

حتى جعل تجار الهند جدة بعد ذلك مرسى لهم بسبب حماية السلطان لتجارتهم، ورغبتهم في دفع العشر له. فهل يجوز للسلطان أخذ ذلك؟ فإن السلطان يحتاج إلى إرسال عسكر لمكة وجدة لحمايتهما، وهذا يكلفه الكثير من الأموال، فلا بد من أخذ العشر، وصرفه على هذه المصالح.(١)

وفي صبيحة يوم السبت تاسع رمضان من العام نفسه قرئت مراسيم من قبل السلطان جقمق بالحرم الشريف تتضمن أن جميع الجلاب الواصلة في البحر إلى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة عليها إلا الربع، وأن الثلاثة أرباع لصاحب مصر، وأن من مات بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء، ويكون جميع ميراثه لصاحب مصر، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة.(٢)

وفي العام نفسه وصل مرسوم مع أمير الحج شادى بك الجكمي(٣)

----

(١) المقريزى : السلوك، ج ٤/٣، ص ١١٨٧-١١٨٨- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٣٣٨-٣٣٩- ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١١٢-١١٣- الجزيرى : درر الفرائد ج ١، ص ١١٢٧.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١١٠- السنجارى : منائح الكرم، ورقة ٤-٥.

(٣) شادى بك الجكمي : أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، ثم نائب حماه، أصله من مماليك جكم نائب حلب، اتصل بخدمة الأمير ططر، فلما تسلطن رقاه حتى صار أمير طبلخانة، وثاني رأس نوبة، ثم نائب

===

أن لا يؤخذ على التجار الوافدين إلى جدة سوى العشر ،ويبطل مادون ذلك مثل عشر رسوم المباشرين وغيره (١) .

وفي سنة ٨٤٦ هـ جمع الشريف بركات التجار وطلب منهم أربعة الآف دينار ضريبة على كل مركب ،فاحتجوا على ذلك بأن أحجام المراكب مختلفة ،منها الكبير ومنها الصغير ،ولكنه تمسك برأيه ،وطلب منهم مائة ألف دينار، وعرضوا عليه نصف العشر الذى يقدر بحوالي أربعين ألف دينار ،ولكنه رفض ذلك ،غير أنه ما لبث أن تراجع عن ذلك على أثر سماعه بقدوم أخيه الشريف علي بن الشريف حسن بن عجلان على رأس عسكر إلى جدة (٢) .

وفي سنة ٨٤٨ هـ حصل خلاف بين الشريف أبي القاسم أمير مكة وبين الشريف بركات بن حسن بسبب إعتداء بركات على عرب مطير وأخذ اموالهم ومواشيهم ،وقد جمع له أمير مكة جمعاً من الأشراف وغيرهم ، ولكن

=== الرها ،ثم عزل وأنعم عليه جقمق بإمرة مائة ،وتقدمة ألف وتوفى سنة ٨٥٤ هـ . (ابن تغرى بردى: الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ٣٣٩ - ٣٤٠) .

(١) المقريزى : السلوك ،ج ٤/ ٣ ،ص ١١٩٣ - ابن فهد : اتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ١١٠ - ١١١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٧٢٧ - الكردى : التاريخ القويم ،ج ٢ ،ص ١٨٣ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،حوادث سنة ٨٤٦هـ السخاوى : التبر المسبوك ،ص ٤٠ - ٤١ .

النزاع انفض بينهم بسبب تدخل الشيخ عبد الكبير الحضرمي (١) ،واتفقوا على أن يعطوا بركات ألفي افلورى ،ألفا حاضرة والألف الأخرى على دفعتين ،خمسمائة في شوال ،وخمسمائة في ذى القعدة ،وثمانية الآف مرهونة عنده في ثلث المتحصل من جباية جدة ،وأن يقيم بعض من يثق به ليجبي له ثلث المتحصل ،وأن القائد بدير الحسنى (٢) ،وعبيد السيد الشريف بركات على رسومهم ،وأن جلبة القائد على بن شكر الحسني (٣) مطلقة من العشور لسنة كاملة ،وأن المال الذى أخذه الشريف بركات من عرب مطير جعل الثلث على الشريف بركات ،وثلث على الشريف أبي القاسم ،

---

(١) عبد الكبير بن عبدالله الحضرمي ،ولد سنة ٧٩٤ هـ بحضرموت ،ساح في البرارى عشرين عاماً ،حج سنة ٨٢١ هـ ،وزار النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة ٨٢٧ هـ ورجع لبلاده . قدم مكة سنة ٨٤٩ هـ للحج ،وابتنى زاوية بمكة ،وتوفى سنة ٨٥٢هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٣٠٤ - ٣٠٥) .

(٢) بدير الحسنى : ويسمى أحمد بن شكر شهاب الدين الحسني ،ولد سنة ٨٠٧ هـ أو سنة ٨٠٩ هـ ،وتوفى سنة ٨٦٩هـ ،وكان قائماً بأعمال محمد بن بركات ، فوشى بينهما سنة ٨٦٤ هـ ، فنزح إلى الينبوع ،ثم أصلح بينهما سنة ٨٦٧ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٤) .

(٣) على بن شكر الحسني مولى حسن بن عجلان المكي أحد كبار القواد المتمولين ،توفي بمكة سنة ٨٥٨ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٥ ،ص ٢٣١) .

وشلث تحركه العرب ،واتفقوا على ذلك .(١)

وفي سنة ٨٤٩ هـ تولى جاني بك (٢) نيابة جدة ،ولم يتخلف عن هذه الوظيفة لعدة سنوات ،وإنما تخلف عنها اضطراراً في بضع سنوات ، ويمكن الجزم بأنه واصل الذهاب إلى جدة فترة وصول المراكب الهندية دون إنقطاع إبتداء من سنة ٨٥٩ هـ حتى سنة ٨٦٧ هـ مع إقامته بمكة سنة ٨٦٣هـ بعد إنقضاء الموسم التجارى ليتسنى له تأدية فريضة الحج ، وكان نفوذه بالحجاج يزداد إضطرادا بازدياد نفوذه بمصر ،فغدا حاكم الحجاز الفعلي . وقد ذكره أبو المحاسن فقال عنه : « ثم سافر إلى بندر جدة وهو أمير مائة ،ومقدم ألف في سنة ٨٦٥هـ . وقد صار هو المتصرف في البلاد الحجازية بتمامها وكمالها ،وإليه أمرها في الولاية والعزل من صاحب مكة إلى من دونه على أنه كان له على هذا الأمر سنون ،وقد كاتبه أكابر الملوك من بلاد الهند وغيرها من أيام الظاهر

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) جاني بك الظاهرى جقمق الجركسي الدوادار شاد جدة أصله بجرباش المحمدى الناصر ، ثم اشتراه الظاهر سنة ٨٣٧ هـ صار خاصكياً ثم شاد جدة سنة ٨٤٩ هـ فنهض بخبرته في الظلم لما لم يصل إليه من قبله ،وعاد بشيء كثير له للسلطان حتى قيل نائب جدة ،وصار من أمراء الطبلخانات ،ملك القرى والضياع .
(السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٥٧ - ٥٨) .

جقمق إلى يومنا هذا بعدة مكاتبات وقفت أنا على بعضها قديماً ما بين نظم و نثر ») . بل أن النقش التذكارى الذى لا يزال موجوداً على جامعة بالقاهرة ابلغ من هذا النص للدلالة على عظم نفوذه بالحجاز ،إذ نجد اللقب "نائب السلطنة الشريفة بالأقطار الحجازية "أبرز الألقاب التي وردت بهذا النقش(١) . وفي الوقت الذى يبالغ فيه ابن تغرى بردى في إسداء المديح عليه ،نجد السخاوى على النقيض منه ،ويحمل رأيه فيه في هذه الجملة القصيرة البليغة ،فيقول عنه : (« انه نهض في النيابة بجدة بخبرته في الظلم لما لم يصل إليه أحد من قبله ،ومحاسنه كثيرة وضدها اكثر وأفحش») . ويسوق السخاوى على سبيل المثال ما حدث سنة ٨٥١ هـ لجماعة من التجار تخلفوا عن النزول إلى جدة ،والتجأوا إلى المسجد الحرام يشكون حالهم إلى القضاة الأئمة ،بل ذهب بهم الأمر إلى أن رفعوا المصاحف على روؤسهم ،وظلوا يطوفون بالكعبة اسبوعاً ،وعندما انعقد المجلس بالمسجد الحرام لسماع شكواهم ، قالوا للقضاة إن حال الأمير وفعله بجدة لا يخفى عنكم وقد ظلمنا وأخذ جانباً عظيماً من أموالنا ،وتركنا البيع والشراء والنزول إلى جدة لذلك ،ولكن بالرغم من ذلك قبض عليهم وأرسلوا مكبلين

---

(١) أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباى والسلطان محمود شاه خلجى سلطان مندوه ،ص ١٠٤ .

بالحديد إلى الأمير بجدة[(١)] .

وفي يوم الأحد عاشر شهر رمضان سنة ٨٥٩ هـ أقر السلطان الشريف محمد بن بركات في إمرة مكة بسفارة جاني بك الظاهري نائب جدة ، وتم أمر ولايته بمكاتبته على خمسين ألف دينار يحمل منها عاجلاً عشرين ألف دينار ، وما بقي يكون على دفعات بخلاف ما يدفعه للسلطان ولولده ولزوجته بالديار المصرية[(٢)] .

ولما تعاظم سلطان نائب جدة جاني بك الظاهري، وازداد ظلمه في معاملة الحجاج والتجار في جدة ومكة ، أرسل السلطان محمود شاه الخلجي سلطان مندوه بالهند رسالة إلى السلطان قايتباى بعد أن اعتلى عرش السلطنة المملوكية سنة ٨٧٢ هـ يشكره فيها . فقد ورد في هذه الرسالة أن : (جاني بك ازداد ظلماً على الظلم الفاحش في أخذ العشر ، وأن المباشرين بجدة يأخذون فوق العشر حتى أخذوا النصف وما فوقه وما دونه)[(٣)] . ثم يقرن ذلك بتقرير القاعدة الشرعية في

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ - السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٧٥ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ - أحمد دراج : المقال السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٩٢-٩٣ .

(٣) ورد في جواب قايتباى على رسالة صاحب مندوة الإشارة إلى ما استقر عليه الأمر في جدة من جباية العشر في جدة حسب ما أفتى به العلماء في عهد برسباى . هذا ولم تشر المصادر المعاصرة الى

===

موضوع جباية العشر التي يحرص هو على تطبيقها في بلاده . ولا ينكر قايتباى في جوابه جباية العشر في جدة صنفاً لا مالاً حسبما أفتى به العلماء أيام الأشرف برسباى ،ولكنه يعترف بما يقع في جدة من الظلم ، ولذلك سارع بمجرد إعتلائه العرش سنة ٨٧٢ هـ بأن أصدر مراسيمه الشريفة بإبطال ما كان يتضرر به التجار ،وأمر بنقشها على رخامة بباب الفرضة ،كما رسم بفصل من كان بها من المباشرين ، وعين بدلاً منهم من يثق في عدالتهم وأمانتهم . وقايتباى صادق في قوله ففي أوائل سلطنته أرسل إلى مكة مراسيم تتضمن الأمر بإبطال جميع المكوس والمظالم ، وأن ينقش ذلك على أحد أساطين المسجد الحرام بالقرب من باب السلام.(١)

وفي يوم الاربعاء سنة ٨٧٦ هـ وصل مرسوم وأوراق من مصر مع قاصد من ينبع لنائب جدة شاهين العثماني الجمالي يأمر فيه بإرسال

=== صدور هذه الفتوى في عهد الأشرف برسباى ،وإنما صدرت في عهد الظاهرى جقمق عندما احتج عليه السلطان التيمورى شاه رخ بجباية العشر في جدة . (انظر ما سبق ص ٢٠١ (برسباى) ص ٢٠٩ (جقمق) .

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤ ،ص ٣٧ - النهروالي : الإعلام ،ص ٣٢٣ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن : حوادث سنة ٨٧٢ هـ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٦٩ - أحمد دراج : رسالتان متبادلتان بين السلطان قايتباى والسلطان محمود شاه خلجى سلطان مندوة ، ص ١٠٦ .

ما وصله مع هذا القاصد من ينبع من الخلع والمراسيم إلى إبن الخلبجـــى صاحب مندوة المتولى بعد أبيه فصادف أن المراكب قد سافرت .(١)

ولكي يمنع السلطان قايتباى دخول المراكب الهندية اليمن ،أصـدر مرسوماً لأمير مكة سنة ٨٨١ هـ يذكر فيه أن المرجان الواصل وغيره من تجـارة الهند يمنع دخوله اليمن ، والواصل من اليمن من بضائع الهند يكون بيـن السلطان والشريف نصفين (٢) ،كما أن من مات بمكة وجدة ولا وارث لـه يكون لأمير مكة من أشرفي (٣) إلى ألف وما فوق ذلك للسلطان ،وأن الفلفـل الواصل إلى جدة يؤخذ للسلطان بسعر العام الماضي (٤) . وبسـبب

---

(١) ابن فهد : إتحاف الـــورى ،ج ٤ ،ص ٤١٦ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ،ص ٤٧٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٧٥٥ - السنجارى : منائح الكرم ،ج ٢ ،ورقة ١٢ .

(٣) أشرفي : هو الدينار الذى سكه الأشرف برسباى سنة ٨٢٩ هـ ،وقد ظل هذا الدينار متداولا في أسواق مصر والشام والحجاز حتى أواخر القرن التاسع الهجرى ،وأطلق الناس عليه أشرفي على سبيل الإختصار. انظر في هذا الصدد : Ahmad Darrag : L'Egypte Sous le règne de Barsbay , Damas, 1961, p.97.

(٤) العصامي : سمط النجوم العوالي ،ج ٤ ،ص ٢٤٤ - ابن فهـد : إتحاف الـــورى ، ج ٤ ،ص ٤٧٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٥٥ - على السليمان : النشاط التجارى ،ص ٢١٧ - ٢١٨ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكـة في العصر المملوكي ،ص ١٨٩ .

إحتكاره لهذه السلع ازدادت أسعارها إلى أربعة أو خمسة أضعافها في الهند ،بالإضافة إلى المكوس التي تدفع عليها . ولم يغير هذا الوضع إلا عندما حج السلطان قايتباى سنة ٨٨٤ هـ ،وبرّ أهل الحرمين بصدقاته ، وخفف المكس عنهم (١) ، كما أبطل مكس الصيادين بجدة ،ومنح الشريف محمد بن بركات نصف مكوس تجارة عدن (٢).

وفي سنة ٨٨٢ هـ اجتمع نائب جدة مع الشريف محمد بن بركات ، وقاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة ،ولبس نائب جدة خلعة وتفرقوا ولم يقرأ المرسوم ،وسبب ذلك أن في المرسوم أن يؤخذ للسلطان نصف العدني (٣) ، وأن يحمل الأمير الجمال إلى مصر بسبب أنه فك ختماً كان عمله نائب جدة على مال شخص مات ،وماله للدولة ،وكان الخبر جاء بذلك قبل هذا ، فراجع الشريف السلطان في نصف العدني فلم يفد بل أمر بضبطه ،ثم راجع نائب جدة السلطان في ذلك مع هذا القاصد ، فجاء الخبر بالأخذ فأخذه ،وأما الأمير الجمال فإنه صالح عن نفسه بألف دينار للسلطان ،ومائة دينار لنائب جدة (٤).

---

(١) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) المرجع السابق ،ص ١٣٣.

(٣) نصف العدني : أي نصف عشور التجارة الواردة عن طريق عدن. (ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤ ،ص ٤٨١).

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ،ص ٤٨١ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٧٥٨.

وفي سنة ٨٨٥ هـ أنعم السلطان قايتباى على شريف مكة محمد بن بركات بجميع عشور اليماني من استقبال سنة ٨٨٦هـ فانه كان أخذ منه النصف من سنتين .(١)

وحدث في سنة ٩٠٢ هـ أن أرسل السلطان قايتباى إلى أمير مكة ونائب جدة بإتخاذ الإجراءآت لإجبار تجار الهند على مواصلة السير إلى جدة ،لأن دخولهم ميناء عدن خراب لبندر جدة ،إلا أنهما عجزا عن تحقيق ذلك ،وهذا أدى الى تدهور تجارة جدة .(٢) والسبب الثاني لتدهور مدينة جدة ،أنه كان فيما بين سنة ٩٠٦ هـ ، سنة ٩٠٨ هـ تنازع بين أولاد الشريف محمد بن بركات ،وكان أشدهم حقداً الشريف أحمد المعروف بجازان. ففي سنة ٩٠٨ هـ اعتدى على عشرة الآف دينار من مال العشور التي جباها ناظر جدة لسلطان مصر قانصوه الغورى ،كما قبض على جماعة من تجار مكة ، وطالبهم بالأموال فاضطروا إلى بيع دور ومزارع حتى يعطوه المال ، كما هجم على منزل تاجر بمكة يسمى الخواجا شمس ،وأخذ جميع البضائع وباعها للتجار بألف وثلثمائة دينار .(٣)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٥١٢-
الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٥٨ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ،ص ١٤٧.

(٢) ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص ١٩٠ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ٤٧ - ٤٨ - ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،ص ١٩١ .

ويتضح من مسألة تطور المكوس أنها كانت اولاً إجراءاً إستثنائياً من قبل أمراء مكة بسبب ضعف موارد إمارة مكة ،ولذلك لم يفرق بين الحاج والتاجر . وقد ادرك سلاطين المماليك المبالغ التي يجنيها أمراء مكة من التجار والحجاج ،إلا أنهم ألغوا المكوس على الحجاج ، وعلى أهالي الحرمين الشريفين تقديراً لظروفهم ،وبقيت على التجار ، ثم زيدت وصاحبتها إجراءات تعسفية ،وصار المكس مبدأ معترفاً به بفتوى شرعية ،ولم يعد إجراء وقتياً يلغى عند تحسن الأحوال . واحتكر السلاطين أيضاً أغلبية السلع النادرة ، فضاقت أرزاق الناس، وشكا التجار الشرقيون (الهند - وشرق آسيا) والغربيون (مصر وشمال آفريقيا)من شدة هذه الإجراءات ،ولكن دون جدوى .(١) فقد بادر سلاطين المماليك في القرن التاسع الهجرى إلى إستغلال مراكزهم في الحجاز ،وجعله مورداً فياضاً للخزينة السلطانية في مصر عن طريق فرض المكوس الفاحشة على تجارة الشرق ،وتجارة الحج . ويرى بعض المؤرخين أن هذا التصرف له أسبابه القوية دفعتهم إلى ذلك ،فالحالة الإقتصادية التي كانت تمر بها البلاد منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ، هي التي دفعت السلطان برسباى إلى إحتكار هذه التجارة ،وفرض المكوس . وغالى برسباى ومن جاء بعده من سلاطين المماليك في تطبيق سياسة الإحتكار هذه إذ استغلوا هذا المورد المالي الضخم بميناء جدة الذى جاءت به الظروف في وقت كانت

----

(١) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

فيه البلاد على حافة الإنهيار الإقتصادى استغلالاً سيئاً ، فحالة البلاد الإقتصادية في جميع قطاعاتها زراعية كانت أو صناعية قد بلغت حداً من التدهور دفع بالبلاد إلى الإنهيار الإقتصادى ،فضلاً عما أصيبت به البلاد على إمتداد هذا القرن من كثرة حدوث الجدب والقحط والأوبئة بسبب إنخفاض فيضان النيل ،وكذلك الحروب التي كانت بين سلاطين المماليك ،وكبار رجال الدولة في الشام ، وهي كثيرة في هذه الفترة . هذا بالإضافة إلى الحملات التي سيرها برسباى لغزو جزيرة قبرص ،ولكثرة تعرض الموانيء المصرية والشامية ،وكذلك سفن التجار المسلمين لغارات قراصنة الفرنج في البحر (١) .

وإذا كان سلاطين المماليك قد فرضوا المكوس على تجارة الحجاز ، بل واحتكروا هذه التجارة للمتجر السلطاني ،مما دفع الأسعار إلى الإرتفاع وخاصة التوابل والسلع الشرقية إلى أربعة أو خمسة أضعافها ، إلا أنهم اهتموا بشئون الحرمين الشريفين وألغوا ما كان يجبى من الحجاج ، ومن أهالي الحرمين الشريفين من مكوس ،بل وأفاضوا عليهم وعلى أمراء مكة الكثير من الأعطيات ،واهتموا بكسوة الكعبة وأوقفوا عليها القرى والضياع في مصر ، وظل محمل الحج المصرى يأتي بكسوة الكعبة كل عام مع بعض المبرات لأهل الحرمين ،إلا أن كل ذلك لم يخفف من مرارة مافرضوه من مكوس على تجارة الحجاز (٢) .

---

(١) ابن حجر : أنباء الغمر ،ج ٣ ،ص ٣٤٦ - أحمد دراج : إيضاحات جديدة ،ص ٢١٢ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

هذا ويلاحظ أن المماليك قد غالوا أشد المغالاة في جباية المكوس على هذه التجارة بجدة وإحتكارها بعد تحول طرق التجارة من البحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصالح وبخاصة في عهد السلطان قانصوه الغورى . ففي عهده بلغت هذه الأمور حداً يفوق الوصف لتعسف نائب جدة الأمير حسين الكردى ، فقد كان يأخذ من التجار عشرة أمثال العشر.(١)

فبعد إكتشاف البرتغاليين رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى ، وصل فاسكو دا جاما في ثلاث سفن إلى قاليقوط بالهند بعد رحلة استغرقت أربعة أشهر ، وأخذ يهاجم المراكب التي تحمل الحجاج والمتاجر من الهند إلى البحر الأحمر ، كما أزداد نشاطه في نقل المتاجر الشرقية من الهند إلى البرتغال . هذا بالإضافة إلى وضع جزء من أسطوله عند مدخل البحر الأحمر لإغلاقه أمام سفن المسلمين ، وبذلك تعرضت سفن المسلمين لهجوم مستمر من قبل الأسطول البرتغالي في المحيط الهندى (٢) . وزاد إهتمام المماليك

----

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ - إبراهيم طرخان : مصر في عهد المماليك الجراكسة ، ص ٢٨٩ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٠٢ .

(٢) إبراهيم طرخان : مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة ، ص ٢٩١ - أحمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ١٣٦ - نوال حمزة صيرفي : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، ص ١٠٤ .

بجدة بعد هذه الإعتداءات المتكررة وخاصة في المحيط الهندى ،وسواحل البحر الأحمر ،بل وتهديد الدولة المملوكية في عقر دارها .(١)

كما أن إستيلاء البرتغاليين على الكجرات والدكن من بلاد الهند ، وبناء قلعة حصينة بساحل الدكن وإستيلائهم على مضيق هرمز ،وإعتداءهم على سفن التجار ،كل ذلك زاد من إهتمام المماليك بجدة ،فأرسل قانصوه الغورى الأمير حسين الكردى إلى جدة لبناء سور حولها ،وتحصينه بالأبراج لحمايتها والدفاع عنها . ولحماية شمال الحجاز من الخطر البرتغالي ،ولتأمين طريق الحج المصرى من إعتداءآت القبائل التي أخذت تتعرض لها منذ سنة ٩٠٧ هـ ،قام الغورى بسلسلة من التحصينات العسكرية في نخل والعقبة والأزنم ، وما سبق أن تحدثت عنه في الفصل الأول .(٢)

وبعد ذلك قام الأمير حسين الكردى بمطاردة السفن البرتغالية ، فاتجه إلى سواكن ، ومنها

---

(١) أحمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ١٣٦.

(٢) أحمد دراج : المرجع السابق ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ،وعن سلسلة التحصينات العسكرية ،وبناء سور جدة ،انظر الفصل الأول ، ص ١٠٣ ،ص ١٠٤.

إلى عدن وإلى مياه الكجرات لتعقب البرتغاليين ،وأرغمهم على الفرار على أثر معركة بحرية في " شول "جنوبي بمباى سنة ٩١٤ هـ في بادى الأمر ،غير أن النجدة وصلت إلى الأسطول البرتغالي في العام التالي ، فتمكن من هزيمة الأسطول المصرى ، وإغراق معظم وحداته في خليج ديو فأسرع الأمير حسين الكردى عائداً إلى جده ليقوى نفسه .(١)

وبذلك كانت حملة الأمير حسين الكردى إستجابة من السلطان المملوكي قانصوه الغورى لإستغاثات صاحب الكجرات بالهند ،وصاحب اليمن ، ومن أجل حماية المقدسات الإسلامية ،وتأمين سلامة الحجاج ، وحماية كيان مصر من الإنهيار الإقتصادى نتيجة لتحويل طريق التجارة العالمية عن البحر الأحمر واليمن والحجاز ومصر إلى رأس الرجاء الصالح ،وبلاد البرتغال .(٢)

ففي سنة ٩١٩ هـ جاء الخبر بأن الفرنج قد ملكوا كمران ،وأنهم يحاصرون سواكن ، فما كان من الشريف بركات أمير مكة إلا أن خرج إلى جدة هو وجماعة من المماليك المجاورين بمكة ،وأقاموا بجدة خوفاً عليها من أن يهجم الفرنج على ساحلها ،وأرسلوا يعلمون السلطان بذلك .(٣)

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ١٤٢ - احمد دراج : المرجع السابق ،ص ١٣٧ - هشام عجيمي : قلعة المويلح ،ص ٢٣- ٢٤ ، نوال صيرفي : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ،ص ١٠٧ .

(٢) محمد عبد العال : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية ،ص ١٠١-١٠٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ٣٠٧ .

إلا أن خطر البرتغاليين أخذ يزداد بسبب تعديهم على سفن الحجاج والتجار ، وإنتهاك حرمة المسلمين ، مما جعل السلطان الغوري يرسل حملة ثانية سنة ٩٢١ هـ بقيادة الريس سليمان العثماني لمعاونة حسين الكردي ، ولكن لم يحالفها النجاح بسبب تثبيت أقدام البرتغاليين في مياه الهند ، فقد أدى نجاح البرتغاليين في السيطرة على شواطئ الهند ، وعلى تجارتها إلى تقلص النشاط التجاري بين شواطئ الهند وميناء جدة ، مما صرف تجار الفرنج عن أسواق مصر والشام إلى أسواق لشبونه .(١)

---

(١) أحمد دراج : المرجع السابق ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

الفصل الثالث

الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين

الأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين

في الحق لم يكن سلاطين المماليك طامعين في الحجاز من أجل المال والسلطة ،ومجرد فرض سيادتهم على الحرمين الشريفين ،لكن العاطفة الدينية ،والرغبة في الإصلاح ،وحماية الأصقاع العربية من الأطماع الصليبية والمغولية ،هي في الحقيقة الدافع الأول في فرض السيادة المملوكية على الحجاز. هذا ونلاحظ أن سلاطين المماليك قد أنفقوا الكثير من الأموال على شكل هبات وأعطيات على أهل الحرمين الشريفين ، ولم يحاولوا إستئصال أمراء الأشراف من البلد الحرام ،بل أن تدخلهم في شئون مكة والمدينة المنورة كان عامل رحمة لأهل الحجاز من جور أمراء مكة والمدينة في بعض الأحيان ، وحياً في سيادتهم على الأراضي المقدسة.

وبالرغم من تدفق هبات وأعطيات سلاطين المماليك لأمراء مكة والمدينة وأهل الحرمين طول العصر المملوكي ،إلا أنه في بعض السنوات كانت الأمور تختل في مصر نتيجة إنخفاض مياه النيل عن حد الوفاء ،مما كان يترتب عليه الجدب والمجاعة والوباء ،وخاصة إذا توالى إنخفاض الفيضان لبضع سنوات ،فتشح الأقوات ،وترتفع أسعار السلع والغلال خاصة ، وكان أمراء الحجاز وسكان الحرمين الشريفين على وجه التخصيص يتأثرون بسوء الأحوال الإقتصادية لإنخفاض فيضان النيل ،وذلك لقلة أو لتوقف ما كان يرد إليهم من مصر من إمدادات على شكل هبات وأعطيات نقدية وعينيه.

ولم تكن الهبات والأعطيات لأهل الحرمين الشريفين قاصرة فقط على سلاطين وأمراء المماليك وأعيان دولتهم ،وإنما كان يتبارى في تقديمها كل من هو قادر على إداء ذلك من ملوك وسلاطين وأثرياء المسلمين

طلباً للمثوبة ،وتخفيفاً من أعباء الحياة ، وشظف العيش عليهم ،وخاصة في سنوات الجفاف التي تعز فيها الأقوات ويعم فيها الغلاء .

وفضلاً عن ذلك فقد أسهمت الأوقاف المختلفة بريعها الوفير في مساعدة العاجزين على أداء فريضة الحج ،وتسهيلها لغير القادرين عليها وساعدة المنقطعين منهم بأن يركبهم أمير الحج على جماله ، وينعم عليهم بالماء والبقسماط في الطلعة والرجعة ، وكذلك الإنفاق على المجاورين والمنقطعين بالحرمين الشريفين والمترددين على الربط والزوايا ، فقد كانت الرغبة في عمل الخير دافعاً اكيداً باعتباره صدقة جارية.(١)

ومن الأمثلة على ذلك ما وقع في بعض السنوات من تدفق المساعدات العينية والمالية من قبل سلاطين وأمراء وأعيان العالم الاسلامي .

ففي شوال سنة ٦٥٩ هـ تهيأ موكب الملك المُظَفَّر يوسف بن منصور ابن عمر بن علي بن رسول (٢) . صاحب اليمن ،فتحرك من حصن تَعِزّ سالكاً طريق الساحل ،ومراكبه المحملة بالغلال والعطايا والهبات تسايره في البحر ،وقد هرب أمير مكة الشريف أبو نمَّي ،وعمه إدريس بن قتادة ، لدى

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٥ ، ص ٣٤ - عبد اللطيف إبراهيم: وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ،ص ٢٥٢ .

(٢) يوسف بن عمر بن علي بن رسول : الملك المُظَفَّر نصرة الدين ابن الملك المنصور صاحب اليمن ،تولى السلطنة بعد أبيه سنة ٦٤٧ هـ ،وقلده الخليفة العباسي المعتصم ولاية اليمن ،حكم مكة سنة ٦٥٢ هـ ،وحج سنة ٦٥٩ هـ وله مآثر بمكة ، وتوفى سنة ٦٩٤ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٧ ، ص ٤٨٨ - ٤٨٩) .

سماعهما بوصول المُظَفَّر يوسف صاحب اليمن. ودخل المظفر يوسف مكة في غاية الخشوع والتضرع إلى الله. ولدى وصوله جبل عرفات بادر الأمير عز الدين محمد بن الامام بقوله : " هلا طلعت أعلامك يا مولانا قبل أعلام المصريين ؟ فقال : أتراني أُؤخر أعلام ملك كسّر عساكر التتار بالأمس[(١)] ، وأُقدم أعلامي لأجل حضوري ، ومعيبة لا أفعل هذا أبدا "[(٢)] ثم توجه إلى الحرم وغسله وضمخه بالغوالي الفاخرة ، ونشر الذهب والفضة على أهل الحرم ، وفرق صدقاته حتى وصلت لكل فقير وغني ، كما جهز حجاج مصر بالمراكب والأطعمة والعلوفات ، ثم ودع البيت باكياً ورحل إلى اليمن.[(٣)]

---

(١) يقصد الظاهر بيبرس البندقدارى ، سلطان مصر الذى تولى السلطنة المملوكية سنة ٦٥٨ هـ حتى سنة ٦٧٦ هـ.

(٢) الخزرجي : العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك ، ص ٢٣٨ - العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٤ - المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٨٤ - السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٦٣ - ٥٦٤ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣١.

(٣) يذكر ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٧٠ - ٧١ - والجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٥٩٧ ، ان الملك المظفر حج سنة ٦٤٩ هـ بينما يذكر مؤرخو اليمن مثل الخزرجي : تاريخ اليمن الميمون ، ورقة ٦٢ - يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٥٠ - ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٧ - ٣٨ - الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٣ - أن الملك المظفر حج سنة ٦٥٩ هـ ،

===

وفي سنة ٦٥٩ هـ أرسل الظاهر بيبرس الأموال والأصناف لعمارة المسجد النبوى بعد حدوث الحريق سنة ٦٥٤ هـ صحبة علم الدين غازى اليغمورى ،وكانت مهمته إستطلاع أحوال المسجد النبوى وما يحتاج إليه من مواد وغيرها .(١) وعندما حلت سنة ٦٦٢هـ جُهزت كسوة الحجرة النبوية من قبل الظاهر بيبرس ومعها الشموع والزيوت والبخور والطيب(٢) صحبة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي(٣) شيخ خدام المسجد الحرام . وبالرغم من هذه الأعطيات إلا أنه في العام نفسه أصاب مصر الغلاء والقحط ،وصحبهما الوباء ،فتوقف العطاء عن الحرمين ،وأرتفعت

=== وذكر بعض المؤرخين التاريخ نفسه سنة ٦٥٩ هـ ،ومنهم ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،ورقة ٢٤ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ،ص ٢٣٩ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٢- ١٢٣ .

(١) المقريزى : السلوك ،ج ١/ ٢ ،ص ٤٤٥ - محمد هزاع الشهرى : عمارة المسجد النبوى في العصر المملوكي ،رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ،ص ٢٢٤- ٢٢٥ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ١/ ٢ ،ص ٤٤٥ - محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى ،ص ٢٢٧ .

(٣) محسن جمال الدين الصالحي النجمي الطواشي : شيخ خدام المسجد النبوى ،توفى سنة ٦٨٢ هـ ،وقد رافق القاضي شمس الدين ،ومعه الجمال والرجال والآلات لعمارة المسجد النبوى .
(السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ٣ ،ص ٤٤٩) .

الأسعار ،فبلغ أردب القمح مائة درهم وخمسة دراهم نقره [١] ،وأردب الشعير سبعين درهماً ،ورطل [٢] اللحم بالمصرى مائة وأربعة واربعين درهما [٣] .

وفي سنة ٦٦٥ هـ حج الأمير عزالدين أيدمر الحلبي [٤] من قبل سلطان مصر الظاهر بيبرس ،ومعه الكثير من الصدقات ،

---

(١) الدراهم النقرة : المقصود بها في العصر المملوكي هي أن يكون ثلثاها من فضة ،وثلثها من نحاس ،وتضرب بدور الضرب بالسكة السلطانية ،ويكون منها دراهم صحاح ،وقراضات مكسورة ، والعبرة في وزنها بالدراهم ،وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً ، وقدر ستة عشرة حبة من حب الخروب ،فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهما أربع حبات من حب البر المعتدل .

(سامح فهمي :القيم النقدية في الوثائق المملوكية ،ص ٢٤٢) .

(٢) الرطل : معيار يوزن به وهو البغدادى إثنتا عشرة أوقية ،والأوقية إستار وثلثا إستار ،والإستار أربعة مثاقيل ونصف مثقال ،والمثقال درهم وثلاثة أسباع ،والدرهم ستة دوانق . والرطل إذاً سبعون مثقالاً وخمسمائة درهم وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم . (محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية ،ص ٣٦٧) .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٧ ، ص ٢١٣ .

(٤) الأمير عزالدين أيدمر الحلبي الصالحي النجمي : كان ينوب عن الظاهر بيبرس بالقاهرة في أسفاره ،وهو قليل الخبرة بالأمور ، وقد خلف الكثير من الأملاك والأولاد ،توفي سنة ٦٦٧ هـ .

(ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ١٦٧-١٦٨) .

بسبب الغلاء الفاحش بمكة[(١)] .

وفي سنة ٦٦٧ هـ عزم السلطان الظاهر بيبرس على أداء فريضة الحج دون أن يحس به أحد . فتوجه إلى الكرك[(٢)] بصحبة أمرائه الخاصة ، بعد أن دبر أموره بتجهيز الكثير من البقسماط والدقيق والروايا والقرب والأشربة ، والعربان المتوجهين معه والمرتبين في المنازل ، كما أعطى المجردين[(٣)] الشعير على قدر كفايتهم[(٤)] ، وكلما قدم إلى منزلة يركب الخيل المجهزة له بالمؤن والغلال ثم يترك الأخرى لتستريح . وهكذا حتى وصل إلى المدينة المنورة في الخامس والعشرين من ذى القعدة ، فزار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وتصدق على الفقراء والمساكين[(٥)] .

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٩٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٠١ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٣ - على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٥٨ .

(٢) الكرك : قلعة حصينة من طرف البلقاء في جبالها بين آيلة وبحر القلزم وبيت المقدس . (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ، ص ٤٥٢ .

(٣) المجردين : أى غير المتزوجين .

(٤) ابن عبد الظاهر : الروض الظاهر ، ص ٣٥٤ - المقريزى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٨١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٢١ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٥ - القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ١٩٩ - المقريزى : السلوك ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٨١ - الذهب المسبوك ، ص ٩٠ .

وكان السلطان يستفتي قاضي القضاة طول الطريق في أمور دينه ، ثم رحل عنها في السابع والعشرين من ذى القعدة ،فوصل الميقات وأحرم منه ودخل مكة في خامس ذى الحجة خاشعاً متضرعاً مطمئناً ،وقد استنكر أمير مكة الشريف أبو نمَّى مجيئه في هذا اليوم ،فقال لهم هل أنتم من العراق والعجم ؟ فقال السلطان : قولوا له الذى قلت له أن لا يجيئني إلا على البلق (١) ، ونحن محرمون ،ثم عرفه بالأمراء وكبار رجال دولته (٢) ، وقد طلب أميرمكة العفو من السلطان ،كما أحسن إلى أميرى مكة الشريف أبى نمَّى ،وعمه إدريس بن قتادة ،وتصدق على أهل مكة بالكثير من الأموال والأكسية ،وأعطى خواصه جملة من الأموال لتفرق سراً على كل منزل ،وأعطى أمير ينبع ،وأمير خليص وكبار الحجاز الشيء الكثير . كما أمد أميرى مكة بالأموال والغلال في كل سنة شرط توفير الراحة للحجاج (٣) ،

---

(١) البلق : الخيل السريعة ،وما كان في لونه سواد وبياض . (المنجد : ص ٤٩).

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ١ / ٢ ،ص ٥٨١ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ،ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) شافع بن علي بن عباس الكاتب :حسن المناقب السرية ،ص ١٤٦ - ابن حبيب : درة الأسلاك ،ج ١ ،ورقة ٣٨ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٤٠ - المقريزى : السلوك ،ج ١ / ٢ ، ص ٥٨٢ - ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،ورقة ٢٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٩٦ - ٩٧ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٥.

وكتب كتاباً لصاحب اليمن يقول فيه : " سطرتها من مكة ،وقد أخذت طريقها في سبعة عشر خطوة ،وأن الملك هو الذى يجاهد في الله حق جهاده ،ويبذل نفسه في الذب عن حوزة الدين ،فان كنت ملكاً فاخرج والق التتار "(١) . كما تصدق على أهل المدينة ،وأمر بعمل منبر مسقف بالذهب ،ودرابزين حول القبر الشريف(٢) . وفي العام نفسه أعطى السلطان الظاهر بيبرس الطواشي جمال الدين محسن الصالحي شيخ خدام المسجد النبوى مائتي ألف درهم عندما قدم عليه بمصر(٣).

وفي سنة ٦٨١ هـ بعث الشريف أبو نمَّى أمير مكة وفدا إلى القاهرة مصحوباً بعدد من أشراف ،وزعماء الحجاز يرافقهم إبنه ، وتلقاهم السلطان المنصور قلاوون ،وأكرمهم وأغدق عليهم هباته وعطاياه ،كما أجرى ما كان موقوفاً من أوقافهم ،وأرسل معهم الكثير من الصدقات والأموال لأهل الحرمين والمجاورين والعلماء والقضاة وأصحاب الزوايا(٤) .

---

(١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ،ص ٣٥٦ - ٣٥٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٩٧ - ركن الدين بيبرس : التحفة الملوكية ،ورقة ٤١ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ،ص ١٢٦.

(٢) القرماني : اخبار الدول وآثار الأول ،ص ١٩٩ - شافع بن على عباس الكاتب : حسن المناقب السرية ،ص ١٤٦ - الشريف الجنابي : البحر الزاخر ،ج ٢ ، ورقة ٣٤ - ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،ورقة ٢٤.

(٣) محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى ،ص ٢٤٩.

(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،ج ٧ ،ص ٢٥٢ - بيبرس الداوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ،ورقة ١١٩.

وقد سافروا إلى مكة صحبة الركب المصرى والشامي بقيادة أمير الحج الطواشي بدر الدين الصوابي .[(١)]

وفي الثامن عشر من شوال سنة ٦٨٥ هـ وصلت إلى مكة مائة جمل من جمال السبيل من قبل سلطان مصر المنصور قلاوون ، وكان أمير الركب سيف الدين بلبان الحبشي ، ووصلت معه تشاريف لأمراء الحرمين .[(٢)]

وفي سنة ٦٩٠ هـ توجه الركب المصرى إلى الحجاز بقيادة بدر الدين بكتوت العلائي المنصورى[(٣)] من قبل سلطان مصر الأشرف خليل ابن المنصور قلاوون ، وقد فرق العطايا على حجاج الركب ، ولما وصل إلى مكة أرسل رسالة إلى أبى نمىّ أمير مكة مع علاء الدين صاحب الموصل ، ينكر عليه عدم حضوره للقاء أمير الركب المصرى خاصة وأن أبا نمىّ كانت بينه وبين أهل مصر وحشة بسبب الفتنة التي

---

(١) بدر الدين الصوابي الحبشي : أصله من مماليك الطواشي صواب العادلى ، ولى تقدمة المماليك اكثر من أربعين مرة ، وقد شغل وظيفة أمير مائة ، ومقدم ألف ، توفى سنة ٦٩٨هـ .
(ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ١٨٣) .

(٢) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، ص ١٤٥ .

(٣) بدر الدين بكتوت العلائي المنصورى ، ولي نيابة دمشق في دولة الملك المنصور قلاوون ، وتوفى سنة ٦٩٣ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ١٩٦) .

حدثت سنة ٦٨٩هـ [١] . ويقول في هذه الرسالة : " قد علمت النجاح الذى قوبلت به آمالك ،وإلا ما كان هذا حالنا معك ، ولا هذا معنا حالك ، وقد علمت الجواب مع الفقيه ولد الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني ، فكيف قوبلت وسيلتك وما حققت ولا نوقشت حيلتك ،ولا ذكرت سابقات أفعالك ، ولا تنوعات أقوالك ،والآن فمولانا السلطان من عاداته الرحمة والعفو ،وإيراد الصفو ،وعواطفه من شأنها لكل متعرق الرفو ، فإذا أردت حسن العافية ،وسلامة المنقلب ،وأمن السرب ،وحصول كل ما يغنيك عن شام وعن يمن ،واختصاصك بكل إحسان حسن فتحضر أبوابه طائعاً خاضعاً في هذا القيد ،وهذا الغل ،وإن فعلت ذلك سترى ما يقابل به من الرحمة جناح عن هذا الذل ،وأما الخدائع الملفقة ،والأقوال التي هي غير محققة ، فما بقيت تمشي وأنت بها لعضراتك تنشى" [٢] . وأما جواب أبى نمَّى لأمير ركب الحج فيقول فيه : " إن البلاد بلاد مولانا السلطان، والهروب بين يدى مولانا السلطان طاعة وفوضى يوجب إلى التأخير مع عدم الإستطاعة ،ولا بد من حضورى في وقت غير هذا الوقت لعلى أحصل على القود والخيول ما يزيل عنى بعض الوقت" [٣] إلا أن أبا نمَّى لم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ،ج ١٣ ،ص ٣١٧ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤١ - المقريزى : السلوك ،ج ١ / ٣ ،ص ٧٦ . الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٠٩ - ٦١٠ .

(٢) ابن عبد الظاهر : الألطاف الخفية ،ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣) المصدر السابق ،ص ٥٢ .

يحضر فقام نوابه بالخدمة عنه لأمراء الركب حتى قضى الناس فريضتهم ، وأحسن أمير الركب إلى المجاورين ،كما زار المدينة المنورة ،وأحسن إلى أهلها ،وتوجه بعد ذلك إلى مصر[١].

وفي سنة ٦٩٤ هـ حج ولد صاحب مصر الملك المجاهد أنس بن العادل كتبغا[٢] في موكب عظيم من الأمراء وكبار رجال الدولة ، وصرف مالاً كثيراً ،وسقى الحجاج طول الطريق الروايا ملأى بالسكر والماء ،وفرق الحلوى على جميع من في الركب ،وخلع على الأمراء بالعطايا الواسعة ،كما أعطى أمير مكة ألف دينار ،وأولاده خمسمائة دينار ، وفرق الصدقات على الفقراء والمجاورين[٣].

وفي العام نفسه حجت عمة صاحب ماردين الملك السعيد شمس الدين داود بن الملك المُظَفَّر ،وكان لها محمل كبير ،وسبيل كثير ،وتصدقت

---

(١) المصدر السابق ،ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) أنس بن العادل كتبغا المنصوري : يدعى آنص أو آنس ،ويلقب بالمجاهد ،وتلقب والده بالعادل ،ولد بعد السبعين ،وشهد مع الأشرف حصار عكا ،وأراد الأمراء سلطنته بعد أبيه ،كان كريماً ذكياً ،توفى سنة ٧٢٣ هـ بسهم أصابه لأنه كان مولعاً برمي البندق (ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج ١ ،ص ٤٤٥ - ٤٤٦).

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٢ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٨ ، ص ٥٧ - ٥٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٢٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦١١ - ٦١٢ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٧.

بمال جزيل انتفع به الحجاج وأهل الحرمين وأمراء مكة والمدينة .(١)

وفي سنة ٦٩٥ هـ لم يرسل سلطان مصر أية أعطيات لأهل الحجاز، بسبب إنتشار الوباء الذى أدى إلى موت الكثير من الناس مع إرتفاع الغلاء لجميع أنواع الطعام ،وقد استسقى أهل مصر من شدة الفناء والغلاء.(٢)

وفي سنة ٦٩٦ هـ توجه المحمل اليمني (٣) من قبل الملك المؤيد داود بن الملك المُظَفَّر يوسف بن عمر بن رسول ،وقد رفع علمه على جبل عرفات ،ووصل لأمير مكة الشريف أبى نمى الكثير من الهدايا والخلع والهدايا السنية من العين والغلة ،والكساوى والطيب والمسك ، ويقدر ذلك بحوالى ثمانين ألف غرارة (٤)،

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٢ - ابن فهد : اتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٢٧- الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦١٢ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٨ ،ص ٧١ .

(٣) الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول : تولى الحكم سنة ٦٩٦ هـ بعد وفاة أخيه الملك الأشرف ،وله الكثير من المآثر في اليمن ،كان شجاعاً مقداماً جباراً شهماً جواداً كريماً ، محبا للعلم والعلماء ،شارك في كل علم وفن ،توفى سنة ٧٢١ هـ. (الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج ١، ص ٤٤) .

(٤) غرارة : وعاء من الخيش يوضع فيه القمح وغيره ،وهو اكبر من الجوالق ،وجمعها غرائر . (المعجم الوسيط ،ص ٦٥٤) .

وماثبتـــي غرارة مكيـة .[1]

وفي سنة ٦٩٧ هـ حج الخليفة العباسي الثاني في مصر الحاكـــم بأمر الله أبو العباس أحمد[2] ، وقد أعطاه السلطان لاجين سلطـــان الديار المصرية سبعمائة ألف درهم ،وتصدق في حجته بالشيء الكثيـــر ،وأطعم الحجاج ،وبرَّ الفقراء ،وحمل المنقطعين ،وقد رفض أمير مكـــة الشريف أبو نميّ ذكر إسمه في الخطبة ،ففقد الخليفة حتى الجانـــب الدينـــي .[3]

---

(١) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ، ورقة ٤٥ - ابن فهد : إتحاف الـــــــــورى ،ج ٣ ،ص ١٢٩ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦١٢ - ٦١٣ .

(٢) الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن أبى بكر ابن الحسن ،الخليفة الراشد بالله ثاني خلفاء بني العباس بمصر ، خرج من بغداد في موقعة هولاكو ،وجمع طائفة من الناس ،ولقـى الإمام المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر اللـه ابن الخليفة الناصر لدين الله العباسي المجهز من ديار مصر لقتـال التتار ،فلما قتل المستنصر قدم القاهرة سنة ٦٦٠ هـ وبايعه السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ ،توفى سنة ٧٠١ هـ . (المقريـــزى : الذهب المسبوك ،ص ٥٩ - ٦٠) .

(٣) الفاسى : العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١٩٣ - شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٤٢ - المقريزى : الذهب المسبوك ،ص ٦١ - ابن فهد : إتحاف الـــــــورى ،ج ٣ ،ص ١٣٠ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/١ ،ص ٣٩٨ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦١٣ .

وفي العام نفسه حج أمير العرب ،مهنا بن عيسى (١) الذى تصدق بالكثير من الصدقات والعطايا على أهل الحرمين.(٢)

وفي سنة ٧٠٠ هـ تولى إمرة الحج بُكْتُمر الجوكندار وأنفق في حجته ثمانين ألف دينار ،بالإضافة إلى المراكب المشحونة بالغلال والأطعمة والحبوب والأعسال والحلويات والسكر وغير ذلك ،وفرق على كل محتاج وفقير سواء حضر أم لم يحضر حتى وصلت عطاياه إلى أهل الحرمين ،وينبع وجدة والحاج الشامي.(٣)

---

(١) مهنا بن عيسى أمير آل فضل، ولد سنة ٦٥٠هـ يلقب حسام الدين ، انتزع الظاهر بيبرس الإمارة من أبي بكر وأعطاها لعيسى ،ثم تآمر إبنه مهنا أيام المنصور قلاوون ،وكان وقوراً متواضعاً ديناً حليماً، توفى سنة ٧٣٥ هـ (ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج ٥ ،ص ١٣٨ - ١٣٩ - ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ٢ ،ص ٧٤٧).

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ٢٤٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٣٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦١٣.

(٣) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ،ورقة ٤٥ - ٤٦ - المقريزى : السلوك ،ج ١/ ٣ ،ص ٩١٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ١٣٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٩١٤ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ،ص ١٢٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٣٧.

وفي سنة ٧٠٣ هـ حج الأمير سلار [١] نائب السلطنة بالديار المصرية بصحبة ثلاثين أميراً ،ورافقته مراكبه المشحونة بهباته وأعطياته من غلال ومؤن تقدر بعشرة الآف أردب قمح ،فرقها على أهالي الحرمين، وكتب أسماء المجاورين ،وسدد ديونهم ،وفرق عليهم الذهب والفضة ،والكثير من العطايا من حلوى وسكر وغيرها بعد ما أعطاهم مؤنة سنة ،وبعث مباشريه إلى جدة والمدينة ،وفعلوا بها مثل ما فعلوا بمكة من أعمال الخير ، كما تصدق على جميع الأمراء الذين حجوا معه [٢].

وفي سنة ٧١٢ هـ حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر قادما من دمشق ،ومعه أربعون أميراً وستة آلاف مملوك على الهجن، ومائة فارس [٣] ، وأفاض بهباته على أهل الحرمين القوى منهم والضعيف

---

(١) الأمير سلار بن عبدالله المنصوري : نائباً السلطنة بالديار المصرية ، عمل نائباً لبيبرس الجاشنكير إلى أن قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله بالسجن في جمادى الأول سنة ٧١٠هـ. (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ٣١٤- ٣١٥).

(٢) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ،ورقة ٤٦ - ٤٧ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٢ - المقريزى : السلوك ،ج ٢/ ١ ص ٥ - ج ٣/ ١ ،ص ٩٥٤ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٢٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ج ٣ - ص ١٤٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦١٦ - ٦١٧ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٢٩.

(٣) الفاسى : الزهور المقتطفة ، ورقة ١٣٢-١٣٣-ابن فهد : إتحاف الورى ، ج٣ ، ص١٤٩.

متصدقاً على المجاورين ،ثم عاد راجعاً إلى بلاده بعد قضاء حجه.(١)

وفي سنة ٧١٦ هـ حج الأمير سيف الدين أرغون الداوادار الناصرى نائب السلطنة بالقاهرة ،وتصدق بصدقات كثيرة بمكة والمدينة المنورة.(٢)

وفي سنة ٧١٩ هـ حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية مصطحباً معه الملك المؤيد صاحب حماه ،وجهز ركب الحج بكل ما يحتاج إليه السلطان وركبه طول فترة الحج من أفران وخبازين ،كما جهز جميع الأطعمة من دقيق وروايا وأشربة بالإضافة إلى خمسمائة جمل تحمل الفواكه والحلوى ،ومائة وثلاثين ألف أردب قمح(٣) ،ورافقته المحاير(٤) المزروعة بالرياحين وجميع أنواع الخضروات ،وكانت تحصد بكل منزلة ،ورتب لكل أمير ما يكفيه من عليق الخيل والماء والحلوى والسكر وكان أقل نصيب الواحد منهم

---

(١) ابن حبيب : درة الأسلاك ،ج ١ ،ورقة ١٦٥- تذكرة النبية ،ج ٢، ص ٤٥ - المقريزى : السلوك ،ج ٢/١ ،ص ٢٢ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/١ ،ص ٤٤٣.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٣- ابن فهد :إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٥٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٦٢٢.

(٣) المقريزى : الذهب المسبوك ،ص ١٠١- ١٠٢ - السلوك ،ج ٢/٢، ص ١٩٥ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٥٨- ٥٩.

(٤) المحاير : هي أحواض من خشب يوضع بها الطين ،وتزرع بها الرياحين والخضروات . (المقريزى : السلوك ،ج ٢/١ ،ص ١٩٦).

ثلثمائة درهم ،ونصيب أمراء العشرات ثلاثة الآف درهم [١] ،وأغدق أعطياته وهباته على أهل الحرمين فتصدق عليهم بعشرين ألف دينار ،وأحسن إلى المجاورين والمنقطعين [٢] ، كما اتجهت سفينتان إلى ينبع ،وباقي السفن المحملة إلى جدة [٣] ، وفرق كذلك على أهل المدينة المنورة عشرين الف دينار [٤] .

وفي سنة ٧٢١ هـ حجت خوند [٥] طغاى جارية الملك الناصر وأم ولده أنوك ، وبصحبتها عدد من الأمراء والقضاة ،وتصدقت بالخلع

---

(١) ابو الفدا : المختصر في أخبار البشر ،ج ٤ ،ص ٨٥ - ٨٦ - ابن حبيب: درة الأسلاك ،ج ٢ ،ورقة ١٨٤ - تذكرة النبيه ،ج ٢ ، ص ٩٩ - المقريزى : السلوك ،ج ٢/١ ،ص ١٩٧ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٤ - المقريزى : الذهب المسبوك ،ص ١٠٣ - ١٠٤ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٦٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٦٤ - ١٦٥ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/١ ،ص ٤٥٠ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٣٢ .

(٣) المقريزى : الذهب المسبوك : ص ١٠١ - ١٠٢ - محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، ص ٨٧ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/١ ،ص ٤٠٥ .

(٥) خوند : لفظ تركي وفارسي وأصله خداوند بمعنى السيد أو الأمير ويخاطب به الذكور والاناث على السواء ،والخوند في إصطلاح عشائر لبنان من كان في الرتبة بعد الأمير ،وهو فوق الشيخ أو المقدم.
(المقريزى : السلوك ،ج ١/١ ،ص ٢٢٤ ،حاشية ٢).
وفي العصر المملوكي كان يطلق هذا اللقب على زوجات السلاطين .

على جبل عرفات بحوالي ألف وثمانمائة خلعة ،وفرقت ثلاثة الآف دينار ذهباً .(١)

وفي العام نفسه فرق الفخر ناظر الجيش الذى قدم مكة في إثني عشر يوماً على أهل الحرمين الكثير من الصدقات ،وفرق إثني عشر ألف دينار على المنقطعين والمجاورين .(٢)

وفي سنة ٧٢٢ هـ اشتد القحط على أهل الحرمين مما أدى إلى سفر الشريف عطيفة بن أبى نمىّ إلى مصر شاكياً غلاء الأسعار ،وقلة الطعام ، فأرسل معه الملك الناصر محمد بن قلاوون ألفي أردب قمح ،كما حمل له النائب ألف أردب قمح أخرى ،فوصلت إلى مكة وتصدق بها.(٣)

كما أشار ابن بطوطة بأنه قدم للحج في العام نفسه ،وشاهد بنفسه صدقات أهل العراق لأهل مكة ولمجاوريها ،فكانت توزع صدقاتهم من

---

(١) ابن أيبك الدويدار : الدر الفاخر ،ص ٣٠٥ - ٣٠٦ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٧٣ - ١٧٤ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/١ ،ص ٤٥٢ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ١/٢ ،ص ٢١٤- ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٧٢ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦٢٦.

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ١/٢ ،ص ٢٣٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٧٥ - ١٧٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٢٧ - حياة حجي : السلطان الناصر ونظام الوقف ،ص ٤٠ .

الذهب والفضة حتى رخص سعر الذهب لكثرة ما تصدقوا به على أهل مكة في هذه السنة ،كما فرقوا الكثير من الثياب .(١)

وقد الحق الدكتور محمد أمين بكتاب تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ،والذى قام بتحقيقه ونشره ،حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون المؤرخة بالعاشر من جمادى الاخرة سنة ٧٢٤ هـ ،والتي أوقف فيها جميع الحصة التي مبلغها النصف والثلث عشرون سهماً من أربعة وعشرين سهماً شائعاً غير مقسوم من أراضي ناحية سرياقوس من أعمال محافظة القليوبية بمصر وما هو من حقوقها . وكان السلطان قد سبق أن أوقف الأربعة أسهم الأخرى من ناحية سرياقوس قبل تاريخه على الأمير بكتمر الساقي . وناحية سرياقوس تشتمل على أراضي تبلغ جملتها ثلاثة آلاف فدان وثمانية أفدنة بالقصبة الحاكمية ، كما تشمل على إثني عشر حانوتاً . وقد قسم الواقف الناصر محمد بن قلاوون هذا الوقف ،وهو ناحية سرياقوس ،وما هو من حقوقها على النحو التالي :

١٨ سهماً على السلطان الناصر محمد بن قلاوون وذريته ،ومن بعدهم على وجوه البر .

٤ أسهم سبق وقفها في كتاب وقف مفرد على الأمير بكتمر الساقي .

½ سهم على فكاك أسرى المسلمين .

١ سهم على المنقطعين بمكة والمدينة وترحيلهم إلى أوطانهم .(٢)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ،ص ١٧١- ١٧٢ .

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه ،ج ٢ ،ص ٢٦٩ حتى ص ٣٨٥ (نص حجة الوقف) .

وإلى القارئ نص السطور من ٨٥ الى ٩١ في حجة الوقف هــذه والتي تتعلق بالمنقطعين بمكة والمدينة :

٨٥ - ذلك حصة مبلغها سهم واحد من أربعة وعشرين سهماً شائعاً مــن جميع أراضي الناحية المذكورة والحوانيت .

٨٦ - المذكورة خلا المستثنى فيه وقفه الواقف المذكور عن موكله مولانـا السلطان الملك الناصر المسمى خلد الله ملكه .

٨٧ - على أن الناظر في هذا الوقف يجمع ريعـه في كل سنة ويرســـل ما يتحصل منه إلى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به إلى .

٨٨ - مكة شرفها الله تعالى والى المدينة الشريفة النبوية على ساكنهـا أفضل الصلاة والرحمة ويصرفه المسير على يده في

٨٩ - تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة الشريفتين لعدم الزاد والراحلـة يصرف ذلك إليهم على ما يراه فيما يحتاجون .

٩٠ - إليه من زاد وراحلة لتوصيلهم إلى الديار المصرية أو إلى أوطانهم أسوة بأمثالهم من الحجاج ويقدم الأحوج .

٩١ - فالأحوج .(١)

وفي سنة ٧٣٣هـ أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمل باب للكعبة من الخشب السنط الأحمر ،وصفحه بالفضة عوضاً عن باب الملك المظفر صاحـــب اليمن ،فكانت زنة تلك الصفائح ثلاثين ألف درهم أما الباب الأول فكان عليه بعض

----

(١) ابن حبيب : المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٣٨٠ .

الحلية من الفضة تقدر بستين رطلاً فأنعم السلطان محمد بن قلاوون بتلك الفضة على بني شيبة خدام البيت الشريف فتقاسموه فيما بينهم (١).

وفي سنة ٧٣٤ هـ حج الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته الثالثة بصحبة عدد كبير من أكابر أمراء دولته، وسبعين من علماء المذاهب الأربعة، وكان في إستقباله بينبع أمراء مكة، وقد عم بصدقاته أهل الحرمين (٢)، كما أعطى الشريف رميثة خمسة آلاف دينار، وزوجته خمسمائة دينار سوى ما أنعم به على أولاده وبناته، وقدم له الشريف رميثة ألف رأس من الغنم، ومائة فرس، فأخذ منهم إثنين ورد الباقي (٣).

ولم يكن إهتمام الناصر محمد بن قلاوون بتنظيم شئون مكة والمدينة، وتيسير سبل العيش على أهلها، أقل من حرصه على بسط سيادته على تلك

---

(١) المقريزى : السلوك، ج ٢/٢، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ١/١، ص ٤٦٢ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ص ١٢٣.

(٢) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج، ورقة ٥٢ - ابن أيبك الدوادار : الدر الفاخر، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ - المقريزى : السلوك، ج ٢/٢، ص ٣٥٦ - ابن فهد * إتحاف الورى ج ٣، ص ١٩٨ - ١٩٩ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٣٨ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج، ص ١٣٤.

(٣) المقريزى : السلوك، ج ٢/٢، ص ٣٥٧.

الأصقاع ،فقد وقف على شكاوى أهالي الحرمين واخذ يمدهم بالغلال والمؤن .(١)

وفي سنة ٧٣٧ هـ حج الشيخ محمد المرشدى ،وأنفق على أهل الحرمين ألفين وخمسمائة درهم .(٢)

وفي سنة ٧٣٩ هـ حج الأمير سيف الدين يشبك(٣) الناصرى وبصحبته عدد كبير من الأمراء ،وفعل الكثير من أعمال الخير والبر ،فجعل لكل أمير ألف دينار ،وأعطى لأهل مكة ومجاوريها وفقرائها وأشرافها مالاً يقدر بثلاثين ألف دينار ،وأربعمائة ألف درهم ، غير المراكب المشحونة بالغلال ، ووزع بالمدينة مثل ما وزع بمكة .(٤)

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، ج ٢/٢ ،ص ٣٥٧ - محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ،ص ١٢٦-١٢٧ .

(٢) الصفدى : الوافي بالوفيات ،ج ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٣) يشبك بن عبدالله الناصرى : كان من أمراء السلطان الناصر بن قلاوون ،قربه وأنعم عليه في يوم واحد بألف ألف درهم ،وكان كثير التيه بنفسه ،وإقطاعه كان يقدر بسبعة عشر طبلخانة ،توفي مقتولاً في سجن الإسكندرية سنة ٧٤٢ هـ . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٧٤ - ٧٥) .

(٤) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ،ورقة ٥٢ - ٥٣ - الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ،ص ٥٠ = ٥٣ - ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ،ص ٤٦٢ - ٤٦٣ - المقريزى : السلوك ،ج ٢/٢ ، ص ٤٧٢ -

===

وفي خلال سنة ٧٣٩ هـ ،وسنة ٧٤٠ هـ ،وسنة ٧٤١ هـ اجتاح مصر جدب وغلاء شديدان بسبب إنخفاض مياه نهر النيل ،ولذلك انقطعت أعطيات سلاطين مصر لأهل الحرمين في هذه السنوات (١) .

وفي سنة ٧٤٢ هـ حج الملك المجاهد علي بن داود يوسف بن عمر بن رسول (٢) صاحب اليمن ، فأرتحل من تعز في السادس من شوال حتى وصل يلملم ،فأمر بنصب الأحواض التي ملئت بالماء والسكر فشرب منها الجميع ،وفرق على الحجاج ثياب الإحرام ،كما عم بصدقاته أهل الحرمين (٣) .

=== الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٤٣ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(١) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الإقتصادية في مصر المملوكية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،المجلة التاريخية المصرية ،العدد الرابع عشر ٦٦/١٩٦٧م ،ص ١١٣ .

(٢) المجاهد على بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن على بن رسول . حكم اليمن من سنة ٧٢١ هـ حتى سنة ٧٦٤ هـ ،حيث خلفه ولده الملك الأفضل . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ،ص ١٥٨ - ١٥٩) .

(٣) الشجاعي : تاريخ الملك الناصر ،ص ٢٣٢ - الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج ٢ ،ص ٦٩ - ٧٠ - الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ، ص ١٦٩ - ابن فهد : إتحاف الـــــــــورى ،ج ٣ ، ص ٢٢١ - ابن الديبع : قرة العيون ،ج ٢ ،ص ٨٥ .

وفي سنة ٧٤٣ هـ أوقف السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلثي ناحية سندبيس (١) من القليوبية على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوى ، فتم عدد خدام الضريح الشريف أربعين خادماً ،كما اشترى الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون قرية بسوس ووقفها على كسوة الكعبة في كل سنة ،والحجرة النبوية ،والمنبر كل خمس سنوات (٢) .

وفي سنة ٧٦٦ هـ كان بمكة غلاء شديد بلغت فيه غرارة الحنطة ستمائة وثمانين درهماً ،والذرة أربعمائة درهم ،وعدم الحب حتى لم يوجد بمكة شيء منه ،وأقام السوق نحو شهر لم يوجد به سوى القليل من اللحم والخضر (٣) ،فما كان من يلبغا الخاصكي (٤) مدبر المملكة بمصر أن بعث

---

(١) سندبيس : قرية من قرى القليوبية ،مساحتها ١٧٥٠ فداناً ،بها رزق تسعة وسبعون فداناً ، عبرتها ١٢٦٠٠ دينار ،وهي وقف على خدام الحجرة الشريفة النبوية . (ابن الجيعان : التحفة السنية ،ورقة (١) .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٢ / ٣ ،ص ٦٣٣ - انظر محمد أمين : الأوقاف والحياة الإجتماعية في مصر ،ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٣٠٢ .

(٤) يلبغا العمرى الخاصكي الأتابكي : استاذ الملك الظاهر برقوق ، وصاحب الكبش الأمير سيف الدين مدبر الديار المصرية ،وأصله من مماليك الناصر حسن ،وهو الذى قتل أستاذه الناصر حسن ، فقتله مماليكه يوم الأحد ربيع الأول سنة ٧٦٨ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ٢ ،ص ٧٩٣) .

بصدقة لأهل الحرمين الشريفين حوالي ألفي أردب قمح ،وواصل الإرسال في البحر حتى حمل إلى مكة إثنى عشر ألف أردب قمح فرقت كلها على الناس فعم النفع بها الجميع حتى الحاج الشامي (١) .

وفي سنة ٧٧٥هـ حتى سنة ٧٧٧ هـ انخفض نهر النيل ،وانتشر الوباء والمجاعة ،وزاد الوباء حدة سنة ٧٨٣ هـ وترتب على ذلك توقف إرسال الهبات والأعطيات لأهل الحرمين الشريفين (٢) .

وفي سنة ٧٨٧ هـ جهز الأمير جركس الخليلي (٣) الكثير من القمح

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ،ص ٣٠٩ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ٢٠٩ - المقريزى : السلوك ،ج ٣ / ١ ،ص ٩٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١ / ٢ ،ص ١٦ - ١٧ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٦ .

(٢) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الإقتصادية في مصر المملوكية ،ص ١١٣ .

(٣) جركس بن عبدالله الخليلي : تركماني الأصل ،وأصله من مماليك يلبغا الخاصكي ،وتقدم عند الظاهر برقوق ،وكان حسن الشكل مهيباً مع رأى رصين وعظمة ،وكان له في كل يوم خبز يتصدق به على بغلين يدور به أحد مماليكه في القاهرة على الفقراء بمكة والمدينة . توفى سنة ٧٩١ هـ . (ابن حجر : إنباء الغمر ،ج ١ ، ص ٣٨٥) .

إلى مكة ليعمل كل يوم خبزاً بحوالي خمسمائة رغيف ،ويفرق على الفقـــراء ، فعم النفع بها الجميع .(١)

وفي سنة ٧٨٨ هـ حج بالناس آقبغا المارديني (٢) ،وحج فيها جركس الخليلي أمير الركب في غاية الأبهة والعظمة ،وتصدق على أهـــل الحرمين .(٣)

وفي سنة ٧٩٣هـ كان أمير الركب سنقر الجمالي ،وبسبب قلة الأطعمة وارتفاع الأسعار اضطربت الأحوال بمكة ،فما كان من السلطان برقوق إلا أن أرسل إلى مكة الكثير من الحنطة (٤) ،ورسم بإرسال ثلاثة آلاف أردب قمــح تفرق على أهل الحرمين .(٥)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الـــــــــورى ،ج ٣ ،ص ٣٤٨ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/ ٢ ،ص ٣٦٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٧١ .

(٢) آقبغا بن عبدالله الماردينى : نائب الوجه القبلي ،وأحد مقدمــي الألوف بالقاهرة من قبل منطاش ،قتل سنة ٧٩٣ هـ بسيف برقوق . (ابن تغرى بردى . الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ١٣٨) .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ،ج ١ ،ص ٣١٨ - ابن الصيرفي : نزهـــة النفوس والأبدان ،ج ١ ،ص ١٤١ .

(٤) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ،ورقة ٥٥ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٦٧٨ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٢ ،ص ١٠٩ .

وفي سنة ٧٩٤ هـ رسم سلطان مصر الظاهر برقوق لأمير مكة الشريف على بن عجلان بأربعين فرساً خاصاً، وبعشرة مماليك، وثلاثة آلاف أردب قمح، وألف أردب شعير، وألف أردب فول، كما رسم له بإستخدام مائة فارس من الأتراك يتوجه بهم إلى مكة.(١)

وكان الظاهر برقوق كثير الصدقات والمعروف، ولذلك أوقف ناحية بهتيت(٢) ليكون نتاجها عوناً للحجاج الذاهبين إلى مكة كل سنة، ومعها جمال تحمل المشاة من الحجاج، وتصرف لهم ما يحتاجون من الماء والزاد ذهاباً وإياباً.(٣)

وفي سنة ٧٩٦ هـ حتى سنة ٨٠١ هـ إنخفض نهر النيل، وغلت الأسعار مع جدب شديد(٤)، فتوقفت الهبات والأعطيات لأهالي الحرمين الشريفين.

---

(١) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ٣٤٧ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ١/٢، ص ٥٣١ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٧٩.

(٢) بهتيت : إسم مدينة من المدن المصرية القديمة إسمها حتب حيم، بها آثار قديمة. (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٨، حاشية (١).

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٠٨-١٠٩- ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣٤ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، ص ٢٥٢.

(٤) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الإقتصادية في مصر المملوكية، ص ١١٣.

وفي سنة ٨٠٥ هـ حجت جميلة الموصلية إبنة ناصر الدولة ،وتكفلت بنفقات من حج معها من مأكل ومشرب سواء في الطريق أو الحج ،وقد صحبها أربعمائة محمل على لون واحد ،وتصدقت على أهل مكة بعشرين ألف دينار ، ومائة وخمسين ألف دينار ،وأعتقت مائة جارية ،وثلثمائة عبد ،وأعانت جميع الفقراء والمجاورين (١) ،كما سقت جميع الحجاج السويق والسكر المثلج ، وأعدت للفقراء مائة جمل تحملهم إلى جميع المشاعر.(٢)

وفي سنة ٨٠٦ هـ حتى سنة ٨٠٩ هـ انخفض نهر النيل ،وانتشر الوباء، وتفشت المجاعة (٣) ،وكان لذلك أثره على أوضاع وأحوال الحجاز.

وفي سنة ٨٠٨ هـ أمر الأمير شيخ المحمودى ،وهو الذى أصبح سلطان مصر فيما بعد ،بصرف مائتي قميص على كل قميص عشرة دراهم فضة لفقراء الحجاز.(٤)

وفي سنة ٨٠٩ هـ أرسل السلطان غياث الدين صاحب بنجالـــــة (٥)

---

(١) ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،ورقة ٣٠.

(٢) السنجارى : منائح الكرم ،ورقة ٣٣٦.

(٣) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الإقتصادية في مصر المملوكية ص ١١٣.

(٤) المقريزى : السلوك ،حوادث سنة ٨٠٨ هـ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٧٨.

(٥) السلطان غياث الدين أبو المظفر صاحب بنجالة من بلاد الهند ، له

===

صدقة عظيمة لأهل الحرمين عم بها الجميع ،كما جعل للناس خياماً يستظلون بها يوم الجمعة أثناء الصلاة (١) .

وفي سنة ٨١٣ هـ حج صاحب كلوة الملك المنصور حسن (٢) ،وأحسن

=== مدرسة بمكة عند باب أم هانيء ،كان ملكاً جليلاً له حظ من العلم وأفعال الخير ،توفي سنة ٨١٥ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ج ٣ ،ص ٣٢٠-٣٢١) .

(١) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٤ ،ص ١٠٤-١٠٥ -ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٤٥٢ -النهروالي : الأعلام ص ١٩٨-١٩٩ .

(٢) هو الحسن بن سليمان (٧٩٣ - ٨١٥ هـ/ ١٣٨٩-١٤١٢م) سلطان كلوة الإسلامية التي تنتسب إلى مدينة كلوة التي أنشئت في أواخر القرن الرابع الهجرى على أرجح الأقوال على الطرف الشمالي الغربي لجزيرة صغيرة تقع أمام الساحل الشرقي لأفريقية ،وتعرف بهذا الإسم أيضاً ،وتقع على بعد نحو ٢٤٠ كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا الحالية ،وقد مدت سلطنة كلوة الإسلامية نفوذها حتى بداية الإستعمار البرتغالي لشرق أفريقية في مطلع القرن العاشر الهجرى على معظم الساحل الشرقي لأفريقية من حدود الحبشة شمالاً حتى موزمبيق جنوباً،وعلى الجزر الساحلية المقابلة ،وعلى داخل القارة الأفريقية حتى منطقة البحيرات العظمى ،وكانت مدينة كلوة المركز الرئيسي لتجارة المحيط الهندى والخليج العربي مع شرق قارة أفريقية ،كما كان لسيطرتها على تجارة الذهب بمدينة سفالة على الساحل الأفريقي جنوبي موزمبيق

===

إلى أعيان مكة والمدينة .(١)

وفي سنة ٨١٧ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ مرة أخرى الكثير من القمح ليفرق على فقراء ، ومجاوري المسجد الحرام .(٢)

وفي سنة ٨١٨ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ مرة أخرى الكثير من الذهب ليفرق بالمسجد الحرام .(٣)

وفي سنة ٨٢٣ هـ حج الشيخ بدر الدين الأقصرائي (٤) ، ومكث بعد سفر الحجاج بيومين لأنه وصل صحبته مرسوم بأن يفرق القمصان

=== أهمية كبيرة في إزدهارها الإقتصادي ، وفي سيطرتها السياسية على شرق أفريقية . (لمزيد من التفصيل انظر : سليمان عبد الغني مالكي ، سلطنة كلوة الإسلامية ، دار النهضة العربية - القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٧ - ٤٥ .

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ١٣٨ - شفاء الغرام ج ٢ ، ص ٢٥٤ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٩٩ - الجزيري : درر الفرائد ج ١ ، ص ٦٨٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٢١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٨٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٢٩ .

(٤) محمود بن محمد البدر بن الشمس الأقصرائي ، ولد سنة بضع وتسعين وسبعمائة ، اشتغل كثيراً ، ولازم الكثير من الأئمة ، وحج سنة ٨١٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٥ هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٤٣) .

التي تصدق بها السلطان ، ثم يلحق بالركب ، وقد سافر بعد يومين ، وفوض تفرقة القمصان إلى القضاة والأئمة والفقهاء ، والنصف الثاني يقسم نصفين ، نصف منه للأربطة ، والنصف الآخر للفقراء والأرامل وأرباب البيوت.(١)

وفي سنة ٨٢٤ هـ أرسل السلطان العثماني مراد الثاني(٢) لفقراء الحرمين من ماله الخاص مبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار لتفرق عليهم.(٣)

وفي سنة ٨٢٧ هـ فرق شمس الدين بن الجزرى صحبة الحجاج الأموال والثياب والزاد بحوالي ستمائة دينار.(٤)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٢) مراد الثاني العثماني : ابن السلطان محمد بن يلدرم ، تسلطن سنة ٨٢٥ هـ ، وكان ملكاً عظيماً مطاعاً ، أرسل الكثير من الصدقات للحرمين الشريفين ، وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة.
(العصامي : سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٥ - ٦٦).

(٣) زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٧٧ - احمد السباعي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٣٤٣.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ - المقريزى : السلوك ، ج ٤ / ٢ ، ص ٦٦٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٦٠٧.

وفي سنة ٨٢٩ هـ بعث الأشرف برسباي مركباً فيه قمح صدقة على أهل الحرمين، وأمَّر على الصدقة الأمير آقبغا التركماني (١)، وبدأ بالمدينة المنورة، وفرق خمسمائة أردب قمح على القضاة والعلماء والفقهاء والخدام والأشراف والأيتام والأرامل، ثم وصل إلى مكة وفرق خمسمائة أردب قمح على أهل الحرم، وعلى الأربطة والمجاورين، وعم بها أهل مكة (٢).

وفي سنة ٨٣١ هـ وصل الشيخ عبد الرحمن المذكور من بلاد كالبرجة (٣) ومعه الكثير من الصدقات محملة في المراكب لأهالي الحرمين، ومال يشترى به حدائق في المدينة المنورة توقف على أشراف المدينة، كما فرق على أهالي المدينة بعض المال (٤).

---

(١) آقبغا التركماني الناصري فرج: أمَّره الأشرف برسباي أمير عشرة، وولاه إمرة الحج، ثم نيابة الكرك، وكان كريماً، توفى سنة ٨٤٣هـ. (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٦).

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٣٤.

(٣) كالبرجة: تقع باقليم الدكن بالهند، يحكمها في ذلك الوقت ملوك آل بهمان، وهم مسلمون، وساحلها الديبل، (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٩٢٩).

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٤، ص ٦ - الجزيري: درر الفرائد، ج ١، ص ٧١٧.

وفي العام نفسه كان أمير المحمل الشريف قراسنقر (١) كاشف الجيزة ، وأمير الأول إينال الششماني (٢) المحتسب ،وجهز معهما السلطان الأشرف برسباى عشرة آلاف أفلورى إلى الأمير مقبل القديدى ،ليعمر عين حنين بخمسة الآف (٣) ،ويتصدق بالباقي على أهل الحرمين (٤) .

وفي يوم الإثنين الحادى عشر من شوال سنة ٨٣٤ هـ حجت زوجة السلطان الملك الأشرف (٥) ،وكانت في تجمل كبير ،ومعها الكثير من الصدقات .

---

(١) قراسنقر بن عبدالله بن عبد الرحمن الظاهرى برقوق ،الأمير شمس الدين أمير حج المحمل ،كان من جملة أمراء الطبلخانات بالقاهرة ، سافر أمير محمل غير مرة ،وتوفى يوم الاربعاء تاسع عشر من ذى الحجة سنة ٨٣٩ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ٢ ،ص ٥٣٩)

(٢) إينال بن عبدالله الششماني الناصرى فرج :كان من أمراء الطبلخانات في الدولة الأشرفية برسباى ،وثاني رأس نوبة النوب ،وولى حسبة القاهرة ،ثم نيابة صفد ،ثم تقدمة ألف بدمشق ،وتوفى بدمشق شهر ربيع الاخر سنة ٨٥١ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ١٧٥) .

(٣) انظر الفصل الخاص بتوفير المياه .

(٤) المقريزى : السلوك ،ج ٤/ ٢ ،ص ٧٨١ - ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ،ص ٤٠٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٧-٨ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج ٣ ،ص ١٣٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧١٧ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢١٢ - محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى ،ص ٢٩٢ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ،ص ٣٥٤ .

وفي ليلة الجمعة الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٨٤٧ هـ حضر القضاة والأعيان إلى المسجد الحرام أمام الحجر الأسود، وصلوا به ركعتين، وقرأ فيه قارىء عشراً من القرآن، ودعا للسلطان، ثم جعل الأمير في قُرب السقايين ماءً مبلولاً بالسكر، وسبل بالطواف فشرب منه الفقير والغني.(١)

وفي العام نفسه وصل ركب الرجبية، ومقدمهم الأمير أحمد وبصحبته مشد(٢) جدة الأمير تمراز المصارع(٣)، ومعهم سبعمائة جمل إلى مكة، وفرق الكثير من الصدقات على أهل مكة من قمح ودقيق وسكر وحلوى، كما فرق الذهب على الفقراء والمنقطعين.(٤)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١٦٨.

(٢) المشد : أقرب مرادف لهذا اللفظ كلمة مفتش، ويسمى متولى الوظيفة الشاد مضاف إليها جهة الإختصاص مثل شاد البريد، وشاد العمائر، وشاد جدة وغير ذلك. (المقريزى : السلوك، ج ١/١، ص ١٠٥).

(٣) تمراز بن عبدالله البكتمرى المؤيد شيخ المعروف بالمصارع أحد أمراء العشرات في الدولة الظاهرية جقمق، ثم نائب القدس الشريف، توفى سنة ٨٥٥هـ. (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٢٧ - السخاوى : الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٥).

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ١٦٤ - السخاوى : التبر المسبوك، ص ٦٧ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١، ص ٧٣٣.

وفي حج هذا العام نفسه قام أمير شاد بك ، ومعه الأمير حسن ناظر الإسكندرية بفعل الكثير من أعمال الخير والبر ، ففرق الذهب والدقيق والسكر والحلوى والسكرية على الفقراء والمنقطعين ، كما حج الكثير من التكرور بمرافقة ركبهم [١] .

وفي سنة ٨٤٨ هـ وصل مع الركب رسول سلطان العجم شاه رخ [٢] ، ومعه قليل من الصدقات فرقت على أهل الحرمين [٣] .

وفي سنة ٨٥٠ هـ حجت مغل إبنة القاضي ناصر الدين البارزى [٤] ، وزوجة السلطان جقمق ، وكانت في ركب حافل بالأبهة والعظمة ،

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٣ .

(٢) معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك : صاحب سمرقند وبخارى وما والاها من بلاد العجم ، ملك الشرق حدث بينه وبين الأشرف برسباى وحشة ، ثم أرسل كسوة الكعبة بعد إذن السلطان جقمق ، وكان خيراً فقيهاً متواضعاً محباً لأهل العلم والصلاح .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(٣) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٩٦ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٣ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢١٧ .

(٤) مغل إبنة القاضي ناصر الدين البارزى ، وزوجة الظاهر جقمق ، ولدت سنة ٨٠٣ هـ ، وحجت عدة مرات ، وزارت بيت المقدس ، وأرسلت الكثير من الصدقات لأهل الحرمين ، توفيت سنة ٨٧٦هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٢٦) .

، وفعلت الكثير من أفعال الخير في الطرقات ، وفرقت الكثير من الصدقات على سكان بيت الله الحرام (١) .

وفي العام نفسه حج وزير السلطان العثماني مراد الثاني ، ومعه الكثير من الصدقات ، ففرقت على المجاورين والفقراء ، ورمى بقبة العباس بالحرم الشريف ماءً محلى بالسكر والعسل بحوالي ثلثمائة وستين رأس سكر ، وعدة قناطير عسل ، وسقى كل مَنْ بالطواف والسعى (٢) .

وفي سنة ٨٦١ هـ حج سيدى أحمد ولد السلطان الأشرف إينال (٣) مع والدته زينب الخاصكية (٤) ، وكذلك أخته في تجمل زائد وتصدقوا

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٣٧٢ - السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٤٧ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٤ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٩٩ - ابن عبد الهادى : الدر القاخر ، ورقة ٣٦ - السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٤٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٣٥ - القطبي : اعلام الأعلام ، ص ٢١٨ - السنجارى : منائح الكرم ، ح ٢ ، ورقة ٨ .

(٣) أحمد بن إينال المؤيد الشهاب ابو الفتح بن الأشرف بن النصر العلائي الظاهرى ، أمه إبنة خاص بك ، ولد سنة ٨٣٥ هـ ، وكانت حجته عظيمة يضرب بها المثل ، وتوفى سنة ٨٩٣ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٤٦) .

(٤) زينب إبنة العلائي على بن العالم البدر محمد الحنفي ، وتعرف بإبنة ابن خاص بك ، تزوجها إينال في إمرته وكل أولاده منها ، وكان لها نفوذ الكلمة ، وطواعية السلطان وقد قاربت الثمانين عاماً عندما توفيت .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ٤٤ - ٤٥) .

ببعض المال على الفقراء والمجاورين (١) .

وفي سنة ٨٦٣ هـ كان أمير المحمل بردبك الدوادار (٢) ، وحجت معه زوجته إبنة الملك الأشرف إينال ، وفرق صدقة قليلة على أهل الحرم (٣) .
وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنة ٨٧٢ هـ وصل مباشر جده شاهين الجمالي إلى مكة ، واجتمع بأعيانها بالحطيم ، وقرأ مرسوم السلطان للسيد محمد بن بركات يخبره بأنه شملته الصدقات ، وبخلعة شريفة . وللقاضي الشافعي خلعة ، وخلعتين لولدى الخواجا بدر الدين الطاهر ، وخلعة للخواجا محمد قاوان (٤) ، وعمت الصدقات الفقراء والمجاورين (٥) .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ١١١ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٤ .

(٢) بردبك الأشرف إينال ، ملكه سنة ٨٢٩ هـ ورباه وزوجه إبنته ، فلما تسلطن عمله دوادارا ، سافر للحج ، وقتل بخليص سنة ٨٦٨ هـ (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤ - ٥) .

(٣) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٤٥ .

(٤) الخواجا محمد بن قاوان : نزيل مكة ولد قبل العشرين وثمانمائة قدم القاهرة سنة ٨٧٧ هـ فأكرمه الاشرف قايتباى ، وزار بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ، وتوفي سنة ٨٨٩ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٧ ، ص ٥٣ - ٥٤) .

(٥) النهروالي : الإعلام ، ص ٣٦٩ .

وفي سنة ٨٧٤ هـ أرسل السلطان قايتباى مبلغاً من المال ليقسم بين أمراء مكة وأشرافها، وبصحبة المال خلعة لأمير مكة.(١)

وفي سنة ٨٧٥هـ توفي الخواجا مصطفى بن صاحب طرابلس الرومي(٢) بمكة، وجعل وصيته للقاضي الشافعي، ونائب جدة شاهين الجمالي، وأوصى لكل واحد منهما بخمسمائة دينار، وبثلث ماله لفقراء الحرمين، ولأمير مكة بخمسمائة دينار، وبمائة دينار لقضاة مكة على المذاهب الأربعة لكل واحد منهم مائة دينار.(٣)

وفي سنة ٨٧٦هـ وصل المحمل العراقي بصدقة عظيمة إلى مكة المشرفة فرقت على فقراء الحرمين.(٤)

وفي سنة ٨٧٨ هـ خرج المحمل المصرى صحبة جانبك الاشقر،(٥)

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين، ص٦٦٧.

(٢) مصطفى بن صاحب طرابلس الرومي التاجر الخواجا نزيل مكة ويعرف بالذبيح، عمر عين عرفة ومسجدها، ومسجد الخيف وفسقية خليص. (السخاوى : الضوء اللامع، ج١٠، ص١٦٠).

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى، ج٤، ص٤٠٤.

(٤) ابن فهد : المصدر السابق، ص٤٢٠ - الجزيرى : درر الفرائد، ج١، ص٧٥٢.

(٥) جانبك الاشقر المغربي الاشرفي قايتباى، أصله من مماليك قايتباى المؤيدى، أحد أمراء البلاد الشامية، سافر أمير أول، ثم أمير محمل مرتين، وتوفي سنة ٨٨٠ هـ (السخاوى : الضوء اللامع، ج٣، ص٥٥).

وصحبته القاضي ابن ظهيرة متوجهين إلى مكة ،وأجزل عليهم السلطان الأشرف قايتباى ما يكفيهم من الأسمطة بالإضافة إلى مائة ألف دينار .(١)

وفي سنة ٨٧٩ هـ حجت خوند الخاصكية زينب إبنة على بن خليل ، وأحمد بن خاير بك إلى مكة ،وبصحبتها أخت الملك الأشرف قايتباى ،وخوند زوجة الملك الظاهر جقمق ،ومعهم خمسون جملاً ،وخلعت على أمير مكة وقضاتها ،ثم تصدقت على أهل الحرمين بالشيء الكثير .(٢)

وفي سنة ٨٨١ هـ إجتاح مصر وباء شديد (٣) ،فتوقف بسبب ذلك إرسال الهبات والأعطيات.

وفي سنة ٨٨٤ هـ توجه الأشرف قايتباى إلى مكة لقصد الحج ، وفعل الكثير من أوجه الخير والبر أثناء الطريق ،وعندما وصل إلى منطقة الحوراء كان باستقباله أمير مكة المشرفة ،والقاضي إبن ظهيرة ،ومد له سماط فخلع عليهما . وعند وصوله ينبع عرج على المدينة الشريفة لزيارة المصطفى

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ٩٣ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ - ٤٥٤
الشريف الجنابي : البحر الزاخر ،ج ٢ ورقة ٨٤ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٥٣ .

(٣) أحمد دراج : الحسبة واثرها على الحياة الإقتصادية في مصر المملوكية ،ص ١١٤ .

عليه الصلاة والسلام ،وفرق بها ستة الآف دينار [١] ، كما خلع على علمائها وقضاتها ،ثم قصد مكة وحج ،وفرق صدقاته على أهل مكة بمبلغ قدره خمسة الآف دينار ، وتفقد أحوال الناس ،ثم رجع إلى مصر بعد قضاء ثلاثة أشهر [٢] .

وفي سنة ٨٨٥هـ كان المولد النبوى الشريف بالقاهرة وقد اجتمع السلطان مع إمرائه وكبار رجال دولته وعلمائها وفقهائها بقلعة الجبل ،وكان بين أيديهم ستة أطباق مملوءة بالذهب ومغطاة بالفوط الكافورى ،وبها مبلغ جملته ستون ألف دينار ، وأخبر السلطان الجالسين ، أنه لما حج في العام الماضي سنة ٨٨٤ هـ وجد ما بأهل المدينة من القحط والإجحاف

---

(١) ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،ورقة ٣٩ - ٤٠ - الشريف الجنابي : البحر الزاخر ،ج ٢ ،ورقة ٨٧ - القرماني : آثار الدول ، ص ٢١٧- السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٧١٠ - ٧١٥ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ،ص ٥١٥ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ١٦١ - حقى رفعت باشا : الإعلام باعلام البلدان الحرام ،ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٥٠٥ - ٥٠٨ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١ ،ص ١٦٠ - ١٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٥٧ - ٧٥٨ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٤٧ .

من عدم المؤنة والقوت ،فأخرج من ماله الخاص هذا القدر ،وأرصده ليشترى به بلاداً من ضياع وأماكن وربوع ،وفعلاً شرع في بناء ربوع بباب النصر والبندقانين والزجاجين بالقاهرة ليكون ريعها مصروفاً على الفقراء [١] ويتحصل منها سبعة الآف وخمسمائة أردب قمح في كل سنة لعمل دشيشة ،وخبز للفقراء والمحتاجين ،ويفرق بعضه على كبيرهم وصغيرهم ،وفقيرهم ،حرهم وعبدهم ، ويصرف من ذلك كفاية أرباب البيوت [٢] . وأنه خصص لذلك مركبين كبيرين مسمارين [٣] لنقل القمح والحوائج إلى الحجاز ،كما أن الأمير تنم الناظر ، صنع مركباً لنقل الدشيشة طولها ١٢٠ ذراعاً ،وبها فرن وطاحون وصهريج ماء حلو ومقعد ومبيت وإسطبل للخيل . [٤]

---

(١) ابن الصيرفي : إنباء الهصر بأبناء العصر ،ص ٤٧٨ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ١٦٤ - ١٦٥ - عبداللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ،ص ٢٥٢ .

(٢) الشريف الجنابي : البحر الزاخر ،ورقة ٨٧- ٩٧ - القرماني : أخبار الدول ،ص ٢١٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ١٦٠ .

(٣) مسمارين : هي السفن المسمارية وجمعها مسماريات وهي السفينة التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط الواحها بعضها ببعض . (سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية) ص ٣٦٨ .

(٤) عبداللطيف إبراهيم : المقال السابق ،ص ٢٥٢ .

وفي سنة ٨٨٩ هـ جهز الأشرف قايتباى بهاء الدين أبو البقاء ابن الجيعان (١) في ركب مع جماعة من خواصه ،فوصل إلى المدينة الشريفة في سابع ذى القعدة ،ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية ،وكان من بينها مصحف كبير الحجم ،موقوفة كلها على المدرسة الأشرفية (٢) ،وأحمال كثيرة من الحب والدقيق ،والقدور النحاسية التي جعلت برسم السماط ،فرسم لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله لكل نفر سبع أردب قمح مصرى ،وساوى في ذلك بين الصغير والكبير ،والحر والعبد ،وجعل للآفاقين ما يكفيهم من الخبز وطعام الدشيشة في كل يوم (٣) .

وفي سنة ٨٩٣ هـ حج أمير عربان بني هوارة (٤) بالوجه القبلي بمصر ،

---

(١) أبو البقاء ابن الجيعان : البدر محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني شقيق المحمدين ابي البركات ،وصلاح الدين ،ولد سنة ٨٤٧هـ بنى له مدرسة بالزاوية الحمراء ،وانتفع به الفقراء عندما حج ،وكان يقوم بالمهمات السلطانية . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ١١ ،ص ٨-٩) .

(٢) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ١ ،ص ٤٦١ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ،ص ١٩٩ .

(٣) المسهورى : المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٦٤٥ - عبد اللطيف إبراهيم ، المقال السابق والصفحة .

(٤) بنى هوارة : منازلهم بالديار المصرية بالبحيرة ومن الإسكندرية غرباً إلى العقبة الكبيرة من برقة ،وقد قوى أمرهم ،واشتد بأسهم وكثر جمعهم حتى انتشروا في معظم الوجه القبلي .
(القلقشندى : نهاية الأرب ،ص ٤٤) .

داود بن عيسى بن عمر (١) ،وتصدق بمكة بحوالي ألف دينار ،وحصل بها نفع للفقراء. (٢)

وفي سنة ٨٩٦ هـ وصلت إلى مكة المشرفة صدقة من بلاد الروم (٣) مقدارها خمسة الآف دينار ،وستمائة وعشرون ديناراً ،وعم بها النفع . (٤)

وفي شوال سنة ٩١١ هـ أرسل السلطان الغورى الكثير من الصرر والزيوت لسكان الحرمين (٥) ،كما كان يرسل الكثير من الأدوية للفقراء والمنقطعين بالحجاز ،ويقوم بتوزيع قمصان على الفقراء ،والوافدين صحبة المحمل المصرى . (٦)

---

(١) داود بن عيسى بن عمر شيخ هوارة ،حج سنة ٨٩٣ هـ ،وأحسن لفقراء الحرمين . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٢١٤-٢١٥) .

(٢) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٦٢ .

(٣) أى الدولة العثمانية .

(٤) الجزيرى : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٧٦٣ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ٨٩ .

(٦) السيوطي : حسن المحاضرة ،ج ٢ ،ص ١٥٦ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٧٧ - عبد اللطيف إبراهيم : المقال السابق والصفحة .

وفي سنة ٩١٧ هـ حج الكثير من أعيان مصر ،منهم خاير بك المعمار أحد المقدمين الألوف،وكاشف الغربية ،وحج الشرفي يونس بن الأقرع نقيب الجيش ،وحجت زوجة الأمير طومان باى ووالدتها ،وزوجة الأتابك سودون العجمي ، وشيخ العرب أحمد بن بقر ،وحسام الدين من بغداد ، وجماعة من مشايخ هوارة ،وكان لهم الكثير من أعمال الخير في أثناء الطريق ، وفي مكة (١) .

وفي سنة ٩٢١ هـ دخل الشريف بركات أمير مكة القاهرة ،وأرسل إليه السلطان قانصوه الغورى أربعة الآف دينار ،وأربعة مماليك فرسان في كامل ثيابهم ،والكثير من الثياب ،وقطع القماش المخملية الملونة ،وأربعة سيوف مرصعة بالجوهر ، كما أعطاه كبار رجال المماليك الكثير من الهدايا (٢) .

وفي سنة ٩٢٢ هـ أرسل السلطان قانصوه الغورى الكثير من الهبات لأهل مكة والمدينة المنورة (٣) .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ٢ ،ص ٧٩٦ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٣٨ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٤ ،ص ٤٥٦ - الجزيرى : درر الفرائد ج ٢ ،ص ٧٩٦ - ٧٩٧ .

(٣) يوسف أحمد : المحمل والحج ،ص ٢٥٠ .

الفصل الرابع

توفير الأطعمة وإلغاء المكوس عليها في مكة المكرمة والمدينة المنورة

توفير الأطعمة وإلغاء المكوس عليها في

مكة المكرمة والمدينة المنورة

الحجاز إقليم مستطيل يحده غرباً البحر الأحمر، وشرقاً البادية الكبرى، وجنوباً بلاد عسير، وشمالاً بادية الشام، وطوله من الشمال إلى الجنوب ١٥٠٠ كيلومتراً، وعرضه من الغرب إلى الشرق ٣٠٠ كيلومتراً، ويقطعه من الشمال إلى الجنوب جبال السراة.(١) ويغلب على تضاريس الحجاز بصفة خاصة الجبال والصحارى التي تتخللها بعض الأودية التي تجف صيفاً مما يجعل أهلها ينتجعون العشب والكلأ في رعي أغنامهم، ولا يوجد ببلاد الحجاز أنهار جارية، ولذلك يعتمد سكانها في الزراعة على مياه الأمطار أو على العيون والآبار المنتشرة هنا وهناك، فتقوم حولها القرى والحدائق والبساتين كما هو الحال بالنسبة للطائف ووادي مرّ، ونخلة وعسفان وغيرها.(٢)

وأما مكة فبلد قاحل شحيح المطر، قليل المياه الجوفية، ولذلك فهو غير صالح للزراعة بل تكاد الزراعة تكون معدومة فيه، ومن ثم فمحاصيلها قليلة لا تكفي لسد حاجة سكانها(٣)، ناهيك عن آلاف الحجاج الذين يأتون سنوياً كما قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام:

---

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية، ص ٣٧.

(٢) جميل حرب : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ص ١١٩.

(٣) سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عصر الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية، ص ٩.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (١)، وهكذا أخذت تهفو أفئدة المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي إلى مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة، وإلى المدينة المنورة حيث مثوى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أضطر أهل مكة إلى جلب ما يحتاجونه من المناطق المجاورة، كوادى مرّ، والطائف بإعتباره بلداً مشهوراً بكثرة مياهه، وخصوبة أرضه، ولطافة مناخه، فهو كثير الحاصلات الزراعية، وتجود به زراعة بعض الفواكه والخضروات (٢).

أما المدينة المنورة فهي أحسن حظاً من مكة لخصوبة أرضها، ولكثرة مياه العيون والآبار بها، وخاصة في وادى العقيق، والتمر من أكبر محاصيلها الزراعية (٣). ومن ثم فالزراعة تعتبر ميزة للمدينة المنورة على مكة، تستطيع بها المدينة أن توء من أقواتها، وأن تستغني عن الخارج في كثير من الضروريات مكتفية إكتفاءً ذاتياً بعكس مكة (٤).

---

(١) سورة ابراهيم : آية ٣٧.

(٢) رحلة ابن جبير، ص ٩٧ - ٩٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٧٠.

(٣) أنظر عبد القدوس الانصارى : آثار المدينة المنورة، ص ١١٩ - ١٢١.

(٤) على السليمان : المرجع السابق، ص ١٨٠.

١ - في مكة المكرمة :

كانت مكة المكرمة منذ ظهور الإسلام تعتمد في معظم شئون حياتها على الهبات والأعطيات الخارجية نقداً وعيناً من خلفاء وسلاطين المسلمين ومن البلاد الإسلامية بصفة عامة (١). وفي العصر المملوكي اهتم سلاطين المماليك بتيسير سبل العيش لأهلها ، وكانت موارد مكة الرئيسية تعتمد على ما ينفقه الحجاج في مواسم الحج ، وعلى التجارة الداخلية والخارجية ، وعلى صدقات وأوقاف السلاطين وكبار المحسنين. (٢)

ويمكن القول إن إرتفاع الأسعار في مكة إنما كان يرجع إلى المكوس الباهظة التي كانت تجبى بها على الأطعمة والمواد الغذائية ، بالإضافة إلى القحط وإنقطاع الميرة عن أهالي الحرمين ، وإن رخص الأسعار بها إنما كان يعود إلى إلغاء المكوس ، أو هطول الأمطار ، أو وصول الميرة إلى أهلها .

ففي سنة ٦٤٩ هـ كان الغلاء بمكة شديداً وقاسياً واستمر لمدة سنة. (٣)

وفي سنة ٦٥١ هـ ارتفعت حدة الغلاء ، فبلغت شربة الماء بدرهم ، والشاه بأربعين درهماً ، وبيع بالطائف الشعير والدخن

---

(١) عن الفترة السابقة على العصر المملوكي . انظر سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية ، ص ١٢٣-١٢٩ .

(٢) على السليمان : المرجع السابق ، ص ١٧١-١٧٢ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧١ - الجزيري : درر الفرائد ج ١ ، ص ٥٩٧ .

مد [١] وربـع بدينار [٢].

غير أن الغلاء عم أرض الحجاز سنة ٦٦١ هـ ،واستمر حتى سنة ٦٦٧هـ [٣] ،الأمر الذى أدى إلى ضيق أهل الطائف من شدة إرتفاع الأسعار، فبيع الشعير ربع مد وثلثاه بدينار ،إلا أن الأزمة إنفرجت عند وصول الميرة والموءن سنة ٦٦٩ هـ ،والسنة التي تلتها [٤].

والذى زاد من شدة القحط سنة ٦٦٧هـ الفتنة التي كانت بين صاحب مكة الشريف أبى نمى وبين صاحب المدينة المنورة أحد أولاد الشريف إدريس، عم الشريف أبى نمى بالرغم من إتصال الجلاب من سواحل اليمن وعيذاب وسواكن، [٥] بالإضافة إلى ندرة الأمطار التي زادت بها الأسعار ،فبيعت غرارة القمح

---

(١) المد : بالضم وجمعه أمداد ومدد ،وهي ضرب من المكاييل الشائعة الإستعمال في المدينة المنورة قبل الإسلام ،وهي جزء من أجزاء الصاع بشكل ربعه بإتفاق أقوال الفقهاء ،ويحوى المد رطلاً وثلثا من البر. (ابن رفعة : الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ،ص ٥٦).

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٧ ،ص ٣٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٧٥ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٥٩٨.

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧١.

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٠١.

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٢.

الزيلعية (١) بأربعة عشر أشرفياً ،وغرارة الذرة والدخن بتسعة أشرفيات .

وفي سنة ٦٧٥ هـ غلت الأسعار حتى أشتد وزاد القحط ،فبيع الشعير ربع (٢) وشطر بدينار (٣).

وفي سنة ٦٧٦ هـ كان الغلاء بمكة ،فبلغ القمح مدان بدينار ،ومد الشعير بدينار ،بل بلغ سعره بمكة في آخر ربيع الاخر ربع مد بدينار (٤).

وفي سنة ٦٨٣ هـ إزدادت حدة الغلاء بسبب الفتنة التي كانت بين الشريف أبي نمّي أمير مكة وبين المصريين (٥) ،بحيث بيعت غرارة القمح بألف ومائتي درهم ،وفي المدينة المنورة بتسعمائة درهم (٦).

---

(١) الزيلعية : نسبة إلى مدينة زيلع ،وهي مدينة على الساحل الغربي للبحر الأحمر في طرف الحبشة ،يسكنها السودان المسلمون.
(ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٥ ،حاشية٧).

(٢) الربع : مكيال مصرى يسع ملوتين أو أربعة أقداح . (سامح عبد الرحمن فهمي : المكاييل ،ص ٤٣).

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ١ / ٢ ،ص ٦٣٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٠٧ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦٠٥.

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٠٨.

(٥) انظر قبل ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ،ص ٢١٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٢٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦٠٨ - على السليمان : المرجع السابق ،ص ١٨٣ - ١٨٤.

وفي سنة ٦٩١ هـ حصل غلاء للناس من أول السنة ، فكانت الحنطة ربع مد بدينار ،والراوية بأربعة دنانير[١] ، وستة عشر دراهم مسعودية.[٢]

وفي سنة ٦٩٣ هـ غلت الأسعار حتى بلغ مد الملح ستة دنانير ،وراوية الماء بأربعة دنانير ، ثم رحم الله بهطول الأمطار ، فسالت الأودية والشعاب ،وامتلأت البرك مثل بركة ام السلم ، وبركة سوق الليل.[٣]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٢٢ -الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٦١٠.

(٢) الدراهم المسعودية : ينسب ضربها إلى الملك المسعود الأيوبي ابن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب الذى أنتزع مكة من حسن بن قتادة ،وظل والياً عليها حتى سنة ٦٢٦ هـ ،وهو مربع الشكل زنته نحو نصف ،ثم نقص إلى سدس . (القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٤ ،ص ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ١/٣ ، ص ٨٠٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ١٢٥.

ودفع إنتشار الوباء والقحط سنة ٦٩٥ هـ أهل مكة والقرى المجاورة إلى الرحيل منها إلى منطقة حلى بني يعقوب ،كما فتك الجوع بعدد كبير من الناس (١) فبلغت غرارة القمح ألف ومائتي درهم . (٢)

وفي بداية القرن الثامن الهجرى إرتفعت أسعار الطعام لندرة الأمطار في سنوات متتالية . ففي سنة ٧٠٣ هـ وجد الحجاج مشقة عظيمة من قلة الماء فغلاء السعر ، وجفت القرب بطريق الحجاز ،ومات عالم كثير ،وبيعت ويبة (٣) الشعير بأربعين درهماً ،وويبة الدقيق بستين درهماً . (٤)

---

(١) على السليمان : المرجع السابق ،ص ١٨٣- ١٨٤ .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٢- ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٥ ،ص ٣٩١ .

(٣) الويبة : هي مكيال مصرى كان يعادل قديماً عشرة أمنان ،وهي تساوى حالياً ١٦٨ر ١٢ كيلوغراماً ، أى كيلتين . (سامح عبدالرحمن فهمي : المكاييل ،ص ٤٢) .

(٤) المقريزى : السلوك ،ج ١/٢ ،ص ١٢ - وذكر ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٤١ - والجزيرى : درر الفرائد ج ١ ،ص ٦١٧ أن هذه الحادثة كانت سنة ٧٠٤ هـ .

كما اضطر أهل مكة سنة ٧٠٧ هـ إلى حمل الماء على ظهور الحيوانات من بطن مرّ ، مما كان له أثر على الزراعة دفعت الأسعار إلى الإرتفاع ، فبيعت غرارة الحنطة بألف وخمسمائة درهم ، والذرة بأكثر من سبعمائة درهم ، كما زاد صاحب اليمن الملك المؤيد من شدة الغلاء لمنعه التجار من السفر بالميرة لخصومة كانت بينه وبين صاحبي مكة حميضة ورميثة ابني أبي نمَّي ، غير أن ركب الرجبية في مصر حل أزمة الأسعار لجلبه معه ألفي جمل مؤناً وإمدادات ورسائل لصاحب اليمن ليتراجع عن قراره الضار بأهل الحجاز.(١)

وفي سنة ٧٢١ هـ بلغ الغلاء حدته بمكة وما حولها من قرى فبلغ الأردب المصرى من القمح مائتي وأربعين درهماً ، وأما التمر والسمن فعدما من الأسواق ، وبيع المن (٢) من اللحم بخمسة دراهم (٣) ، مما دفع الشريف عطيفة بالتوجه إلى مصر ، وطلب المعونة من صاحب مصر ، شاكياً له ندرة الأمطار ،

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٤٥ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) المنّ : من الأوزان المصرية القديمة التي أستخدمها اليهود العبرانيون في مصر وهو يساوى ستين مثقالاً ، أى ما يعادل ٨٤٩,٦٠ حالياً. (على باشا مبارك : الميزان في الأقيسة والميزان ، ص ٨).

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ - المقريزى : السلوك ، ج ٢/١ ص ٢٣٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٧٣ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٧.

وقلة الواصل من البحر ،فرسم سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون بنقل الحب إلى مكة في كل عام من الصعيد (١) بشرط أن يسقط المكس عن الواردين بالميرة إلى مكة فوافق على ذلك (٢).

وفي سنة ٧٢٢ هـ إشتد الغلاء بمكة ،فوصل أردب القمح مائتين وخمسين درهماً ، فعطف سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون على أهل الحجاز بتخفيف المكس عليهم ،فأبقاه على سلع التجار وسلع الحجاج الثمينة ،وأسقط مكس الطعام ،وعوض صاحب مكة بثلثي قرية "دمامين" بصعيد مصر ،كما أرسل لهم ألفي أردب قمح ،وبذلك انحل السعر وعم الرخاء بأرض الحجاز. وامتلأت الأسواق بالأطعمة (٣).

---

(١) الصعيد : هو الإقليم الجنوبي من مصر ،وما يعرف في لغة المصريين بالوجه القبلي تميزاً له عن الإقليم الشمالي الذى يعرف بالوجه البحرى . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ٤٠٨) .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٢/١ ،ص ٢٣٦ - الجزيرى : درر الفرائد ج ١ ،ص ٦٢٧ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ،ج ٢ ،ص ١٢٥ - الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ،ص ٩٣ - شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٤٤ - الحضراوى : حسن الصفا والإبتهاج ،ورقة ٥٠ - ابن الوردى : تتمة المختصر ،ج ٢ ،ص ٣٩٠ - المقريزى : السلوك ،ج ٢/١ ، ص ٢٣٨ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٢٧ .

وفي سنة ٧٢٤ هـ إرتفع سعر الأطعمة ، فبيعت غرارة الحب الشامية فوق ألف وثلثمائة درهم ، ثم ما لبث أن إنخفض السعر (١) ، إلا أن الغلاء رجع كرة أخرى في السنة التالية عندما وصل عسكر السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مصر ، وكان متوجهاً إلى اليمن نجدة للملك المجاهد بن الناصر صاحب اليمن ، ودخل مكة في السادس والعشرين من جمادى الأولى فخرج إمام الزيدية من مكة إلى وادى مرّ ، وأقام العسكر بمكة إلى أن قدمت مراكبهم من مصر إلى جدة محملة بالغلال ، وقد بيع أردب الشعير بثلاثين درهماً ، وويبة الدقيق بعشرين درهماً ، ثم إنحل السعر بعد رحيلهم في خامس جمادى الأولى ، فبيعت غرارة الشعير بإثني عشر درهماً ، وأردب القمح بثمانية عشر درهماً ، وامتلأت الأسواق بالأطعمة من لحم وعسل وسمن وقمح (٢) .

وفي سنة ٧٢٨ هـ كانت مكة في غاية الرخص ، والرخاء حتى بيع أردب القمح بأربعين درهماً ، والدقيق بثمانية ، واللحم لكل منّ بأربعة دراهم مسعودية ، والعسل منّ بدرهمين ، والأوقية (٣) بثلاث دراهم ،

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٢ - ٣٣ - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ - المقريزى : السلوك ، ج ٢/١ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٨٠ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٨ .

(٣) الأوقية : هي واحدة الأواقي وهي وحدة وزن قديمة ، وهي من مستحدثات النظم اليونانية ، وعندما دخل الرومان مصر جعلوا أوقية الرطل المصرى ٢٨٫٣٢ غراما ، وعن طريق مصر والشام عرفها تجار مكة والمدينة المنورة وقد أقر النبي أوقية النقد والفضة التي كانت في مكة فدخلت في الحقوق الشرعية (ابن رفعة : الإيضاح والتبيان ، ص ٥٣ ، حاشية ٤) .

والجبن كل منّ بدرهمين.[1]

وفي سنة ٧٣٢ هـ قدم مبشر الحجاج إلى القاهرة ، وأخبر بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار.[2]

وفي سنة ٧٣٣ هـ بيع بمكة أردب الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهماً ، وبيع البقسماط بالعدل[3] كل رطل بفلس[4] واحد ، ورطل السكر بدرهمين ، وعلبة الحلوى بثلاثة دراهم[5] .

وفي سنة ٧٣٨ هـ عم البلاد الرخاء ، فبيعت ويبة الدقيق بتسعة دراهم ، والسمن خمسة أرطال بدرهم ، والعسل أربعة أرطال بدرهم ، وكذلك اللحم أربعة أرطال بدرهم ، والعجوة إثنا عشر رطلاً بدرهم.[6]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٣١ .

(٢) المقريزى : السلوك ج ٢ / ٢ ، ص ٣٤١ .

(٣) العدل : جمعه عدول ، وهو نصف الحمل . (المقريزى : السلوك ، ج ٢ / ٢ ، ص ٣٥٧) .

(٤) الفلس : هي من السكة النحاسية ، وزنها الشرعي ٤٨ر١ . وهي مستعارة من البيزنطيين ، وتساعد على إجراء العمليات التجارية البسيطة ، ولضبط جميع أوزان العملات صنع العرب صنجات زجاجية خاصة مقدرة بالقراريط والخراريب. (عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص (١) .

(٥) المقريزى : السلوك ، ج ٢ / ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، ج ٢ / ٢ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٢ .

ولم يغير الأحوال سوى القحط، وندرة الأمطار .

فعلى الرغم من إزدهار الإقتصاد المصرى في عهد المماليك البحرية إلا أن مصر لم تسلم من أزمات إقتصادية من أهم أسبابها قلة أو زيادة مياه الفيضان ، وما ارتبط به من زيادة في أسعار الغلال والحاجيات في الأسواق المصرية ،مما كان يؤدى إلى حالة شديدة من الفقر بين العامة يتبعها نوع من المرض يتفاقم بينهم حتى يحدث الوباء.(١)

وفي سنة ٧٤٤ هـ قاسى الحجاج مشقة عظيمة لقلة الماء ،وإرتفاع أسعار الأطعمة ،فبيعت ويبة الشعير بأربعين درهماً ،وأردب القمح بمائتي درهم ،كما بلغ أردب القمح بمنى أربعمائة وخمسين درهماً لقلة الجمال ،والويبة من الدقيق بخمسين درهماً ،ورطل البقسماط بثلاثة دراهم ،كما أن حرمان الشريف عجلان لتجار اليمن من دخول مكة أدى إلى إرتفاع الأسعار ،وهلاك الكثير من مشاة الحجاج .(٢)

---

(١) سامح عبدالرحمن فهمي : القيم النقدية في الوثائق المملوكية ،ص ١٩ .

(٢) المقريزى : السلوك ،ج ٢/ ٣ ،ص ٦٦٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٢٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٦٤ - ٦٦٥ .

وبدلاً من أن يساعد سلاطين المماليك على إنخفاض الأسعار كانوا بالعكس يحتكرون بعض السلع التجارية التي تؤدى إلى عدم تواجد الأطعمة في الأسواق ، مما يدفع الأسعار إلى أضعاف سعرها . ففي سنة ٧٤٧ هـ إشتد الغلاء أثناء فترة الحج ،لإحتكار سلطان مصر لبعض السلع وأنواع البهار ،فبيعت غرارة الذرة بمائتي وأربعين درهماً ،والحنطة بمائة وسبعين درهماً ،وفي بعض الأوقات بمائة وستين درهماً ،والتمر بثلاثة دراهم (١) . واستمر الغلاء لمدة شهر وأكثر ،وهلك كثير من الجمال بسبب إنتشار الوباء. (٢)

وذكر المقريزى أنه في سنة ٧٤٨ هـ عم الرخاء أرض الحجاز ،ورخصت الأسعار بمكة (٣) ،بعكس الفاسي وابن فهد والجزيرى فإنهم يؤكدون غلاء الأسعار. (٤)

وفي سنة ٧٤٩ هـ وقع الغلاء بمكة ،فبلغ أردب القمح ثلثمائة درهم ، وغرارة الذرة مائة درهم ،وويبة الدقيق ستة وأربعين درهماً ،وويبة الشعير

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٣٣- الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٤٦ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٨٥ .

(٣) المقريزى : السلوك ،ج ٢/٣ ،ص ٧٢٥ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٣٥ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٤٧ .
وإنني اخالف المقريزى في هذا الرأى مع إختلاف وجهة نظره معهم خاصة وان أهل مكة ادرى بشعابها خصوصا وقد ايدهما الجزيرى فيما قالا وهو المتخصص بشئون الحج وبزيارة مكة ،كما أن الفاسي وابن فهد متخصصان بتاريخ مكة بخلاف المقريزى فإنه يبعد عن الحجاز اذ يعيش في مصر كما لم يكن متخصصاً في تاريخ مكة .

سبعين درهماً .(١)

وفي سنة ٧٥١ هـ قدم الأمير فارس علاء الدين بالحجاج إلى القاهرة وأخبروا عن شدة غلاء الأسعار بمكة ، وقلة المياه ، بحيث بيعت الراوية بعشرين درهماً ، وهم أهل مكة بالخروج منها والنزول ببطن مرّ ، لكن الله بعث لهم مطراً استمر يومين ، وبذلك امتلأت الآبار والبرك ، وقدمت مكة عدة قوافل فانحل السعر .(٢)

وفي سنة ٧٥٣ هـ بلغ أردب القمح ثلثمائة درهم ، والشعير مائتي درهم ، وراوية الماء أربعة دراهم ، ثم أتى الله بالأمطار لمدة ثلاثة أيام ، فانحل السعر ، وبيع أردب القمح بمائة وخمسين درهماً ، كما توفرت المياه لجريان عين حنين .(٣)

وفي سنة ٧٥٥ هـ عم الرخاء بالحجاز فبيعت غرارة القمح بثمانين درهماً ، وغرارة الشعير بخمسين درهماً ، إلا أن الماء كان قليلاً لنزوح مياه الآبار ، وإنقطاع مياه حنين ، فأغاثهم الله بمطر كثير (٤) . هذا بالإضافة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ج ٢ / ٣ ، ص ٨١٦ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٦١ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٥٤ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .

إلى دخول بعض التجار إلى مكة فتهاونت الأسعار ، وامتلأت الأسواق بالأطعمة.[1]
كما أن السلطان المملوكي حسن بن قلاوون أحس بصحوة الضمير وخوفه من الله في عدم إهتمامه بسكان بيت الله الحرام ،فما كان منه إلا أن أصدر مرسوماً سنة ٧٦٠ هـ بإرسال عسكر إلى مكة بقيادة جركتمر المارديني[2] لحل الخلاف بين أمراء مكة وأشرافها[3] ،ونشر العدل وعدم الظلم ،كما أسقط المكس المتعلق بالمأكولات من الحب والتمر والسمن لأن الطعام هو الذى يمس إحتياجات الناس أكثر من أية سلعة أخرى ،بحيث بيعت غرارة الحنطة بستين درهماً.[4]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٣- على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٨٥.

(٢) جركتمر المارديني : كان من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ،ثم تنقل إلى أن تولى التقدمة والحجوبية الكبرى للناصر حسن ،أرسله إلى مكة سنة ٧٦٠هـ ،وكان وافر الحرمة على المفسدين ،توفي سنة ٧٧٠ هـ (ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج ٢ ،ص ٧).

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ - الكردى : التاريخ القويم ،ج ٢ ،ص ١٨٠.

(٤) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٢ ،ص ١٤١- ١٤٢ - شفاء الغرام ، ج ٢ ،ص ٢٤٨ - ٢٤٩ - المقريزى : السلوك ،ج ٣/ ١ ،ص ٤٨ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ح ١٠ ،ص ٣١٦ - ٣١٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٧٦ - ٢٧٧- الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٥٧ - ٦٥٨ - الكردى : التاريخ القويم ،ج ٢ ،ص ١٨٠ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٨٦.

إلا أن الأحوال تدهورت في الحجاز بعد ذلك ،فأصبحت الأطعمة باهظة الثمن لأخذ المكوس الغالية عليها ،فصار المكس على الشاة أغلى من ثمنها ،وكذلك بقية الأطعمة من حبوب و تمر وسمن ،وشكا الناس حالهم إلى يلبغا الخاصكي مدبر الديار المصرية للأشرف شعبان سلطان مصر الذى ماكان منه إلا أن أرسل ألفي أردب قمح لأهل الحرمين ،ثم أخذ يواصل الإمدادات لتفرق على الفقراء والمساكين حتى بلغت حوالي إثني عشر ألف أردب قمح (١).

كما أسقط المكوس على الحجاج ما عدا تجار الكارم الذين يأتون من اليمن ،ومكس وتجار العراق الذين يأتون في الموسم ،و مكس الخيل ،فله أخذ مرتبه منهم على عادته ،وأشهد على نفسه بذلك ،وكتب له بذلك مثال شريف من مصر ،وعمل محاضر أثبت منها بمكة واحداً ،وفي المدينة المنورة واحداً و عند صاحب مصر في القلعة واحداً ،وقرر ذلك في ديوان الأشرف شعبان ،وعوض أمير مكة بمائة وستين ألف درهم ،وكتب ذلك على عدة أساطين بالمسجد الحرام سنة ٧٦٦هـ (٢) ،وقد أوضحت ذلك كاملاً في الفصل الثاني المتعلق بإسقاط المكوس . ووفقاً لهذا المرسوم أبطل السلطان الأشرف شعبان سائر المكوس التي كانت تؤخذ على جميع أصناف المأكولات الواردة إلى مكة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ،ج ١٤ ،ص ٣٠٩ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ - المقريزى : السلوك ،ج ٣ / ١ ،ص ٩٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٣٠٢-٣٠٣ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١ / ٢ ،ص ١٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٦٣ .

سواء كان ذلك عن طريق البر أو البحر ،وكذلك على سائر الحجاج والزوار والمقيمين والمارين من بر أو بحر ،ولم يستثن سوى ثلاث طوائف حسب ما ذكرت سابقـــاً وهم تجار العراق وكارم اليمن وتجار الخيل ،ولم يقتصر إسقاط المكوس علـــى حجاج مصر والشام فقط باعتبارهم من رعايا الدولة المملوكية. بل إنه شمل جميع الحجاج دون إستثناء .

وقد أورد لنا الدكتور محمد الفعر نص المرسوم المنقوش على أساطين المسجد الحرام ،وقد ذكرته نقلاً عنه في الفصل الثاني المتعلق بالغاء المكوس. أما هنا فاني أنقل ما ورد في هذا المرسوم عن إسقاط المكس المتعلق بالمأكولات فقد ورد إبتداء من السطر الثاني عشر بالمرسوم المذكور مايلي :

١٢ - يشرط أن لا يتناول شيئاً من المكوس من حاج ولا مقيم ولا زائــر ولا مجتاز من بر أو بحر وما يباع

١٣ - بأسواق مكة من مأكول ومشروب ونـيء ومطبوخ من جميع ما يقتات به من الحنطة والأرز والعدس

١٤ - والشعير والدقيق والحمص وغير ذلك مكيلاً أو موزوناً أو معدوداً أو مزروعاً ولا من الفواكه والثمار

١٥ - والأعناب والبطيخ ولا من الخضروات والأعسال والأدهان والأدام ولا من الحيوانات

١٦ - من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك وما يحضر إليها من البر والبحـــر وغيره من ساحل جده ومن وادى نخله

١٧ - والحجاز وسائر المشاعر العظام ولا يتناول شيئا من عشر النخل التي في ولايته ولا نزالة ولا

١٨ - وكالة ولا عرافة ولا رياسة ولا يمكن احداً من ذريته ولا من نوابـــه ومباشريه وعبيده ولا خدمه من

١٩ - التعرض إلى أخذ شيء من ذلك ولا يمكن بواباً ولا عريفاً ولا سمساراً من التعرض إلى أخذ شيء من ذلك وإن

٢٠ - من دخل مكة شرفها الله تعالى ترك ومتاعه يبيعه حيث شاء لا يتلقاه أحد من مباشريه ولا

٢١ - من أرباب الدرك ولا غيرهم بطلب مكس ولا غيره خلا تجار العراقيين واليمن وما يحضر معهم من التجارة

٢٢ - فإنه يخلي سبيله فيتناول المبلغ المذكور ما دام متصفاً بالصفـــة المشروحة فيه فإن تناول

٢٣ - شيئاً من ذلك أو خرج عما شرطه عليه مولانا السلطان الملك الأشرف أعز الله انصاره

٢٤ - وادام اقتداره أضيف إلى ريع باقي الموقوف المذكور يصرف على الحكم الذى يشرح فيه فإن

٢٥ - عاد امكان الصرف إليه عاد .(١)

---

(١) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

وفي سنة ٧٨٠ هـ حصل للحجاج مشقة كبيرة بسبب غلاء الأسعار في الفول والشعير والبقسماط، وبلغت ويبة الشعير خمسين درهماً فضة، ثم زادت حتى أصبحت بمائة دينار. (١)

وفي سنة ٧٨٣ هـ غلت الأسعار بمكة، ثم رخصت قليلاً، فبيعت ويبة الدقيق بعشرين درهماً، وويبة الشعير من ثلاثين إلى عشرين درهماً وعند قدوم الحجاج في الموسم إرتفعت الأسعار، فبيعت ويبة الدقيق بخمسين درهماً وما فوق، وويبة الشعير بأربعين درهماً، وحصل بالحرمين وغيرهما من بلاد الحجاز قحط عظيم، ومات من أشراف مكة وأهلها الكثير جوعاً. (٢)

غير أن الإضطرابات التي حدثت في الدولة المملوكية قبل سلطنة برقوق سنة ٧٨٤ هـ، ساعدت على عدم الإلتفات لركب الحجاج، والإهتمام بأموره، مما سبب للحجاج مشقة عظيمة أثناء رجوعهم في الطريق، لقلة الماء، وعدم وجود المال الكافي لديهم لشراء الأطعمة الباهظة الثمن، بالإضافة إلى تنافس الأشراف على الإمارة بعد موت أميرها محمد بن حسن بن عجلان. (٣)

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور، ج ١ / ٢، ص ٢٣٨.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٣٧ - الجزيري : درر الفرائد، ج ١، ص ٦٦٩.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٢٢٤ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨٦.

وفي سنة ٧٨٩ هـ توجه علي بن عجلان إلى القاهرة ،فقدمها في رمضان ،فأشركه السلطان الظاهر برقوق في إمرة مكة مع الشريف عنان ،فتوجه الشريف عنان إلى وادى نخلة ،و منع الجلب عن مكة ،فوقع بها الغلاء فوصل قرقماس الطشتمرى الخازندار أمير الركب إلى مكة بتقليد الشريف علي بن عجلان ،وأمره أن يتجهز إلى الشريف عنان فخرج وأرسل طبول المحمل فدقوا بين الأودية ،فظن عنان أن العسكر دهمته فهرب ، ودخلت القافلة مكة وباعوا ما معهم برخص حتى انحطت ويبة القمح إلى عشرة بعد الثلاثين.(١)

وفي سنة ٧٩٧ هـ عاود أهل مكة إنتشار الأوبئة مع إرتفاع أسعار الأطعمة فبيعت غرارة الحنطة بمكة بخمسمائة درهم كاملية(٢) ،إلا أن السلطان الظاهر برقوق لم يتأخر عنهم فتدفقت عليهم هباته وأعطياته الكثيرة من المؤن ،فانخفضت الأسعار.(٣)

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر ،ج ١ ،ص ٣٣٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٣٦٦ - ٣٦٧ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٧٥.

(٢) الدرهم الكاملي : نسبة إلى السلطان الكامل سيف الدين شعبان ابن الملك الناصر محمد ،وهو درهم ضرب بالقاهرة في عهده في سنتي ٧٤٦ هـ و ٧٤٧ هـ .(سامح فهمي : الوحدات النقدية ،ص ١٥٦ - ١٥٧).

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٣٧٩ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ص ٦٧٨ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٨٦-١٨٧.

وفي سنة ٧٩٦ هـ حصل بمكة رخاء كبير فبيعت غرارة الحنطة بسبعين درهماً ، إلا أن الغلاء عاود مكة في السنة التالية بعد الحج ، فبلغت غرارة الحنطة ثلثمائة وثلاثين درهماً.(١)

وفي بداية القرن التاسع الهجري إرتفعت أسعار الأطعمة ،فبيعت غرارة القمح سنة ٨٠٥ هـ بخمسمائة درهم كاملية ،ولم تتوان الأسعار إلا بدخول جلاب أتت من سواكن.(٢)

ثم انقطعت الإمدادات والمؤن عن مكة بسبب المجاعة والوباء اللتين اجتاحتا مصر في سنة ٨٠٦ هـ واستمرتا بضع سنوات ،فاستفحل القحط بمكة سنة ٨١٥ هـ ،فبيع حمل الجمل المتوسط من القمح بعشرين ذهبية ،وأن كل عدد من البطيخ كان يباع بقطعة ذهبية(٣) ،وغرارة الحنطة بعشرين أفلورياً ذهباً . وبلغ مد التمر ثمانية مسعودية ،وويبة الدقيق بأفلورين ،وويبة الأرز بعشرة أفلورية ،ورطل البقسماط بعشرة دراهم فضة ،وويبة النوى بأفلوري ،

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ، ص ٢٧٤ - المقريزي : السلوك ، ج ٣ / ٢ ، ص ٨١٩ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٩١ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٨٠.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٣٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦٨٧.

(٣) أيوب صبري باشا : مرآة الحرمين ،ص ٦٥٦ .

وقل وجود الفلفل حتى بلغ الحمل مائتي وعشرين مثقالاً [(١)] . هذا ويذكر المؤرخ حقي رفعت باشا في كتابه " الإعلام " بأن غرارة البر المعتدلة بيعت بعشرين أفلورياً ،والبطيخة الواحدة بأفلورى واحد . [(٢)]

وفي سنة ٨١٦ هـ إستمر الغلاء حتى شهر ذى القعدة ،فكانت غرارة القمح بتسعة أفلوريات ،وربما بلغت خمسة عشر أفلورياً ،والذرة بنحو ذلك ،كما بلغت قيمة التمر ثمانية مسعودية ، أما المأكولات فكان سعرها أرخص من السنة التي قبلها ،ولم يكن الغلاء بمكة فقط بل امتد إلى سائر البلاد الإسلامية الأخرى ،فبيعت غرارة الذرة باليمن بثلاثين مثقالاً ذهباً ،ويرجع ذلك إلى قلة الأمطار ،وصار أهل اليمن وسواكن يشترون الذرة من قرية تسمى قنونا [(٣)] بقرب حلى ،ومنها تجلب إلى مكة . [(٤)]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٥ - ٢٧٦ - المقريزى : السلوك ، ج ٤/١ ،ص ٢٥٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ،ج ٣ ،ص ٤٩٨ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج ٢ ،ص ٣١٩- ٣٢٠ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٦٥ .

(٢) حفنى رفعت باشا : الإعلام بأعلام البلد الحرام ،ورقة ٢٥٧ .

(٣) قنونا : أوقنوني بالفتح ونونين ، واد من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب حلى . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص ٤٠٩) وهي تمتد بين جبال خثعم إلى القنفذة ،وبعد اودية تهامة عسير الكبيرة (الأزرقي : أخبار مكة ،ج ١ ،ص ١٩١) .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٧٦ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥١٠ - البلادى : بين مكة واليمن ،ص ١٢٦ .

وفي سنة ٨١٨ هـ بيع القمح مع الحجاج لكل ويبة ونصف بدينار [١] .
وكانت الأسعار غير مستقرة ، فهي كالموجة بين الإنخفاض والإرتفاع حسب الظروف .
فقد استمر الغلاء من سنة ٨١٩ هـ حتى سنة ٨٢٠ هـ ، فبلغت غرارة الذرة ثلاث
عشر افرنتي ، ثم أعقبه رخاء سنة ٨٢١هـ ، فبيعت غرارة الذرة والعسل بثلاثة
أفلورية ، وفي جدة بأفلوري ونصف ، وبأفلورين وربع ، والعسل بمكة سبعة
أمنان بأفلوري [٢] . ولكن القحط كان شديداً على سكان الحرمين سنة ٨٢٢هـ
حتى بلغت غرارة الحنطة عشرين أفلورياً ، والذرة قريبا منها ، وحمل الدقيق
خمسة عشر أفلورياً ، كما عم الغلاء سائر المأكولات ، وفحش سعر السمن كثيراً ،
وعدمت الأقوات حتى لم يبق في السوق سوى الفول والحمص والعدس فأكله
الناس [٣] .

وفي سنة ٨٢٣ هـ زادت حدة الغلاء ، وانعدمت الأقوات في
الأسواق ، فبيعت ويبة الفول بأربعة عشر ديناراً ، والحمص بسبعة عشر ديناراً ،

---

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٩٩ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٦١ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٠ .
(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٦٧ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٠٣ - الرشيدي : حسن الصفا والإبتهاج ، ص ١٤٠ .

والحنطة والدقيق بخمسة وعشرين ديناراً.(١)

وعندما رأى السلطان الظاهر أبو الفتح ططر سنة ٨٢٤ هـ شدة القحط على سكان الحرمين ألغى المكوس التي تفرض على الخضروات والفواكه، وعوض أمير مكة ألف أفلورى سنوياً، وكتب ذلك على أسطوانة بالمسجد الحرام.(٢)

وفي سنة ٨٢٥ هـ إرتفعت الأسعار فبيع حمل الدقيق بخمسة وثلاثين أفلورياً، وبيعت ويبة الشعير بالأزلم بخمسين مؤيدياً(٣)، فيكون أردب الشعير بألفين ومائة درهم لما صحب الغلاء

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور، حوادث سنة ٨٢٣ هـ - فوزية مطر : عمارة المسجد الحرام، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦هـ، ص ١١٣.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى، ج٣، ص٥٨١ - ابن حجر : إنباء الغمر، ج٣، ص٢٥٣ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج٣، ص٧٥ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ص٥٨ - الجزيرى : درر الفرائد، ج١، ص٧٠٥ - يذكر قطب الدين النهروالي في كتابه الإعلام، ص٢٠٥، أن هذه الأحداث كانت سنة ٨٣٤ هـ وأن السلطان عوض أمير مكة بألف دينار ذهب، وقد يكون المؤلف قد التبس عليه الأمر في تاريخ السنة لأن السلطان الظاهر تولى الحكم سنة واحدة فقط سنة ٨٢٤ هـ. (النهروالي : الإعلام، ص٢٠٥ - ٢٠٦).

(٣) الدرهم المؤيدى : درهم منسوب إلى المؤيد سيف الدين أبو النصر شيخ ٨١٥هـ - ٨٢٤ هـ، وهو الأمير شيخ المحمودى، تلقب

===

كثرة الأمطار والسيول .(١)

وفي سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٢٨ هـ قدم مبشر الحج الى مصر/ وأخبر بسلامة الحجاج ،ورخاء الأسعار بمكة ،وأنه قرئ مرسوم السلطان بمنع الباعة من بسط بضائعهم أيام الموسم في المسجد الحرام ،ومنع الخيام بالمسجد الحرام .(٢)

وفي سنة ٨٣١ هـ آشتد الغلاء بمكة على سائر الأطعمة .(٣)

وفي سنة ٨٣٧ هـ أصاب مكة قحط ووباء شديد ،ومات بها خمسون شخصاً في اليوم الواحد ،وأرتفعت الأسعار على سائر المأكولات .(٤)

وفي سنة ٨٤٥ زاد إرتفاع الأسعار بل أخذ السعر يختلف في نفس اليوم من وقت لآخر ،فبيع الدقيق في أول النهار بسبعة دنانير عند وصول ركب الحجاج إلى ينبع ،وفي الظهر أرتفع إلى إثني عشر ديناراً ،وفي العصر إلى عشرة دنانير ،وبالرغم من أن البقسماط كان أرخص الأطعمة إلا أنه وصل

=== بلقب المؤيد وينسب له الدرهم المؤيدى . (سامح عبدالرحمن فهمي : الوحدات النقدية ،ص ١١٨) .

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٨٨ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٠٥ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٤ ،ص ٣١٠-٣١١ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٣ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ١٥ ،ص ٤٣ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٢٢ .

إلى ستين درهماً . لكن الأسعار رخصت عند وصول مراكب الحجاج المحملة بالغلال والإمدادات ،وانخفض سعر الدقيق والعليق ،إلا أن الحجاج عندما وصلوا إلى منزلة بدر لم يجدوا عليقاً كافياً لجمالهم فارتفع سعر العليق ،فبيعت ويبة النوى بثلث أفلورى ،والبقسماط كل عشرة بسبعين درهماً ،ثم لطف الله بحجاجه بوصول عدة مراكب إلى جدة ،فرخصت الأسعار لجميع الأطعمة حتى بيع الأرز من أفلورى إلى ثلاثة .(١)

وفي أواخر ذى الحجة سنة ٨٤٦ هـ قدم مبشر الحج الى مصر ،وأخبر أن الوقفة كانت يوم الأربعاء ،وأن الغلاء بمكة كان شديداً .(٢)

وفي سنة ٨٤٧ هـ زاد سعر المأكول فبيعت الحنطة بثمانية أفلوريات والدخن بسبعة أفلوريات ونصف ،والدقيق بستة ،واللحم بأربعة ،والسمن بخمسة ،وفي شهر رمضان انخفضت الأسعار ، ثم ارتفعت مرة أخرى في آخر الشهر .(٣)

وفي يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول سنة ٨٤٨ هـ وصل هجان من الحجاز الى مصر وأخبر برخاء الأسعار .(٤)

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ،ص ١٨ - ١٩ .
(٢) المصدر السابق ،ص ٤٧ .
(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٦٧ - السخاوى : المصدر السابق ،ص ٧٤ .
(٤) السخاوى : المصدر السابق ،ص ٩٠ .

وفي أواخر ذى الحجة سنة ٨٤٩ هـ ورد مبشر الحج وأخبر بسلامة الحجاج ، وأن أردب القمح بيع في شوال بمائة وعشرة أوعشرين أفلوريا ، وأردب الشعير أو الفول بتسعين أو بخمسة وتسعين أفلوريا ، وبعد شوال إرتفع سعر القمح إلى مائة وسبعين أو ثمانين أفلوريا ، والشعير إلى مائة وأربعين أفلوريا ، والفول إلى مائة وثلاثين ، واللحم إلى ستة أو ثمانية أفلوريات . (١)

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين سنة ٨٥١ هـ قدم مبشر الحج أزبك الظاهرى الساقي ، وأخبر بكثرة الخيرات بمكة والرخص والأمن والسلامة . (٢)

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٨٥٣ هـ وصل مبشر الحج إيدكى الأشرفي (٣) ، وأخبر بالأمن والسلامة والرخاء الزائد المخالف لإرتفاع الأسعار بالديار المصرية حتى أن الأردب من الفول بخمسمائة دينار ، وبمكة بدينار ونصف وهذا عكس ما وقع في العام الماضي . (٤)

وفي يوم الأحد الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ٨٥٥ هـ قدم مبشر الحج أحمد بن أمير المحمل

---

(١) السخاوى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) السخاوى : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) إيدكي الظاهرى : جقمق من مماليكه وأحد الدوادارية عنده ، توفي بالطاعون في ربيع الاول سنة ٨٥٣ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٣٢٦) .

(٤) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٢٧٠ - التحفة اللطيفة ، ج ٣ ، ص ٤١١ .

سونجبغا [١] ،وأخبر بالأمن والسلامة وغلو الأسعار ،فبيع الحمل من الدقيق بثمانية وعشرين ديناراً مع قلة الحجاج المصريين ،ثم رخصت الأسعار بعد ذلك [٢].

وفي سنة ٨٦٣ هـ كانت الأسعار بمكة غالية ،فبيعت غرارة الحنطة بسبعة دنانير ونصف ،وكذلك الذرة والدخن ،ومنّ السمن بثلاث أشرفيات [٣].

وفي سنة ٨٧٥ هـ كان الغلاء بمكة حيث بيعت ويبة الفول المجروش بدينار ،وقلت الأطعمة في الأسواق [٤].

وفي سنة ٨٨٣ هـ إشتد الغلاء بأهل مكة حتى تضايقوا منه بحيث بيعت غرارة القمح بأربعة عشر أشرفياً ،والدخن بتسعة أشرفيات ،واستمر هذا الحال من إرتفاع أسعار الأطعمة حتى بعد سفر الحجاج ،فبيع حمل

---

(١) سونجبغا اليونسى الناصرى فرج : تأمر في دولة الظاهر جقمق لكونه كان متزوجاً أخت زوجته ،سافر أمير محمل أكثر من مرة ،سنة ٨٥٥ هـ أنعم عليه المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق سلطان مصر بإقطاع طبلخانة ،ثم زاده الأشرف إينال إمرة عشرة ،ثم قتل سنة ٨٥٧ هـ (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٢٨٧).

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤ ، ص ٢٣٠ - السخاوى : التبر المسبوك ،ص ٣٥٤ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٧٣٩.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٢٩٩ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٤٥ .

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٥١.

الدقيق بثمانية عشر أشرفياً أو أكثر.[١]

وفي نفس السنة دخل الحجاج القاهرة ، وأخبروا بشدة ارتفاع الأسعار والغلاء على سائر الأطعمة بمكة ، وموت الجمال لإنقطاع الحجاج رجالاً ونساءً.[٢] وأن الغلاء ما زال مستمراً حتى سنة ٨٨٤هـ[٣].

وفي سنة ٨٩١ هـ كان الغلاء بمكة ومصر شديداً[٤] ، ودخل الحجاج القاهرة بعد أن قاسوا شدة العطش بسبب قلة الماء ، وغلاء الأسعار بمكة.[٥]

وفي سنة ٨٩٥ هـ حصل بمكة رخاء عظيم ، بحيث بيعت كل أربعة أرطال من اللحم بمحلق[٦] . والمن من السمن بعشرين محلقاً.[٧]

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤٩٩ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٥٧ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٥٠٤ .

(٤) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٦١ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٦) المحلق : وجمعه محلقات وهو في إصطلاح بعض العامة الدراهم والدنانير . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤٩٩).

(٧) الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٦٣ .

وفي سنة ٨٩٦ هـ كانت الأسعار رخية في مكة بحيث بيع حمل الدقيق بأشرفيين وستة عشر محلقاً ،بل بيع الربع بمحلق واحد ،والحب والعسل واللحم كذلك.[(١)]

وفي سنة ٨٩٨ هـ كان الرخاء كثيراً بحيث بيع الدقيق بثلاثة عشر ديناراً وأكثر ،وويبة الفول بدينار.[(٢)]

وفي سنة ٨٩٩ هـ وصل الحجاج إلى القاهرة شاكين الأمير قانصوه خمسمائة من سوء معاملته لأخذ جمالهم ،وترك جماعة منهم بالينبع ، وكانت سنة صعبة لقلة الماء ،والغلاء وموت الجمال[(٣)] . وفي نفس العام كان الغلاء فاحشاً بمكة ،ومات بها نحو ألفين وخمسمائة من شدة الجوع ،وغلاء الأسعار[(٤)] .

وفي سنة ٩١١ هـ كان بمكة رخاء كثير تهاونت فيه الأسعار في سائر الغلال والبضائع[(٥)] .

وفي سنة ٩١٣ هـ حضر مبشر الحج إلى القاهرة ،وأخبر بسلامة الحجاج ورخص الأسعار.[(٦)]

---

(١) الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٦٤ .

(٢) الجزيرى : المصدر السابق ، ص ٧٦٥ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ٢٩٧ .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ،ج ٣ ،ص ٣٠٩ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ٩٣ .

(٦) ابن إياس : المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٣٠ - الجزيرى : درر الفرائد ج ٢ ،ص ٧٩١ .

وفي سنة ٩٢٠ هـ كان الغلاء بمكة في جميع البضائع حتى عدم الأرز من الأسواق.(١)

*

٢ - في المدينة المنورة :

أما فيما يختص بالمدينة المنورة فإن مصادرها التاريخية بخاصة، ومصادر العصر المملوكي بعامة، لم تمدنا إلا بأمثلة قليلة جداً لما تعرضت له المدينة المنورة في هذا العصر من قحط وغلاء في الأسعار، وعن جهود سلاطين المماليك وأمرائهم وأعيان المسلمين في تخفيف وطأة ذلك على أهلها، كما هو الحال عن مكة حسبما رأيناه في الصفحات السابقة، وربما يرجع ذلك إلى وفرة المحاصيل الزراعية في المدينة المنورة بسبب تربتها الزراعية، ووفرة المياه بها. وكيفما كان الأمر فقد اهتم سلاطين المماليك بأهل المدينة عندما كانت تتعرض للقحط وغلاء الأسعار، كما اهتموا بأهل مكة، وذلك إما بإسقاط المكوس على ما يباع بها من مأكولات وأطعمة، وتعويض أمراء المدينة عن ذلك، أو بإمدادها بالأموال والحبوب وغيرها من الأطعمة. هذا وتمدنا المصادر في هذا الصدد بالأمثلة القليلة الآتية :

ففي سنة ٧٢٠ هـ، وسنة ٧٢٣ هـ أسقط الناصر محمد بن قلاوون المكوس والضرائب على المأكولات.(٢)

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٤، ص ٤٣٣.

(٢) على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ١٨١.

وفي سنة ٧٤٣هـ وسنة ٧٤٦ هـ أسقط الكامل سيف الدين شعبان الأول بن الناصر محمد بن قلاوون المكوس ، وعوض أمير المدينة بدلاً منها بعض الأموال ، وبذلك رخصت الأسعار ، وتوفرت الأطعمة .(١)

وعندما حج السلطان قايتباى سنة ٨٨٤ هـ زار المدينة المنورة ، ورفع عن أهلها المكوس ، وعوض أميرها بعض الأموال .(٢)

---

(١) السمهورى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٣ - جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ، ص ١٢٧ - على السليمان : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٢) السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ٣ ، ص ٤١١ - السمهورى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١٤ - النهروالي : الإعلام ص ٣٣٢ ، محمد الفعر: الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٢١ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ٣٨ .

الفصل الخامس

توفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وخليص والمدينة المنورة

١ - في مكة المكرمة .

٢ - في منى .

٣ - في عرفة .

٤ - في خليص .

٥ - في المدينة المنورة .

الفصل الخامس

توفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وخليص والمدينة المنورة

١ - توفير المياه في مكة المكرمة :

الماء شريان حيوي وعمود الحياة ،ولا تقوم الحياة إلا بوجوده ،وأى مكان يندر وجوده فيه لن ترى للحياة أثراً فيه ،وصدق الله جل جلاله حين قال :
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (١).

ويلاحظ أن فجر الحياة البيولوجية ونشأة الحضارات بصفة عامة إنما كان على ضفاف الأنهار ، بل إن الماء النقي أصبح مشكلة المشاكل في الأمم المتحضرة ،وذلك بسبب تزايد العمران البشرى ،وتزايد الكثافة السكانية ، ومن ثم أصبح البحث عن مصادر جديدة للماء من الأمورا لهامة التي تعتني بها كافة الدول ،ولا سيما الدول ذات الطبيعة الصحراوية التي تعتمد أصلاً على الأمطار ومياه الآبار الجوفية .

وحيث أن الأمطار غير منتظمة ،بل ونادرة الحدوث في الحجاز ، وبسبب كثرة وفود الحجاج لبيت الله الحرام ،وقلة مياه الآبار بمكة المكرمة ، فقد تضافرت مساعي أهل الخير ومدت يد المساعدة لدفع هذه الحاجة عن الحجاج وعن أهل بيت الله ،وبذلك حظيت مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بإهتمام الخلفاء وملوك وسلاطين وأمراء المسلمين ،بل وأعيانهم بتوفير المياه ،وحفر الآبار

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٩.

والبرك بها خدمة لحجاج بيته ولأهلها.[1] هذا وقد فاقت العناية بتوفير المياه في هذه الأماكن المقدسة في العصر المملوكي على يد سلاطين المماليك وأمراء وأعيان دولتهم، أو من بعض الشخصيات في الأقطار الاسلامية الأخرى بالإضافة إلى بعض أعيان الحجاز. وفيما يلي عرض لما ورد في المصادر المعاصرة عن مرافق المياه في مكة المكرمة في ذلك العصر.

١ - توفير المياه من الآبار :

ففي المحرم سنة ٦٤٧ هـ أنشأ عطية بن ظهيرة[2] سبيلاً بأعلى مكة، وكان له حديقة عظيمة بالجموم[3] من وادي مرّ، وفيها وجبة ماء أوقفها على هذا السبيل، وعلى سبيله بمنى[4]، وقد جدده القاضي أبو السعادات بن ظهيرة.[5]

---

(١) عن العناية بتوفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصور الإسلامية السابقة على العصر المملوكي انظر سليمان مالكي : مرافق الحج، الباب الثالث، ص ١٠٠-١٢٣.

(٢) عطية بن ظهيرة القرشي المخزومي : كان ذا مال وافر ويعمل فيه الخير. ومن أمواله شعب عامر بجملته، وكان له ضيعة في وادي مرّ، توفى يوم الأربعاء السادس من محرم سنة ٦٤٧ هـ. (الفاسي : العقد الثمين ج ٦، ص ١٠٧-١٠٨-١٠٩).

(٣) الجموم : أرض بني سليم تقع شمال مكة، وبها كانت إحدى غزوات الرسول، صلى الله عليه وسلم. أرسل إليها زيد بن حارثة غازياً. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٤). وتبعد عن مكة ٢٥ كيلومتراً وسكانها خليط من الأشراف. (البلادي : معالم مكة التاريخية الأثرية، ص ٢٦٤).

(٤) الفاسي : العقد الثمين، ج ٦، ص ١٠٨ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٦٩.

(٥) الفاسي : شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣٧ - حاشية ٣.

وفي سنة ٧٤٩ هـ كانت هناك بركتان بالمعلاة عمرتا في عهد السلطان الملك الناصر حسن ،وتقع عند باب المعلاة على يسار الخارج من مكة إلى المعلاة ،وقد تم إصلاحها وجرى الماء بها ، فعم الجميع بنفعها.(١)

وفي شوال سنة ٧٥٨ هـ عمر الأمير شيخون العمرى الناصرى(٢) ، أحد كبار رجال الدولة المملوكية بئراً يقال له بئر النجار على يسار الذاهب إلى منى ،وكانت العمارة على يد طقطاى ،وعمرها أيضاً بعد سنة ٧٦١ هـ الأمير جركتمر الماردينى حاجب الحجاب بالقاهرة ،ومقدم العساكر بمكة.(٣)

وفي سنة ٧٦٥ هـ انشأت السيدة زينب بنت القاضي شهاب الدين الطبرى(٤) سبيلاً صدقة على أخيها القاضي نجم الدين محمد بن القاضي شهاب الدين الطبرى ،ويقع بالمسعى شرق المسجد الحرام عند سوق الجزارين.(٥)

----

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٩- ابن الصباغ : تحصيل المرام ورقة ١٧٢.

(٢) الأمير شيخون بن عبدالله العمرى الناصرى : هو أول من سمي بالأمير الكبير ،توفى سنة ٧٥٨ هـ. (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ،ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٤٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٧٣.

(٤) أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين أحمد بن قاضي مكة نجم الدين محمد بن محمد بن المحب الطبرى ،وهي زوج القاضي أبي الفضل النويرى ،ولهم نظم ومآثر بمكة ،منها بالمسعى ،ورباط بزقاق الحجر وكتاب أيتام ،وأوصت عند موتها بمال يقدر بخمسين ألف درهم لجماعة من أقاربها . توفيت سنة ٧٨٦ هـ ودفنت بالمعلاة. (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٨ ،ص ٣٣١- ٣٣٢).

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٣٣٨.

كما عمر الشريف عجلان بن رميثة سبيلاً للماء بالمروة (١) من العلقمية. (٢)

وفي سنة ٧٨٥ هـ أنشأ السلطان الظاهر برقوق حوضاً لسبيله عند باب المعلاة. (٣)

وفي سنة ٧٨٨ هـ عمر أبو راشد سبيل الزنجبيلي، ويقال له سبيل أبي راشد لتجديده إياه، ويقال له أيضاً سبيل المكيين لتجديده لهم. (٤)

وفي سنة ٧٩٢ هـ جدد الأمير قطلوبك الناصرى (٥)، أحد

---

(١) الفاسي : العقد الثمين، ج ٦، ص ٧٢.

(٢) العلقمية : هي دار إبن علقمة وهي قرب المسعى عند زقاق العطارين. (الأزرقي : أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٤٢- ٢٤٣).

(٣) المقريزى : السلوك، ج ٣ / ٢، ص ٥١٠ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٤١ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ٨٨.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٨.

(٥) قطلوبك بن عبدالله الحسامي المنجكي : كان يتردد إلى الحرمين من قبل السلطان الظاهر لتفرقة صدقة القمح بالحرمين، وعمر مسجد الراية سنة ٨٠١ هـ، وعمر عين خليص، توفى بينبع سنة ٨٠٢ هـ. (الفاسي : العقد الثمين، ج ٧، ص ٧٦ - ابن تغرى بردى : الدليل الشافي، ج ٢، ص ٥٤٧ - السخاوى : الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٢٤).

الآبار الأربعة بطريق العسيلة (١) بعد دثورها. (٢)

كما عمرت أم سليمان المتصوفة التي توفيت سنة ٨٠٢ هـ سبيلاً وحوضاً عند تربتها بالمعلاة قرب درب المعلاة. (٣)

وفي سنة ٨٠٨ هـ عمر الشهاب بركوت المكيني (٤) سبيلاً، وبجانبه حوضاً للبهائم. (٥)

---

(١) تقع آبار العسيلة بظاهر مكة بأعلاها. (ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٧٨).

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٤٥ - ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص ٣٧٨.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج ٨، ص ٣٤٣ - شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٧.

(٤) شهاب الدين بركوت: عتيق سعيد المكيني، كان حسن الخلق، كثير الأفضال، محباً لأهل العلم والخير، كثير البر لهم، بنى بعدن أماكن عديدة ثم تحول إلى مكة وبنى بها داراً، توفي سنة ٨٣٠ هـ بعدن. (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٥).

(٥) الفاسي: العقد الثمين: ج ١، ص ١٢٤ - شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٤٧، - ٣٤٨ - ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٤٩.

وفي سنة ٨١٦ هـ أنشأ عطيه بن خليفة الطيبيز (١) سبيلاً بالمعلاة عند البئر المعروفة ببئر الطواشي على يسار الذاهب إلى منى (٢) .

وفي سنة ٨٢٦ هـ كلف السلطان الأشرف برسباى الزيني عبد الباسط ناظر الجيش بحفر بئر وسبيل في طريق العمرة على الثنيّة على يسار الذاهب إلى العمرة بقرب فخ حيث دفن أبو عبدالله الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن علي بن أبي طالب (٣) .

---

(١) عطية بن خليفة الطيبيز أحد تجار مكة ، ويلقب بزين الدين ، ولد قبل سنة ٧٦٠ هـ ، كان يتاجر في البهار والعقار الكثير بمكة بوادى مرّ ونخلة ، وله مآثر صدقة للفقراء الواردين من اليمن ، وإحسانه إلى أقاربه ، وله سبيلان بمكة ومنى ، توفى في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٨٢٧ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ١٤٨) .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ - العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٠٧ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥١١ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ - العقد الثمين ، ج ١ ص ١٢٤ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢١٢ - الشريف حقي رفعت : الإعلام ، ص ٢٦٦ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ٥ - ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ إبريل ١٩٧٧م جامعة الرياض ، ص ٢٥٤ .

وفي سنة ٨٣٣ هـ أنشأ الأمير مقبل القديدى سبيلاً بالمعلاة.(١)

وفي سنة ٨٣٤ هـ قل الماء بمكة فملئت البركة للحجاج في شوال وذى القعدة من البئر المعروفة بالسليمة ، وتنسب لأم سليمان المتصوفة بالقرب من باب المعلاة(٢) ، كما ملئت أيضاً من بئر المنقوش وهي ببستان السلطان بدرب المعلاة.(٣)

وفي سنة ٨٤١ هـ أنشأ الخواجا أحمد بن علي الكواز المصرى(٤) سبيلاً بالبستان الذى أشتراه من ورثة المرحوم سعيد جبروه بالأبطح صدقة عن أخيه حسين بن علي الكواز.(٥)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٨٥.

(٢) عن أم سليمان المتصوفة انظر ، ص ٣١٣

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٣- ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٤١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧١٩.

(٤) أحمد بن علي بن محمد الشهاب المصرى ، ويعرف بالكواز. له مآثر كثيرة مثل إصلاح المسجد الحرام ، وعين حنين ، والمولد النبوى ، وسبيل الأبطح ، وكان جواداً يجتمع إليه التجار ويكرمهم عندما كان شاد بندر جدة. (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٤٣).

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٩٢.

وفي سنة ٨٤٧ هـ جدد الأمير تنم سبيل الشريف عجلان بن رميثة بالمروة، وجعل بجانبه بيتاً يكرى، وأوقفه على السبيل[١].

وفي سنة ٨٤٨ هـ عمر السيد حسن ناظر الإسكندرية بركة ماجن بأسفل مكة، وأخرج ما كان بها من الأتربة، ورفع جدرانها الأربعة[٢].

وفي سنة ٨٥٠ هـ وصل بيرم خواجا[٣] ناظراً على المسجد الحرام فبنى بالمعلاة سبيلاً وحوضاً لينتفع به الناس والبهائم على يمين الصاعد إلى المعابدة، ثم أصبح بستاناً لمحمد بن محمود الرومي قاضي مكة المشرفة سنة ٩٩٧ هـ[٤].

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق، ص١٦٩.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ص١٨٣.

(٣) بيرم خواجا بن قشتدى : ولي نظر المسجد الحرام في أواخر سنة ٨٥٠ هـ عوضاً عن الخواجا الظاهر، وله بالمعلاة سبيل وحوض للبهائم، مات بمكة يوم الإثنين الحادى عشر من صفر سنة ٨٦٠ هـ (السخاوى : الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢).

(٤) النهروالي : الإعلام، ص٣١٧ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ج٢، ورقة ١٠٥ - السنجارى : منائح الكرم، ج٢ ورقة ٨ - الشريف حقي رفعت : الإعلام بأعلام البلد الحرام، ص٢٦٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين، ص٦٦٥ - ٦٦٦.

وفي سنة ٨٥٧ هـ قام مشد جدة جانبك الظاهرى ببناء بستان بمكة على يسار الذاهب إلى منى، وحفر فيه عدة آبار، وغرس بعض الأشجار، وجعل له أوقافاً بمكة، إلا أنها طمرت مع مرور الزمن سنة ٨٦٥ هـ.(١)

وفي سنة ٨٧٠ هـ عمرت فسقية(٢) الحاج الصفرى التي بباب المعلاة.(٣)

وفي ليلة الثلاثاء عاشر رمضان سنة ٨٨٢ هـ وصل سنقر الجمالي(٤) بحراً ومعه مرسوم لجانبك الظاهرى بعمارة سبيل وميضأة.(٥)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ٣١٧.

(٢) الفسقية : جمعها فساقي، وهي الحوض المخصص للوضوء، وهي كلمة لاتينية تطلق على فوارة المياه، أو الغرفة التي تحت الأرض.
(صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى، ص ٩٦).

(٣) الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٤٧.

(٤) سنقر الجمالي : أبو السعادات الزيني مملوك ناظر الخواص الجمالي يوسف وشقيق شاهين الجمالي، ترقى في الخدمة إلى أن أصبح نائباً لأخيه شاهين وشاداً على عمائر السلطان قايتباى بمكة سنة ٨٧٤ هـ، ثم أضيف إليه الحسبة بمكة سنة ٨٨٣ هـ. (السخاوى : الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٣ - التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ١٩٧).

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ٤٨٣ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ٢٤٤.

وفي سنة ٨٨٤ هـ أمر شريف مكة جمال الدين محمد بن بركات بعمارة سبيل وصهريج عند بئر شميس يكون للصادر والوارد.(١)

وفي العام نفسه كان السلطان قايتباى قد بنى سبيلاً على يمين الداخل إلى خان الجزارين بالمسعى(٢). وكان من قبل ذلك يطلق عليه العلقمية، ويوجد أمامه إلى جهة المسعى سبيل قديم لابنة القاضي شهاب الدين الطبرى على يمين الذاهب إلى المروة(٣)، فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندسون أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان(٤). فهدم فصار المسعى مكشوفاً، وعمارة الخان والسبيل ظاهرة.(٥)

وهناك أيضا بمكة المشرفة عدة برك قامت يد الإصلاح على تعميرها وإصلاحها وتطهيرها، ومنها بركتان عند مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، بسوق الليل(٦)، وبركة ماجن عند باب مكة جهة اليمن، ويسقى منها بعض أحواض الزراعة الموجودة بالمسفلة، كما ينتفع بها بعض أصحاب مصانع الطوب.(٧)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ٥٠٣.

(٢) قطب الدين الحنفي : تاريخ القطبي، ص ٢٠٥ - الطبرى : الأرج المسكى، ورقة ٢٤.

(٣) محمد بن عمر بن الزمن، ويعرف بابن الزمن ولد بدمشق سنة ٨٢٤ هـ. أشرف على عمائر السلطان قايتباى بمكة، وله مآثر بمكة مثل الرباط والد شيشه، وبعض العمائر داخل المسجد الحرام، توفي سنة ٨٩٧هـ (السخاوى : الضوء اللامع، ج ٨، ص ٢٦٠ - ٢٦١).

(٤) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٨ - العقد الثمين، ج ٨، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٥) الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ورقة ١٣١.

(٦) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٤٠.

(٧) الفاسى : المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٨.

٢ - توفير المياه من عين حنين :

وفي سنة ٧٢٥ هـ عمر بازان رسول الأمير جوبان بن تلك بن تدوان (١) نائب السلطنة بالعراقيين عن السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتر عين عرفة ،بسبب وفود الحجاج العراقيين إلى مكة كل سنة ومعاناتهم الشديدة من قلة المياه بمكة ،فإن الراوية بلغت في الموسم عشرة دراهم مسعودية ،وفي غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة دراهم ،وقد ذكر له بعض الناس عن عين كانت تجرى قديماً ،فندب لذلك بعض ثقاته ،وأعطاه خمسين ألف دينار ،فلما قضى حجه تأخر بعد الموسم ،ونادى بمكة من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم كل يوم ،فهرع إليه العمال كبيرهم وصغيرهم إلى أن جرى الماء بمكة ،وظهرت بين الصفا والمروة في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ٧٢٦ هـ ،وكانت مدة العمل أربعة أشهر . وبلغت نفقات ذلك ١٥٠٠٠ درهم ،وهي تكلف أكثر لولا وجود بعض القنوات القديمة المعمول بها من قديم الزمان . وفاضت المياه حتى صرفها أهل مكة في زراعة

---

(١) جوبان بن تدوان : نائب السلطنة بالعراقيين ،تولى ذلك نيابة عن السلطان أبي سعيد بن خربندا ثم تغير عليه السلطان فقتله سنة ٧٢٨ هـ ،وحمل جثمانه مع الحاج العراقي ليدفن بالمدينة المنورة ، ولكن أمير المدينة المنورة منعهم من ذلك فدفن بالبقيع ،وله الكثير من المآثر بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ٤٤٦-٤٤٧- ابن تغري بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ٢٥٣ - السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٨١) .

الخضروات والفواكه (١) . وقد قيل فيها شعراً :

هل لي إلى مكة من عودة فأبلغ السؤل وأقضي الديون

غير عجيب جرى عين بها وقد جرت شوقاً إليها العيون (٢)

وفي سلخ ربيع الأول سنة ٧٢٨ هـ أرسل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، جماعة من البنائين إلى مكة وأجرى بها عين ماء ، وهي العين المعروفة بعين جبل ثقبة مما يلي حراء على مجرى العين الجوبانية ، ووصلت المياه إلى مكة وأنفق عليها قدر خمسة الاف درهم ، وكان ذلك على يد إبن هلال مشد العمائر ، وامتلأت البرك منها ، وزرع بها الفواكه والخضروات فعم بها النفع أهل مكة . (٣)

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ - المقريزي : السلوك ، ج ٢ / ١ ، ص ٢٧٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٨١ - ١٨٢ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ - محمد أنور شكري : لوحان أثريان ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ٢ ، ص ١٦١ - الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٤٨ - السنجاري : منائح الكرم ، ج ١ ، ورقة ٣١١ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢-٧٣ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ - المقريزي : السلوك ، ج ٢ / ١ ، ص ٣٠٣ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ١٨٧ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ١ ، ص ٤٥٧ - الجزيري : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٣١ .

وفي مستهل رجب سنة ٧٤٨ هـ جهز السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون لعمارة عين جوبان من مال الحرمين بمبلغ مائتي ألف درهم ، وكانت قد انقطعت بعد تعميرها سنة ٧٢٦ هـ .(١) وشرع الأمير فارس الدين(٢) في عمارة العين ، ونازعه عرب بني شعبه فجمع لهم وقاتلهم ، فقتل منهم جماعة وجرح كثيراً وهزمهم وقتل له مملوكان ، وأصلح العين حتى جرى ماؤها .(٣)

وفي العام نفسه قدم من جهة أولاد جوبان قاصد بمال لعمارة عين جوبان بمكة وإجراء الماء إليها بعد أن انقطع ، فلم يوافق الأمراء على ذلك ، وعينوا الأمير فارس الدين قريب آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بمصر

---

(١) الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٢٠٣ - الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢- ٧٤ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٠ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٥ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٥٠ .

(٢) هو الأمير فارس الدين قريب آل ملك الجوكندار ، ورد ذكره فيما بعد فى أحداث سنة ٧٤٩ هـ .

(٣) المقريزى : السلوك ، ج ٢/٣ ، ص ٧٦٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

لعمارتها صحبة الرجبية ، ومعه عشرة الآف درهم للعرب ، ورسم سنة ٧٥٠ هـ لقاضي القضاة عزالدين بن جماعة (١) بالإتفاق عليها من مال الحرمين. (٢)

وفي سنة ٧٧٧ هـ كتب السلطان الأشرف شعبان حجة وقفه ، وقد ورد بها مرسومه بإلغاء المكوس بمكة المكرمة والمدينة المنورة وتعويض أميرى مكة والمدينة المنورة عن ذلك من ريع الأوقاف التي أوقفها على ذلك في مصر ، ومن ضمن ما ورد في حجة الوقف هذه من أوجه الصرف بمقتضى هذا المرسوم ترميم العين الجوبانية ، وتنظيفها بمبلغ آلفي درهم نقرة كل سنة. (٣)

---

(١) عزالدين أبو عمر ابن القاضي بدر الدين بن جماعة ، ولد في التاسع عشر من محرم سنة ٦٩٠ هـ بدمشق ، تولى القضاء بالديار المصرية سنة ٧٣٨ هـ ، حج وزار المدينة المنورة ، ثم عاد إلى مكة ، توفى سنة ٧٦٦ هـ بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٤٥٧-٤٥٨) .

(٢) المقريزى : السلوك ، ج ٣/٢ ، ص ٧٦٦ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٦٤٧ .

(٣) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٥٣٢ ، انظر حجة الوقف رقم ٢٠٥ .

وفي سنة ٧٨١ هـ بعث الأمير زين الدين بركة العثماني رأس نوبة النوب وأحد مديري المملكة أميراً من مماليكه يدعى سودون باشا لعمارة عين حنين المستجدة من عين شقبه، وعين أبي رخم.[1]

وفي العام نفسه وصلت الأخبار بأن العين قد جرى ماؤها.[2]

وفي سنة ٨٠٠ هـ تولى عبدالله الجوهري[3]، عمارة عين بازان من مال تصدق به السلطان الظاهر برقوق، ولكن لم يتيسر جريانها.[4]

---

(١) المقريزي : السلوك ،ج٣ / ١ ، ص ٣٥٧ -٣٥٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣ ، ص ٣٣٤.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/٢ ،ص ٢٥١.

(٣) عبدالله الجوهري : كان من أعيان التجار بمكة ،وله دار بها ،سافر عن مكة وغاب عنها سنين ،ثم عاد سنة ٧٩٩ هـ وعمر عين بازان ،وتوفي في الثاني عشر من شعبان سنة ٨٠٠ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ،ص ٣٠٤).

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٠٩.

وفي سنة ٨١١ هـ أوصى تاجر يسمى الخواجا حسين بن أحمد السراوى (١) في مرض موته أن يصرف على عمارة عين بمكة من ماله الخاص حوالي عشرة الآف درهم. (٢)

وفي سنة ٨١٣ هـ أرسل السلطان الناصر فرج بن الظاهر برقوق للشريف حسن بن عجلان إثنى عشرة ألف مثقال ذهب لصرفها على عمارة عين بازان، فعين الشهاب بركوت المكيني، وأمره بتفقد أحوال العين. (٣) وأصلح بركتين كانتا خربتين، أحداهما عند سور باب المعلاة ببستان الصارم، وعمر وأصلح مجاريها، وجعل مياه العين تتدفق إلى البركتين. (٤)

---

(١) حسين بن أحمد السراوى العجمي التاجر: جاور بمكة مدة وأوصى بمال لعمارة عين بمكة، توفي في جمادى الأخرة سنة ٨١١ هـ، ودفن بالمعلاة. (السخاوى: الضوء اللامع، جـ٣، ص١٣٨).

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص١٨٨- ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص٤٦٦ - النهروالي: الإعلام، ص١٩٨.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص٣٣٩- الشريف حقي رفعت باشا: الإعلام بأعلام البلد الحرام، ص٢٥٤.

(٤) الفاسي: تحصيل المرام، ورقة ١٩٧ - شفاء الغرام، ج ١، ص٣٣٩-٣٤٨ - ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٨٢.

وفي سنة ٨١٨ هـ عمرت عين حنين حتى وصل الماء إلى مكة بعد إنقطاعه مدة طويلة.(١)

وفي سنة ٨٢٠ هـ انقطع الماء من عين حنين فأنتدب السلطان المؤيد شيخ قائده علاء الدين لعمارة عين حنين ،وقد وصل إلى مكة بعد أن زوده بألفي مثقال ذهباً ، وعمرها عمارة حسنة في جمادى الآخرة ، وتم الإنتهاء منها في شعبان سنة ٨٢١ هـ ، إلا أن الماء قل وارتفع سعره ،فأنتدب السلطان الملك المؤيد شيخ قائده علاء الدين مرة ثانية سنة ٨٢٢ هـ لإصلاح ما خرب ، ثم بلغت المياه مكة في شهر صفر ، ولكن الماء كان قليلاً ،فزاد في عمارة العين فجرى الماء وكثر جريانه حتى بلغ البركة التي بأسفل مكة خارج باب الماجن في ربيع الأول من العام نفسه.(٢)

---

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٢٠٠ - ٢٠١ - الزهر المقتطفة ورقة ٧٢ - شفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٣٤٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٤ - الشريف حقي رفعت : الإعلام بأعلام البلد الحرام ، ص ٢٦٠ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ٢١٦ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٣ - ١٤.

وفي سنة ٨٢٩ هـ أرسل السلطان المؤيد شيخ صاحب مصر قائده علاء الدين الذى عمل على تنظيف العين المعروفة بعين بازان ،وقد تهدمت بسبب السيول التي جرفتها ،ونظفت مجاريها وقنواتها التي امتلأت بالأتربة والحصى والحجارة ، وأصلح البركتين اللتين بالمعلاة على يمين الداخل إلى مكة ،ويسار الخارج منها ،ورفع جدرانها عن الأرض نحو ذراع ،ونور بعض الجدران بالنورة ،وعمد إلى الحاجز الذى بين البركتين فهدموا الجدار الذى يليه إلى صوب الطريق العظمى ،وبنوا هناك ثبرتين (١) وعملوا عليها عقداً مشرفاً (أى عالياً) وعمل في موضع العقد باباً شبحاً من عرعر يغلق دون الصغار، ومن يريد النزول إلى الماء خوفاً من تغيره بالنزول فيه ،كما عمل تحت الباب درجاً (٢) ،فرخص الماء ،وبيعت الراوية بنصف مسعودى بعدما كانت تباع بدرهمين (٣) .

---

(١) الثبرة : هي الثغرة ، وهي حفرة تمسك الماء كالصهريج . (ابن فهد : إتحاف الورى ،ج٣ ،ص ٥٦١ حاشية ١) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٦٦ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧٢ - ٧٤ . تحصيل المرام ،ورقة ٢٠٠- ٢٠١ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٤٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٠٣ - ٧٠٤ - الشريف حقي رفعت : الإعلام بأعلام البلد الحرام ،ص ٢٦٠ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ٢١٦ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٣ - ١٤ .

وفي سنة ٨٣١ عمر شاهين العثماني بعض الأماكن ببئر أبي رخم وعين حنين ، وصرف مقدار خمسمائة مثقال ذهباً إلى أن وصل ماء قليل من بئر أبي رخم وجرى إلى البركة الكبيرة بالمعلاة ، فلما حان الوقت وقرب وصول الحجاج استعمل شاهين فعلة يسوقون الماء على الساقية في سبيل السلطان بباب المعلاة بالنوبة ليلاً ونهاراً حتى جرى الماء إلى البركة ،وصار عين أبي رخم وماء الساقية يصبان في البركة إلى أن امتلأت واكتفى بها الحجاج .(١)

وفي شهر ربيع الآخر سنة ٨٣٢ عمر الأمير مقبل القديدي بأمر من السلطان الأشرف برسباي عين حنين ،وبدأ من بازان عند الصفا ، وجرت الماء منها إلى مكة بعد إنقطاعه مدة طويلة ، ورصد لها خمسة الآف درهم.(٢)

---

(١) ابن فهد ، إتحاف الورى ،ج ٤ ،ص ٨٧.

(٢) المقريزي : السلوك ،ج ٤/٢ ، ص ٧٨١ - ابن حجر : إنباء الغمر ،ج٣ ، ص ٤٠٤ -ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤ ، ص ١٧ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ،ج٣ ، ص ١٣٧ -الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٧١٧ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢١٢ - محمد هزاع الشهري : عمارة المسجد النبوي ،ص ٢٩٢.

وفي سنة ٨٣٥ هـ عمر الخواجا سراج الدين عمر بن محمد ابن المزلق الدمشقي (١) أحد التجار عين حنين المعروفة بعين بازان، وجرى الماء فيها في شهر رمضان، ودخلت المياه مكة ومرت بسوق الليل حتى انتهت إلى باب إبراهيم ثم إلى بركة ماجن بأسفل مكة، فعم النفع بها لشدة إحتياج الناس إلى الماء، وصرف عليها خمسمائة دينار من ماله الخاص. (٢)

وفي سنة ٨٤٦ هـ عمرت أماكن كثيرة من عين حنين على يد جماعة من التجار والمجاورين منهم الخواجا بدر الدين حسن بن محمود الطاهر والخواجا شهاب الدين أحمد بن على الكواز (٣) والخواجا محمد بن على الدقوقي (٤)، والخواجا جلال الدين بن عبد الكريم

---

(١) عمر بن محمد المزلق الدمشقي، ولد سنة ٧٨٦ هـ وحفظ القرآن وكان خيرا بارا بالمساكين والفقراء، توفي بدمشق سنة ٨٤١هـ.
(السخاوى : الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٢٠).

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر، ج٣، ص ٤٧١ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ٨٦ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٢٠.

(٣) انظر صفحة ٣١٧ حاشية (٤).

(٤) محمد بن علي الدقوقي : ولد بمكة سنة ٧٩٥ هـ، ونشأ فقيراً واشتغل بالتجارة فكثر ماله واشترى عقاراً بمكة، وبنى عدة دور، وكان مقرباً لأهل الخير، عمر عين حنين سنة ٨٤٦ هـ وتوفى ليلة الجمعة سابع عشرى ربيع الأول سنة ٨٦٠ هـ.
(السخاوى : الضوء اللامع، ج ٨ ص ١٩٠).

ابن محمد بن ديلم البصرى (١) ، وعم النفع بها. (٢)

وفي سنة ٨٥٢ هـ عمر بيرم خواجا ناظر الحرم من قبل السلطان جقمق عين حنين ،وأصلح مجاريها ورممها ترميماً محكماً. (٣)

وفي سنة ٩١٥ هـ أمر السلطان الغورى خايربك المعمار أن يأخذ جماعة من البنائين الى مكة لاجراء عين حنين ،وقد أصلح المواضع التي تهدمت حتى جرى الماء ،وامتلأت بركة المعلاة ،وبركة ماجن من أسفل مكة. (٤)

----

(١) عبدالكريم بن محمد الخواجا جلال الدين البصرى : ويعرف بديلم سكن مكة وجدد بها داراً ،بل عمر أماكن كثيرة من عين حنين سنة ٨٤٦ هـ ،وكان خيراً محسناً للفقراء والأرامل ،توفى بمكة سنة ٨٥٥ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٤ ، ص٣١٩).

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٥٠.

(٣) النهروالي : الإعلام ،ص٣١٨ - ٣١٩ ،الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ج ١ ،ورقة ١٠٦ - السنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ،ورقة ٨ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٥.

(٤) ابن أياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦٣ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ص ٧٣٦ -إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج ١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ،ص ١٥.

المطاهر بمكة :

هذا ولم يقتصر الأمر على توفير مياه الشرب لأهل مكة والحجاج البيت الحرام بإنشاء هذه المرافق المتعددة من آبار وعيون وأسبله وبرك ،والعناية بها ،بل تعدى الأمر إلى إنشاء عدد من المطاهر للوضوء حول المسجد الحرام وعلى مقربة منه .

ففي عشر السبعين وسبعمائة بنى الأمير طيبغا الطويل (١) أحد الأمراء المقدمين بالديار المصرية مطهرة بأسفل مكة عند باب العمرة ،وأوقف عليها أوقافاً ، وهي في الموضع المعروف بخرابة قريش ،وبينهما الطريق

---

(١) طيبغا بن عبدالله الطويل الناصري حسن كان رفيقاً لخشداشه يلبغا العمري في قتل أستاذهما السلطان حسن ،وتوفي سنة ٧٦٩هـ .
(الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥ ،ص ٧٥ - ابن تغري بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ٣٧٥) .
الخشداش : هو الزميل في الخدمة لدى سلطان أو أمير والجمع خشداشية وهم الأمراء الذين ينشئوا مماليك عند سيد واحد فنبتت بينهم الزمالة .
(المقريزي : السلوك ،ج ١/٢ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩) .

إلى باب الشبيكة وإلى السويقة وغير ذلك .(١)

وفي سنة ٧٢٨ هـ أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون عند باب بني شيبة مطهرة اشترى موضعها من الشريفين عطيفة و رميثة إبني أبي نمي أميري مكة بخمسة وعشرين ألف درهم(٢)، وولي نظر هذه المطهرة علي بن أحمد بن محمد المعروف بابن سالم الزبيدي.(٣)

وأنشأ الأمير المعروف بآل ملك الجوكندار نائب السلطنة المملوكية مطهرة(٤)، وتقع في الموضع المعروف ببيت العطار عند باب الحزورة .

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ج ١ ، ص ٣٥١ - العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٧٥ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ - الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - العقد الثمين : ج ٦ ، ص ١٣٥ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - الطبري : الأرج المسكي ورقة ٣٣ .

(٣) علي بن أحمد المعروف بإبن سالم الزبيدي : ولد بزبيد ، ونشأ بها ، أخذ العلم من علماء مكة ، درس بالمدرسة المجاهدية ، ولي نظر المطهرة الناصرية بمكة ، وتوفي سنة ٨١٨ هـ . (الفاسي : العقد الثمين : ج ٦ ، ص ١٣٤ - ١٣٥) .

(٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

وفي سنة ٧٥٩ هـ أنشأ الأمير صرغتمش الناصري[(١)] أحد كبار الأمراء في دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون مطهرة بين رباط أم الخليفة والمارستان المستنصري بالجانب الشمالي من المسجد الحرام ، ثم عمرها بعض تجار الشام سنة ٨٠٨ هـ ،ثم جددت سنة ٨١١ هـ من قبل تاجر يسمى الخواجا حسن بن أحمد الشرواني الذي صرف عليها خمسة الاف درهم.[(٢)]

وفي سنة ٧٧٦ أنشأ السلطان الأشرف شعبان بالمسعى مطهرة قبالة باب علي أحد أبواب المسجد الحرام ، وكان المتولي على عمارتها الأمير أبو بكر سنقر الجمالي ،ولها أوقاف بمكة ربع فوقها دكاكين ،ووقف عليها أيضاً أوقافاً بضواحي القاهرة ،ثم عمرت مرة أخرى سنة ٨١٧هـ[(٣)] . وقد رصد لها الأشرف

-------- -----------

(١) صرغتمش بن عبدالله الناصري أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ،وعظيم دولة الناصر حسن ،أُعتقل بسجن الإسكندرية ،ثم قتله الناصر حسن سنة ٧٥٩ هـ. (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ،ص ٤٠ - ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج ٢ ،ص ٣٠٥- ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ج ١ ،ص ٣٥٣- ٣٥٤) .

(٢) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٥٠ - العقد الثمين ، ج ٥ ،ص٤٠ - القرشي : تاريخ مكة ،ورقة ١٠٨ - ابن فهد : اتحاف الـــورى ، ج ٤ ،ص ١٧- النهروالي : الإعلام ،ص ١٩٨ - الطبرى : الأرج المسكي : ورقة ١٣٣- زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ١٣٤ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٥٠-

===

شعبان في حجة وقفه المؤرخة سنة ٧٧٧ هـ خمسة الاف درهم ،وثمانمائة درهم نقرة لمصالحها ،وما يقوم بإدارة الساقية ،ولبواب باب الميضأة ،وترميمها وتنظيفها ،وشراء جمال لإدارة الساقية ،وما يحتاج إليه من علف الجمال.(١)

وفي سنة ٧٨١هـ أنشأ الأمير زين الدين بركة العثماني(٢) ، مطهرة بسوق الليل بالعطارين عند باب بني شيبة بقرب باب السلام ،على يسار الخارج من الباب ،وجعل عليها وقف ربيع دكاكين لها.(٣)

--- القرشي : تاريخ مكة المشرفة ،ورقة ١٠٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٣٢٢ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ١٧٢.

(٢) انظر في الملحق رقم ١٣٨ حتى ١٥٢ حجة وقف الأشرف شعبان - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٤٧.

(٢) زين الدين بركة العثماني : كان خشداشاً للملك الظاهر برقوق،تنقل به الحال فصار أمير مجلس ،ثم رأس نوبة النوب ، عمر عين بازان ، وبعض الإصلاحات في المسجد الحرام ،اشترك في قتل الأشرف شعبان ،وتوفى سنة ٧٨٢هـ. (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ص ٣٦١ - ٣٦٢).

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٥٠-٣٥١ - العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ٣٦٢ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ، ورقة ١٠٨ - ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ١/ ٣ ،ص ٢٥١- ابن الصباغ تحصيل المرام ،ورقة ١٧٢.

وفي سنة ٧٩٦هـ عمرت أم سليمان المتصوفة مطهرة للنساء ، وهي صاحبة الزاوية بسوق الليل ، والسبيل بالمعلاة.(١)

وفي سنة ٨٣٢ هـ شرع الأمير مقبل القديدى في عمارة الميضـــأة الصرغتمشية الملاصقة للبيمارستان ، وتم الإنتهاء منها في السنة التالية.(٢)

وفي سنة ٨٦٥ هـ عمرت خوند إبنة خاص بك ، وزوجة الملك الأشرف إينال مطهرة ولكنها لم تتمها.(٣)

وفي سنة ٩١٦ هـ أمر السلطان الغورى ببناء ميضأة عند باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد الحرام.(٤)

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٥٠ - القرشي : تاريخ مكة ، ورقة ١٠٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ١٢٧ ، وعن عمارتها بالمعلاة أنظر : ص (٢١٢)

(٢) ابن فهد - إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٧ - ٣٥.

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٨٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ١٢٧.

(٤) الديار بكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ورقة ١٥٨ - الأرج المسكي ، ورقة ٣٣ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، ص ٢٥٤.

٢ - توفير المياه في منى :

منى تقع بين جبلين مطلين عليها بينها وبين مكة ثلاثة أميال وبها مسجد الخيف ، وفيها الكثير من الآبار والمصانع والخانات والحوانيت التي تعمر أيام الموسم ، وتخلو أيام السنة .(١)

وفي سنة ٧٤٥ هـ عمر نائب السلطنة بمصر الأمير آل ملك الجوكندار البركة التي بطريق منى المعروفة ببركة أم السلم ، وأصلح القنوات التي تصل إليها من منى ، وتولى مباشرتها نجم الدين بن خليفة الكيلاني (٢) ، وعم النفع بها الجميع .(٣)

وفي سنة ٧٦١ هـ عُمر سبيل الست زهراء بنت محمد بن قلاوون ، وأخت الملك الناصر حسن بطريق منى .(٤)

وفي سنة ٨١٢ هـ عَمر الشريف حسن بن عجلان سبيلاً جهة

---

(١) القزويني : اخبار البلاد وآثار العباد ، ص ١٢٣ - ١٢٤ - القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٢) خليفة بن محمود الكيلاني : ويلقب بنجم الدين إمام الحنابلة بالمسجد الحرام ، تولى إجراء عين بازان . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ٣٢٠) .

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ - الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٢٠٣ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٤١ - السنجارى : منائح الكرم ، ج ١ ورقة ٣١١ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٢ - ٧٤ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٨ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ - القرشي : تاريخ مكة المشرفة ورقة ١٠٥ .

منى ، وبنى عنده مسجداً (١).

وفي سنة ٨٤٤ هـ أرسل نائب السلطنة بمصر مالاً أجرى به عين بركة أم السلم بمنى (٢).

وفي سنة ٨٤٧ هـ بنيت ثلاثة آسبلة بمنى ، أحدها لعبد الغني القباني (٣) وشريكه إبن كرسون . والثاني لعبد الكريم بن محمد بن أحمد بن عوض الجدى (٤) . والثالث لفرج الشرابي (٥) ، ولكن لم يكمل هذا السبيل (٦).

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ - العقد الثمين ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٢) السنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ٥ .

(٣) عبد الغني بن محمد القبليوبي ، ويعرف بالقباني ، ولد سنة ٨٠٣ هـ ، نزيل مكة ، ونشأ بالقاهرة وحفظ القرآن ، وحج سنة ٨٢٠ هـ ، وله دور بمكة وبنى سبيلاً بمنى مع شريكه إبن كرسون . توفي يوم الأربعاء سادس شعبان سنة ٨٦٩ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٥٧) .

(٤) عبد الكريم بن محمد الجدى : أحد التجار ممن له عقار ، أنشأ بمنى سبيلاً . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٣١٩) .

(٥) فرج بن عبدالله الشرابي الحبشي المكي التاجر : صاحب دور وغيرها ، أنشأ سبيلاً بمنى سنة ٨٤٧ هـ ولكن لم يكمل ، مات بمكة في ربيع الثاني سنة ٨٥٣ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٦٩) .

(٦) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ٧٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٦٩ .

وفي سنة ٨٤٩ هـ أنشأ الخواجا شهاب الدين أحمد العاقل [(١)] سبيلاً ببيته الذى ابتناه في سوق الجمال بمنى ، وسَّبل الماء فيه أيام التشريق .

وفي العام نفسه أنشأ موسى بن عبد السلام الزمزمي [(٢)] سبيل الوتش بطريق منى بالقرب من سبيل الست مما يلي منى ، بناه على أعمدة صهريج وَجَدهُ هناك ، وسَّبل فيه الماء أيام التشريق ، وجعل عليه وقفاً بنخلة [(٣)].

وفي سنة ٨٥٠ هـ أنشأ الخواجا بدر الدين الطاهر [(٤)] سبيلاً ببيته بمنى ، كما أنشأ ابو بكر الشمرى [(٥)] سبيلاً أيضاً ببيته بمنى [(٦)].

---

(١) أحمد بن علي بن محمد بن الشهاب المصرى التاجر : ويعرف بالعاقل ، نزيل مكة ، أنشأ بها داراً وكذلك بمنى توفي ليلة الخميس عشرى رمضان سنة ٨٦٤ هـ بجدة ودفن بمكة . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٤٣) .

(٢) موسى بن أحمد بن عبد السلام : ويعرف بالزمزمي نسبة لبئر زمزم ، وهو المجدد لسبيل الوتش بطريق منى ، وعليه وقف بنخلة ، توفي سنة ٨٧٦هـ بمكة . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٨٣) .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

(٤) بدر الدين بن حسن بن محمد الظاهر ، نزيل مكة ، ولد سنة ٧٩٠هـ ، اشتغل بالتجارة ودخل عدة بلاد مثل الهند واليمن والقصير وسواكن وعمر دوراً ، وعمل رباطاً بباب سويقة ، وعمر عين حنين ، وكان خيراً ساكناً متواضعاً ، توفى بمكة سنة ٨٧١ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ١٩٠) .

(٥) أبو بكر الشمرى التاجر : تردد إلى الهند ، أنشأ سبيلاً في بيته بمنى سنة ٨٥٠ هـ وتوفي في ربيع الأول سنة ٨٧٠ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١١ ، ص ١٠٠) .

(٦) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ .

توفير المياه في عرفــة :

وفي سنة ٧٢٥ هـ عمر بازان رسول الأمير جوبان بن تلك بن تدوان نائب السلطة بالعراقيين عن السلطان أبا سعيد بن خزبندا ملك التتر عين عرفة ، بسبب وفود الحجاج العراقيين إلى مكة كل سنة ومعاناتهم الشديدة من قلة المياه بمكة فإن الراوية بلغت في الموسم عشرة دراهم مسعودية ،وفي غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة دراهم . (١)

وفي سنة ٨١٣ هـ عمر ياقوت خادم السلطان غياث الدين صاحب بنجاله العين المسماه عين عرفة ،وصرف عليها حوالي ثلاثين ألف مثقال ذهباً ، ويقال أن الشريف حسن بن عجلان أمير مكة أخذ من ياقوت خمسة آلاف مثقال ذهبا . (٢)

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٣٤٨ - العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ - المقريزي : السلوك ،ج ٢/ ١ ، ص ٢٧٤- ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٨١ - ١٨٢ - الجزيري : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٢٨ - ٦٢٩ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، محمد أنور شكري : لوحان آثريان ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ٤٨٢ - النهروالي : الإعلام ، ص ١٩٨ - ١٩٩ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ص ٦٥٣ .

وفي سنة ٨٤١هـ بعث سلطان مصر الأشرف برسباى خمسة الآف أشرفي على يد إبن المزلّق بسبب عمارة عين عرفة[١].

وفي سنة ٨٥٢هـ رمم بيرم خواجا ناظر الحرم من قبل السلطان جقمق عدة برك بطريق عرفة، وطهرها ونظفها من التراب، وأصلحها وساق الماء إليها من الآبار التي بقربها ليشرب منها الحجاج، وانتهى من ذلك سنة ٨٥٣هـ[٢].

وفي ربيع الآخر سنة ٨٧٥هـ أمر السلطان قايتباى الأمير سنقر الجمالي بتعمير عين عرفة، وقد أرسل مائة عامل، وكانت أجرة العامل ثلاثة دنانير أشرفية[٣]. وبدأ تعميرها من سفح جبل الرحمة إلى وادى نعمان حيث وجد الماء بكثرة، كما أصلح البركة وملأها بالماء، وأصلح عدة فساقي كانت قد طمرت[٤] وهناك لوحة تأسيسية مؤرخة بعام ٨٧٥هـ في أسفل جبل عرفة، وقد قام الدكتور محمد الفعر بنشرها، ونص هذه اللوحة التأسيسية سيكون، إن شاء الله، في الملاحق بنهاية الرسالة[٥].

---

(١) المقريزى : السلوك، ج ٤/ ٢، ص ١٠٢٨ - ١٠٣٠ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ٩٠ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان، ج ٣، ص ٤٠٢ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٢٥.

(٢) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٦٦ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٣٧ - النهروالي : الإعلام، ص ٣١٨ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن، ج ١، ورقة ١٠٦ - السنجارى : منائح الكرم، ج ٢، ورقة ٨ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين، ص ٦٦٥ - ٦٦٦ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان، ص ١٥.

(٣) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ٢٤١.

(٤) الشريف الجنابي : البحر الزاخر، ج ٢، ورقة ٩٧ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٤، ص ٤٠٦ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣، ص ٥٦ - ٥٧ - الجزيرى : درر الفرائد، ج ١، ص ٧٥١ - النهروالي : الإعلام، ص ٢٢٤ - الطبرى : الأرج المسكي، ورقة ٣١-٣٢ - إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج ١، ص ٢١٦-٢١٧ - عبد الرحمن محمود عبد التواب : قايتباى المحمودى، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) انظر الملحق رقم (٤)، ص ٤٧٠.

وفي سنة ٨٨٩ هـ أصلح الأشرف قايتباى مرة ثانية عين عرفة بعد أن خربت وتسببت في تعب ومشقة للحجاج وأهل مكة.(١)

*

٤ - توفير المياه في خليص :

واد على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة وبه الكثير من العيون والآبار والمزارع.(٢)

وفي سنة ٧١٩ هـ حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية وذُكر للسلطان إن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردها الحجاج وقد انقطع ذلك منذ سنين ،وأصبح الحاج يجد مشقة من قلة الماء بخليص ، فرسم السلطان بخمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة وجعلها مقررة في كل سنة لصاحب خليص

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ٢١٩ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٢٥٣.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٤ ، ص ٢٦٠.

،فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان (١) . وقد ورد في حجة وقف الأشرف شعبان المؤرخة سنة ٧٧٧ هـ تخصيص خمسمائة درهم نقرة سنوياً لعمارة عين خليص وترميمها وتنظيف الفسقية (٢) .

وفي سنة ٨٧٤ هـ أمر السلطان قايتباى بإصلاح عين خليص بالقرب من مكة نظراً لأهميتها للحجاج فهي من أحسن مناهل الحج وأعذبها بمبلغ ألف أشرفي ،وابتدأ العمل بها في عاشر شعبان ،وتم الإنتهاء منها في ذى القعدة من السنة نفسها على يد الأمير شاهين الجمالي (٣) .

---

(١) الحضراوى : مختصر حسن الصفا والإبتهاج ،ورقة ٤٦ - المقريزى : السلوك ،ج ٢/ ١ ،ص ٢٠٠ - ٢٠١ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٦٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٦٥ - الرشيدى : حسن الصفا والإبتهاج ،تحقيق ليلى عبد اللطيف ،ص ١٣٢ .

(٢) انظر في الملحق رقم ٢٠٦ - ٢٠٧ - حجة وقف الأشرف شعبان .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢٢٤ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٢٣٩ .

٥ - توفير المياه في المدينة المنورة :

أما من حيث المياه بالمدينة المنورة فهي أحسن حالاً من مياه مكة المكرمة ،وذلك لكثرة آبارها وعيونها . وقد حظيت المطاهر والآبار والعيون والبرك بالمدينة المنورة في العصور السابقة على العصر المملوكي بالكثير من العناية على يد الخلفاء والسلاطين وأعيان المسلمين (١) .وفي العصر المملوكي ازدادت العناية بتوفير المياه في المدينة المنورة أكثر من ذى قبل ،من الآبار والعيون التالية :

بئر البصة :

تقع بالقرب من البقيع على يسار الطريق إلى قباء وهي بين نخل ،وبالقرب منها بئر أصغر منها،ويحيط بها حديقة كبيرة . وقد ابتنى قاضي المدينة زكي الدين بن أبي الفتح بن صالح محل هذا الأطم (٢) منزلا حسناً ،وجعل للبئر الصغرى درجاً ينزل إليها منه ،وعمر البئر الكبرى أيضاً لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو وشريكه في النظر في الولاية السلطانية لغيره . والحديقة وقف على الفقراء والقاصدى الزيارة أوقفها شيخ الخدام ريحان البدرى الشهابي قبل وفاته بعامين أو ثلاثة ،ووفاته كانت سنة ٦٩٧ هـ ،

---

(١) عن توفير المياه في المدينة المنورة في العصور السابقة على العصر المملوكي انظر رسالة سليمان مالكي : مرافق الحج ،الباب الرابع ، ص ١٨٧ - ٢٠٦ .

(٢) الأطم : جمعها آطام وهو الحصن .

وطولها أحد عشر ذراعاً منها ذراعان ماء وعرضها تسعة عشر ذراعاً ، وهي مبنية بالحجارة ، ولون مائها صافي ، وطعمه حلو ، وأهل المدينة كانوا يستقون منها قبل أن يطمها السيل .(١)

بئر أريس :

تقع أمام مسجد قباء على غربيه ، وتبعد بحوالي ثمانية وثلاثين متراً عند حديقة الأشراف الكبرى من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .(٢)
وعمق هذه البئر إثنا عشر متراً ، وفي أسفلها فتحتان يجرى منهما الماء إلى قاع البئر ، وفتحة ثالثة تصلها بمجرى العين الزرقاء التي يشرب منها أهل المدينة وماؤها عذب ، وطولها أربعة عشر ذراعاً وشبر منها ذراعان ونصف

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ - المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٥ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٧١ - الفيروزابادى : المغانم المطابه ، ص ٣٠ - ٣١ - السمهورى : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٩٥٥ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢٦٢- ٢٦٣ - عبد السلام حافظ: المدينة المنورة في التاريخ ، ص ٣١-٣٢ .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٣- أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢٥٩ .

ماء ،وعرضها خمسة أذرع ،وطول قفها[1] ثلاثة أذرع ،وتسمى بئر الخاتم . لوقوع خاتم رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،فيها من يد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ،وهي من الآبار المأثورة لجلوس رسول الله ،صلى الله عليه وسلم عليها[2] . وكانت هذه البئر مبنية بالحجارة المنحوته ،وقد تهدمت وطويت ، وبُني بأعلاها سكن لمن يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء ،وحولها دور الأنصار وآثارهم ،وقد جدد الشيخ صفي الدين أبو بكر السلامي ، لها درجاً ينزل إليها منه الزوار ،وقاصدو الوضوء والشرب ،وعلى الدرج قبو وعليها تجاه الداخل لوح مكتوب عليه تاريخ عمارة البئر سنة ٧١٤هـ[3] ، ويقال إن الذى أنشأ الدرج إبن فرحون.[ ]

---

(١) قفها : قف البئر أى الدكة التي تجعل حولها . (القاموس المحيط ق ف ف) (المنجد ص ٦٤٥).

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ،ص ٣٤٢ - المطرى :التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،ص ٥٤ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،ص ١٦١ - ١٧٠ - الفيروزآبادى :المغانم المطابة ،ص ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ، ص ٩٤٨ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢٥٩.

(٣) المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،ص ١٧٠ - الفيروزابادى : المغانم المطابة ،ص ٢٧ - ٢٨ - عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ،ص ٢٤١ - ٢٤٢ - محمود الشرقاوى :المدينة المنورة ،ص ١٥ - ١٦.

(٤) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٤- السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ، ص ٩٤٨ .

بئر رومه :

تقع في عرضة العقيق الكبرى بالمدينة المنورة بقرب مجتمع الأسيال شمالي غربي المدينة المنورة ،إشتراها عثمان بن عفان ،رضي الله عنه ،وتصدق بها للمسلمين . طولها ثمانية عشر ذراعاً ،منها ذراعان ماء وباقيها مطموم بالرمل ، وعرضها ثمانية أذرع ،وماؤها صاف (١) . وقد تهدمت مع مرور الزمن حتى جاء قاضي مكة المشرفة شهاب الدين أبو العباس الطبري سنة ٧٥٠ هـ زائراً إلى المدينة المنورة فجدد عمارتها من صميم ماله ،وشيد أركانها ،فجاءت في غاية الحسن والرضا ،لقول رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، "من حفر بئر رومه فله الجنة" (٢) . وعند البئر بناء عال شبه حصن متهدم يقال إنه كان بئراً لليهود ،وفي أطراف هذه البئر آبار كثيرة أخرى ومزارع (٣) .

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ،ص ٣٤٤ - السمهودي : وفاء الوفا ،ج ٣ ، ص ٩٧١ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ،ص ٢٦٥ ، عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ،ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) صحيح البخاري ،ج ٣ ، ص ١٩٨ .

(٣) المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،ص ٥٧ - الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ١٦٣ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،ص ١٧٥ - ١٧٦ - الفيروزآبادي : المغانم المطابة ،ص ٤٠-٤٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢٣٥ - ٢٣٦ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ،ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

بئر غرس :

الغرس الفسيل أو الشجر الذى يغرس لينبت ، وهو بئر في الشمال الغربي للمدينة المنورة شرقي مسجد قباء على نصف ميل إلى جهة الشمال على منازل بني النضير ، وحولها مقابر بني حنظلة ، وتقع بين النخيل ، طولها سبعة أذرع منها ذراعان ماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وقد خربت فجددت بعد السبعمائة ، وهي غزيرة طيبة عذب ماءها ، ويقال إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بصق فيها ، وأن بها عيناً من عيون الجنة (١) . وقد أبتاعها الخواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكي شهاب الدين أحمد القواني ، وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجاً ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً وأوقفها سنة ٨٨٢هـ (٢) .

البركة بوادى رأس بني سالم:

وفي سنة ٨٠١ هـ عمر الظاهر برقوق بركة كبيرة بطريق المدينة المنورة برأس وادى بني سالم يردها الحجاج (٣) .

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٤٣ - المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٥٤ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٧٠ - ١٧١ - الفيروزابادى : المغانم المطابة ، ص ٤٦ .

(٢) السمهورى : وناء الوفا ، ج ٣ ، ص ٩٨١ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ / ٢ ، ص ٥٣٣ .

بئر السقيا :

مكانها الحالي جنوبي محطة سكة حديد الحجاز ، ويفصل بينهما طريق مكة ،ويسمى المكان الذى فيه البئر الفلجان ،وكانت منازل الحجاج الزائرين إلى المدينة المنورة . وقد جددها بعض العجم سنة ٨٨٦هـ،وعرفت ببئر الأعاجم ،وهي عميقة ومحفورة في الصخر ، قطرها ستة أمتار ،وعمقها أربعة عشر متراً ،وبجنوبها مزرعة ،ويقال إن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم شرب منها .(١)

العين الزرقاء :

وفي سنة ٨٨٦ هـ أجرى الأشرف قايتباى عين الزرقاء بالمدينة المنورة على يد الخواجا شمس الدين بن الزمن .(٢)

فسقية للمياه بجوار باب الرحمة :

وفي سنة ٨٩٣ هـ عمر أبو بكر بن مزهر (٣) رئيس ديوان الإنشاء

---

(١) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،ص ٥٩ - السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ، ٩٧٢ - عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ،ص ١٥٢ .

(٢) زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ٧١ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ،ص ٤٢ - ٤٣ .

(٣) أبو بكر بن محمد بن محمد الزين بن البدر الأنصارى الدمشقي :

===

بمصر فسقية متصلة بكمر باب الرحمة ،وفوق هذه الفسقية قبة ،وعلى الجانب الأيمن منها فسقية للمياه.(١)

وبالإضافة إلى العناية بتوفير مياه الشرب لأهل المدينة ولزوار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،فقد اقتضى الأمر أيضاً إنشاء عدد من المطاهر حول المسجد النبوى لوضوء المصلين .

ففي سنة ٦٨٦ هـ أمر السلطان المنصور قلاوون الصالحي بإنشاء مطهرة بالجانب الغربي من المسجد النبوى عند باب السلام ،وكان المشرف على عمارتها علاء الدين الأقمر.(٢) وأخرى من ناحية غرب المسجد النبوى ولها باب منه . وأخرى شرقيه بالقرب من دار إبراهيم الريس . ورابعة أنشئت في رباط الأشرف قايتباى لسكان الرباط وغيرهم.(٣)

=== ويعرف بابن مزهر ،ولد سنة ٨٣١ هـ زار مكة والمدينة المنورة والقدس واشتهر بوفرة الذكاء ،شغل نظر الإسطبل ،ووكالة بيت المال بمصر. حج غير مرة ،وله سبيلان بمكة ،ومدرسة و رباط بالمدينة المنورة ،توفى سنة ٨٩٣ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ١ ،ص ٨٨-٨٩) .

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ورقة ٨٧٥ .

(٢) السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ١ ،ص ٦٥ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة وتطورها العمراني ،ص ٨٠ .

(٣) السخاوى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

الفصل السادس

الخدمات الدينية والمدنية للحجاج

المساجد - المدارس - الأربطة

البيمارستانات

الفصل الســادس

الخدمات الدينية والمدنية للحجــاج

١ - المساجـد :

أ - مساجد مكة المكرمة .

ب - مسجد سَرْوعَة بمرّ الظهران .

جـ - مسجد خليص .

د - مساجد المشاعر المقدسة (منى - مزدلفة - عرفة) .

هـ - مساجد المدينة المنورة .

و - مسـجد جـدة .

٢ - المدارس :

أ - مدارس مكة المكرمة .

ب - مدارس المدينة المنورة .

٣ - الأربطـة :

أ - الأربطـة بمكة المكرمة .

ب - الأربطة بالمدينة المنورة .

٤ - البيمارستانات :

أ - البيمارستان بمكة المكرمة .

ب - البيمارستان بالمدينة المنورة .

الفصل السادس

الخدمات الدينية والمدنية للحجاج

بعد أن تحدثت عن طرق الحج ، وما أقيم بها من مرافق للتيسير على الحجاج في سلوكهم لها ، وعن إلغاء المكوس على الأطعمة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وعما كان يقدم لأمراء المدينتين ولأهلها من أعطيات ، وعما كان يقوم به السلاطين وأمراؤهم وأثرياء المسلمين من توفير الأطعمة والمياه في المدينتين المقدستين ، وفي المشاعر المقدسة خصصت هذا الفصل الأخير من الرسالة للمنشآت الدينية والمدنية التي أنشئت لخدمة أهالي الحرمين الشريفين ، ولخدمة الحجاج وتيسير إقامتهم في المدينتين المقدستين والمشاعر المقدسة في موسم الحج والزيارة .

فقد حفل العصر المملوكي بتعمير الكثير من المساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة التي ترتبط بذكرى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وبتعمير المساجد بالمشاعر المقدسة التي ترتبط بأداء مناسك الحج . هذا فضلاً عن إنشاء الكثير أيضاً من المساجد في المدينتين المقدستين للتيسير على الحجاج والزوار في أداء صلواتهم في حالة تعذر أدائها في الحرمين الشريفين بسبب إزدحامهما بالمصلين في موسم الحج والزيارة ، كما أنشئت أيضاً المساجد على إمتداد الطريق بين مكة والمدينة ليقيم بها الحجاج شعائر الصلاة أثناء سلوكهم في هذا الطريق .

وبالإضافة إلى أداء فريضة الصلاة كان الحجاج يقبلون على سماع الدروس التي تلقى في الحرمين الشريفين أو في المدارس التي بدأ إنشاؤها

حول الحرمين الشريفين منذ الربع الأخير من القرن السادس الهجرى ، ثم شاع إنتشارها في العصر المملوكي خاصة وان هذه الدروس التي كانت تستهدف تثقيف المسلم في شئون دينه ، كانت تضفي جواً روحياً للحجاج وهم يتنقلون لسماع ما يلقى من دروس في الحرمين الشريفين أو في المدارس التي كانت تحلّق بهما ، سواء من قبل كبار علماء المدينتين المقدستين اللتين حفلت بهما في العصر المملوكي ، أو من قبل علماء المسلمين المبرزين في كل علم ، والوافدين إلى المدينتين المقدستين للحج وللزيارة . هذا إلى أن للمدرسة بنظامها الذى عرفت به في العصر الإسلامي كان لها بجانب وظيفتها التعليمية وظيفة إجتماعية تتمثل فيما كانت تقدمه المدرسة من زاد ومأوى للمترددين عليها من المعوزين والمنقطعين سواء في موسم الحج والزيارة ، أو على مدار العام.[1][2][3]

كما أن الأربطة تطورت وظيفتها أيضاً في القرن السادس الهجرى ، وأصبحت كالزوايا والتكايا والخوانق دوراً يقيم بها المتصوفة . وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي أقيم الكثير من الأربطة ، وأوقفت

---

(١) عن نشأة المدرسة انظر فيما بعد ص ٣٧٩ .

(٢) أزيلت المدارس التي كانت حول الحرم المكي الشريف عند القيام بالتوسعة السعودية في عهد المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود ، كما أزيلت المدارس التي كانت حول الحرم النبوى الشريف عند القيام بالتوسعة العثمانية في عهد السلطان سليمان بن السلطان عبد المجيد .

(٣) انظر فيما بعد ص ٣٨٠ .

على الفقراء والمعوزين والمنقطعين من طوائف معينة كالعرب أو العجم أو الهنود ، أو على الرجال أو على النساء ، ليقيموا بها في موسم الحج أو على مدار العام ، حسب رغبة الواقف .

وأما البيمارستان في مكة المكرمة وفي المدينة المنورة فإنه كان بجانب كونه مؤسسة علاجية للمرضى من أهل الحرمين الشريفين طوال العام ، فإنه ليس ثمة شك في أن كان يؤدي هذه المهمة لحجاج بيته تعالى ولزوار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في موسم الحج والزيارة .

وهكذا سنجد أن هذه المنشآت الدينية والمدنية كانت تؤدي خدمات كبرى للحجاج وللزوار في المدينتين المقدستين وفي المشاعر المقدسة ، وهو ما سيتضح من خلال دراستنا لهذه المنشآت في العصر المملوكي .

*

١ - المساجد

قال تعالى * وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً * (١) ، كما أشار الله سبحانه وتعالى بمن يعمر المساجد في قوله * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * (٢) .

---

(١) سورة الجن : آية ١٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٨ .

والمسلم يختلف إلى المسجد خمس مرات في اليوم ،وله حق الزيـــارة والمرابطة . ومن انتظر صلاة على صلاة فهو الرباط ،وجاء في التنزيـــل ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾ .(١)

وفضلاً عن أن المساجد دور عبادة تقام فيها الصلاة ، فإنه يتم فيها بحث شئون المسلمين من أمور دنياهم وآخرتهم ،ولذلك اعتنى المسلمون بهـــا حكاماً وأفراداً فأقاموا المساجد في كافة الأمكنة والبقاع في بلاد المسلميـــن عامة ،وفي مكة والمدينة والمشاعر خاصة ،وهذه المساجد وخاصة ما أقيـــم منها في العواصم الإسلامية هي روائع فنية تشهد بعظمة وجمال العمـــارة الإسلامية . وهناك وظيفة أخرى للمساجد ، وهي أنها تعتبر جامعات لطلـــب العلم والمعرفة ،ومن قدر له أن يدخل مسجداً فإنه يجد جماعات الطـــلاب محلقين حول أساتذتهم .

وقد أكثر سلاطين المماليك من إنشاء المؤسسات الدينية بصفة عامة والمساجد بصفة خاصة ،وذلك لتقوية رباط الديـن الذى يربطهم بالشعب لينسى لهم ماضيهم وأصلهم وأجناسهم ،ولا يذكر لهم إلا أنهم مسلمـــون مخلصون حريصون على إحياء شعائر الإسلام ،وهي الرابطة الوحيدة التي تربط بين المماليك بعضهم ببعض من ناحية ،وبينهم وبين الشعوب التي حكموهـــا من ناحية أخرى ،وبينهم وبين كافة المسلمين في مختلف الأقطار الإسلاميـــة من ناحية ثالثة ،خاصة وأنهم ظهروا في صورة حماة الإسلام والمسلمين بعـــد طردهم للصليبيين والمغول(٢) . فكل هذه الظروف قد أدت إلى ظهور تيـــار

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٦ .

(٢) مع إحترامي لرأى الدكتور محمد أمين من أن المماليك اكثروا من إنشاء المؤسسات الدينية حتى ينسى الشعب ماضيهم وأصلهم وأجناسهم الخ . هذا من وجهة نظر الدكتور محمد أمين إلا إننا لا ينبغي لنا أن نسيء الظن بهم إلى هذا الحد فالحقيقة أن العربي من امتص الثقافة العربية وتخلق بالأخلاق العربية الإسلامية وهذا ينطبق على المماليك لأن العرب عند ما تدفقوا على البلاد الخصبة كانت المنطقة تغص بجنسيات مختلفة ولكن سرعان ما تقبلوا ثقافة الفاتحين الجدد وساهموا في إخصابهـــا

ديني قوى خلال العصر المملوكي في مصر ،وهو التيار الذى يتمثل في صـــورة واضحة في كثرة إنشاء المساجد والجوامع [١] . ومن أبرز الدلالات على ذلك قول السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن في أيامه علا منار الإسلام وعـــزت أمة النبي [٢] .

هذا ،وقد امتد إهتمام سلاطين المماليك وامرائهم وكبار رجـــال دولتهم في بناء المساجد في مصر والشام إلى بناء المزيد من المساجد فـــي مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة بصفة خاصة وفي الحجاز بصفة عامة ، وعمارة ما يحتاج منها إلى العمارة . كما أمتد هذا الإهتمام إلى غيرهم مـــن سلاطين وأعيان المسلمين المعاصرين لسلاطين المماليك ،وذلك تيسيـــراً على المسلمين في إقامة الصلاة سواء في أيام موسم الحج والزيارة ،أو في بقيـة أيام السنة .

ولنحاول تتبع إنشاء المساجد في العصر المملوكي في هذه الأماكـن المقدسة ،ولنبدأ بما أقيم منها في مكة المكرمة وفي الطريق منها إلى المدينـة المنورة ،ثم في المشاعر المقدسة ، والمدينة المنورة وأخيراً في جدة .

---

(١) محمد أمين : الأوقاف والحياة الإجتماعية ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن أيبك : كنـز الدرر وجامع الغرر ،ج ٩ المسمى الدر الفاخـر في سيرة الملك الناصر ، تحقيـق هانس روبرت ،ص ٣٨٨ .

أ - مساجد مكة المكرمة :

مسجد الملك المُظَفَّر صاحب اليمن بقرب المجزرة :

في سنة ٦٤٩ هـ عمر الملك المُظَفَّر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول صاحب اليمن المسجد الذى بقرب المجزرة (١) الكبيرة من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ،ويسار الصاعد منها . ويقال إن النبي ،صلى الله عليه وسلم، صلى به صلاة المغرب (٢) . هذا وقد جددت عمارة هذا المسجد في سنة ٧٤٧ هـ (٣) .

مسجد الرايـة :

سمى بذلك لأن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،ركز الراية في هذا الموضع يوم فتح مكة (٤) ،ويقع بالجودرية على يمين الصاعد من المدعا (٥)

---

(١) المجزرة : بالقرب منها جبل الحجون الذى هو أصله مقبرة أهل مكة القديمة ،وفي جانبه الغربي كانت المجزرة إلى ما بعد سنة ١٣٧٠هـ ، ثم نقلت إلى أزاخر . (البلادى : معالم مكة التاريخية ،ص ٢٧٤) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٢٦٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٧١ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ، ص ٥٩٧ .

(٣) الفاسي : تحصيل المرام ،ورقة ١٥٧ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة ،ج ٢ ،ص ٢٠٠ .

(٥) المدعا : حي من أحياء مكة ،سمى بذلك لأنه موقف الحاج عند

= = =

إلى المعلاة ،وبين المسجد والبيوت التي قبله زقاق صغير نافذ إلى الطريق العام . وبجانبه بئر جبير بن عدى بن مطعم (١) ،ويقال إن النبي ،صلى الله عليه وسلم ، صلى به . وقد عمره عبدالله بن عباس ،ثم المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر العباسي في شعبان سنة ٦٤٠هـ (٢) ، ثم عمره الأمير قطلبك الحسامي المنجكي في أوائل سنة ٨٠١ هـ ،وبه مأذنة ذات غرفتين قد تهدم رأسها. (٣)

مسجد الإجابة :

على يسار الذاهب إلى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر ،وهو مسجد مشهور يقال إن النبي ،صلى الله عليه وسلم ،صلى به ،ومع مرور الزمن تخرب وتهدم ،وسقطت جدرانه إلا الجدار القبلي ،وبه حجر مكتوب عليه إنه مسجد

=== مفادرته لمكة بعد قضاء المناسك للدعاء مواجها لذلك القبلة المشرفة . الغزاوى :في شذرات الذهب ، تحقيق عبد العزيز الغامدى ، محمد السرياني ،ص ١٣٩ .

(١) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشي ، أسلم يوم الفتح ،وقيل يوم فتح خيبر ،روى عن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،ستين حديثاً ،وتوفى سنة ٥٧ هـ وقيل سنة ٥٩ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ٤٠٨ - ٤٠٩) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥ ،ص ٢٩٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥٩ - حاشية ٦ .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٤٧ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ٩٤-٩٥ ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ١٣٢ .

الإجابة ،وعمره عبدالله بن محمد سنة ٧٢٠ هـ . وطول هذا الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ثمانية عشر ذراعاً بذراع الحديد ،وعرضه كذلك . والناس يتبركون به .[١] وفي سنة ٨٣١ هـ جدده وعمره الأمير سيف الدين شاهين العثماني الأشرفي الطويل ،أحد أمراء العشرات ،ويقال إن الجن وفدت على النبي ،صلى الله عليه وسلم ،عند هذا المسجد أثناء رعيه للغنم.[٢]

مسجد المحناطة :

وبنى السلطان قايتباى مسجداً بالمحناطة[٣] على يمين الذاهب إلى الحرم أمام القبان عند ربع الرز ،وربع المغازل.[٤]

---

(١) الديار بكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ٢ ،ص ٤٣٣- ٤٣٤ - الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٢٦١ - ٢٦٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٧٢ ١ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٤.

(٣) المحناطة : أى الحناطين ،وقيل الخياطين ،وقد سمى بباب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام بباب الخياطين لأن رجلاً خياطاً كان يجلس عنده فعرف به . (القطبي : الإعلام ،ص ٨٨).

(٤) ابن الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ١٣٤.

ب - مسجد سَروعَة بمرّ الظهران :

وعمر عبدالله بن إبراهيم الحميرى [١] الملقب بالعفيف نزيل مكة مسجداً بسَروعَة [٢] سنة ٨٠٤ هـ ، ويسبّل له كل يوم أربع دوارق زمزم من الفخار. [٣]

جـ - مسجد خليص :

وفي سنة ٨٧٤ هـ عمر شاهين الجمالي مسجد خليص وسقفه بالأخشاب والدوم [٤] والجريد ، وذلك في مدة أولها عاشر شعبان ، وآخرها ذو القعدة من نفس السنة ، وعم نفعها الحجاج وغيرهم بمبلغ ألف أشرفي وثلثمائة وسبعة وسبعين وربع وسدس وثمن. [٥]

---

(١) عبدالله بن إبراهيم بن حسين الحميرى : ويلقب بالعفيف ، نزيل مكة وأحد التجار بها ، وقف دارين بمكة على أولاده ، وعقاراً بسروعة ، وتوفى في شوال سنة ٨٠٧ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ١٠٢-١٠٣).

(٢) سَروَعَة : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وفتح الواو ، وعين مهملة ، وهي النبكة العظيمة من الرمل ، أو الرابية من الطين ، وهي قرية بمرّ الظهران كثيرة النخل بها عين جارية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١٧).

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) الدوم : جنس شجر من فصيلة التحليات ، ساقه مشعبة ، يستخرج من ثماره نوع من الدبس ينبت في الجزيرة العربية ومصر والسودان .
(ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ ، حاشية ٤ .

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢٢٤ - محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٣٩ .

د - مساجد المشاعر المقدسة :

مسجد الخيف بمنى :

الخيف ما ارتفع من الوادي ، والجزاور من الجبل ، وهو معروف بالبركة على يمين المار إلى المزدلفة ،وهو مستطيل طوله مائتا ذراع ،وعرضه خمس وسبعون ذراعاً وله في القبلة أربعة بلاطات يشملها سقف واحد ،وحول الصحن من كل جانب سقائف على أقواس معقودة على أرجل من آجر ملبسة بالجيار ، وله عدة أبواب . بناه الخليفة أبو جعفر المنصور (١) ،وعمرته أيضاً أم الخليفة الناصر أحمد واسمها مكتوب على بابه الكبير ، ثم عمر سنة ٧٢٠ هـ من قبل تاجر دمشقي يسمى إبن المرجاني (٢) ،وصرف عليه من ماله الخاص ما يزيد على عشرين ألف درهم (٣) .

---

(١) التجيبي : مستفاد الرحلة والإغتراب ،ص ٣٤٣ .

(٢) أحمد بن عمر بن أبي بكر الهمذاني الأصل ،يلقب بالشهاب ،ويعرف بابن المرجاني الدمشقي ،عمر مسجد الخيف ،وجاور بالمدينة المنورة ، وتوفي يوم السبت ثاني عشر محرم سنة ٧٢٨ هـ بدمشق .
(الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ١١٣-١١٤ - شفاء الغرام : ج ١ ،ص ٢٦٧ - إبن كثير : البداية والنهاية ،ج ١٤ ،ص ٩٦) .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ١٧٢-
ابن الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ١٣٦ .

وفي يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٧٣ هـ بدأت عمـــارة مسجد الخيف ،وانتهت في عاشر ذى الحجة سنة ٨٧٤هـ ،وذلك أن جدرانه خربت ، فبنيت جدرانه المحيطة به بالحجر والنورة والجص ،وبنيت له شراشيف دائرة على جدره . وعمل له أربع بواتك (١) من جهة القبلة فيه بقرانيص (٢) سمار تعلو البئر كليخون (٣) القناطـــــر ، يعلو القناطر مقالي (٤) مقببـــة

---

(١) البواتك : سلسلة من العقود المحمولة على أعمدة أى اساطين ودعائم . (صالح لمعي مصطفى : التراث المعمارى ،ص١١٧) .

(٢) المقرنصات : أو القرانيص هي شكل إسلامي لحنيات ركنية على هيئـــة حنية مجوفة ذات رأس من قبة نصف دائرية ،وهي إبتكار ساساني ، وتستعمل للإنتقال والتدرج من زوايا ركن المربع إلى دائرة فيه وتتكون من عدة قوصرات صغيرة فوق بعضها بشكل خلايا النحل . (فريد شافعي : العمارة العربية ،ص٤٥٣) .

(٣) كليخون : كلمة فارسية مركبة من لفظين ،الأول : كل بمعنى التراب وخون : بمعنى الدم ،ومعناها تراب أحمر ،فلعله يعني أن القناطر تعلو البئر مبنية وملونة بمونة حمراء . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٩٤ ،حاشية ١) .

(٤) مقالى : المراد قلال جمع قلة ،يجمعها أهل الحرفة على مقالي ،والقلة هي أعلى الشيء مثله قلة الجبل ،وقلة المأذنة . (ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٤ ، ص ٣٩٤ ،حاشية٢) .

الآجر والنوره والجبس ،وعدة القناطر مائة قنطرة ،وعدة المقالي إحدى وتسعون مقلاة ،وبني محراب بصدر الجهة القبلية بالرخام الأصفر المنحوت بيمنته ويسرته عمودان ،فيه تاريخ باسم السلطان قايتباى ،وعلى المحراب قبة عظيمة مرتفعة محكمة العمل ،يعلوها هلال من نحاس مبيض ،وبنيت قبة كبيرة مثمنة عالية على المحراب الذى يتوسط المسجد أمام المنارة القديمة ، قطر القبة ستون ذراعاً ،وإرتفاعها عشرون ،وبأعلى القبة إسم السلطان ،ويوجد بأعلى القبة هلال كبير من نحاس مبيض،كما بنيت بوابة عظيمة مرتفعة معقودة بالرخام الأصفر المشهر بالرخام الأبيض ،بطراز من رخام أبيض محيط بالبوابة مكتوب منقوش أعلاه مؤرخ عليه إسم السلطان ،وجميع ذلك مطلى بالذهب واللازورد ، وعملت مأذنة علو الباب مكولجة (١) مقرنصة حسنة الصنعة ،بثلاث شرفات و بعنق وبخوذة على ستة أعمدة ،يعلو الخوذة هلال كبير من نحاس مبيض . وبنيت بوابتان للمسجد شرقية ويمانية ،وأرفق للمسجد سبيل ملاصق له على يمين الداخل من باب المسجد بواجهة مبنية من الرخام الأصفر المنحوت المحكم العمل تحته صهريج (٢) كبير للماء ،وعمل للسبيل طاقات من الرخام ،يتناول من الطاقات الماء المعد للشرب ،وبه أربعة شبابيك كبار من جهاته الأربعة ،

---

(١) مكولجة : المكولج عند أهل الصنعة هو المستدير الحلزوني ،فكأن المأذنة بها دوائر حلزونية من الخارج . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٩٥ ،حاشية ٣) .

(٢) الصهريج : خزان للمياه تحت الأرض يعمل من الآجر والمونة المانعة لنفاذ المياه . (صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري ،ص ٩٦) .

وأرض السبيل مفروشة بالرخام الأصفر ،وبه بيارة يستقى منها الماء من الصهريج على حوضه ،وللسبيل خزانة لآلات السبيل ،وله بابان ،إحدهما من الطريق ، والآخر داخل المسجد ،كما بنى صهريج خارج المسجد ،وعمل له دبل محكم مبنى بالنورة ،يتوصل منه الماء إلى الصهريج القديم الذى داخل المسجد ، وحفرت بئر هناك كانت مطوية مقابلة باب المسجد . وبيض داخله وخارجه وبرق جميع سطحه بالنوره ، وعملت له أبواب خشب متقنة و محكمة . و مهدت أرض المسجد وما حوله من جهاته كلها ،وبنى بجانبه دار سكن لأمراء الحج (١) . وبدأ هذا العمل يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة ٨٧٣هـ ،وجملة ما صرف عليه ثمانية الآف ومئتان وتسعة وعشرون أشرفياً وثلثا أشرفي ،والقائم على العمارة سنقر الجمالي (٢) .

---

(١) قطب الدين الحنفي : الإعلام ،ص ١٩٦ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٢٣٨ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٩٣ - ٣٩٤- موءلف مجهول : أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ،ورقة ٣٦ - السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٧١٢ - الجزيرى : دررالفرائد ،ج ١ ، ص ٧٥٠ - ٧٥١ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ج ١ ، ورقة ١٢٤ - ١٢٥ - القطبي : الإعلام ،ص ١٦٥ -السنجارى : منائح الكرم ،ج ٢ ،ورقة ١١ - ١٢ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ١٥١- أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ص ٦٦٥ -٦٦٦ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

مسجد مزدلفة :

وهو بجبل قزح [(١)] بمزدلفة ،وهو المشعر الحرام الذى ذكره اللـــه في القرآن ،ولا زال معموراً يصلى فيه ليلة الجمعة وفجرها [(٢)] . وفي سنة ٧٦٠هـ قام الأمير يلبغا الخاصكي من قبل السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ببناء مسجد مزدلفة ،وهو صغير الشكل مربع ليس بطويل الحيطان [(٣)] . وفي سنة ٨٤٣ هـ عمره [(٤)] الأمير سودون المحمدى [(٥)] . وفي الخامس عشر من شعبان سنة ٨٧٤ هـ بيضت سلالم المسجد وأصلحت وبنيت دكته من قبـل سلطان مصر الأشرف قايتباى ،وانتهى العمل منه في السابع عشر مـن

---

(١) قزح : إسم جبل بمزدلفة رئي عليه قوس قزح فنسب إليه .
(ياقوت : معجم البلدان ،ج ٤ ،ص (٣٤١) .

(٢) البلادى : معالم مكة التاريخية ،ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الــــورى ،ج ٣ ،ص ٢٧٩ -
علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٤ .

(٤) القطبي : الإعلام ،ص ١٠١ .

(٥) سودون المحمدى : خدم المؤيد شيخ ،وصار خاصكياً ،ورأس نوبة الجدارية أيام الأشرف برسباى ،وصار أمير عشرة أيام الظاهـر جقمق ،وتوجه لمكة شاد عمائر ،وتولى نيابة قلعة دمشق ،وكان ديناً عفيفاً خيراً ،توفى سنة ٨٥٠ هـ . (السخاوى: الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٢٨٦) .

ذى القعدة بمبلغ ألفين وخمسمائة وثمانية وأربعين ديناراً.(١)

مسجد نمرة بعرفة :

يقع في الجهة اليمنى من جبل الرحمة ،ويعرف بمسجد إبراهيم ، وهو المسجد الذى يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر يوم عرفة . وفي سنة ٨٤٣ هـ عمر الأمير سودون المحمدى من قبل السلطان الظاهر جقمق مسجد نمرة بعرفة ،وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذى كان بين المأزمين(٢) في طريق عرفة ،وكانت عقبة في طريق الشقادف عند مزاحمة جمال الحجاج بعضهم ببعض ،مما جعل الحرامية يكمنون للحجاج بين هذه الأشجار ،كما أزال

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٩٨ - مؤلف مجهول : أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ،ورقة ٣٦ - السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٧١٦ - إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباى ، مجلة العرب ،ج ١ ،س ١٤ ،رجب شعبان سنة ١٣٩٩هـ ،يونيو يوليو سنة ١٩٧٩م ،ص ٨٥ - محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٣٨.

(٢) المأزمين : موضع بمكة بين المسجد الحرام وعرفة ،وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة . (ياقوت : معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٤٠) وهو طريق يأتي المزدلفة من جهة عرفة ،لا يدفع الناس ليلة المزدلفة إلا منه فإذا أفضوا منه كانوا في المزدلفة . (البلادى : معالم مكة التاريخية الأثرية ،ص ٢٤١).

الصخور الكبيرة ،ونظف الطريق ومهده ونظفه ووسعه.[١]

وفي سنة ٨٧٤ هـ جهز السلطان الأشرف قايتباى لتعمير مسجد نمرة[٢] ، فأنشأ به رواقين عظيمين بصدر القبلة يتظلل بها الحجاج وقت الصلاة من الشمس[٣] ،وبها خمسون كتفاً مربعاً ،يعلو الأكتاف ثلاثة وثمانون قنطرة ،تعلو القناطر أربعة وثلاثون مقلاة للشراشيف[٤] محيطة بواجهة البايكة المذكورة ،وعملت قبة على المحراب مرتفعة ،وعلت جميع الواجهة القبلية ،وبعض الجهة الشرقية والغربية من واجهتيها ذراعين عمل من أصل بناء المسجد القديم ،وحفر في وسط المسجد صهريج طوله عشرون ذراعاً من شرقيه إلى غربيه ،وسعته خمسة أذرع ،وبداخله بوائك يعلوها ثلاث مقالي

---

(١) القطبي : الإعلام ،ص ١٠٠-السنجارى: منائح الكرم ،ج ٢ ،ورقة ٤-٥ أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ص ٦٦٢ - ٦٦٣ .

(٢) الديار بكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،ج ٢ ،ص ٤٣٤ .

(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٧١٦ - القطبي : الإعلام ،ص ١٠١ - الطبرى : الأرج المسكى ،ورقة ١٣٢ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ١٥١ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ،ص ٣٧ -إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباى ،ص ٨٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ص ٧٣٥ .

(٤) الشراشيف : هي من الشرافات ،وهي من الزخارف الساسانية المعمارية التي انتقلت إلى الفن الإسلامي ،وهي معروفة منذ العصور القديمة في فارس والعراق واواسط آسيا ،وجوانب بعض هذه الأسنان رأسية ، وتأتي أما مسننه أو مدببة . (فريد شافعي : العمارة العربية ص ٤٢٠).

وقنطرتان وله منزلان ، وفم يستقى منه الماء ،وإرتفاع الصهريج ستة أذرع ، وعملت قناة كبيرة آتية من خارج المسجد متصلة بالصهريج ،وللقناة مصفاة من خارج المسجد يجتمع فيها الماء ،ويجرى صافياً منها في القناة إلى الصهريج المذكور مما يتحصل من مياه السيول . وبنيت المصطبة التي وسط المسجد ،وعمل لها أربعة أكتاف ، يعلو الأكتاف أربعة بباساتل (١) فوقها سقف برسم الظل وبيضت جميع قناطر البوائك التي هي علو القناطر والمقالي ، وبرق جميع سقف المصطبة ،وتم تمهيد جميع أرض المسجد وإصلاحها وتسويتها ،وعملت له أبواب خشب ،ورممت مئذنته ،وبيضت باطناً وظاهراً .(٢)

مسجد جبل الرحمة :

وفي سنة ٧٩٩ هـ أمر السلطان الظاهر برقوق ببناء مسجد على جبل الرحمة من جبال عرفة ،وجدد القبة ،وبنى خزاناً كبيراً للمياه .(٣)

---

(١) البساتل : هي قضبان حديدية توضع على الأكتاف لحمل الأسقف . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٩٧ ،حاشية ٢) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٣٩٦ - القطبي : الإعلام ،ص ١٠١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٠٤ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٠٦ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ص ٦٨٤ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٤ .

هـ- مساجد المدينة المنورة :

مسجد قباء :

مسجد قباء من المساجد الأثرية التي ذكرها الله في كتابه العزيز ،وهو أول مسجد أسس على التقوى ،وقال رسول الله ،صلى الله عليه وسلم : (من توضأ فأسبغ الوضوء ،وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة)[١] . وقال رسول الله ،صلى الله عليه وسلم :(والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي إلى بيت المقدس مرتين ،ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل) . ومسجد قباء هو أول مسجد أقامه الرسول ،صلى الله عليه وسلم[٢] . وأصله مربد لكلثوم بن الهدم[٣] ، وقد أسسه الرسول ،صلى الله عليه وسلم لبني عمرو بن عوف وأقام عندهم يوم الإثنين ،ويوم الثلاثاء ،ويوم الأربعاء ،ويوم الخميس . والمسقط الأصلي عبارة عن أرض مربعة الشكل

---

(١) الترمذي : الجامع الصحيح ،ج٢ ، ص١٤٦ .

(٢) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، ج١ ، ص ٤٢ -
المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،ص ٤٦-٤٧
المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،ص ٣٦ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ،ص ١٦٧ .

(٣) كلثوم بن الهدم : بكسر الهاء وسكون الدال ابن امرئ القيس الأنصاري الأوسي ،وهو أول من مات من أصحاب رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، بالمدينة المنورة . (ابن حجر : الإصابة في تميز الصحابة ، ج ٣ ،ص ٣٠٥) .

أحيطتبسور من الحجر ،أخذ من الحرة المجاورة ، وفي بداية إنشائه لم يكن به أروقة مغطاة بسبب عدم مكوث رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،به سوى أيام قليلة تسمح له بعمل سقيفة ،إلا أن السمهورى ذكر بأن المسجد كان له صفة من سبعة أساطين ،ويرجح أن تكون رواقاً واحداً ،وقد زيد في عهد عثمان إبن عفان ،ثم وسع في عهد عمر بن عبد العزيز عند ولايته على المدينة المنورة في عهد الوليد بن عبد الملك ،ثم بناه الوزير جمال الدين الأصفهاني سنة ٥٥٥ هـ.(١)

وقد وصف لنا السمهورى المسجد في القرن التاسع الهجرى بأنه كان يتكون من ثلاث صفوف جهة القبلة بكل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ،وجهة الشمال صفان بكل صف سبعة أساطين ،وفيما يلي الرحبة(٢) من المغرب أسطوانتان . هذا وقد توالى الإهتمام بالمسجد في العصر المملوكي :

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ،ص٣٧٩ - ٣٨٠ - المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،ص٤٧ - ٤٨ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،ص٣٦ - ٣٧ - السمهورى : وفاء الوفا ،ج٣ ،ص٨٠٨ - العياشي : المدينة بين ماضيها وحاضرها ،ص ٢٥٠ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٦٣ - ١٦٥ - الشريف أحمد البرادعي : المدينة المنورة عبرالتاريخ الإسلامي ،ص٢٣ - ٢٤- سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور، ج١ ،ص١٥٣.

(٢) الرحبة : حوش أو غرفة كبيرة . (صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٦٦).

ففي سنة ٦٧١ هـ جدد المسجد ،ولكن لا نعرف من جدده ،ربما يكون الذى جدده السلطان الظاهر بيبرس[١] .

وقد أشار إليه إبـن بطوطـة سنة ٧٢٥ هـ فوصفه بأنه مربع الشكـل وأن له مأذنة بيضاء ،وفي وسطه مبرك الناقة ،ويوجد بالجهة القبلية محـراب على مصطبة في الموضع الذى ركـع فيه رسول الله ،صلى الله عليه وسلم[٢] .

وفي سنة ٧٣٣ هـ جدده السلطان الناصر محمد بن قلاوون سلطـان مصر[٣] .

وفي سنة ٨٤٠ هـ جدد غالب سقفه السلطان الأشرف برسباى على يد أبي القاسم المحلي[٤] ،وقد أعيد بناء الأسقف عندما سقطت المئذنـة سنة ٨٧٧ هـ ،فأجريت الإصلاحات سنة ٨٨١هـ في السقف ، وفي السور الخارجي

---

(١) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨١٠ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٦٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ،ص ٨٦ .

(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨١٠ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٦٦ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٥٣ .

(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨١٠ - سعاد ماهر : العمـارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٥٣ .

الغربي من جهة المئذنة حتى الباب الغربي ،وعملت المئذنة مربعة المسقط ٩ × ٩ أذرع حوالي ٤٫٥٠ × ٤٫٥٠ أمتار،ولها باب في حائطها القبلي ، وتنتهي بقبة إرتفاعها من سطح الأرض حتى نهايتها ٦١ ذراعاً حوالى ٣٠٫٥٠ متراً ،ويمكن تشبيهها بتلك المئذنة المجددة في عهد قايتباى بالركن الجنوبي الشرقي من الحرم النبوى ،وقد سدت النوافذ الثلاث مما يلي المئذنة في الحائط الغربي ،وكذلك نافذة واحدة بجوار المئذنة بالحائط الشمالي . كل هذه الإصلاحات تمت في عهد السلطان المملوكي الأشرف قايتباى على يد عامله شمس الدين بن الزمن[١] .

مسجد الفتح :

يقع على منحدر من جبل سلع[٢] شمال غرب المدينة المنورة ،وفي غربيه وادى بطحان[٣] ،ويسمى أيضاً مسجد الأحزاب ،ويقال إن

---

(١) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨١١-٨١٢ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ورقة ٩١٧ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٥٣ - عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ،ص ٨٦- صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٦٧ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٤ .

(٢) سلع : جبل عظيم شامخ في شمال المدينة ،وحجارته سوداء ،وفي سفحه الغربي كهف بني حرام . (عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ،ص ٢٠٣) .

(٣) بطحان : بفتح أوله وسكون ثانيه وادى بالمدينة المنورة ،وأحد أوديتها الثلاثة ،وهي العقيق وبطحان ،وقناه . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ،ص ٤٤٦) .

النبي،صلى الله عليه وسلم ، دعا على الأحزاب يوم الخندق بمسجد الفتح يوم الإثنين والثلاثاء ،والأربعاء ،فأستجيب له يوم الأربعاء فعرف البشر في وجهه.[1] ويصعد إلى هذا المسجد من درجتين طويلتين إحديهما شمالية ، والأخرى شرقية ،وكان فيه ثلاث أسطوانات قبل بناء عمر بن عبد العزيز ،فتهدم على مر السنين ،فعمره سنة ٥٧٥هـ الأمير سيف الدين بن الحسن بن أبي الهيجاء ،أحد وزراء الخلفاء الفاطميين بمصر ، وجعل له رواقاً واحداً ذا ثلاثة عقود وقباب ،وأسفل مسجد الفتح مسجدان ،عند قبلته مسجد سليمان الفارسي ، ومسجد علي بن أبي طالب ،وقد جدد مسجد الفتح مرة أخرى على يد أمير المدينة زين الدين ضيغم بن خشرم[2] سنة ٨٧٦هـ.[3]

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ،ص ٣٨٠ - أخبار مدينة الرسول ،صلى الله عليه وسلم ،ص ١١٤ -المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٣٩ - ١٤٠ -السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج ١ ،ص ٧٠ - السمهودي : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨٣٠ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار ،ص ١٧٨ - ١٧٩ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ،ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) ضيغم بن خشرم بن ثابت بن نعير الحسني من بني المهنا من بني الحسن ،تولى إمارة المدينة المنورة سنة ٨٦٩هـ لمدة أربعة أشهر ،ثم انفصل عنها ،ثم أعيد سنة ٨٧٤هـ واستمر إلى سنة ٨٨٣ هـ .
(السخاوي : الضوء اللامع ،ج ٤ ،ص ٢) .

(٣) العياشي : المدينة بين ماضيها وحاضرها ،ص ٥٢٤ - عبد السلام حافظ : المدينة المنورة عبر التاريخ ،ص ٧٨ -محمود الشرقاوي : المدينة المنورة ، ص ٦٨ .

مسجد المصلَّى :

يقع جنوب غرب المناخه على مسافة قريبة من المسجد النبوى بحوالي ألف ذراع أى ٥٠٠ متراً ،وهي آخر المواضع التي صلى بها الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، صلاة العيد سنة ٢ هـ . ويعرف بمسجد الغمامة ،لحديث رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، عن أنس رضي الله عنه قال إن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلَّى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر تكبيرة واحدة إفتتح بها الصلاة وقال هذا مجمعنا و مستمطرنا ومدعانا لعيدنا و لفطرنا وأضحانا .(١)

وقد عمره السلطان الناصر حسن بن قلاوون سنة ٧٤٨ هـ ،ووجد على بابه منقوشاً على الحجر هذه العبارة :" أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي بعد خرابه وذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى ،وذلك في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحي ".(٢) كما رممه

----

(١) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، ج ١ ، ص ١٣٥ - السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٧٩٢ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ،ص ١٨٢ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٧٠ - صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٣٥ - محمود الشرقاوى : المدينة المنورة ،ص ٢٧٣ -٢٧٤ .

(٢) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٧٨٦ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ورقة ٩٠٨ - ٩٠٩ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ،ص ١٧٢ .

الأمير بردبك المعمار التاجي سنة ٨٦١ هـ في دولة الأشرف إينال ، وذلك بأن أحدث سقفا خارج المسجد يجلس فيه المبلغون ، ومدرجاً خارجه على يمنة الداخل من بابه ، ليقوم عليه الخطيب ، ثم تحولت بعد ذلك إلى حلقة علم يحضرها الأعيان والأهالي.(١)

مسجد القبلتين :

يقع في الشمال الغربي للمدينة المنورة بثلاثة كيلو مترات و نصف من المسجد النبوي ، كما يقع في الغرب من منطقة المساجد ، يفصل بينهما الحرة . ويقوم هذا المسجد على رابية على شفير وادي العقيق(٢) الصغير. وسمي بمسجد القبلتين لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمر من الله وهو

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٧٠ - السمهودي : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٧٨٦ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ، ج ١ ، ص ١٧٣ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ١٣٥ - ١٣٦ - محمود الشرقاوي : المدينة المنورة ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٢٣ .

(٢) العقيق : وهو يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير ، إلى قصر المراجل إلى أن ينتهي إلى البقيع ، وبه عيون ونخل . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٣٩) .

يصلى به أن يستقبل الكعبة بدلاً من بيت المقدس [1] . قال تعالـــى :
﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [2] . وقـــد جدده السلطان المملوكي قايتباى سنة ٨٩٣ هـ على يد شيخ خدام الحرم النبوى الشجاعي شاهين الجمالي الذى قام ببناء سقف على جداره لأنه كـان بدون سقف. [3]

مسجد بني قريظـة :

يقع شرقي مسجد الفضيح المشتهر بمسجد الشمس بالقرب مـــن الحرة الشرقية على باب حديقة تعرف بحاجـزة وقف للفقراء بين أبيات خراب،

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ،ص ٣٨١ - أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٥ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٦٢.

(٢) سورة البقرة : آية ١٤٤.

(٣) المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،ص ١٤٢- سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٦٣ - العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ،ص ٦٨ - ٦٩ - عبدالقدوس الانصارى : آثار المدينةالمنورة ،ص ١٣٣ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة ،ص ١٩٩ - محمود الشرقاوى : المدينة المنورة ، ص ٢٦٥.

وهي بعض دور بني قريظة شمال باب الحديقة . وهو بعيد من المدينة ، وقريب من بئر رومة ، يقع بالعوالي ، طوله نحو عشرين ذراعاً ، وعرضه كذلك ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة . وقد كان مبنياً على شكل مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع ، ومشربة أم إبراهيم إبن النبي ، صلى الله عليه وسلم .(١) وبقيت آثاره إلى العشر الأول بعد السبعمائة ، فجدد وبنى حظير بمقدار نصف قامة ، وقد قام السمهودى بقياسه من القبلة إلى الشام أربعة وأربعين ذراعاً ، وقد جدد بناءه الشجاعي شاهين الجمالي شيخ خدام المسجد النبوى سنة ٨٩٣هـ.(٢)

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨٢ - أخبار مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ص ١١٦ - المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٨ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٣٧ - ١٣٨ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ١٧٢ .

(٢) المطرى : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، ص ٤٨ - ٤٩ - المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، ص ١٣٨ - السمهودى : وفاء الوفا ، ج ٣ ، ص ٨٢٥ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٩٣٥ - محمود الشرقاوى : المدينة المنورة ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

مسجد السقيا :

وهي سقيا سعد بن أبي وقاص نسبة إلى بئر كانت بحَرَّة المدينة الغربية ،وكان رسول الله ،صلى الله عليه وسلم يستقي منها . وقد صلى رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،بالسقيا حين عرض جيش غزوة بدر ،ودعا لأهل المدينة أن يبارك الله في صاعهم ومدهم ،فقد روى عن النبي ،صلى الله عليه وسلم ، قال : (اللهم إنهم حفاة فأحملهم ،وعراة فأكسهم ،وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك)(٢) وهي مورد في طريق الحجاج وبها عين ماء جارية عذبة ،هذا بالإضافة إلى وجود أكثر من عشرة آبار ،وحول العين الكثير من الزرع والنخل ،وقد انقطعت ثم عادت سنة ٢٤٣ هـ ،ثم أنقطعت سنة ٢٥٣ هـ(٣) . ولم يكن المسجد معروفاً ،بل كانوا يترددون على البئر ، وذلك بسبب تهدمه وإندثاره . وقد قام الشيخ السمهورى ببعض أعمال التنقيب عن هذا المسجد في القرن التاسع الهجرى ،ووجد آثاره التى ترجع إلى زمن عمر بن عبد العزيز (سنة ٨٧ هـ - ٩٣ هـ) ،كما ظهر محراب المسجد وتربيعه وبناء ه بالحجارة ،وقد بقي منه في الأرض أزيد من نصف ذراع ،وشكله مربع ،

(١) موضع علامة الحاشية الأولى في السطر الثالث: (١)

---

(١) الفيروزآبادى : المغانم المطابة ،ص ١٧٩ - ١٨٠ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار ،ص ١٨٧ - العياشي : المدينة بين ماضيها وحاضرها ،ص ١٩١ .
(٢) كتاب الجهاد ،باب نقل السرية ،تحقيق محي الدين عبد الحميد ج ٣ ،ص ٧٩ .
(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ١٠١٥ - ١٠١٦ .

ومساحته نحو سبعة أذرع ،وقد قام السمهوري بعمارته على حسابه الخاص.(١)

مسجد زباب :

ويعرف بمسجد الراية ،وهو بالجبل الصغير الأسود الذى يواجهك حينما تهبط من ثنية الوداع قاصداً جبل أحد على يسار طريق أحد ،بشمال المدينة المنورة ،ويقال إن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،ضرب قبة على زباب في غزوة الخندق(٢) ،وهو مبنى بالحجارة المطابقة(٣) في القرن الثامن الهجرى ،وقد تهدم مع مرور الزمن ،فبناه الأمير جانبك النوروزى(٤) سنة ٨٤٥ هـ أو سنة ٨٤٦ هـ ،وقبته مجوفة متقنة ،طوله ٤ أمتار ،وكذلك عرضه ،وارتفاعه ٦ أمتار.(٥)

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ١ ،ص ٦٨ - السمهورى : وفاء الوفا ، ج ٣ ،ص ٨٤٥ - عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ، ص ١٣٦ - صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ، ص ٢٠٩.

(٢) أحمد العباسي : عمدة الأخبار ،ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) الحجارة المطابقة : هي الحجارة المصقولة من الجوانب والأمام التي ينطبق بعضها فوق بعض في صفوف منتظمة.

(٤) جانبك النوروزى : نائب دمشق وبعلبك ،صار خاصكياً ثم أمير عشرة في عهد الظاهر جقمق ،أرسله للمدينة المنورة لقمع المفسدين ،فأقام هناك سنين ،وحمدت سيرته ،وتوفى في صفر سنة ٨٦٥ هـ.
(السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٦١).

(٥) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨٤٥ - عبد القدوس الأنصارى : آثار المدينة المنورة ،ص ١٢٨ - ١٢٩.

مسجد الشجرة :

يعرف بمسجد ذى الحليفة ،ويعرف الآن ببئر على ،وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى مكة يصلى تحت شجرة مثمرة ،ولذلك عرف بإسم مسجد الشجرة . وقد جدد في عهد عمر بن عبد العزيز ،ثم تدهورت حالته ،ولم يبق منه إلا بعض الجدران ،وحجارة متراكمة . وفي سنة ٨٦١ هـ ، قام بتجديده زين الدين (١) الأستادار (٢) أثناء إقامته بالمدينة المنورة ، فجدد حوائطه على أساسه القديم ،وجعل له ثلاث درجات في الشرق والغرب والشمال ،وعمل له محراباً في حائط القبلة حيث لم يوجد أثر للمحراب لإنهدامه وإندثاره ،وكان المسجد مربعاً بمساحة ٥٢ × ٥٢ ذراعاً . ولعل عمل ثلاث درجات في المسجد بسبب الأعداد الكبيرة التي تقيم الصلاة فيه ،نظراً لأنه ميقات أهل المدينة المنورة . ولم يكن للمسجد سقف بعد تجديده على يد

---

(١) زين الدين بن عبد الرزاق المعروف بالأشقر ،شغل وظائف ديوان ناظر الإسطبل السلطاني ،ومحتسب القاهرة ،وأستادار عزل وأرسل إلى المدينة المنورة سنة ٨٦٠هـ ،ولكنه عاد إلى مصر في أوائل سنة ٨٦١ هـ ،وتوفى سنة ٨٧٤ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ،ج ١٠ ،ص ٢٣٢- ٢٣٣) .

(٢) الأستادار : هو الذى يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير وصرفه وتنفذ فيه أوامره . (المقريزى : السلوك ،ج ١/١ ، ص ١١٥ ، - القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٤ ،ص ٢٠ ،ج ٥ ،ص ٤٥٧) .

زين الدين الأستادار[1] . كما أقام سلماً داخلياً على البئر الواقعة إلى جواره حتى يتمكن الحجيج من التطهر والإحرام.[2]

مسجد الجمعة :

يقع مسجد الجمعة في الشمال من مسجد قباء بنصف كيلو متر إلى المدينة المنورة ،وهوعلى يسار الذاهب من المدينة إلى قباء و يبعد عن المسجد النبوى من الجهة الجنوبية الغربية بنحو كيلومترين و نصف وهو من المساجد المأثورة ،وسمي بذلك لأن رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،صلى به أول جمعة في بني سالم ،وفيه أول خطبة[3] ،وهو في طريقه من قباء إلى المدينة المنورة سنة ١ هـ[4] ،ويشبه المسجد النبوى في طريقة بنائه ،حيث بني بالحجر والطوب اللبن ،وسقفه جهة القبلة محمول على أعمدة من خشب النخيل ، وفي نهاية القرن التاسع الهجرى تهدم المبنى ،وهو عبارة عن مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب عشرون ذراعاً ،وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٦٫٥٠ ذراعاً ، ويتكون من رواق بسقف مستو من خشب ،ينفتح من الجهة الشمالية

---

(١) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ، ص ١٤٠٠ - أحمد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، ص ٢١٢-٢١٣- صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ورقة ١١٠٧.

(٣) السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ١ ،ص ٦٧.

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ،ج ٢ ، ص ٤٩٤.

على رحبة عن طريق عقدين بينهما أسطوان [١] ،ثم تهدم السقف بعد ذلك ، فعمره الخواجا التاجر شمس الدين فادان [٢] .

مسجد علي بن أبي طالب :

يقع جنوب شرق مسجد سلمان الفارسي . وهو مصلى المسلمين خلال معركة الأحزاب ،ويقال إنه مصلى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ،وأول من جدده عمر بن عبد العزيز ،ثم تهدم ودثر حتى صار بعض الحجاج يدفن به موتاهم زمن الموسم ،ثم جدده أبو الهيجاء سنة ٥٧٧ هـ .

وفي عهد السلطان الأشرف قايتباى جدده الأمير زين الدين بن ضيغم بن خشرم المنصورى سنة ٨٨١ هـ ،وجعل له سقفاً من الخشب ،وفتح الواجهة الشمالية للرواق على الرحبة أمامه عن طريق عقدين في الغالب ، حيث جعل له أسطوانة واحدة ،وطوله من الشمال إلى الجنوب ثلاثة عشر ذراعاً ، ومن الشرق إلى الغرب ستة عشر ذراعاً . وفي سنة ٩٠٢ هـ عملت به بعض الإصلاحات [٣] .

---

(١) أحمد العباس : عمدة الأخبار ،ص ١٧٠ - العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ،ص ١٠٣ - ١٠٤ - سعاد ماهر : العمارة الإسلامية على مر العصور ،ج ١ ،ص ١٦٦ - عبد القدوس الأنصارى : أثار المدينة المنورة ،ص ٨٨ .

(٢) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٨٢١ - صالح لمعى مصطفى :المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٣ ،ص ٧٧٥ - صالح لمعى مصطفى :المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٩٤ - ١٩٥ .

مسجد عمر بن الخطاب :

يقع في قبلة مسجد المصلى في سوق المناخة على رابية مرتفعة من وادى بطحان في موضع كان مكاناً لطبخ الآجر ،وله منارة ،وقام شمس الدين محمد السلاوى بعد سنة ٨٥٠ هـ بتجديده وعمارته.(١)

مسجد جدة :

يذكر إبن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محدق ،وذكر أن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب ،وأن أحدهما يسمى مسجد الأبنوس لساريتين فيه من خشب الأبنوس ،والآخر يسمى الجامع القديم أو العتيق ،وهو أول مسجد بني في جدة.(٢)

وقد عمر الجامع العتيق الملك المُظَفَّر شمس الدين عمر بن رسول ،صاحب اليمن (سنة ٦٤٧هـ - ٦٩٤ هـ) . ووجد إسمه مكتوباً عليه في قبة الصهريج الذى به مياه عذبة.(٣)

وفي سنة ٨٣٠ هـ أرسل السلطان الأشرف برسباى ،سعد الدين إبن المرة ،لتعمير جامع جدة وعين له خطيباً للجمعة ومؤذناً ومكبراً ،

---

(١) صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ١٥١ .

(٢) رحلة ابن جبير ،ص ٦٨ .

(٣) ابن فرج : السلاح والعدة ،تحقيق عمر الزيلعي ،ص ٥١ - ٥٢ .

وفراشاً . وجدد المأذنة ،وجعل نفقة هؤلاء الموظفين على المراكب الواردة إلى جدة ،كما أقام إماماً حنفياً به ،وبنى به ميضأة.(١)

وفي سنة ٩١١ هـ عمر هذا الجامع الأمير حسين الكردى من قبل السلطان قانصوه الغورى .(٢)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٦٣٧-٦٣٨-
على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٤ .

(٢) ابن فرج : السلاح والعدة ،ص ٥٥ .

٢ - المـــــدارس

تعتبر مكة المكرمة أول مركز علمي إسلامي لكونها مهبط الوحـــي ، وإنبعاث نور الهداية الذى أمرنا بالعلم في قوله تعالى : ﴿ إِقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(١) . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،يعلم أوائـل المسلمين تعاليم الدين الحنيف في دار الأرقم بن الأرقـم ، الذى يعتبـر أول مدرسة علمية في الإسلام. وبعد هجرة الرسول ،صلى الله عليه وسلـم ، إلى المدينة المنورة أصبح مسجده ثاني مدرسة لنشر العلم ،وهكذا اكتسبت مكة المكرمة والمدينة المنورة بجانب مكانتهما الدينية مكانتهما العلمية منذ صدر الإسلام .

وبفضل تدفق الحجاج إليهما من جميع أنحاء العالم الإسلامي للحـج والزيارة ،وما كان يصاحب ذلك من إجتماع علماء المسلمين وعقد الحلقـات العلمية في الحرمين الشريفين ،وفي المدارس التي أنشئت بشكلها النظامـي المعروف فيما بعد في مكة المكرمة والمدينة المنورة أصبحت المدينتان من أكبر المراكز العلمية في العالم الإسلامي .(٢)

---

(١) سورة الفلق : آية ١ .

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ،ص ٣٨ - عمر الفاروق السيد رجب : الحج والزيارة إلى مكة والمدينة ،مجلة الفيصل ،العدد الثامن عشر ،ذو الحجة ١٣٩٨هـ - نوفمبر ١٩٧٨م،ص ٢٦ - ابن فهد : إتحاف الـــورى ، ج ٤ ،ص ٦١ - ٦٢ .

فبالإضافة إلى الدروس العلمية التي كانت تلقى في الحرمين الشريفين ، فقد أنشىء في المدينتين المقدستين عدد من المدارس منذ أن انتشر إنشاء المدارس بطابعها النظامي المعروف في العالم الإسلامي خلال القرن السادس الهجرى.(١) وكان النظام في المدارس يسير على النهج الذى يراه المتبرع بإنشاء المدرسة ،فكان يقرر ما يراه للتدريس بها ،ويعين المدرسين والطلبة بها وفقاً لأحد المذاهب الأربعة ،كما كان يختار العلوم التي تدرس بها ، إلا أن التعليم في هذه المدارس كان مقتصراً على العلوم الدينية في تفسير القرآن وعلوم القراءات ،والفقه وأصوله ،والحديث وعلومه ،واللغة العربية بصرفها ونحوها ،وعلوم البلاغة والفلك والحساب.(٢)

ولم تكن المدارس بشكلها النظامي منذ أن انتشر إنشاؤها في العالم الإسلامي مجرد دور علم وأمكنة للعبادة ،بل كانت تؤدى أيضاً وظيفة إجتماعية هامة في المجتمعات الإسلامية فقد كانت بالإضافة إلى صفتها العلمية والتعبدية ملاجىء للمرتادين والمعوزين . فقد كان يجد بها المعلم والمتعلم

---

(١) عن نشأة المدرسة في الدولة السلجوقية في منتصف القرن الخامس الهجرى ، وعن إنتشارها في العالم الإسلامي عامة ،وفي الحجاز خاصة في عهد صلاح الدين الأيوبي . أنظر حسن الباشا : دراسات في الحضارة الإسلامية ،القاهرة ١٩٧٥م ، ص١٠٤-١٠٩.

(٢) ابن فهد : إتحاف الـورى ، ج ٤ ،ص ٦٣-٦٤.

والعابد والمرتاد والمعوز والمنقطع الغذاء العلمي والروحي والمادى والمأوى ،وذلك فيما كان يلقى بها من دروس علمية ،وما كانت تقدمه من رواتب نقدية وعينيه للمدرسين وللطلبة وبقية العاملين بها ،وما كانت تقدمه للمعوزين والمنقطعين من مأوى وزاد بفضل ما كان يخصصه لها منشوؤها من أوقاف توقف عليها ليضمن ريعها استمرار هذه المدارس في أداء رسالتها العلمية والإجتماعية (١). كما كانت هذه المدارس تخصص لإستقبال ضيوف أمير مكة ولإقامة أمراء الحج فترة الموسم ،وكذلك السلاطين وقت قدومهم لاداء فريضة الحج. (٢)

هذا وقد أزدهرت الحياة العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي ،وذلك بفضل ما تحقق لهما من مكانة سياسية وإجتماعية وإقتصادية في ظل سيادة الدولة المملوكية التي أصبحت في نظر عامة المسلمين سلطنة الإسلام بعد إنتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة ،وبعد ما تحقق من إنتصارات كبرى للمماليك على الصليبيين والمغول. وقد حفل العصر المملوكي بإنشاء الكثير من المدارس في مكة المكرمة ،والمدينة المنورة ،ولم يقتصر الأمر في إنشائها على سلاطين المماليك فحسب ،بل أسهم في إنشائها أيضاً أمراء المماليك ،وسلاطين المسلمين وأثرياؤهم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ،بل ومن سراة المدينتين المقدستين والمقيمين بهما. (٣)

---

(١) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ،ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة ، ص ١٣٩ ومابعدها.

(٣) محمد التهامي : الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ،ص ٩١.

وقد حفلت المصادر المملوكية عامة ،والحجازية خاصة ،بذكر الكثير من المدارس التي أُنشئت في مكة المكرمة والمدينة المنورة في العصر المملوكي . وفيما يلي عرض لهذه المدارس في كل من المدينتين المقدستين في ذلك العصر:

أ - مدارس مكة المكرمة :

المدرسة الأرغونية :

وهي بدار المعجلة بالجانب الشامي على يمين الخارج من المسجد الحرام بالباب المعروف بباب العجلة ، بناها الأمير أرغون الدوادار أحد مماليك السلطان المنصور قلاوون ،وكان له ميل بالمذهب الحنفي (١) ،فأقبل على دراسته ومهر فيه إلى أن صار يعد من أهل الإفتاء . وكان أول من درس بالمدرسة الأرغونية يوسف بن الحسن الحنفي المكي (٢) ،وفي أيام الفاسي كانت المدرسة تحت أولاد راجح بن أبي نمي سنة ٨٣٢ هـ ، وقيل إن بناء لهذه المدرسة كان قبل سنة ٧٢٠ هـ. (٣)

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٦٦ - ٦٧.

(٢) يوسف بن الحسن بن علي بن يوسف بن أبي بكر المكي الحنفي : يلقب بالجمال بن البدر بن التاج ،حدث وأفتى ودرس ،وله تآليف في العروض ،ودرس بمدرسة الأمير أرغون لمدة سنتين ،وناب عن عمه الشهاب الحنفي بمقام الحنفية ،وتوفى سنة ٧٦١ هـ .
(الفاسي : العقد الثمين ،ج ٧ ،ص ٤٨٤ - ٤٨٥)

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٢٨- العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١١٧- ١١٨ -عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ،ص ٦٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٢٢٥.

المدرسة المجاهدية :

أمر الملك المجاهد سلطان اليمن سنة ٧٤٠ هـ أن تبنى بإسمه مدرسة بالجانب الجنوبي من الحرم المكي الشريف ،بجوار باب الرحمة أحد أبواب بني مخزوم والذى أصبح يقال له باب المجاهدية . وقد أوقفها الملك المجاهد على الفقهاء الشافعية ،ورتب بها إماماً ومؤذناً وقيّماً ومعلماً ومدرساً وأيتاماً وطلبة . وكان المصّلي يصلي بها وهو يشاهد البيت الحرام. وجعل للمدرسة أوقافاً من أملاكه الخاصة ،وجعل الأوقاف في ثلاثة مواضع من وادى زبيد زيادة في الحرص على توفير الأموال سنويا للمدرسة ،فكان جزء من الأوقاف في أعلى وادى زبيد ،وجزء في أسفله ،وجزء في أواسطه حتى إذا لم تغل الأوقاف في جهة معينة تصبح غلال الجهة الأخرى مورداً للمدرسة تستعين به على تيسير أمورها ذلك العام (١) . وقد درّس بها عدد من العلماء ،منهم القاضي جمال الدين محمدبن ظهيرة المخزومي الذى توفى سنة ٨١٧هـ ،وقد ولي التدريس بها سبعة عشر عاماً (٢) . وفي أيامه تنازل

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٢٨ - العقد الثمين ،ج ٢ ،ص ٥٧- الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج ٢ ،ص ٦٨ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٢١٧- ٢١٨- ابن الديبع : بغية المستفيد ،ص ٩٢-٩٣ -ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٢١٩- يحيى بن الحسين : غاية الأماني ،ج ١ ،ص ٥١٣ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ١٧٠ .

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ،ص ٦٤ - ٦٥ .

عن التدريس فيها لولده أحمد بن محمد بن ظهيرة قاضي مكة وفقيهها ، وكان واسع الإطلاع ، حفظ الألفية في النحو والمنهاج للنووى ، وحضر دروساً في الأصول والمعاني والبيان والمنطق عند الشيخ حسام الدين الأبيوردى بمكة. ودرس بها أيضاً القاضي أحمد بن محمد العقيلي الملقب بمحب الدين النويرى (١)، وممن عمل معيدين بها أحمد بن إبراهيم الشافعي (٢)، وعلي بن سالم الزبيدى (٣)، وشقيقه عبداللطيف (٤).

---

(١) أحمد بن محمد العقيلي : الملقب بمحب الدين النويرى ، ولد سنة ٧٥٢ هـ ، درس وأفتى بالحرمين ، وناب عن أبيه في الحكم والخطابة بمكة ، ثم بالمدينة ، ودرس بالمجاهدية ، وتوفى في رجب سنة ٧٩٩ هـ بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ١٢٣- ١٢٤-١٢٥).

(٢) أحمد بن ابراهيم الشافعي الطبرى ، ولد في محرم سنة ٦٨٦ هـ ناب في قضاء مكة عن ابن أخته شهاب الدين الطبرى ، وعمل معيداً بالمدرسة المجاهدية بمكة ، وتوفى سنة ٧٥٠ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٩ - ١٠).

(٣) علي بن أحمد المعروف بابن سالم الزبيدى : ولد بزبيد ونشأ بها ثم رحل إلى مكة ، وسمع عن علمائها ، وكان بصيراً بالفقه والعربية والعروض والفرائض والحساب ، أعاد بالمدرسة المجاهدية ، وتوفى سنة ٨١٨ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٦ ، ص ١٣٤ - ١٣٥).

(٤) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٦٥ .

المدرسة الأفضلية :

أمر بإنشائها الملك الأفضل بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، وتقع بالجانب الشرقي من الحرم المكي مقابل باب الكعبة ، ورتب بها مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً وقيّماً ، وعشرة من الطلبة ، وأيتاماً يتعلمون القرآن ، وأوقف عليها وقفاً جيداً . بدأ التدريس بها سنة ٧٧٠ هـ على المذهب الشافعي . والمدرسة كانت أصلاً داراً لمالكها قطب الدين بن المكرم المصرى ، وأول من درس بها محمد بن أحمد الهاشمي العقيلي (١) قاضي مكة وخطيبها ، كما درس بها حفيده القاضي عز الدين ، وعبد الرحمن بن الجمال المصرى (٢) .

مدرسة الشريف عجلان :

تقع في الجهة الجنوبية من المسجد ، أنشأها الشريف عجلان سنة ٧٧٢هـ (٣) .

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي الهاشمي : خطيب مكة ، ولد سنة ٧٩٧ هـ وحفظ القرآن ، وعمل في الإفتاء والتدريس ، درس بالمدرسة الأفضلية ، وناب عن أخيه في الخطابة بمكة سنة ٨١٩ هـ ، وتوفى سنة ٨٢٧ هـ ، ودفن بالمعلاة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧-٣٧٨) .

(٢) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٦٦-٦٧ - تحصيل المرام ، ورقة ١٩٢- العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١١٧ - ١١٨- شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٢٨- الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٥٩ - ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ١٠٤ - يحى بن الحسين : غاية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٦٩ - عبد الرحمن صالح عبد الله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٩٦-٩٧ .

(٣) قطب الدين الحنفي : تاريخ القطبي ، ص ٣٤٩ - فوزية مطر : تاريخ عمارة

===

مدرسة الشريف جار الله : (١)

تقع عند دار العجلة شمال المسجد الحرام ،أنشأها سنة ٧٨٩هـ ،وهي ملاصقة للمسجد الحرام ،وقد فتح لها باباً وستة شبابيك . (٢)

المدرسة الغياثية :

كان الحكام المسلمون في الهند غيورين على نشر الإسلام ،كما اهتموا إهتماماً كبيراً بمكة والمدينة ،وأسسوا بها عدة مدارس منها المدرسة الغياثية أو البتغالية ،وتقع بالجانب اليماني من المسجد الحرام ،ومؤسسها الملك المنصور غياث الدين أبو المغازى محمد شاه بن السلطان ناصر الدين أحمد شاه صاحب بنجالة من بلاد الهند (٣) . ففي سنة ٨١٣ هـ أرسل مع خادمه ياقوت الحبشي إثني عشر ألف مثقال ذهباً بإشارة من وزيره خان جهان ،وقد وصل للشريف حسن بن عجلان أمير مكة كتاب منه يرجوه فيه أن

=== المسجد الحرام ، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦هـ ،ص ٣٦٢ .

(١) جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نمَّي الحسني : كان شجاعاً عاقلاً له مكارم ومحاسن ، قتل في معركة مع بني عمه سنة ٧٩٨هـ .
(الفاسي : العقد الثمين ،ج ٣ ،ص ٤٠٥ - ٤٠٦) .

(٢) عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ،ص ٦٨ - فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ،ص ٣٦٢ .

(٣) علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٢٢٦ - عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ،ص ٦٨ - ٦٩ .

يعين خادمه بالقيام والإشراف على تعمير المدرسة والرباط ،واشترى مندوبه دارين متلاصقتين على باب أم هاني ٔ هدمهما وبناهما مدرسة ورباطاً [(١)] ، وأشترى حديقتين بالركاني [(٢)] ،إحداهما تعرف بسلمة ،والأخرى بالحلى . وأما السقية فأربع وجاب من قرار عين ضيعة الركاني إثنتان منها يعرفان بحسين بن منصور ليله ونهاره . وإثنتان يعرفان بحسين بن يحي ليله ونهاره ،وما رضي الشريف حسن بن عجلان في الدارين والحديقتين والأربع وجاب الا باثني عشر ألف مثقال . وجعل الواقف ربع ما يتحصل من ذلك يقسم خمسة أقسام ،قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم ،وثلاثة أقسام للطلبة ، وقسم يقسم ثلاثة أقسام ،قسم يصرف لمصالح المدرسة من الزيت والماء وغير ذلك، والقسمان الآخران من هذا القسم يصرف لسكان المدرسة فيما بينهم بالسوية . وقد أنتهى من عمارتها في شهر ربيع الثاني سنة ٨١٤ هـ ،وجعل بها خلاوى سفلية وعلوية لسكنى جماعة من الفقراء ،وشيخ الصوفية والناظر ،وبنى بها صهريجاً يجتمع فيه الماء من سطح المسجد ،وبيض باطنها ،وابتدأ

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٢٨- العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١١٧- ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٨١ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ١٣٤ .

(٢) الركاني : بوادى مرّ من أعمال مكة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ،ص ٣٢١ بالهامش) .

التدريس بها على المذاهب الأربعة يوم السبت السابع من جمادى الثانية سنة ٨١٤ هـ . أما المدرسون المعينون فهم قضاة مكة الأربعة ،وكان طلابها على المذهب الشافعي عشرين طالباً ،وعلى المذهب الحنفي عشرين طالباً ،وعلى المذهب المالكي عشرة طلاب ،وعلى المذهب الحنبلي عشرة آخرين ، والإيوان الشرقي مخصص لتدريس المذهب الشافعي والحنفي ،والإيوان الغربي لتدريس المذهبين المالكي والحنبلي ،وأول من تولى التدريس بها على المذهب المالكي تقي الدين الفاسي .(١)

المدرسة الكنبائية :

عرفت بإسم المدرسة الكنبائية نسبة إلى كنباية قاعدة إحدى ولايات كجرات ،وهي دولة إسلامية قامت في غرب الهند سنة ٨١٠ هـ . ومؤسس هذه المدرسة أحمد شاه سنة ٨١٣ هـ ،وهي تقع في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام ،وممن درس بها المؤرخ الشهير القطبي ،وعمه النهروالي ،وكان يدرس بها الفقه الحنفي ، ولها وقف في كجرات ترسل غلاله إلى مكة

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٦٦-٦٧ -تحصيل المرام ،ورقة ٩٢ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٢٩ - ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ،ورقة ٣٠-٣٢ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ورقة ٧٢ - ٧٣ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ،ص ٧٠ - ٧١ .

لتنفق على المدرسين والطلبة [١] . وقد أزيلت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى ، وبنى بدلاً منها المدرسة السليمانية [٢] .

المدرسة الباسطية :

بناها خليل بن إبراهيم ناظر الجيش في عهد السلطان الأشرف برسباى ، والملقب بالزيني عبد الباسط عند باب العجلة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام ، وقد أشرف على بنائها أستاذ داره عمر الشامي سنة ٨٣٥ هـ . ويوجد بها خلاوى في غاية الإتقان ، وعمل لها شبابيك تشرف على المسجد الحرام ، وبجانبها سبيل ماء . وكانت المدرسة حتى القرن العاشر الهجرى تحت إشراف آل نجار أئمة المقام الحنفي ، ولها أوقاف بمصر ، إلا أنها أندثرت ، وكان يسكنها الأعيان الوافدون لتأدية فريضة الحج [٣] .

---

(١) عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم بمكة ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) السليمانية : نسبة إلى السلطان سليمان العثماني . (انظر فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٧) .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٨٢ - السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٦٤ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ، ص ٧٢ . - ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ، ورقة ٣٤ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ، ج ١ ، ورقة ٨٤ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ١٤٢ - ١٤٣ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٧٢ .

المدرسة الزمامية :

أنشأها الطواشي خشقدم الزمام [١] سنة ٨٣٥ هـ ،عند دارالعجلة شمال المسجد الحرام وملاصقة له ،وكان يقام فيها إلى جانب الدرس مجلس للصوفية ،يقرأون فيه القرآن بعد صلاة العصر ،وجعل لها صهريجاً يجتمع إليه الماء من المسجد الحرام ، وبها الكثير من الخلاوى لسكنى الفقراء ،وأوقف عليها وقفاً وهو الربع الذى بالمسعى ،ويعرف بربع التوزبرى شاه بندر جدة لتوليه عمارتها ، والناظر على ذلك شمس الدين الشامي وأولاده ،وتولى العمارة بنفسه ،وكانت هذه المدرسة من قبل للشريف جار الله بن حمزه بن راجح بن أبى نمّى الذى بناها سنة ٧٨٩ هـ ثم أعطاها للدولة سنة ٧٩٤هـ [٢].

المدرسة الشرابية :

أنشأها أحد مماليك الخليفة المستنصر العباسي ،ويسمى شرف الدين الشرابي سنة ٦٤١ هـ ،وتقع شرق المسجد الحرام على يمين الداخل للحرم الشريف من باب السلام ،

---

(١) خشقدم بن عبدالله الظاهرى الزمام الطواشي : عتيق الظاهر برقوق ، تولى الخزندارية في دولة الأشرف برسباى ، ثم نقل إلى الزمامية بعد موت كافور الصرغتمش سنة ٨٣٠ هـ ،واستمر زماماً إلى أن توفى سنة ٨٣٩ هـ . (ابن تغرى بردى : الدليل الشافي ،ج ١ ،ص ٢٨٥) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٤٥ - ٤٦ - ٨٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٢٢٦ - وعن مدرسة الشريف جار الله بن حمزة انظر قبل ،ص ٣٨٥

وقد استمرت المدرسة تبذل العطاء للطلبة حتى القرن الحادى عشر الهجرى ، ومما ساعد على إستمرارها طوال العصر المملوكي ما قام به في سنة ٨٥٦ هـ ، الأمير برد بك التاجي ناظر الحرم الشريف من ترميمها وعمارتها ،لدرجة أنها أصبحت على غير حالتها الأولى.(١)

المدرسة العطيفية : ٨٦١ هـ.

عمرتها والدة الناصر محمد بن السلطان قانصوه الغورى سنة ٨٦١هـ بمناسبة أدائها فريضة الحج صحبة ولدها ،وبها قاعة عظيمة ومرافق كثيرة ورواق متسع، ولها شبابيك خمسة مطلة على المسجد الحرام ،ومما يلي المدرسة حاصل كبير به خمس فتحات.(٢)

مدرسة السلطان قايتباى : ٨٨٣ هـ.

كان الأشرف قايتباى سلطانا مهيباً جليلاً خيراً ديناً ،حج حجتين قبل سلطنته ،وحجة أثناء سلطنته (٣). وفي أوائل سلطنته أمر وكيله

---

(١) الفاسي : تحصيل المرام ،ورقة ٦٥ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٢٣٩ - قطب الدين الحنفي : تاريخ القطبي ،ص ١٦٠ - ابن الصباغ : تحصيل المرام ،ورقة ١٥٦ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ،ص ٦١ - ٦٢.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٢٧٩ -الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٤٥ - ٧٤٦ -على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٢٢٧.

(٣) الديار بكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،ج ٢ ،ص ٤٣٤- الشريف الجنابي : البحر الزاخر ،ج ٢ ،ورقة ٩٧.

وتاجره الخواجا شمس الدين ابن الزمن ، وكذلك الأمير سنقر الجمالي الأشرفي ، سنة ٨٧٣ هـ بشراء موضع يشرف على الحرم المكي لبناء رباط ومدرسة يدرس بها علماء المذاهب الأربعة . وقد استبدل الوكيل بعض الأربطة بين باب السلام وباب النبي ، فاشترى رباطي السدرة والمراغي ، ودار الشريفة شمسية إحدى شريفات مكة من بني الحسن بالجانب الشرقي من المسجد الحرام ، واستأجر ميضأة الأشرف شعبان بالمسعى ، وأربعة دكاكين بجانبها ، ثم هدم ذلك كله سنة ٨٨٢ هـ ، وأوائل سنة ٨٨٣ هـ (١) ، وعمّر رباط المراغي وجزءاً من رباط السدرة مدرسة ، والجزء الباقي من رباط السدرة بناه رباطاً (٢) ، واتخذ للمدرسة منفذاً إلى المسجد الحرام سمي بباب قايتباى ، وهو ينفذ من المسجد الحرام إلى شارع المسعى ، وقد كتب على هذا الباب من خارجه مما يلي شارع المسعى بالخط البارز . (لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى) ، وكتب أيضاً بأسفل هذه الكتابة في جوف دائرتين ، إحداهما على يمين الداخل ، والأخرى على يساره ، فكتب داخل الدائرة اليمنى (اللهم انصره نصرا وأعزه) ، وكتب داخل اليسرى (وافتح له فتحا مبينا) ، وكتب على الجدار القائم عليه الباب من الجهة اليمنى (ولم يخش الا الله فعسى اولئك) ومن الجهة اليسرى (أن يكونوا من المهتدين) صدق الله العظيم (أمر بانشاء هذه المدرسة

---

(١) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٤٤ .

(٢) عن رباط قايتباى انظر فيما بعد الفصل الخاص بالأربطة ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

مولانا السلطان الملك المظفر أبو النصر قايتباى).[1]

وهذا الباب مقام على عمودين حجريين ،ويزخرف الباب من أعلاه عقد نصف دائرى يتوسطه شكل مروحة نخيلية ،وتتكرر على المصراعين المزخرفين بعض الكتابات المتقدمة ،وأسفل تلك الطاقية عقد دائرى يحيطه عقدان مدببان ،نشريط من إزار لزخارف نباتية بالنسبة لطاقية المدخل الرئيسي ، بينما في طاقية كل مصراع مستطيلات كحطات المقرنص تزخرف طاقية كل منها وأسفلها عقد دائرى على شكل نعل الفرس يحيطه عقدان مدببان ،ويعلو المدخل الرئيسي أشكال حصينة على شكل صنجات معشقة عددها ستة على عتبة الباب ،وواحدة في كل جانب منه في الدخلة التي تعلو العمودين الحجريين ،والكتابة التي تحمل إسم السلطان في ثلاثة سطور على المستطيل الأوسط بالمصراعين داخل جامة مفصصة تحيطها من أركان المستطيل زخارف نباتية بارزة . وأسفل الباب الرئيسي بمصراعيه ثلاثة مستطيلات ،أسفل كل مصراع مستطيلان متماثلان في الحجم ،لها إطار من جديلة هندسية الشكل مضفرة ،بهما أشكال هندسية تكون أطباقاً نجمية ،في حين أسفل المستطيل الذى يلي الباب الرئيسي نصف عقد دائرى عليه لفظ الجلالة

---

(١) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٥٨ - إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباى ،مجلة العرب ،ج ١ ، ٢ س ١٤ رجب شعبان سنة ١٣٩٩هـ ،حزيران ،تموز ، يونيو ،يوليو سنة ١٩٧٩م ،ص ٩٢ .

وسط زخارف هندسية .[(١)]

وبنى فوق المدرسة منارة سميت بإسمه ، وكانت تعتبر المنارة السادسة من منارات الحرم المكي ، وهي على جدار مدرسته في الجهة الشرقية ، تقع بين باب السلام وباب النبي ، وتتميز بقاعدتها المربعة ، ولم يطرأ عليها التغيير والتبديل ، إلا أنها رممت كثيراً كغيرها من منارات الحرم الشريف .[(٢)]

وكانت المدرسة مبنية بناء محكماً ، إذ جعلها من الرخام الملون ، أما سقفها فكان مذهباً ، وجعل لها مكتباً[(٣)] . ونظم الدراسة بها ، وخصص المرتبات للمدرسين ، ووقف على ذلك عدة دور بمكة ، وبعض القرى والضياع بمصر لتنفق غلاتها على المدرسة ، فكانت تغل كل عام ألفي دينار ذهباً تحمل إلى مكة سنوياً.[(٤)]

---

(١) إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباى ، ص ٩٣ .

(٢) المقال السابق ، ص ٩٣ .

(٣) ابن طولون ، ج ١ ، ص ٣٣ - السنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١٣-١٤ - الطبرى : الأرج المسكى ، ورقة ٢٥ - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٢٨ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ص ٧٣ - إسماعيل أحمد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباى ، ص ٩٣ .

(٤) السنجارى : منائح الكرم ، ج ٢ ، ورقة ١٤ - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٢٩ - محمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ، ص ١٩٦ .

كما أوقف الأشرف قايتباى ربعات للصرف على المدرسين والقــراء ، وتقرأ ربعة كل يوم بحضور القضاة الأربعة والمتصوفين ،وكانت مرتبات الموظفين تدفع ذهباً من ريع أوقفه بزقاق العطارين ،وآخر بمصر ،وكان يتحصل من ريع أوقفه بمكه حوالي ألفي دينار ،بينما كانت تدفع مرتبات الطلبة والفقراء والأيتام من القمح الذى يرسله سنوياً ،ويصنع منه الدشيشة (١) ،كما أوقف على الطلبة خزانة كتب ،وعين لها خازناً ،وقرر له مرتباً ،إلا أن أيدى المستعيرين استولت على الكتب وضيعوا أكثرها ، ولم يبق منها سوى ثلثمائة كتاب قــام القطبي (٢) بصيانتها وتجليد بعضها . وقد قرر الأشرف قايتباى فـي المدرسة أربعين طالباً ورتب لهم ،وقرر لأهل الخلاوى القمح بخلاف المبالغ السنوية من الذهب للمدرسين والمؤذنين وقراء القرآن (٣) . إلا أن المدرسة

---

(١) الطبرى : الأرج المسكي ،ورقة ٣٣ ـ القطبي : تاريخ القطبــي المسمى الإعلام ،ص ١٩٨ .

(٢) قطب الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٨٨ هـ ،وله كتاب الإعلام بأعــلام المسجد الحرام . (فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام) .

(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٧١٦ - ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣ ،ص ٣٢٩ - النهروالي : الإعلام ،ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ـ السنجارى : منائح الكرم ،ج ٢ ،ورقة ١٤ - القطبي : تاريخ القطبي المسمــى الإعلام ،ص ١٩٧ - السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٣٢٩ - محمد رفيع : مكة في القرن الرابع عشر ،ص ١٩٦ - عبد الرحمن صالــح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٧٣ - ٧٤ ـ إسماعيل أحمــد إسماعيل : مدرسة السلطان قايتباى ،ص ٨٨ - ٨٩ .

ما لبثت أن آلت للسقوط بسبب تلاعب المقيمين عليها ، وعدم الإهتمام بها ، فقل متحصل الأوقاف ، وأصبحت نزلاً لأمراء الحج أيام الموسم.(١)

مدرسة الغورى :

أُنشئت سنة ٩٢٢ هـ (٢) ، ولم تذكر المصادر أية معلومات عنها سوى تاريخ إنشائها .

وبالإضافة إلى هذه المدارس التي أُنشئت حول المسجد الحرام ، فهناك بعض الدروس التي قررت في المسجد الحرام في هذا العصر ، ومنها :

١ - درس في الحديث قرره شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدى (٣)

---

(١) النهروالي : الإعلام ، ص ٢٢٦ - البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٩٦ - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩٠١ هـ - إبراهيم طرخان : مصر في عصر المماليك ، ص ٣٢٢ .

(٣) شاه شجاع بن محمد بن مظفر اليزدى : سلطان بلاد فارس ، تملك بعد أبيه سنة ٧٦٠ هـ ، وله الكثير من المآثر منها رباطه بمكة الذى تجاه باب الصفا ، وخزانة كتب موقوفة على الحرم النبوى ، وتوفي سنة ٧٨٧هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٣-٤ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠) .

ملك شيراز الذى اشتهر بحب العلم . وممن تولى تدريسه ،علــــى الـغـــوى (ت ٧٨٢هـ) وكان يأخذ لقاء تدريسه مائتي مثقــــال سنوياً .(١)

٢ - درس قرره بدر الدين الخروبي أحد تجار الكارم بمصر ،وولى تدريسه علي بن محمد الحسيني .(٢)

٣ - درس قرره بشير الجمدار أحد أمراء المماليك بمصر ،وتولى تدريـس هذا الدرس القاضي جمال الدين بن ظهيرة ،ومحب الدين النويرى ، وكانا يتنافسان على تدريسه .(٣)

٤ - درس في الفقه الحنفي قرره يلبغا الخاصكي أحـد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون ،وولي تدريسه محمد الصاغاني الذى باشـر التدريس في شوال سنة ٧٦٣ هـ ،ثم حل محله بعد وفاته إبنه أحمد الصاغاني .(٤)

---

(١) أبو الحسن نور الدين الغـوى : نزيل مكة ، قرأ وسمع كثيراً بدمشق والمدينة المنورة ومكة المشرفة ،ودرس بمكة دروساً في الحديـــث للسلطان شاه شجاع ،وتوفى يوم الثلاثاء جمادى الاولى سنة ٧٨٢ هـ (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ،ص ١٢٩-١٣٠-١٣١).

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ،ص ٢٣٧ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ،ص ٤٠ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج ٢ ،ص ٢٨٤ - عبد الرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ،ص ٤٠ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ،ج ٢ ،ص ٥٦ - ج ٣ ،ص ١٦٨ - عبدالرحمن صالح عبدالله : تاريخ التعليم في مكة ،ص ٤١ .

ب - مدارس المدينة المنورة :

المدرسة الجوبانية :

أنشأها الأمير جوبان أتابك العساكر المغلية سنة ٧٢٤ هـ ،في الناحية القبلية من الحصن العتيق عند باب الرحمة ، وألحق بها تربة لكي يدفن بها ، وهي ملاصقة لجدار المسجد النبوى بين دار الشباك والحصن العتيق ،كما أتخذ بها شباكاً في جدار المسجد . وعندما توفى حمل تابوته مع الحجاج العراقيين إلى المدينة المنورة بأمر السلطان أبي سعيد خربندا ،ثم وقفوا به في عرفة ،ودخلوا مكة وطافوا به حول الكعبة المشرفة ،ثم توجهوا به إلى المدينة المنورة ليدفن هناك في تربته ،فلم يتمكنوا من ذلك لأنهم لم يأخذوا إذناً من سلطان مصر ،فدفن بالبقيع سلخ ربيع الآخر سنة ٧٢٩هـ.(١)

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ،ج ٢ ،ص ٧٩ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ١٨٥ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٩ ،ص ٢٧٣ - السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ،ص ٤٣١ - ٤٣٢ -السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ، ص ٧٠٢ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٦٣٠ -أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ورقة ٨٧٥.

المدرسة الشيرازية :

تنسب أيضاً إلى إبراهيم الرومي الأصل المعروف بالعريان الذى قدم المدينة المنورة ،وأقام بهذه المدرسة أكثر من خمسين سنة ،وله آثار حسنة في المدينة خاصة ترميمه وإصلاحه لهذه المدرسة ،فلولاه لسقطت طباقها ، لأنه أقام أساطينها حتى حملت السقف والرواشين ،وكانت محترمة في أيامه لا يدخلها إلا الفقراء والأبرار ،وقد توفى إبراهيم الرومي بالمدينة المنورة سنة ٧٣٠هـ.(١)

المدرسة الباسطية :

في سنة ٨٤٠ هـ قام عبد الباسط الزيني ،ناظر الجيش في عهد السلطان الأشرف برسباى بشراء دار مطيع ،وكانت بأيدى أويس بن سعد بن أبي السرح ، وهدمها وأقام عليها مدرسة كانت قائمة في مواجهة المدرسة الأشرفية التي بناها فيما بعد السلطان الأشرف قايتباى.(٢)

مدرسة إبن مزهر :

وفي سنة ٨٩٣ هـ قام أبوبكر بن مزهر رئيس ديوان الإنشاء بمصر

---

(١) السخاوى: التحفة اللطيفة ،ج١ ،ص١٥٤ - ١٥٥.

(٢) السخاوى: المصدر السابق ،ج١ ،ص٥١ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ج١ ،ورقة ٨٩٣ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٢٢٩.

بانشاء مدرسة مكتملة البناء في المدينة المنورة جهة باب الرحمة.(١)

المدرسة الأشرفية :

أمر السلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٨٧ هـ ببناء رباط ومدرسة(٢) ما بين باب السلام وباب الرحمة، وفي سنة ٨٨٩ هـ أرسل السلطان قايتباى خزانة كبيرة من الكتب، وجعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم، وأرسل مصاحف كثيرة، كما أوقف قرى بمصر تحمل غلالها إلى المجاورين والطلاب فتفرق عليهم فكانت حصة الفرد سبعة أرادب في العام، وكان بها مشرفان.(٣)

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين، ج ١، ورقة ٨٧٥.

(٢) لمزيد من التفصيل عن مدرسة ورباط قايتباى بالمدينة المنورة انظر الفصل الخاص بالأربطة، ص ٤١٨

(٣) السخاوى : التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٣٠٧ - السمهورى : وفاء الوفا، ج ٢، ص ٦٤٣ - ٦٤٢ - النهروالي : الإعلام، ص ٢٢٨ - الطبرى : الأرج المسكى، ورقة ١٣٢ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ج ١، ورقة ٧١٤ - ٧١٥ - الشريف الجنابي : البحر الزاخر، ج ٢، ورقة ٨٨ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢٨ - عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، ص ٢٥٣.

٣ - الأربطـــة

الرباط أول أمره هو الحصن الذى يقع على حدود الدولة الإسلامية ، أى في أقاليم الثغور ، ويؤهل المرابطون به من المجاهدين عسكرياً ودينيـــاً للجهاد في سبيل الله ، ولحماية بلاد الإسلام . وقد أشتقت كلمة الرباط من قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ ﴾ (١) . ومن قوله تعالى أيضاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾ (٢) . ثم أصبح الربـاط مأوى يقيم فيه المنقطعون للعبادة ، وأصبحت كلمة رباط تطلق على الدور التي يقيم بها الفقراء والمتصوفة ، وشاع إستخدامه على هذا النحو في معظم بلاد العالم الإسلامي. (٣)

وكان أهل مكة حتى بداية القرن الخامس الهجرى يستقبلون الحجـاج في دورهم من غير أجر ، فلما ضعفت الخلافة العباسية ، وقلت الأعطيات التـي كانت ترسل من قبل الخلفاء إليهم ، بدأوا يطلبون أجراً عن سكن الحجاج فـي دورهم ، مما دفع أثرياء المسلمين من تجار وأمراء ووزراء وسلاطين إلى بنـــاء

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٠.

(٢) سورة آل عمران : آية ٢٠٠.

(٣) عن نشأة الرباط وتطوره أنظر صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة وتطورها العمراني ، ص ٢١٦-٢١٧- حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ١٦٩- ١٧٠.

أربطة في مكة ليقيم فيها فقراء الحجاج والفقراء من أهلها [١]. ثم شاع إستعمال الأربطة في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة أيضاً في العصر المملوكي.

أ - الأربطة في مكة المكرمة :

ومن الأربطة التي أنشئت في مكة المكرمة في ذلك العصر، الأربطة الآتية :

رباط العباس :

يقع بالمسعى، وكان في الأصل مطهرة أنشأها الملك المنصور لاجين، ثم جعلها رباطاً الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٩هـ [٢].

رباط الأصبهاني :

أوقف العز إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني [٣] سبط الشيخ

---

(١) عن سكن الحجاج في دور أهل مكة، وعن نشأة الأربطة بها أنظر سليمان مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة، ص ١٢٩- ١٣٨.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٢٣ - فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ٣٨٨.

(٣) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد : ويلقب بالعز، ويعرف بالأصبهاني، أجازله الطبرى وولده جمال الدين قاضي مكة، دخل اليمن زمن الملك المؤيد للتجارة، ثم دخل مصر، أوقف رباطاً بمكة، وتوفي في محرم سنة ٧٥٦ هـ، ودفن بالمعلاة. (الفاسي : العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٣٩- ٢٤٠).

قطب الدين العسقلاني في شهر رجب سنة ٧٤٩ هـ الرباط المعروف بزقاق الحجر على الفقراء[١]، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : أنه أوقفه على الفقراء والمساكين والمجاورين من أهل الخير والديانة من أى صنف كانوا من العرب والعجم، ويكون النظر إليه وإلى عقبه من بعده فإذا انقرضوا يكون للحاكم بمكة المشرفة، والحجرتان المنفصلتان في أعلى الرباط وأسفله وقف على هذا الرباط يصرف كراؤهما على مصلحته وعمارته وسقايته، وما يحتاج إليه، والنظر إليهما للمذكورين بتاريخ سلخ رجب سنة ٧٤٩ هـ[٢].

وذكر ابن فهد أن الشيخ العلامة جعفر الرومي استأجر هذا الرباط والغرفتين بعد أن آلت إلى الخراب وصار مربطاً للدواب إجارة طويلة من القاضي شمس الدين التأزفى سنة ٨٢٦ هـ وعمره ورممه على حسابه الخاص، وأسكن به الفقراء[٣].

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة، ورقة ٦٩ - ٧٠ - تحصيل المرام، ورقة ١٩٤ - ١٩٥ - شفاء الغرام، ج ١، ص ٣٣٤ - العقد الثمين، ج ١، ص ١٢١ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٧٢ - ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٣٨.

(٢) الفاسي : العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى، ج ٣، ص ٢٣٩، بالهامش.

رباط الطويل :

بنى جهة الشبيكة بالمسفلة في عشر السبعين وسبعمائة قرب المطهرة المعروفة بالطويل ،والذى بناه مقبل بن عبدالله الرومي المعرف بالشهابي .(١)

رباط شاه شجاع :

أوقف السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس سنة ٧٧١ هـ رباطه الذى كان يقع قبالة باب الصفا ،وينسب للشيخ غياث الدين الابرقوهي ، لتوليه إمرة عمارته ،وجعله على عشرة من الفقراء الأعاجم المجردين المتقين دون الهنود ، ومن لا سكن له بمكة ،وأوقف عليه دوراً بمكة ومنى . وأوقف السلطان شاه شجاع أيضاً خزانة كتب بالحرم النبوى.(٣)

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧١ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٦- العقد الثمين ،ج ٧ ،ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

ومقبل بن عبدالله الرومي : المعروف بالشهابي ،كان مملوكاً للملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون ،حتى أصبح من خواص الجاى اليوسفي ،جاور بمكة ،وأصلح ما دثر من عين عرفة ،أجرى الماء من منى إلى بركة أم السلم ، وتولى مشيخة الحرم النبوى ،وتوفى سنة ٧٩٥هـ . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٧ ،ص ٢٦٧- ٢٦٨) .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٦٩-٧٠ -تحصيل المرام ،ورقة ١٩٤-١٩٥- شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٣ - العقد الثمين ،ج ٥ ، ص ٣ -٤ -ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

رباط السيدة أم الحسين :

أنشأت هذا الرباط السيدة أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبرى في شعبان سنة ٧٨٤ هـ ، ويقع بزقاق الحجر ، وأوقفته على الفقراء والمساكين[١].

رباط بعلجد :

أوقف محمد بن فرج بن بعلجد[٢] المكي رباطه الذى بقرب باب الحزورة[٣] سنة ٧٨٧ هـ على الفقراء المنقطعين بمكة وأن تكون

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ، ورقة ٧٠ - تحصيل المرام ، ورقة ١٩٥ - شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٤ - العقد الثمين ، ج ١ ، ص ١٢١ - ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٧٢ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٣٤٠ .

(٢) محمد بن فرج : ويلقب بالجمال ، ويعرف بإبن بعلجد ، كان يتردد على اليمن لتوليه لأمر الحكم الذى ينفذه صاحب اليمن كل سنة ، له مآثر بمكة ، رباط وسبيل بالمسعى ، وله على ذلك وقف ، توفى سنة ٧٩٠ هـ ، ودفن بالمعلاة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٢٥٤-٢٥٥) .

(٣) باب الحزورة : وهو من أبواب الجهة الغربية من المسجد الحرام ، وهي إسم لسوق في الجاهلية كان في هذا المكان ثم دخل في توسعة المسجد الحرام في عهد الخليفة المهدى سنة ١٦٩ هـ ، وعرف في زمن الأزرقي بباب بني حكيم بن حزام ، وباب بني الزبير بن العوام ، وباب الحزامية في عهد الفاسي ، وباب البغالين وباب الوداع . (ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٥١) .

النظارة عليه له ، ثم من بعده لأولاده ،ومن بعدهم لقاضي مكة الشافعي (١) .

رباط إبن العطار :

أوقف على بن أبي بكر بن عمران العطار (٢) رباطه ،وهي دار قريبة من المسعى ،ولم تثبت وقفيتها إلا بعد موته سنة ٨٠١هـ (٣) .

رباط الشريف حسن بن عجلان :

أنشأ الشريف بدر الدين حسن بن عجلان صاحب مكة رباطاً مقابل المدرسة المجاهدية سنة ٨٠٣ هـ ،وجعل له أوقافاً بمكة ومنى ووادى مرّ (٤) .

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧١ - تحصيل المرام ،ورقة ١٩٤- شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٢ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١١٩- ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ .

(٢) على بن أبي بكر بن عمران العطار : كان ذا ملاءة ،وتسبب فيها ، وله أملاك بمكة ومآثره كثيرة ،توفي سنة ٨٠١ هـ وقد جاوز الستين عاما . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٦ ،ص ١٤٧) .

(٣) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧٠ - تحصيل المرام ،ورقة ١٦٥ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٣ .

(٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٦٩ - تحصيل المرام ،ورقة ١٩٣- شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٢ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١١٩- ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٤٢٣ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ج ١ ،ورقة ٦٢ .

رباط زوجة الملك الأشرف إسماعيل :

هو رباط الآدر[1] الكريمة جهة الطواشي ياقوت ،وزوجة[2] الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل[3] صاحب اليمن ،وأم أولاده ،ويقال له رباط السعداني لتوليه أمر عمارته ،وتاريخ وقفيته سنة ٨٠٦ هـ على الفقراء والآفاقين المجردين من النساء ،المستحقين للسكنى[4] .

---

(١) الآدر : يراد بها حريم السلطان . (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٨ ، ص ٥٧) .

(٢) زوجة الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحي ملك اليمن ،وجهة الطواشي ياقوت ، لها بزبيد مدرسة ،تشتهر بالياقوتيه وبغيرها عدة مدارس ، وعاشت إلى بعد الأربعين . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٦ ، ص ١٦٦) .

(٣) إسماعيل بن يحي بن أحمد بن العباس الأشرف بن الظاهر ،إستقر بعد أبيه وكانت فيه حدة مفرطة ،فعامل العساكر بجدة ،وكان لا يخلو يوما من قتل وعقوبة ،توفي في شوال سنة ٨٤٥ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٢ ،ص ١٠٨) .

(٤) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧١ - تحصيل المرام ،ورقة ١٩٧ - شفاء الغرام ،ج ٢ ،ص ٣٢٦ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ، ص ٤٣٨ - علي السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٥ .

رباط إبن أبي شاكر :

أنشأ وزير مصر تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر[١] قبل أن يلي الوزارة رباطاً بباب أجياد ،وقد عمر غالب سفله إلا أنه توفي فاستصاره الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي فرج الأستادار المؤيدى[٢] ، وأمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكميل عمارته ،فبنى جانباً من سفله ، وبيوتاً من علوه سنة ٨٢٠ هـ ثم توفي قبل تمام عمارته في نصف شوال سنة ٨٢١هـ والفقراء به ساكنون[٣] .

---

(١) عبد الوهاب بن أبي شاكر أحمد بن أبي الفرج تقي الدين القبطي المصرى وقد أسلم ،ولد سنة ٧٧٠ هـ ،وباشر نظر ديوان المفرد ،ثم أستادارية الأملاك والذخائر والمستأجرات والأوقاف . وقف عدة أوقاف ومنها الرباط المقابل لباب أجياد . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٥ ،ص ١٠٢-١٠٣) .

(٢) عبد الغني بن عبد الرزاق بن أبي الفرج : تنقلت به الأحوال حتى شغل الوزارة والأستادارية . أكمل الرباط الذى أمر بإنشائه الوزير تقي الدين بن أبي شاكر . (الفاسي : العقد الثمين ،ج ٥ ،ص ٤٦٩- السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٤ ،ص ٢٤٩) .

(٣) الفاسي : تحصيل المرام ،ورقة ١٩٤ - الزهور المقتطفة ،ورقة ٦٩ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٢ - ٣٣٣ - العقد الثمين ،ج ١ ، ص ١٢٠ - ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ٥٠٠ .

رباط رامشت :

أنشأه الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين بن شيرويه بن جعفر الفارسي [١] ،ويقع بالجانب الغربي من المسجد الحرام ،ويعرف برباط ناظر الخاص ،وهو قريب من سوق الحزورة . وقد أوقفه سنة ٥٢٩ هـ على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات ،وعرف ذلك من النص المكتوب على باب الرباط ،ومن كتاب الوقف الذى عثر عليه التقي الفاسي [٢] ،ويؤكد ذلك الزميل محمد الفعر الذى قام بتحليل هذا النص المكتوب على حجر مستطيل من البازلت ،ومقاسه ١٠٣ × ٢٤ سم ،وعدد أسطره سبعة ،منقوشة بالخط النسخي الحجازى البارز وفيما يلي هذا النص :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوقف وتصدق الشيخ الأجل معين الدين شيخ الإسلام

٢ - غياث الحرمين جمال الطائفين أبو القاسم رامشت بن الحسين بن شيرويه

٣ - بن الحسين بن جعفر الفارسي جميع هذا الرباط بجوار حزورة عند باب

---

(١) رامشت بن الحسين بن شيرويه بن الحسن بن جعفر الفارسي ، يكنى أبا القاسم ،وإسمه إبراهيم ،كان من أعيان تجار العجم ،وله مآثر بمكة ، منها الرباط المعروف برامشت ،كما عمل بعض الإصلاحات بالحرم والكعبة ،توفي في شعبان سنة ٥٣٤ . (الفاسي : العقد الثمين: ج ٤ ،ص ٣٨٥ - ٣٨٦) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ١ ،ص ٣٨٥ .

٤ - الحرم الشريف على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة
من سائر العراق

٥ - وخراسان الحاج والمجاورين وقفاً مؤبدا ، وصدقة محرمة
محبسة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

٦ - وهو خير الوارثين ، فمن غيره أو بدله فعليه لعنة الله ، ولعنة
اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ولا قبل

٧ - الله منه صرفاً ولا عدلاً ، ولا قام له يوم القيامة وزناً وذلك في شهر رمضان ،
تسعة وعشرين وخمسمائة .(١)

وقد أصلح هذا الرباط الشريف حسن بن عجلان في أيام الناصر فرج بن برقوق . ففي ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢هـ وقع حريق بهذا الرباط بسبب ترك بعض أصحاب الخلاوى سراجاً موقوداً في خلوته فسحبت النار وأحرقت ما في الخلوة ، واشتعل اللهيب بسقفها ، وخرجت النار من شباكه إلى المسجد الحرام ، وأحرق جميع سقف الجانب الغربي ، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي إلى جانب دار العجلة وبعض الأساطين والسقوف ، وجملة ما احترق من الأساطين مائة وثلاثون أسطوانة .(٢)

---

(١) محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، ص ٢٨٥ - فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨٤ .

(٣) فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨٤ .

وقام الشريف حسن بن عجلان بعمارته على حسابه الخاص ،فصرف عليه مائتي مثقال ذهباً سنة ٨١٨ هـ ،وعمر جميع ما كان محترقاً من البيوت العلوية ، وغير ما يحتاج العمارة علواً وسفلاً ،فعاد في غاية الروعة والإتقان.(١)

وفي سنة ٨٥٥ هـ خرب رباط رامشت فشرع في عمارته برد بك التاجي بأمر من ناظر الخاص عندما أرسل له كتاباً يأمره أن يستبدل ذلك الرباط بأربعمائة أشرفي ،وحكم بذلك القاضي الحنفي ،وأكملت عمارته ،وجعل رباطاً ومدرسة . وكان به شباكان على المسجد الحرام في الجدار الشرقي ، فوسعا طولاً وعرضاً ،وفتح معهما خمسة شبابيك ،شباكان في جداره الشرقي جانب الشباكين الأولين ،وشباك في جداره الشامي ،وجعل الشباك باباً يدخل منه ويخرج ،وصار باب الرباط الأصلي الذى كان بالمسجد شباكاً في خلوة الرباط تحت المدرسة ،وفتح بالرباط باباً من الصهريج الذى بسبيل الأشرفي لزيادة باب إبراهيم ،وجعل بآخر الرباط في الركنين سبيلاً ، وبابه من الرباط .(٢)

---

(١) الفاسي : تحصيل المرام ،ورقة ٦٥ - الزهور المقتطفة ،ورقة ٦٩ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣١- ٣٣٢ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١١٩ - المقريزى : السلوك ،ج ٣/٣ ،ص ١٠١٩ - ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ،ص ٦١ - الجزيرى : درر الفرائد ، ج ١ ،ص ٦٨٦ - محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ - السنجارى : منائح الكرم ،ج ٢ ،ورقة ٨.

رباط الشريف حسن بن عجلان :

أنشأ الشريف حسن بن عجلان رباطه بأجياد سنة ٨١٦ هـ ،وهو ملاصق لحوش داره ،ويقع بالقرب من رباط ربيع ،وقد عمر غالباً من سفله ،وجزءاً من علوه ،وفي سنة ٨٢٢ هـ استأجر بعض البناءة لتكميل عمارته ،وأدخلت فيه البئر المعروفة ببئر عفراء.(١)

رباط عطية بن خليفة المطيبيز :

أنشأ عطية بن خليفة أحد تجار الكارم رباطاً بسوق الليل بمكة على النسوة ،ويقال إنه سمح لهن أن يكرين مساكنهن زمن المواسم ،ليكتسبن بذلك.(٢)

رباط إبن الطاهر :

استأجر الخواجا بدر الدين حسن بن محمد بن قاسم الطاهر(٣)

---

(١) الفاسي : تحصيل المرام ،ورقة ١٩٦ - شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٥-
ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٣ ،ص ٥٠٨ -
الطبري : الأرج المسكي ،ورقة ٢٣ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١٢١- ج ٦ -ص ١٠٦-١٠٧ -
شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٤ .لم يذكر تاريخ انشاء الرباط ولكن الواقف توفى سنة ٨٢٧هـ.

(٣) حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد التاجر الكبير ،ويعرف بالطاهر ، نزيل مكة ،ولد سنة ٧٩٠ هـ باليمن . استأجر رباطاً بباب سويقة ووقفه على الفقراء سنة ٨٤٣ هـ ،وعمر عين حنين وسبيلاً في داره بمنى ،توفى سنة ٨٧١هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ١٢٧ ،ج ١١ ،ص ٢٨) .

الرباط الكائن بمكة عند باب سويقة أحد أبواب المسجد الحرام ،ثم أوقف جميع ما تملكه من منافع الرباط يوم السبت خامس رجب سنة ٨٤٣ هـ ،ومدة إستئجاره الشرعي خمسة وتسعون عاماً وعشرة أشهر وعشرون يوماً متوالية الليالي ،وقد أوقفه على الفقراء والمساكين والغرباء والمتعطلين الرجال دون النساء الذين لا سكن لهم ،ولا يقدرون على أجرة سكن ،وليس لأحدهم بيت في رباط ،ولا يكون لأمرد سكن به ،ويقيمون فيه قوماً بعد قوم على أنه من سبق واحد منهم إلى سكنى بيت من هذا الرباط كان أولى به وأحق من غيره ، وليس لغيره أن يخرجه ،ولا يسكن معه فيه ،ومن سافر منهم إلى المدينة المنورة فعاد فيما دون ستة أشهر كان أحق به من غيره ،وأولى أن لا يخرج منه ،ومن سافر منهم سفراً يزيد عن ستة أشهر وأكثر كان لغيره من الفقراء المتصفين بالصفة المذكورة السكن ، وأوقف على مصالحه المنزل الكائن على يمين الداخل من باب الرباط والدكان والمخزن اللذين تحت هذا المنزل ،وجعل ذلك النظر لولده مدة عمره ،ثم للأرشد فالأرشد من ذريته للذكور منهم دون الإناث من ولد الظهر دون البطن ،فإن تعذر ذلك كان للأعلم الأصلح من أهل الحرم الشريف . وثبت ذلك عند قاضي المالكية بمكة محي الدين بن عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري يوم الأربعاء من رجب سنة ٨٤٣ هـ .(١)

رباط القائد شكر الحسني :(٢)

أوصى القائد شكر الحسني عتيق السيد حسن بن عجلان ،ووزير مكة ،

-------------------- -----

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) شكر القائد الحسني : عتيق الشريف حسن بن عجلان ووالد بديد ، ووزير مكة لولد سيده بركات ،توفي في جمادى الأولى سنة ٨٤٥هـ . (السخاوي : الضوء اللامع ،ج ٣ ،ص ٣٠٦) .

لولد سيده بركات ببيت من بيوته ليكون رباطاً ، وببيت آخر يكون وقفاً عليه ، وقد نفذ أولاده من بعده الوصية بسبع سنوات سنة ٨٥٢هـ.(١)

رباط إبن مزهر :

أوقفه سنة ٨٧١هـ، كاتب السر أبو بكر بن مزهر بمكة عند باب الصفا.(٢)

رباط قايتباى :

كانت بمكة دار تسمى دار القوارير ، وهي رحبة بين المسجد الحرام والمسعى ، فاستقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة إليه ، فبناها داراً ، ثم صارت إلى حماد البربرى(٣) ، فعمرها وزين باطنها بالقوارير ، وظاهرها بالرخام والفسيفساء حتى تداولت الأيدى عليها ، إلى أن صارت رباطين أحدهما يعرف برباط المراغي لصاحبه الشيخ محمد المراغي(٤)

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٨٤.

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ، ص ٨٤.

(٣) حماد البربرى : أمير مكة واليمن من قبل الخليفة هارون الرشيد ، عمر بعض الدور بمكة . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٤ ، ص ٢٢٤-٢٢٥).

(٤) محمد بن عبدالله بن عبد الرحيم القاضي صدر الدين أبو بكر المراغي : كان من أعيان زمانه ، حج سنة ٥٧٨ هـ ، وهو كثير المال ، حسن الهيئة ، وله رباط بمكة ، وتوفى سنة ٥٩٠ هـ . (الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧).

الذى أوقفه سنة ٥٧٥ هـ [١] ،ويقع بجانب باب الجنائز ،ويعرف برباط القبلاني [٢] ،والرباط الآخر يعرف برباط السدرة [٣] .

وفي ليلة الثلاثاء عاشر رمضان سنة ٨٨٣ هـ وصل سنقر الجمالي إلى مكة من مصر بحراً لأجل عمارة السلطان الأشرف قايتباى ،فاجتمع سنقر يوم الخميس ثاني عشر رمضان بالحطيم مع شريف مكة ،والقاضيين الحنفي والشافعي ،وباش قانى بك ، وقرأ ثلاثة مراسيم ،أحدهم لشريف مكة ،والثاني للقاضي الشافعي ،والثالث بخصوص وصية السلطان ،وهي عمارة بيت الشريفة شمسية ورباط السدرة ورباط المراغي رباطاً ومدرسة وسبيلاً ،وميضأة ومكتباً للأيتام [٤] ،وكان الشّاد على العمائر شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن الذى استبدل رباط المراغي ،ورباط السدرة ،

---

(١) عن إنشاء رباط المراغي في سنة ٥٧٥ هـ أنظر فوزية مطر : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ - محمد الفعر : تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ،ص ٢٩٧ . (النقش الخاص بإنشاء هذا الرباط الذى لا يزال محفوظاً بمتحف آثار الحرم المكي) .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ،ج ١ ،ص ٣٣٠ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١١٨ .

(٣) زيني دحلان : خلاصة الكلام ،ص ٦٨ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ،ص ٤٨٣ - الجزيرى : درر الفرائد ،ج ١ ،ص ٧٥٧ .

وأضاف إليهما دار الشريفة شمسية إحدى شريفات بني حسن [1] ،واستأجر الميضأة التي بناها الأشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون ،وهي قبالة باب علي ،حدها من الشرق بيوت للناس ، ومن الغرب المسعى الشريف ، ومن الجنوب سيل وادى إبراهيم الذى يطلق عليه الآن سوق الليل ،ومن الشمال دار سيدنا العباس الذى أصبح رباطاً يسكنه الفقراء ،فهدم إبن الزمن الميضأة ،وتقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع ، وحفر أساسه ليبنى بها رباطاً لسكنى الفقراء ،إلا أن قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة منعه من ذلك ،وعمل القاضي محضراً حافلاً ،حضره علماء المذاهب الأربعة ،وبقية القضاة والفقهاء ،وتوجه القاضي إلى مكان البناء ،ومنع البنائين من العمل . وأرسل رسالة إلى السلطان قايتباى بمصر يخبره بذلك . إلا أن شمس الدين بن الزمن شرح جميع الأحوال في رسالة وأرسلها للسلطان قايتباى ،فما كان من السلطان قايتباى إلا أنه أمر بعزل القاضي عن منصبه ،وأمر إبن الزمن بتكملة البناء ،فبنى رباط المراغي وجزءاً من رباط السدرة مدرسة وسبيلاً والجزء الباقي من رباط السدرة جعله رباطاً يتألف من اثنين وسبعين خلوة ،وميضأة ،ومنزلاً ،وجعل للميضأة باباً من جهة

---

(١) شمسية إبنة حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نميّ الحسنى زوج رميح الشريف وأم ولده عجل ،صاحبة الدار بمكة التي أصبحت المدرسة الأشرفية ،ماتت في جمادى الثانية سنة ٨٨٢ هـ خارج مكة ،ودفنت هناك . (السخاوى : الضوء اللامع ،ج ١٢ ،ص ٦٩) .

سوق الليل ،وبجانبها مطبخاً للدشيشة التي تعمل كل يوم وتقسم على الفقراء ، وأوقف دوراً بمكة ،ومزارع بمصر ،وتم الإنتهاء من بناء الرباط والمدرسة سنة ٨٨٣ هـ ،وكان الإنتهاء من بقية البناء سنة ٨٨٤ هـ .(١)

ب - الأربطة بالمدينة المنورة :

رباط ياقوت :

أوقفه ياقوت المُظَفَّرى الماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال دون النساء ،ويقع في حارة الأغوات في الطرف الشمالي بعد منهل العين الزرقاء . بني في العصر المملوكي البحرى خلال حكم السلطان محمد بن قلاوون ،وهو من الأبنية الأثرية القديمة ،أى نموذج للأربطة العتيقة ، حيث وجد على بابه كتابة أثرية مؤرخة سنة ٧٠٦ هـ تتضمن وقفية بإسم ياقوت المُظَفَّرى الماردانى (٢) هذا نصها : (وقف هذا الرباط المبارك

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٧١٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ،ص ٣٢٩ - النهروالي : الإعلام ،ص ٣٣٦ - قطب الدين الحنفي : الإعلام ،ص ١٠٠ - الطبرى : الأرج المسكي ،ورقة ٢٥ - ٢٦ - إتحاف فضلاء الزمن ،ورقة ١٢٧ - زيني دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٣٩ - ٧٢ - أنور شكرى : لوحان أثريان ،ص ٣٩ - على السليمان: العلاقات الحجازية المصرية ،ص ١٢٥ .

(٢) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ،ص ١٧٣ - صالح لمعي مصطفى : المدينة المنورة تطورها العمراني ،ص ٢١٧ .

لوجه الله تعالى المجد الفقير ياقوت المظفرى المنصورى الماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال خاصة دون النساء ،تقبل الله منه وأثابه الجنـة برحمته وكرمه بتاريخ سنة ٧٠٦ هـ). (١)

رباط ريحان الهندى :

ريحان الهندى أحد خدام المسجد النبوى الشريف ،ومن مآثره رباطان عم النفع بهما ،ونخيل جيد ، وله سقاية ماء وداران ،وتوفي بعد العشرين وسبعمائة. (٢)

رباط السعيدى :

أنشأه رشيد بن عبدالله شهاب الدين السعيدى أحد خدام المسجد النبوى ،وله عدة دور أوقفها على الرباط بعد أن تعب في عمارتها ،وقد جهلت أماكنها بعد أن كانت معروفة ،توفي بعد العشرين وسبعمائة. (٣)

---

(١) عبد القدوس الانصارى: آثار المدينة المنورة ، ص ١٩٠ - هذا وقد هدمت حارة الاغوات وأدخلت في التوسعة الجارى القيام بها للمسجد النبوى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود .

(٢) ريحان الهندى : كان يشتغل بخدمة المسجد النبوى وهو محب للخير حبس بره على الصالحين ،يتصف بعلو الهمة في العمارة ،توفي بعد العشرين وسبعمائة . (السخاوى : التحفة اللطيفة ،ج ٢ ،ص ٧٢ - ٧٣).

(٣) رشيد بن عبدالله شهاب الدين السعيدى : أحد خدام المسجد

===

رباط ناظر الخاص :

وفي سنة ٧١٩ هـ أنشأ الفخر ناظر الخاص رباطاً مقابل دار معاوية ، بابه على شارع سوق المدينة [١] . ثم وصل بيسق الظاهرى [٢] سنة ٨٠٣ هـ إلى الأراضي الحجازية من أجل الحج ، فقام بتجديد هذا الرباط وبنائه [٣] .

رباط الأشرف قايتباى :

أمر السلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٨٧ هـ أن يبنى له بالمدينة المنورة رباط ومدرسة ومأذنة تشرف على المسجد النبوى ، وذلك بين باب السلام وباب الرحمة [٤] ، فما كان من شمس الدين بن الزمن الا أن هدم دار الشباك

=== النبوى ، كان فقيهاً متديناً متعبداً ، يصحب العلماء ويأخذ منهم ، ويشترى كتب العلم ويوقفها عليهم ، عاش حميداً ، ومات سعيداً ، توفى بعد العشرين وسبعمائة . (السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ٢ ، ص ٦٤-٦٥).

(١) السمهورى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧٢٣ .

(٢) بيسق الشيخي أمير آخور الظاهرى برقوق ، نفى إلى بلاد الروم في الدولة المؤيدية ، وله آثار بمكة والمدينة ، كان محباً للمال مع البر والصدقة ، تآمر على الحاج ، وتوفى سنة ٨٢١ هـ . (السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢٢- ٢٣) .

(٣) الشريف حقي رفعت باشا : الإعلام بأعلام البلدان الحرام ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ٣٣ - النهروالي : الإعلام ، ص ٣٣٩ - محمد أنور شكرى : لوحان أثريان ، ص ٤١ .

والمدرسة الجوبانية ،وأقام على أرضهما مدرسة عتيقة ،ثم أشترى منازل آل عباس وبناه رباطاً ،وربطه بالمدرسة ،بحيث بنيت المدرسة والرباط على ثلاثين كمراً ،وللبناء ثلاث بوابات جسيمة ،وفي بداية الأمر كان الرباط والمدرسة يقعان جهة القبلة ،وبدأ العمل على هذا الأساس ،وذلك بأن أقام عدة أعمدة على جدار القبلة ،ولكن تغير الحال ،وتم شد وربط الأعمدة (١) ،عدا تلك التي في جدار القبلة وزين كل منهما بالزجاج الملون ،وشبكت أطرافها الخارجية بالأسلاك النحاسية ،وبنى الرباط بالقرب من باب السلام مكان الميضأة التي كانت موجودة ،وأقيم امام الرباط سبيل وحمام ،وعمل طاحونة مع تأسيس فرن لعمل الدشيشة ،وتم ذلك سنة ٨٨٨ هـ. وأرسل السلطان الأشرف قايتباى جميع لوازم الطبخ ،ويقال إن الأشرف صرف مائة وعشرين الف دينار على منشآته ،وكان يرسل إلى المدينة المنورة سنوياً ألف أردب قمح (٢). ولكي يضمن حسن التوزيع بين الأهالي فقد عين شيخاً بمخصصات مجزية وهو شاهين الجمالي لكي يكون مسئولاً عن الطعام الذى ينصب للمجاورين والحجيج (٣).

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ،ج ٣ ،ص ١٩٦.

(٢) الديار البكرى : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،ج ٢ ،ص ٤٣٤.

(٣) السمهورى : وفاء الوفا ،ج ٢ ،ص ٦٤٣ - ٦٤٤ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ج ١ ،ص ٧١٤ - ٧١٦ - على السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ،ص ٢٢٨ - حمد الجاسر : أشهر مؤرخي المدينة المنورة - مجلة العرب - ج ٣ - س ٧ - رمضان ١٣٩٢هـ ،اكتوبر ١٩٧٢م ،ص ١٦١ - ١٦٣.

٤ - البيمارستانات

المارستان أو البيمارستان مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو لفظ فارسي مركب من بيمار أى مريض وستان أى محل، ويقال له بالتركية خسته خانه أى محى المرضى، كما يطلق على المحل المعد لإقامة المجانين.(١) والظاهر أن هذه التسمية بقيت على أصلها الفارسي لأن الفرس كانوا قد عرفوا المستشفيات، وخاصة في مدرسة الطب "جنديسابور" ولأن الأطباء الذين تسلموا زمامها من الفرس والسريان أطلقوا هذه التسمية التي درجوا عليها.

أ - البيمارستان في مكة المكرمة :

وكان يوجد في مكة بيمارستان عمره وأوقفه الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٢٨ هـ بالجانب الشمالي من المسجد الحرام بالقرب من باب الزيارة.

وفي سنة ٧٧٧ هـ إستجد السلطان الأشرف شعبان المارستان وأمر بصرف خمسة عشر ألف درهم ومائتين على الضعفاء من الرجال والنساء، وصرف الطعام لهم، وعلاجهم (٢). إلا أنه في مطلع القرن التاسع الهجرى خرب ودثر، فاستأجره سنة ٨١٦ هـ الشريف حسن بن عجلان أمير مكة من قاضي

---

(١) المقريزى : السلوك، ج ٣/١، ص ٧١٦ حاشية ٦.
(٢) انظر حجة الوقف للأشرف شعبان رقم ١٥٣ حتى ١٨٨، ص ٥٣٠ - ٥٣١.

القضاة بمكة جمال الدين بن ظهيرة الشافعي لمدة مائة سنة بأربعين ألف درهم . وأذن القاضي بأن تصرف الأجرة في عمارة ما تخرب من البيمارستان ،وأن يهدم ما يحتاج إليه من الهدم ،ويرمم ما يحتاج إلى ترميمه حتى ينتفع به ،فشرع الشريف حسن بن عجلان في عمارته عمارة حسنة الإتقان حتى ينتفع به الفقراء ،وجعل له إيواناً وصهريجاً ، ووقف ذلك كله على الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين يأوون إليه علواً وسفلاً ،وينتفعون بالإقامة والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ،ولا يخرجهم بل يستمرون إلى أن يحصل لهم الشفاء والعافية ،وجعل النظر فيه لولديه بركات وأحمد ،ثم للأرشد فالأرشد للذكور دون الإناث[1].

وفي أوائل القرن التاسع ،أوقف الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني بعض الأماكن بالحجاز على البيمارستان بمكة[2].

---

(١) الفاسي : الزهور المقتطفة ،ورقة ٧٢ - تحصيل المرام ،ورقة ١٩٧ - العقد الثمين ،ج ١ ،ص ١٢٣ - ابن فهد : إتحاف الورى ،ج ٣ ،ص ٥٠٧ - ٥٠٨ - النهروالي : الإعلام ، ص ٢٠٣ - ابن عبد الهادى : الدر الفاخر ، ورقة ٣٢ - الطبرى : إتحاف فضلاء الزمن ،ورقة ٧٧-٧٨ - الشريف حقي رفعت باشا : الإعلام ،ص ٢٥٧ - ٢٥٨ - أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين ،ص ٦٥٧ - السباعي : تاريخ مكة ،ج ١ ،ص ٢٤٨ - أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات ،ص ٢٦١ .

(٢) أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات ،ص ٢٦٤ .

وفي سنة ٨٣٢ هـ عمر أحمد بن جمعة [(١)] جانباً من البيمارستان ، ووسع فيه ، وفتح له باباً آخر غير الحرم من زقاق الـو لإخراج الموتى منه ، وإدخال الحطب والماء العذب [(٢)].

وفي رجب سنة ٩١٥ هـ قام خاير بك المعمار بتعمير البيمارستان بمكة [(٣)].

ب - البيمارستان في المدينة المنورة :

وكان يوجد أيضاً بالمدينة المنورة بيمارستان [(٤)] عمره في سنة ٦٥٨ هـ السلطان الظاهر بيبرس ، ونقل إليه سائر الأدوية

---

(١) أحمد بن جمعة بن عبدالله الواسطي الخراز : قرأ القرآن ، وتكلم بالبيمارستان وقتاً طويلاً ، وتوفي في محرم سنة ٨٥٧ هـ .
(السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٢٦٨) .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ج ٤ ، ص ٢٩ .
وزقاق الوكان يقع بأجياد وأزيل الآن وعمر مكانه سمو الأمير مشعل بن عبد العزيز عمارة حسنة يوجد بها فندق خوقير .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦٣ - عبد اللطيف إبراهيم : وثائق الوقف على الأراضي المقدسة ، ص ٢٥٤ .

(٤) لم تذكر مصادر تاريخ المدينة المنورة أي شيء عن تاريخ إنشاء البيمارستان بالمدينة ولا إسم منشئه .

والمعاجين والأكحال والمراهم والأشربة وسكر لأجل من يعتريه من الجماعة مرض ،وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية يسمى محي الدين أحمد بن الحسن بن تمام .(١)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج ٧ ،ص ١٩٤ - الكتبي : وفيات الوفيات ،ج ١ ،ص ١٦٨ - ابن بهادر : فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ،ج ٧ ،ص ١٣٦ - محمد الشهرى : عمارة المسجد النبوى ،ص ٢٤٨ - أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ٢٦٥ .

الخاتمة

الخاتمة

يشتمل هذا البحث على دراسة شاملة متكاملة عن طرق الحج الرئيسية، وما أقيم فيها من إصلاحات وإنشاءآت، وعن جباية المكوس على الحجاج والتجار، وسخاء سلاطين المماليك وأمرائهم، وكبار رجال دولتهم في منح الهبات والمبرات لأهالي الحرمين، وتوفير الأطعمة، وإلغاء المكوس عليها، وإهتمامهم بتوفير الراحة للحجاج، وذلك بحفر الآبار والبرك، وإقامة الأسبلة في الحرمين والمشاعر، وإنشاء المساجد والأربطة، وتعمير البيمارستانات بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وذلك إرضاء لمشاعرهم الدينية ووفاء لحقوق الحرمين الشريفين ولأهلهما عليهم بإعتبارهم سادة الحجاز وخدام الحرمين الشريفين، وبإعتبار ما تحقق لهم من صدارة و زعامة العالم الإسلامي في عصرهم.

إن كل هذه الأعمال الخاصة بالحج في العصر المملوكي سواء على إمتداد طرق الحج وخاصة المصرية والشامية، أو في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة، والمدينة المنورة و جدة لم تكن لتتم بهذه الصورة الضخمة التي وضحت من خلال هذا البحث لولا نجاح سلاطين المماليك في فرض سيادتهم الفعلية على بلاد الحجاز. فعلى أيديهم لم تعد السيادة على بلاد الحجاز، كما كانت من قبل حتى زمن الأيوبيين سيادة إسمية لا تتعدى الدعاء للخليفة أو السلطان على منابر الحرمين، و سك السكة بإسمه، ووجود نائب له. هذا وعلى الرغم من نجاح سلاطين المماليك في إحكام سيادتهم الفعلية على بلاد الحجاز إلا أنهم أبقوا على حكم الأشراف في مكة المكرمة والمدينة المنورة، الأمر الذى أدى الى كثرة الخلافات والصدامات بينهم وبين الأشراف وهو ما امتلأت به صحائف المصادر المملوكية.

والذى يلفت الإنتباه أيضاً أن سلاطين المماليك رغم إهتمامهم الشديد بالحجاز لتحقيق أهدافهم السياسية والإقتصادية ،إلا أن إهتماماتهم الدينية والإجتماعية به فاقت هذا الجانب السياسي والإقتصادى ،وتتجلى هذه الإهتمامات الدينية والإجتماعية في تأمينهم لطريق الحج المصرى الذى انصب إهتمامهم عليه دون الطرق الأخرى. هذا بالإضافة إلى الطرق البحرية ، مثل طريق عيذاب ،وطريق الساحل . كما إهتم سلاطين المماليك بخروج ركب الحج المصرى ومعه المحمل الذى يحمل كسوة الكعبة المشرفة ،وكسوة الحجرة النبوية الشريفة التي أوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة في مصر ،لأنها تمثل للعالم الإسلامي أقوى الروابط الدينية ،كما تدل على قوة السلطنة المملوكية .

وكان الحجاز نقطة إلتقاء عدة طرق لقوافل الحجاج والتجار الآتية إليه خاصة وإن الإسلام لا يمنع التجارة مع الحج ،ومن ثم أقيمت الأسواق التجارية في مكة وجدة وبخاصة في موسم الحج . ونظراً لكثرة أرباح التجارة ، وحاجة الأشراف إلى مورد مالي يفي بمطالبهم ومطالب الإمارة ،فقد فرضوا المكوس على الحجاج والتجار وخاصة بعد أن زادت أهمية جدة بسبب إزدياد النشاط التجارى بها ،وكثرة وفود الحجاج إليها ، كما زادت أهمية ميناء عيذاب ،الأمر الذى أدى إلى تدخل سلاطين المماليك أكثر من مرة لمنع أمراء مكة من جبايتها من الحجاج والتجار مقابل تعويضهم مالياً عن ذلك . إلا أنه بعد أن أصبحت جدة في عهد السلطان المملوكي برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ) القاعدة الرئيسية لتجارة البحر الأحمر ،ورأى سلاطين المماليك فيما يجبى من مكوس على التجارة بها بعد هذا التحول الذى شهدته تجارة جدة مورداً مالياً كبيراً يخفف من الضائقة الإقتصادية الشديدة التي

كانت تعاني منها مصر منذ مطلع القرن التاسع الهجرى ،فإنهم حالوا دون أمراء مكة وجبايتها على الرغم من أنها كانت خالصة لهم من قبل ،وقاموا هم بجبايتها . بل إنهم لكي يتمكنوا من جباية هذه المكوس على تجارة جدة وضعوا إدارة ميناء جدة تحت سيطرتهم ،وأصبح المكس الذى يجبى على هذه التجارة بجدة معترفاً به بفتوى شرعية ،ولم يعد إجراء وقتياً يلغى عند تحسن الأحوال .

و لكن على الرغم من فرض سلاطين المماليك المكوس على تجارة جدة وعلى ما يحمله معهم الحجاج في عودتهم من سلع ،إلا أنهم اهتموا بشئون الحرمين ، وأفاضوا على أهالي الحرمين ،وعلى أمراء مكة والمدينة الكثير من العطايا والمبرات ، كما أوقفوا الأوقاف الكثيرة التي أسهمت بريعها الوفير في مساعدة الفقراء والعاجزين على أداء فريضة الحج ،كما اهتموا بتوفير المياه ، فأجروا العيون وحفروا الآبار ،وأقاموا المطاهر والأسبلة ،كما أنشأوا الكثير من المساجد والأربطة ،وبنوا المدارس ،واهتموا بالبيمارستانات التي كانت تؤدى خدمات كبرى للحجاج والزوار .

وموجز القول ،فإن دولة المماليك بما تحقق لها من صدارة العالم الإسلامي في زمانها ،ومن سيادة فعليه على بلاد الحجاز ، و من وجوه الثراء الكبير لسلاطينها ولأمرائها ولكبار رجالها أمكنها القيام بهذه الإنجازات الكبرى في بلاد الحجاز بعامة ،وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة بخاصة ،والتي تتمثل في كل ما يتصل بطرق الحج ومرافقه تيسيراً على المسلمين كافة في أدائهم لفريضة الحج .

وإ ن القارئ بعد قراءته لفصول هذه الرسالة ،لا يسعه إلا أن يقدر حجم وضخامة هذه الإنجازات المتصلة بالحج والحجاج في العصر المملوكي .

غير أن دولة المماليك بعد أن بدأ الضعف يدب فيها في نهاية القرن التاسع الهجرى بعد إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذى أثر كثيراً على تجارة ميناء جدة ،أخذت إهتماماتها بمرافق الحج تقل عما كانت عليه من قبل .

هذا وتتلخص النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة عن طرق الحج و مرافق الحج في الحجاز في العصر المملوكي فيما يلي :

أولا : أن هذه الدراسة تناولت وصف طرق الحج الرئيسية الأربعة ، وبخاصة الطريق المصرى والطريق الشامي ،وما أقيم بهما على يد سلاطين المماليك وأمرائهم من مرافق وخدمات تيسيراً على الحجاج في سلوكهم لها ،ومساهمة أهل الخير في انشاء الآبار.

ثانيا : أنها تضمنت إحصاءاً شاملاً وفقاً للتسلسل الزمني لكل ما قام به سلاطين المماليك في الحجاز سواء فيما يختص بالغاء المكوس على الأطعمة ،أو ما قدموه لأهالي الحرمين الشريفين ،ولأمراء مكة والمدينة من أعطيات ،أو ما قاموا به بتوفير الأطعمة والمياه في مكة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة ،أو ما قاموا به في المدينتين المقدستين من خدمات دينية ومدنية لأهلها ولحجاج بيت الله ولزوار رسوله ،صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : كما أن الدراسة اشتملت على أمور أخرى منها المؤسسات التعليمية كالمدارس والأربطة التي أنشأها أناس آخرون غير سلاطين المماليك وأتباعهم.

رابعا : كما تضمنت هذه الدراسة شئون التجارة وكيف تحولت طرق التجارة من عدن إلى جدة ، وبسبب هذا التحول لتجارة الشرق الأقصى تغير ميزان القوى السياسية واخضعت مصر جدة للإدارة المصرية .

وختاماً أرجو من الله العلى القدير أن يسدد خطانا ويوفقنا لمافيه الخير ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الملاحق

١ ـ الخرائـــط .

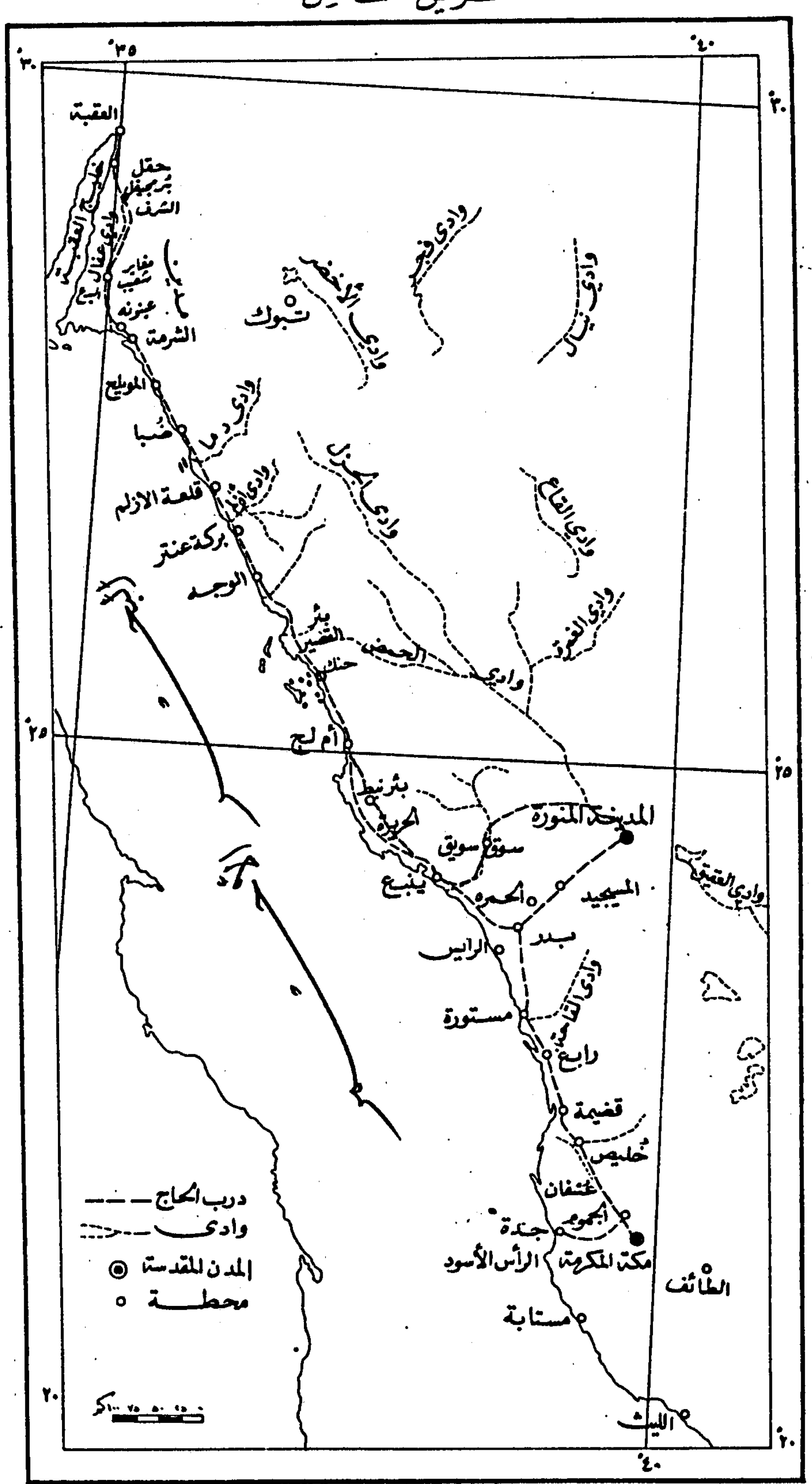
٢ ـ حجة وقف الناصر محمد بن قلاوون .

٣ ـ حجة وقف الأشرف شعبان .

٤ ـ نص اللوحة التأسيسية لعين عرفة في عهد السلطان قايتباى .

درب الحاج المصري

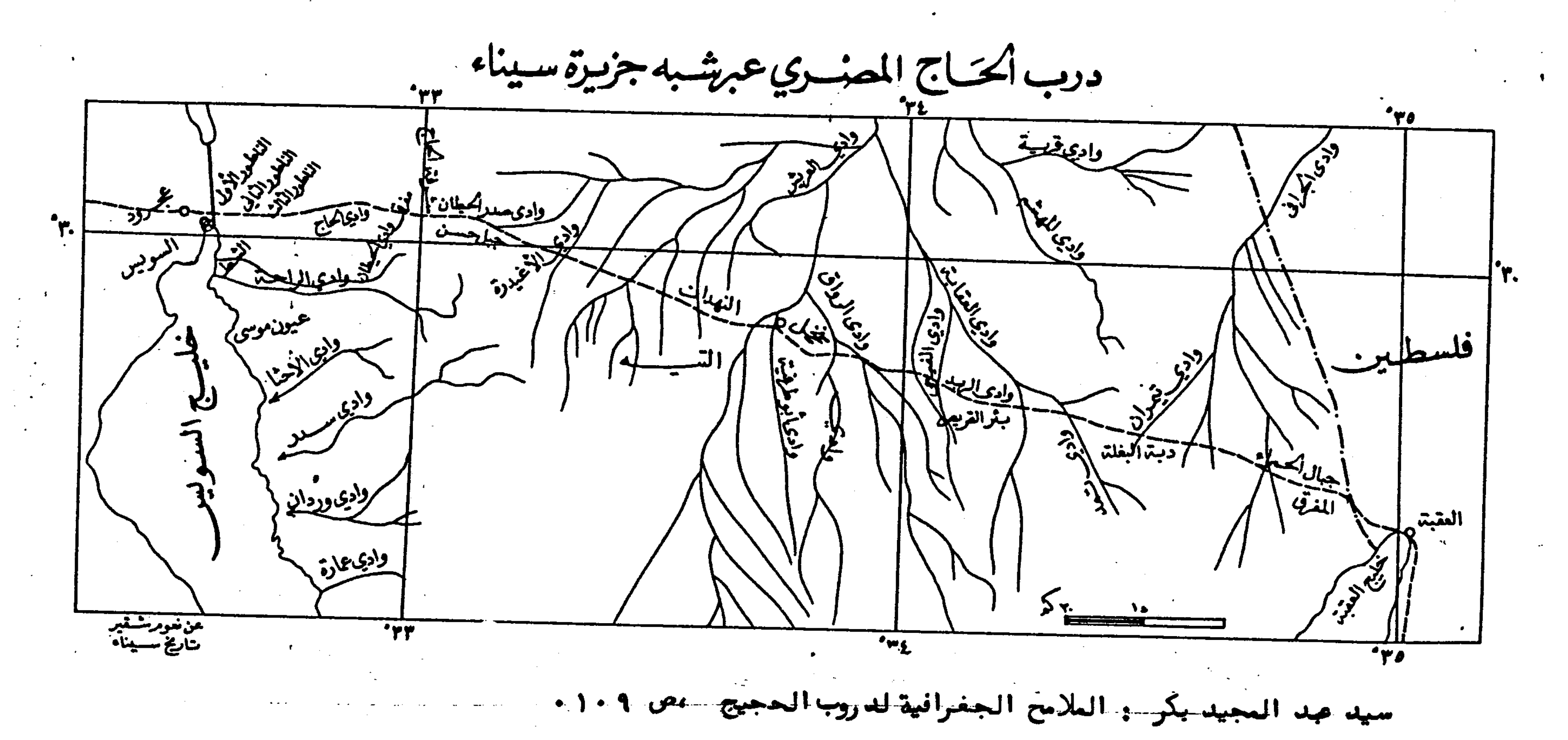
طريق الساحل



سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج .

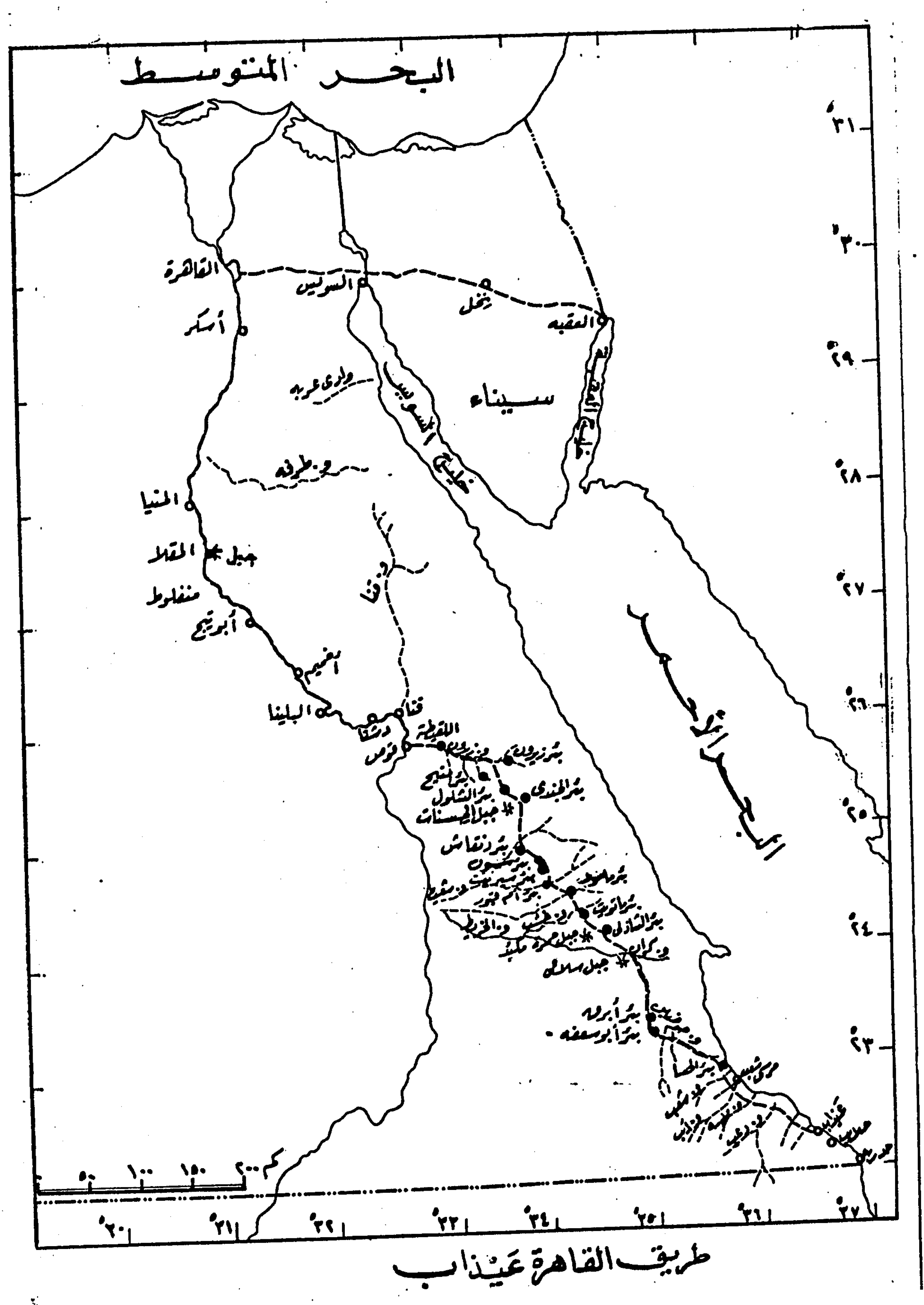
(خريطة رقم ١)

- ٤٣٢ -



سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، ص ١٠٩ .

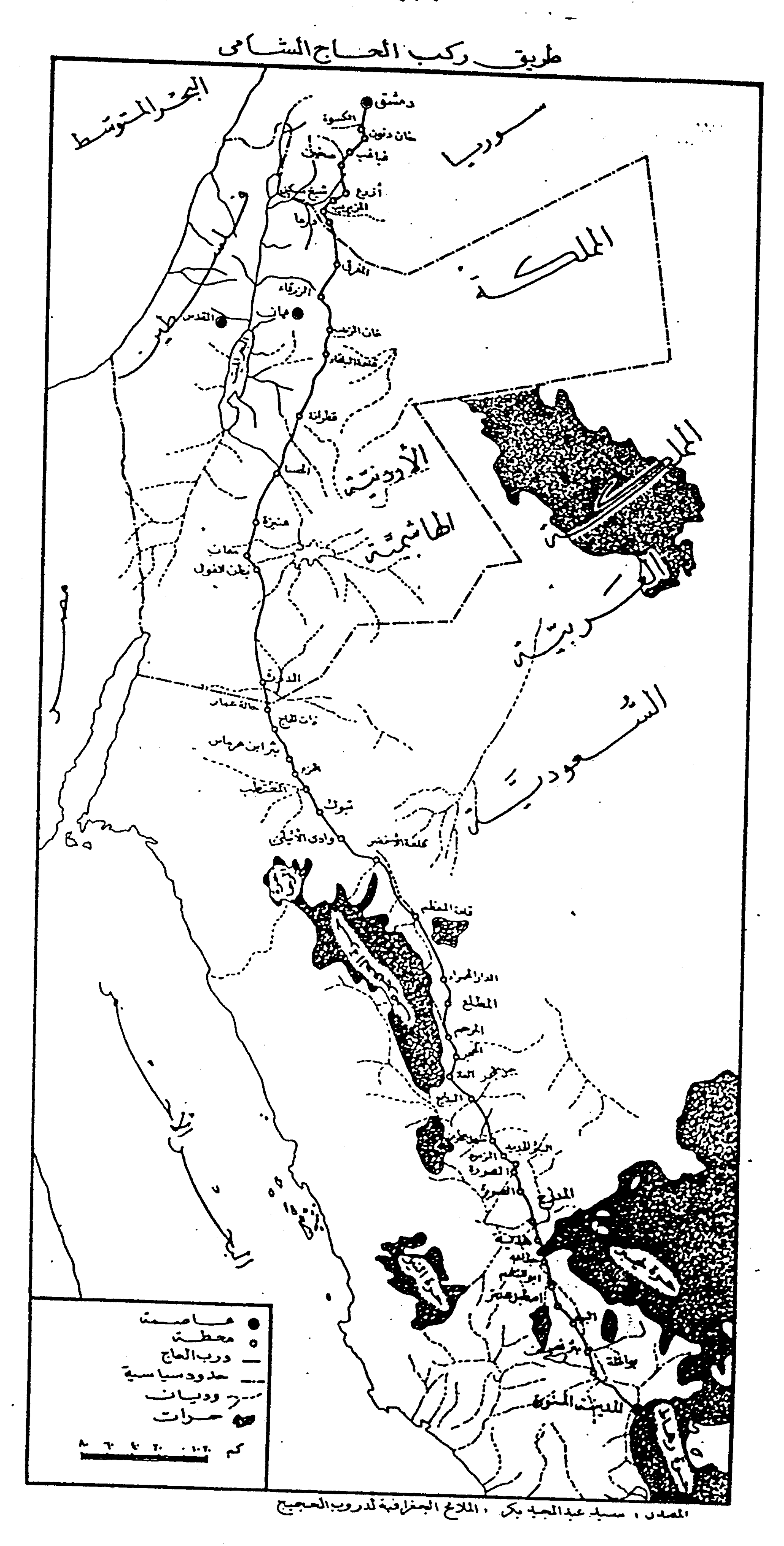
(خريطة رقم ٢)



طريق القاهرة عيذاب

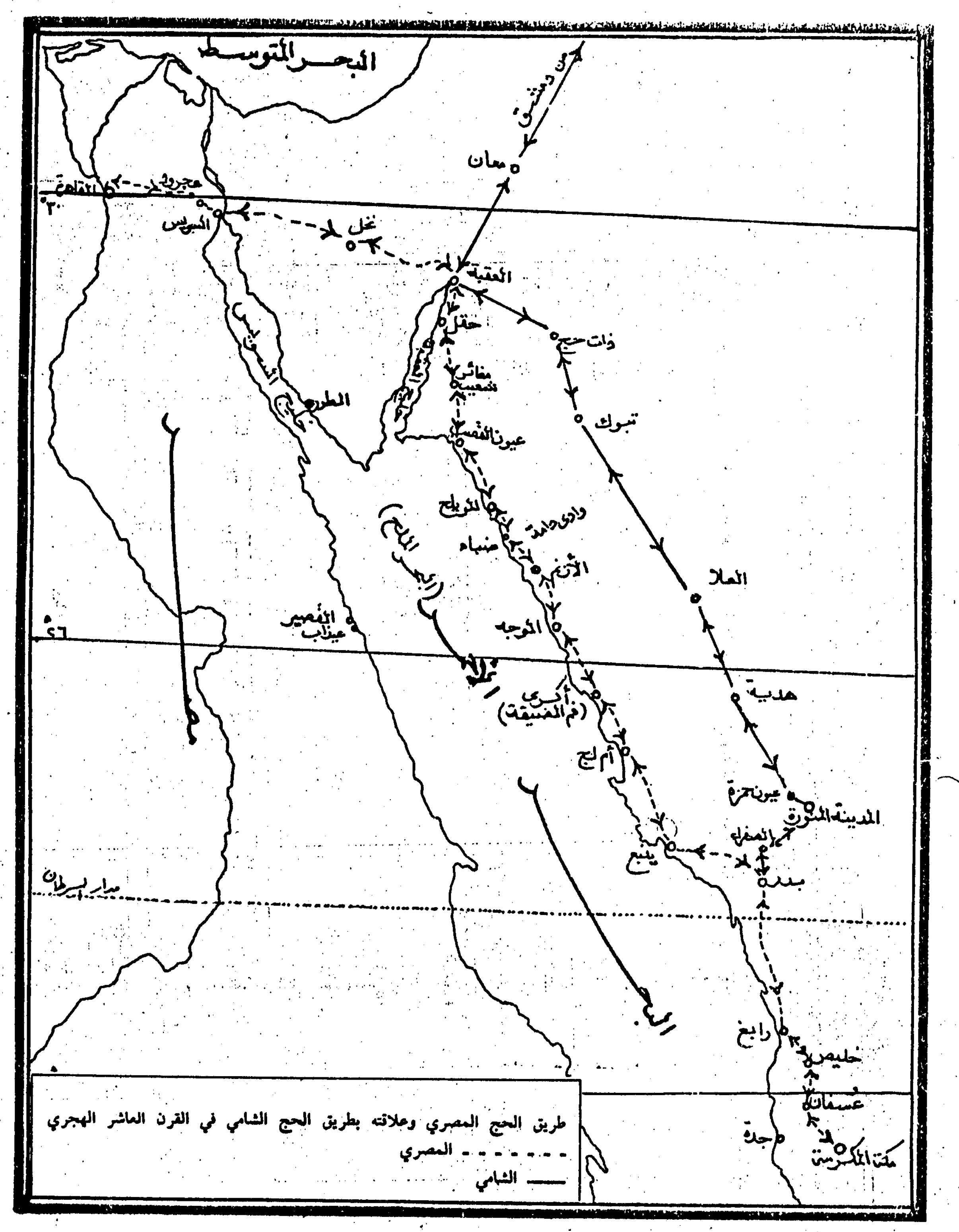
سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج .

(خريطة رقم ٣)



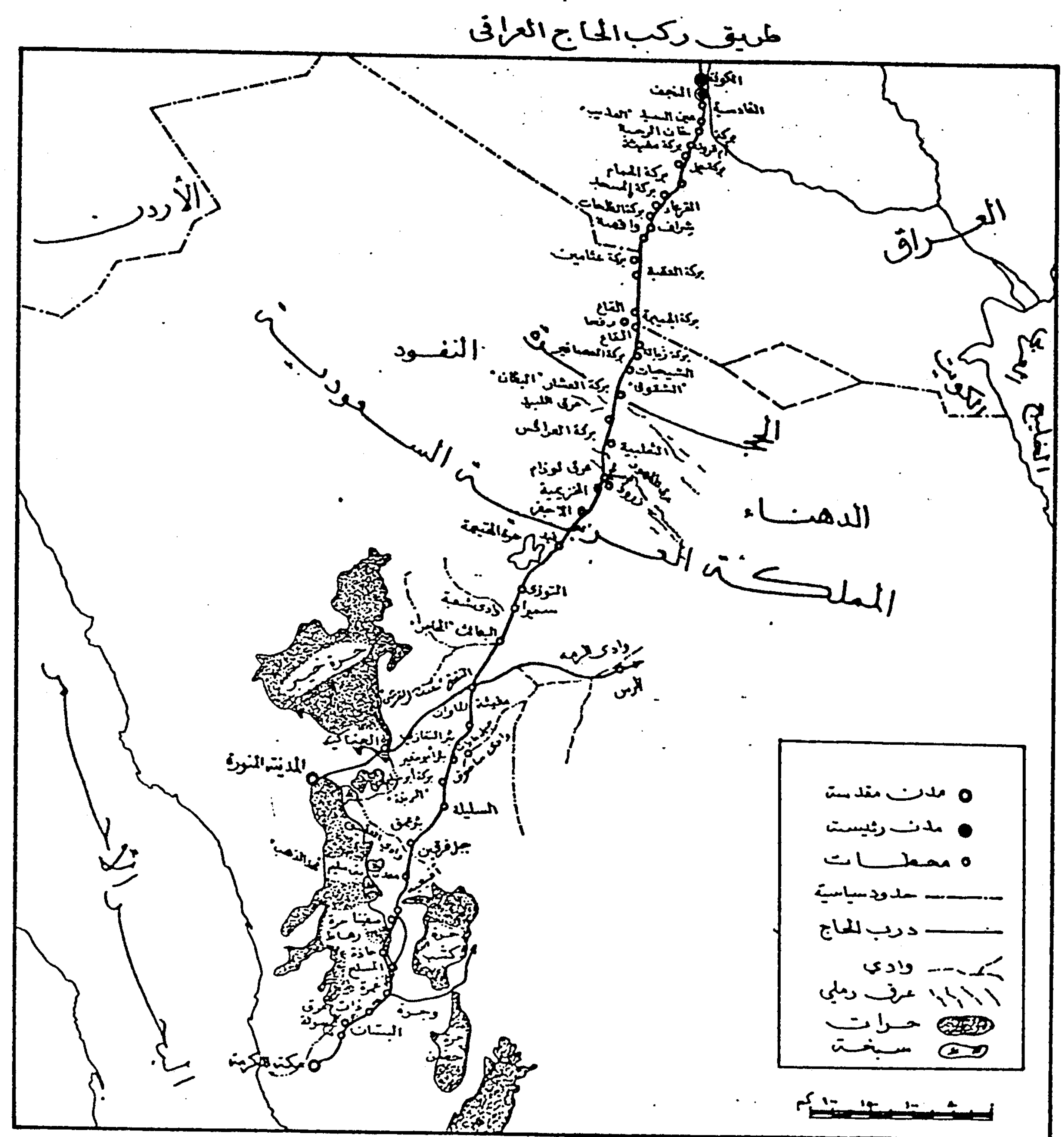
المصدر : سيد عبد المجيد بكر ، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

(خريطة رقم ٤)



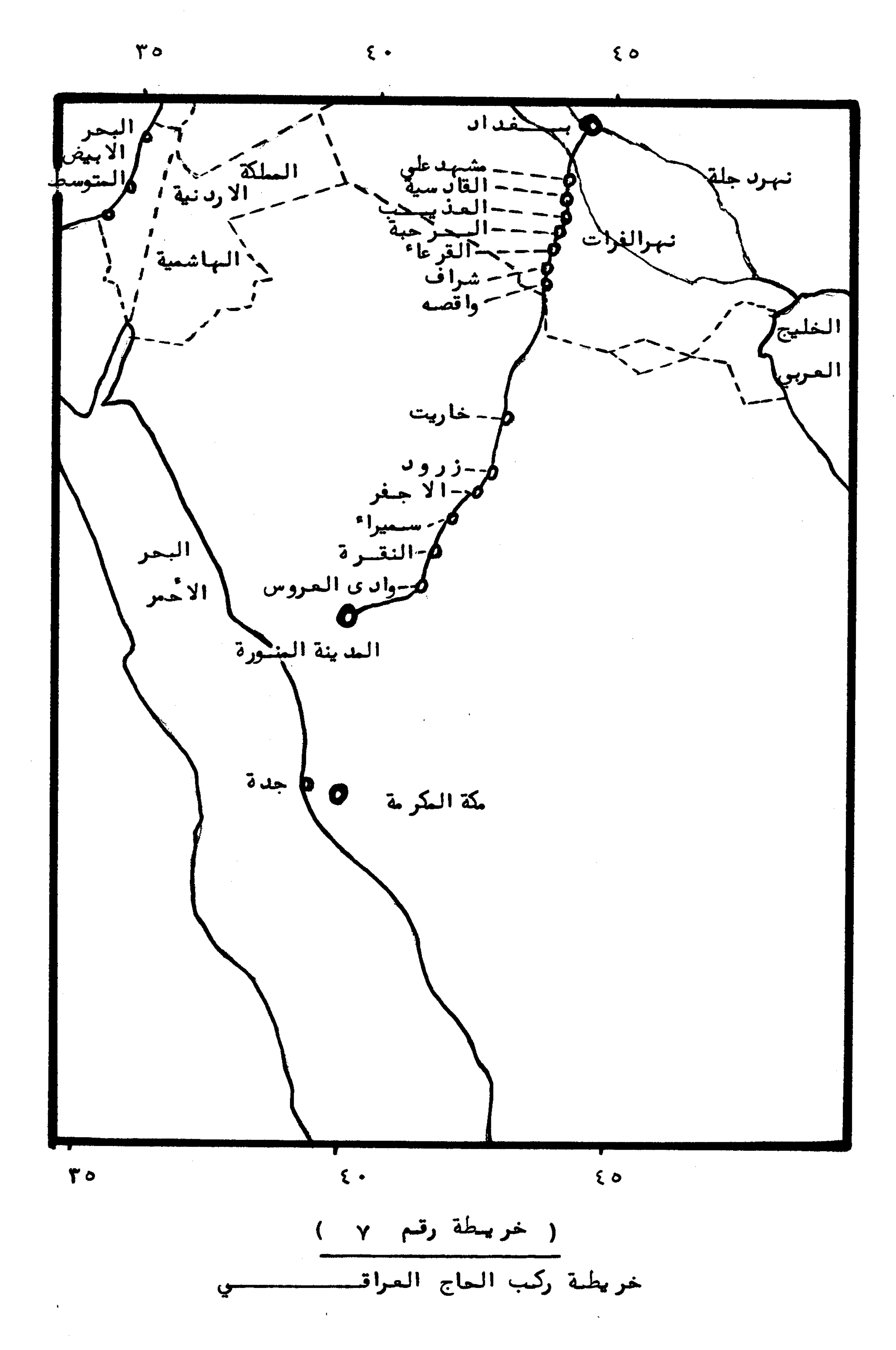
عبد المنعم رسلان : الأزنم خانا وبرجا .

(خريطة رقم ٥)



المصدر : سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

(خريطة رقم ٦)



(خريطة رقم ٧)

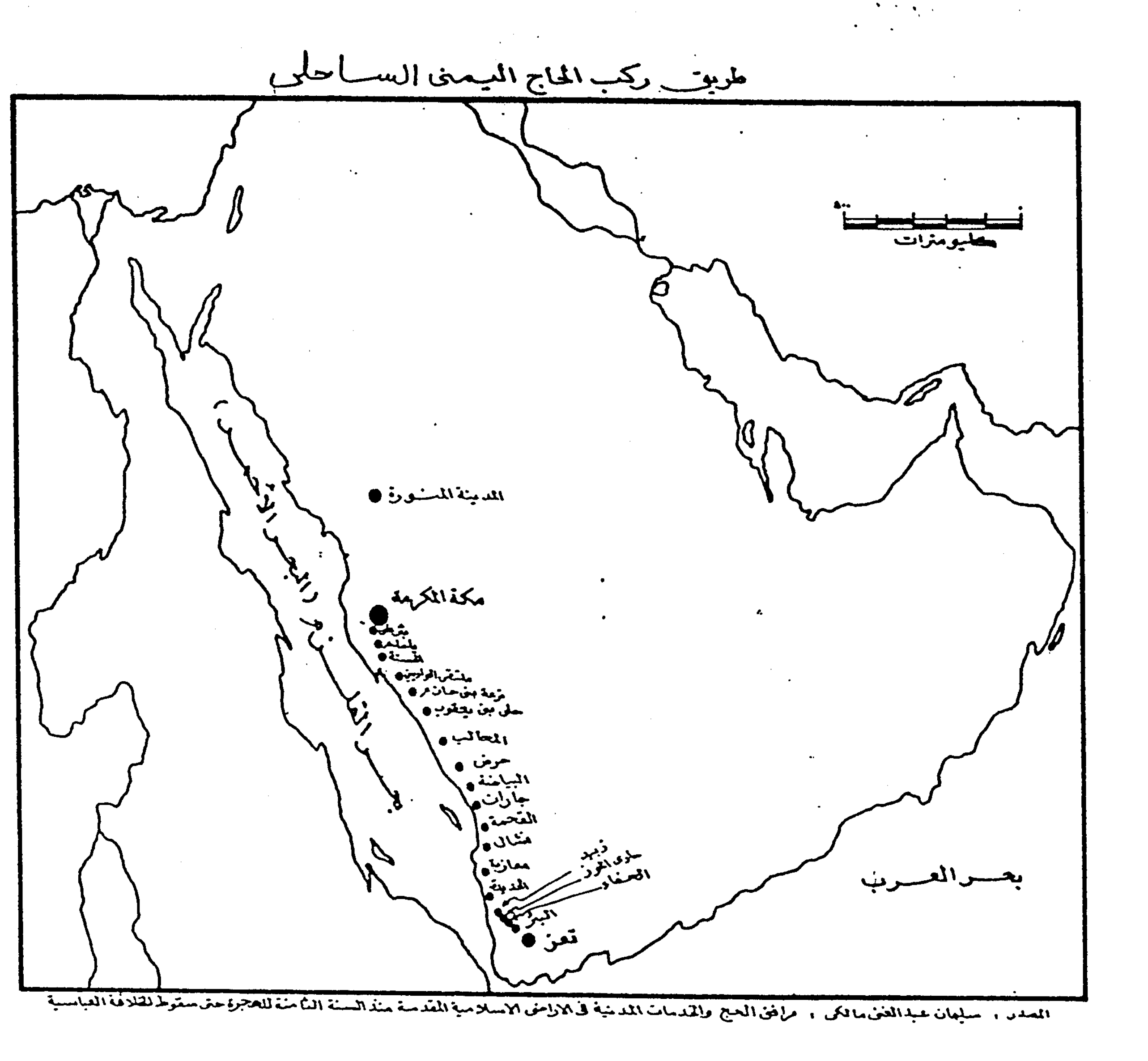
خريطة ركب الحاج العراقي



Saad Al-Rashid: Darb Zubaydah.

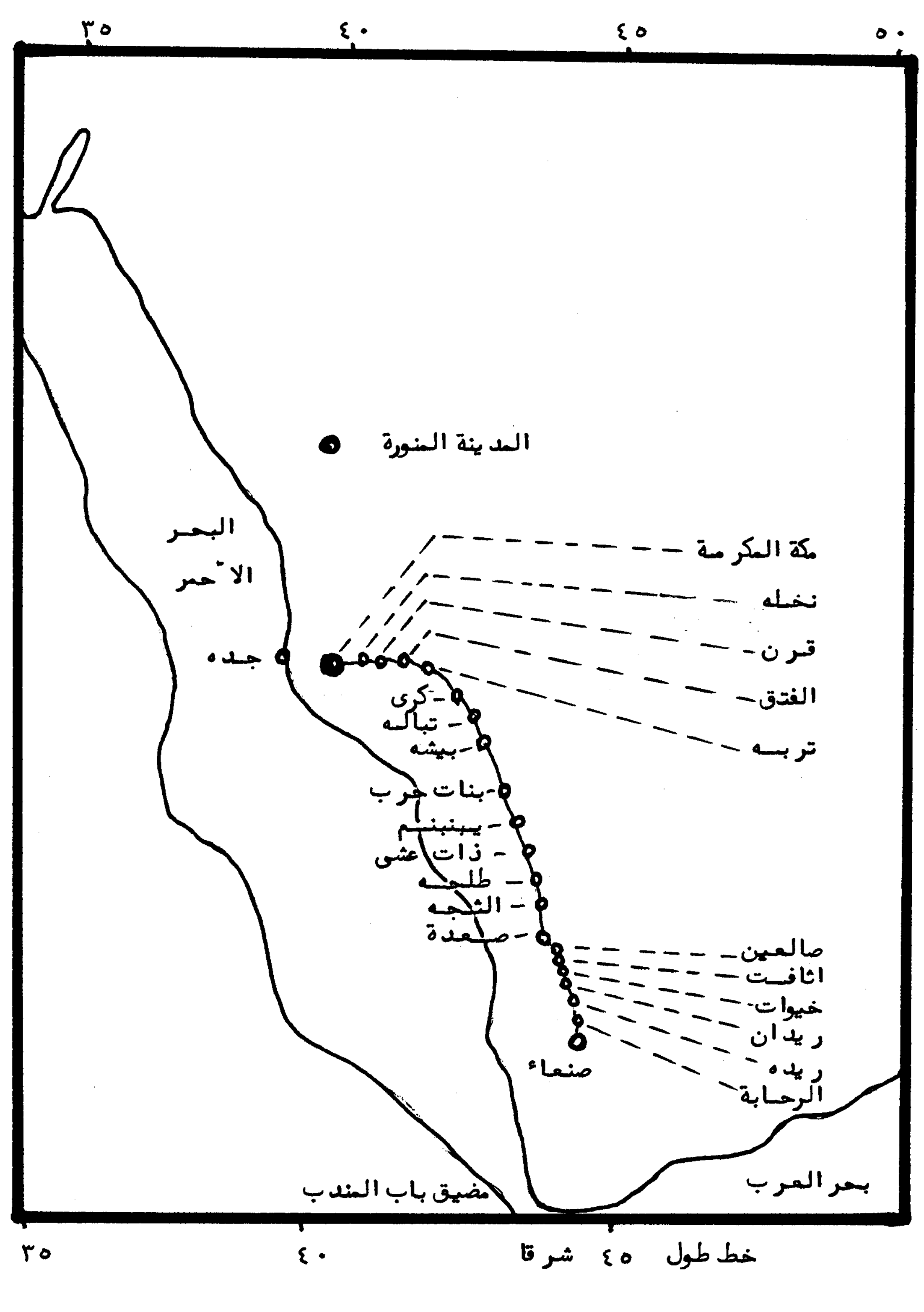
(خريطة رقم ٨)

طريق ركب الحاج اليمنى الساحلى



المصدر ، سليمان عبد الغنى مالكى ، مرافق الحج والخدمات المدنية فى الاراضى الاسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية

(خريطة رقم ٩)



(خريطة رقم ١٠)

طريق ركب الحاج اليمني الداخلي

ملحق (٢)

هذا الملحق هو نص حجة وقف الناصر محمد بن قلاوون بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة سنة ٧٢٤ هـ [1].

نص شروط كتاب الوقف :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - هذا كتاب وقف صحيح شرعي وحبس صريح دائم مرعى وقف فيه على مولانا المقام

٣ - الاعظم الشريف العالى المولوى السلطاني العالمي العادلى المجاهدى المرابطى الليثي الهمامي

٤ - المؤيدى المظفرى المنصورى المالكي الملكي الناصرى الناصرى ناصر الدنيا والدين وسلطان الاسلام

٥ - والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفرة والمشركين محى العدل في العالمين منصف المظلومين

٦ - مبيد الطغاة والمارقين ظل الله الوارف ورحمته السابغة للبادى والعاكف وناصر دينه الذى

٧ - قطعت الآراء بتفضيله فلا مخالف أبى الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه وسلطانه وأدام

٨ - على كافة الرعايا عدله وإحسانه وجدد له كل يوم نصرا وملكه بساط الأرض برا وبحرا ابن

٩ - مولانا السيد الأجل السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين سلطان

---

(١) ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، جـ ٢ ص ٣٦٩ - ٣٨٥ .

١٠- الاسلام والمسلمين والد الملوك والسلاطين محى العدل في العالمين قسيم أمير المؤمنين أبى المظفر

١١- قلاوون الصالحى تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته وكيلـــه سيدنا العبد الفقير

١٢- الى الله تعالى تاج الدين سيد الرؤساء في العالمين ملجأ القاصدين ذخر العالمين كهف الفقراء والمساكين

١٣- صفوة الملوك والسلاطين خالصة قسيم أمير المؤمنين أبو اسحاق عبـــد الوهاب ابن عبد الكريم متولى الوكالة الشريفة

١٤- السلطانية الملكية الناصرية ،وناظر الخواص الشريفة السلطانية الملكيـــة الناصرية اسبغ الله ظله

١٥- و رفع محله حسبما وكله اعز الله أنصاره في جميع ما يذكر فيه التوكيـــل الشرعي بشهادة من

١٦- يعينه في رسم شهادته آخره واشهد عليه سيدنا العبد الفقير الـــى الله تعالى تاج الدين الوكيل المسمى

١٧- احسن الله اليه أ نـه وقف وحبس وسبل وأبـد وحرم عن موكله مولا نـــا السلطا ن الملك

١٨- الناصر المسمى اعز الله انصاره بمقتضى التوكيل المشروح فيه جميـــع الحصة التي مبلغها النصف

١٩- والثلث عشرون سهما من أربعة وعشرين سهما شائعا غير مقسوم من جميع أراضى الناحية المعروفة

٢٠- بسرياقوس وما هو من حقوقها الاتي ذكر ذلك ووصفه وتحديده فيـــه الجارى ملك ذلك بكماله في ملك مولانا

٢١- السلطان الملك الناصر الموكل الموقوف عنه المسمى فيه خلد الله ملكته وادام دولته وتصرفه وحيازته

٢٢- ووقف منه هذا الواقف المذكور هذه الحصة المذكورة على الوجه الذى يشرح فيه والمصارف

٢٣- التي تبين فيه والباقي من ذلك وهو السدس أربعة اسهم شائعا وقفه الواقف المذكور عن موكله مولانا السلطان

٢٤- الملك الناصر المسمى اعز الله انصاره قبل تاريخه على الجناب العالى الاميرى الكبيرى الشهابي شهاب الدين احمد بن المقر الاشرفي

٢٥- العالى المولوى الاميرى السيفي بكتمر الساقي الملكي الناصرى اعزه الله تعالى بكتاب مفرد بيده وهذه الناحيه

٢٦- المعروفة بسرياقوس المذكورة من اعمال القليوبية تشتمل على أراضي بقا وبرائب وخرس ومستبحر

٢٧- وجسور وغير ذلك وعلى اثنتي عشر حانوتا يشتمل كل منها على مسطبة وسقيفة ودراريب وداخل ومرافق

٢٨- وحقوق منها حانوت واحد مجزرة وحانوت ثان مصبغة وجملة مساحة أراضيها بكاملها ثلاثة الاف فدان.

٢٩- وثمانية أفدنة بالقصبة الحاكمية منها رزق احباسية خارجة عن الوقف المذكور أربعة وثلاثون فدانا وباقى

٣٠- ذلك ألفا فدان وتسعمائة فدان وأربعة وسبعون فدانا بالقصبة الحاكمية داخل منه نظير هذه الحصة في هذا الوقف

٣١- فمن ذلك ما هو حامل الانشاب وأبنية البساتين بالناحية المذكورة مائتا فدان وخمسة وعشرون فدانا ونصف فدان

٣٢- ومن ذلك ما هو للزراعة ألفا فدان وأربعمائة فدان وثلاثة وستون فدانا
منه طين يعرف بالمعارسة ألف فدان

٣٣- وسبعمائة فدان واثنا عشر فدانا وطين يعرف بالمتاجرة سبعمائة فدان
وأحد وخمسون فدانا وباقي ذلك وهو

٣٤- مائتا فدان وخمسة وثمانون فدانا ونصف فدان خرس و زبل ومستبحر
وأرض الذميمة والجسور والجرون فيه

٣٥- بهذه الناحية المذكورة بكمالها ويجمعها ويحصرها ويشتمل عليها
وعلى سائر حقوقها كلها حدود أربعة الحد

٣٦- القبلي ينتهي الى أراضي الناحية المعروفة بالمحرص والى أراضي حس
الخنافس والى الجسر المعروف بجسر

٣٧- الغول والحد البحرى ينتهي الى كوم ريحان المعروف بمنايل
الشخوصى والى أرض منا جعفر

٣٨- المجاورة للسماسم والحد الشرقي ينتهي من أوله الى آخره الى الرمال
والحد الغربي

٣٩- ينتهى الى أراضي كوم السمن وكوم الهوا وأراضي الناحية المعروفة ببلقس
الوقف على الأضراف والحوانيت

٤٠- المذكورة صفان شرقي وغربي فالشرقي ستة حوانيت تحيط بها حدود
أربعة الحد القبلي ينتهي الى الطريق

٤١- المسلوك والحد البحرى ينتهي الى الطريق ايضا والحد الشرقي الى
الخليج ومزارع بالأرض المذكورة

٤٢- والحد الغربي ينتهي الى الطريق الفاصلة بينها وبين بقية الحوانيت
المذكورة والستة الباقية في الجهة الغربية تحيط بها .

٤٣- حدود أربعة الحد القبلي ينتهي الى الطريق المسلوك والحد البحرى ينتهى الى الطريق ايضا والحد الشرقي

٤٤- ينتهي الى الطريق الفاصلة بينها وبين الحوانيت المقدم ذكرها والحد الغربي ينتهي الى ذمية الناحية المذكورة محدود

٤٥- ذلك كله وحقوقه ومايعرف به وينسب اليه من حقوقه كلها الداخلة فيه والخارجة عنه خلا ما فيها من مسجد لله

٤٦- تعالى وطريق المسلمين ومقبرة برسم دفن موتاهم وخلا ابنية الذمية المذكورة وأنشاب البساتين وآبارها وأبنيتها

٤٧- وخلا الرزق الاحباسية التي بأرض الناحية المذكورة المستثناة بأعاليه وهو خمس رزق مساحتها أربعة وثلاثون فدانا

٤٨- منها عشرة أفدنة باسم الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس وهي رأس حوض يعرف بالصابونة وعزبته حدها

٤٩- القبلى الى الطريق والبحرى الى كوم يعرف بالعرره والشرقي الى الطريق وينتهى الى جسر يعرف ... ومنها

٥٠- قطعة تعرف برزقة حوض السبيل وهي عشرة أفدنة بحوض الحرس حدها القبلي والبحرى والشرقي الى الخرس

٥١- والغربي الى الرملة ومنها ثلاثة أفدنة ونصف فدان تعرف برزقة الشيخ ذكرى بحوض يعرف بهرينة

٥٢- حدها القبلي غيط بيليك والبحرى الى ذمية الناحية المذكورة والشرقي الى غيط يعقوب والدربي الى

٥٣- الطريق المسلوك ومنها رزقة خطابة الناحية المذكورة سبعة أفدنة ونصف فدان بحرى حوض يعرف

٥٤- بالصابونية حدها القبلي الى حوض الصابونية والبحرى الى أرى مناجعفر
والشرقي الى أرض تعرف بالكرسية

٥٥- من أراضي سرياقوس والغربي الى حوض يعرف بالفضالى ومنها رزقة
تعرف بعبد المحسن ثلاثة افدنة بحوض

٥٦- يعرف بالفضالى حدها القبلي الى حوض الصابونية وبحريها الى
منايل الشخوصي وشرقيها وغربيها الى حوض

٥٧- الفضالي فان هذا المستثنى لم يدخل ولا شيء منه في هذا الوقف ولا
في شيء منه وقفا صحيحا

٥٨- شرعيا وحبسا صريحا مرضيا دائما مرعيا لا يباع ولا يورث ولا يرهن
ولا يملك ولا يناقل به ولا يحب عقد من

٥٩- عقوده قائما على أصوله محفوظا على شروطع التي تذكر فيه الى أن
يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

٦٠- على ما يأتي ذكره فيه مفصلا وشرحه معينا مبينا فمن ذلك حصة
مبلغا النصف والربع وثمانية عشر سهما

٦١- من أصل أربعة وعشرين سهما شائعا من جميع أراضي الناحية المذكورة
والحوانيت المذكورة خلا المستثنى فيه وقفها

٦٢- الواقف المسمى فيه على موكله مولانا المقام الشريف العالى المولوى السلطان
الملكي الناصرى الناصرى

٦٣- ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك
والسلاطين قسيم امير المؤمنين

٦٤- أبي الفتح محمد الموكل المسمى اعلاه اعز الله انصاره وضاعف اقتداره
مدة حياته

٦٥- جعلها الله تعالى مباركة طيبة ثم من بعده على أولاد مولانا السلطان
الملك الناصر المسمى اعزالله
٦٦- انصاره الذكور والاناث يستقل الواحد منهم عند انفراده ذكرا كان
أو انثى ويشترك فيه الاثنان
٦٧- فما فوقهما عند الاجتماع بينهم بالسوية لا يفضل ذكر منهم على انثى
ثم على أولادهم كذلك ثم على اولاد
٦٨- أولادهم وأنسالهم واعقابهم الذكور والاناث من ولد الظهر ومن ولد
البطن تحجب الطبقة العليا
٦٩- منهم أبد الطبقة السفلى كل ذلك على وجه المبين بعد والتفصيل الذى
يشرح ويبين على أنه من توفى
٧٠- منهم اجمعين وخلف ولد أو ولد ولد وأن سفل انتقل ما كان جاريا
على المتوفا من ذلك حين وفاته
٧١- الى اولاده ثم الى اولاد أولاده ونسله وعقبه على الشرط والترتيب
المشروحين فيه فان لم يترك المتوفى
٧٢- منهم ولدا ولا ولد ولد ولا نسلا ولا عقبا انتقل ما كان جاريا عليه من
ذلك الى اخوته واخواته المشاركين
٧٣- له في استحقاق ذلك بينهم بالسوية مضافا الى ما هو لهم من ذلك
فان لم يكن له أخ ولا اخت منهم انتقل نصيبه
٧٤- الى اقرب الطبقات الى المتوفا المذكور من بقية أهل هذا الوقف
يستقل به الواحد عند انفراده ويشترك فيه الاثنان
٧٥- فما فوقهما عند الاجتماع بينهم بالسوية ثم من بعد من ينتقل ذلك
اليه الى اولاده ثم الى اولاد اولاده على

٧٦- الوجه المشروح فيه وعلى أنه من توفى منهم اجمعين قبل دخوله في هذا الوقف واستحقاقه لشيء من منافعه وخلف

٧٧- ولدا أو ولد ولد وأن سفل ثم آل الوقف الى حال لو كان المتوفا حيا باقيا لاستحق ذلك أو شيئا منه فأمر

٧٨- ولده ثم ولد ولده وأن سفل مقامه في الاستحقاق واستحق ما كان أصله يستحقه من ذلك لو كان حيا ومتى

٧٩- كان في اهل هذا الوقف فقيرا ومن ليس له كفاية تليق بحاله صرف الى كل منهما من ريع هذا الوقف ما يقوم بكفايته

٨٠- على قدر حاله مقدما على غيره ثم صرف الباقي بين جميع ذرية مولانا السلطان الملك الناصر المسمى

٨١- اعز الله انصاره على حكم الشروط المشروحة اعلاه يجرى ذلك عليهم كذلك الى حين انقراضهم فاذا انقرضوا

٨٢- باجمعهم وابادهم الموت عن آخرهم ولم يبق منهم أحد كان ذلك وقفا مصروفا ريعه في وجوه البر والقربات

٨٣- العامة من اطعام وتسبيل الماء العذب وكسوة العرايا واغاثة الملهوفين وقضاء دين المدينين وتجهيز الحجاج والغزاة

٨٤- وفكاك اسرى المسلمين من أيدى العدو والمخذول وغير ذلك من انواع البر والقربات على ما يراه الناظر ويؤدى اليه اجتهاده ومن

٨٥- ذلك حصة مبلغها سهم واحد من أربعة وعشرين سهما سائعا من جميع أراضي الناحية المذكورة والحوانيت

٨٦- المذكورة خلا المستثنى فيه وقفه الواقف المذكور عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر المسمى خلد الله ملكه

٨٧- على أن الناظر في هذا الوقف يجمع ريعه في كل سنة و يرسل مـــا
يتحصل منه الى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به الى

٨٨- مكة شرفها الله تعالى والى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل
الصلاة والرحمة ويصرفه المسيرعلى يده في

٨٩- تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة الشريفتين لعدم الزاد والراحلة يصرف
ذلك اليهم على مايراه فيما يحتاجون

٩٠- اليه من زاد وراحلة لتوصلهم الى الديارالمصرية أو الى أوطانهم أسـوة
أمثالهم من الحجاج ويقدم الأحوج

٩١- منهم فالأحوج ومن ذلك حصة مبلغها نصف سهم من أربعة و عشرين
سهما شائعا من جميع ما ذكر ووصف

٩٢- وحده أعلاه خلد المستثنى به فيه وقفها الواقف المسمى فيه احسن الله
اليه عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر

٩٣- المسمى اعز الله أنصاره على فكاك أسرى المسلمين من أيدى العدو المخذول
حيث كانوا فان تعذر صرف ريع هذا

٩٤- النصف سهم المذكور فيما ذكر جمعه الناظر تحت يده مدة خمس سنين
فان زال التعذر في هذه المدة صرف ريع ذلك في

٩٥- فكاك اسرى المسلمين على ما شرح اعلاه فان استمر التعذر بعد انقضاء
هذه المدة المذكورة صرف الناظر جميع ما جمعه من

٩٦- ذلك للفقراء والمساكين المسلمين وفي أبواب البر والقربات المشروحة
بأعاليه على ما يراه ثم يستأنف للادخار والجمع مدة

٩٧- أخرى وفعل فيها كذلك أبدا ابدا الى أن يرث الله الأرض و مـــن
عليها وهو خير الوارثين وباقي هذه الحصة الموقوفة

٩٨- وهو نصف سهم من أربعة وعشرين سهما شائعا من جميع أراضي الناحية المذكورة والحوانيت المذكورة خلا المستثنى به فيه

٩٩- المشار الى ذكر ذلك جميعه بأعاليه وقفه الواقف المسمى احسن الله اليه عن موكله مولانا السلطان الملك الناصر

١٠٠- المسمى خلد الله ملكته وقفا شرعيا على أن الناظر في هذا الوقف يصرف ريع هذا النصف سهم المذكور في

١٠١- خلاص المسجونين من سجون الحكم العزيز بالقاهرة و مصر المحروستين باداء ما اعتقلوا عليه أو المصالحة عليه على ما يراه الناظر

١٠٢- فان تعذر الصرف الى مصارف السهمين المذكورين بأعاليه والعياذ بالله تعالى صرف ريعهما الى الفقراء والمساكين

١٠٣- المسلمين وفي أبواب البر والقربات المشروحة بأعاليه على ما يراه الناظر في ذلك ويؤدى اليه اجتهاده فان زال

١٠٤- التعذر عاد الصرف في مصارف السهمين المذكورين اعلاه على ما شرح اعلاه يجرى الحال في ذلك كذلك أبد الآبدين

١٠٥- ودهر الداهرين الى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين وشرط الواقف المسمى احسن الله اليه أن لا

١٠٦- يؤجر ذلك ولا شيء منه أكثر من سنة فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ولا يدخل عقدا على عقد حتى تنقضي مدة العقد

١٠٧- الأول ويستغل ريع ذلك بوجه الاستغلال الشرعي ويصرفه في مصارفه المعينة اعلاه وشرط

١٠٨- ايضا الواقف المسمى احسن الله اليه النظر في ذلك والولاية عليه لموكله مولانا السلطان الملك الناصر

١٠٩- المشار اليه خلد الله ملكته وله أن يوصى بذلك ويفوضه ويسنده لمن يختار فان مات عن غير وصية ولا اسناد

١١٠- أو وصى وتعذر تصرف الموصى اليه بوجه من الوجوه كان النظر فيه للأرشد فالأرشد من أولاده وأولاد

١١١- أولاده ونسله وعقبه فان لم يكن فيهم رشيد أو كانوا وانقرضوا كان النظر فيه للأكبر الأصلح من عتقاء

١١٢- مولانا السلطان الملك الناصر المشار اليه أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره الرجال خاصة فان

١١٣- اجتمع جماعة اكابر صالحون أهل للنظر قدم أوجههم واكثرهم ديانة واكبرهم سنا فان استوى

١١٤- اثنان في ذلك فاكثر قدم الأدين منهم فاذا انقرضوا أو تعذر نظرهم بوجه كان النظر في ذلك

١١٥- والولاية عليه لحاكم المسلمين الشافعي بالديار المصرية فقد تم هذا الوقف وأبرم ونفذ

١١٦- كله وأنبرم وصار وقفا على ما نص وشرح بأعاليه فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم ويعلم

١١٧- أنه الى ربه الكريم صائر أن يغير ذلك ولا شيئا منه ولا يبدله ولا يبطله ولا يسعى في ابطاله ولا في

١١٨- ابطال شيء منه فمن فعل ذلك أو أعان عليه فالله طليبه وحسيبه وموءاخذه بفعله ومجازيه بعمله

١١٩- (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه

١٢٠- والله روؤف بالعباد) (١) ومن اعان على ابقائه وتقريره في أيـدى
مستحقيه وصرفه في جهاته برد الله مضجعه ولقنه حجته

١٢١- وجعله من الامنين الذين (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢)
واشهد عليه الواقف المذكور احسن الله اليه وأسمع

١٢٢- بذلك كله في اليوم المبارك العاشر من جمادى الآخرة سنة أربعـة
وعشرين وسبعمائة احسن الله نفعها وحسبنا الله و نعم الوكيل

١٢٣- اشهدني سيدنا العبد الفقير اشهدني سيدنا العبد الفقير الـى
الله تعالى الى الله تعالى

١٢٤- تاج الدين سيد الروؤساء تاج الدين سيد الروؤساء
في العالمين في العالمين كهف الفقراء

١٢٥- كهف الفقراء والمساكين والمساكين الواقف المسمى الواقف اعلاه ادام الله

١٢٦- المسمى اعلاه ادام الله توفيقه توفيقه وتسديده بما نسب اليـه
من الوقف

١٢٧- وتسديده بما نسب اليه من المسطر اعلاه على ما نص
الوقف وشرح اعلاه

١٢٨- المسطر اعلاه على ما نص فشهدت عليه بذلك في العاشـر
وشرح من جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبعمائة

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨.

١٢٩- اعلاه فشهدت عليه بذلك كتبه جرى الشافعي عفا الله

في العاشـــر عنه وكرمــه

١٣٠- من جمادى الاخرة سنة اربع شهد عندى بذلك

وعشرين وسبعمائة

١٣١- كتبه محمد بـن نصر الله بن في اصله

عبد الوهاب المالكي الجوهرى

١٣٢- ثاني نسخة شهد عندى بذلك

في أصلــه

ملحق (٣)

هذا الملحق هو نص حجة وقف مآثر السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون بالحرمين الشريفين وما ابطله بهما من مكوس المؤرخة في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٧٧ هـ (١)، أما النص فهو على النحو التالي :

١ - أنشأ مولانا السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه خلد الله ملكته وأدامه.

٢ - وأدام دولته وتقبل منه بِرّه وصدقته صرف ريع الأماكن الموقوفة أعلاه

٣ - التي اقتضى رأيه الشريف وأمره المنيف أن الناظر فيها والمتولي عليها يستغل ريعها

٤ - بوجوه الاستغلال الشرعي ويصرفه فيما يذكر فيه من وجوه البر والقربات التي تذكر فيه فمن ذلك.

٥ - ما عين الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره وأدام اقتداره صرفه بالحرمين الشريفين شرفهما الله

٦ - الله تعالى وعظمهما حرم مكه وحرم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذكر فيه

٧ - فيصرف منه في كل سنة من النقرة مايتي ألف درهم وخمسة عشر ألف

٨ - درهم نقرة نصف ذلك الى ريع ما وقفه مولانا السلطان خلد الله ملكته وأدام دولته وهو

---

(١) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني ، ص ٥١٨ - ٥٣٣.

٩ - ناحية (اللحسه) وثلثا (دادسح) اللتان وقفهما على أن يستغل ريعهما
ويصرف لأمير مكة والمدينة.

١٠ - بشرط أنهما لا يتناولان شيئا من المكوس المشترط عدم تناولها بحيث يصير
مالا واحدا ويصرف .

١١ - منه لأمير مكه المشرفه فى كل سنة مائه ألف درهم وستون ألف درهم .

١٢ - بشرط أن لا يتناول شيئا من المكوس من حاج ولا مقيم ولا زائر ولا مجتاز من
بر أو بحر وما يباع .

١٣ - بأسواق مكة من مأكول ومشروب وني ومطبوخ من جميع ما يقتات به من الحنطة
والأرز والعدس .

١٤ - والشعير والدقيق والحمص وغير ذلك مكيلا أو موزونا أو معدودا أو مذروعا
ولا من الفواكه والثمار.

١٥ - والأعناب والبطيخ ولا من الخضراوات والأعسال والأدهان والآدام ولا من
الحيوانات .

١٦ - من الابل والبقر والغنم وغير ذلك وما يحضر اليها من البر والبحر وغيره من
ساحل جده ومن وادى نخله .

١٧ - والحجاز وسائر المشاعر العظام ولا يتناول شيئا من عشر النخل التى فى ولايته
ولا نزالة ولا .

١٨ - وكالة ولا عرافه ولا رياسة ولا يمكن أحدا من ذريته ولا من نوابه ومباشريه وعبيده
ولا خدمه من .

١٩ - التعرض الى أخذ شيء من ذلك ولا يمكن بوابا ولا عريفا ولا سمسارا من
التعرض الى أخذ شيء من ذلك وأن .

٢٠ - من دخل مكة شرفها الله تعالى ترك ومتاعه يبيعه حيث شاء لا يتلقاه أحد من
مباشريه ولا .

٢١ - من أرباب الدّرك ولا غيرهم بطلب مكس ولا غيره خلا تجار العراقيين واليمن
وما يحضر معهم من التجارة .

٢٢ - فانه يخلى وسبيله فيتناول المبلغ المذكور مادام متصفا بالصفة المشروحة فيه فان
تناول .

٢٣ - شيئا من ذلك أو خرج عما شرطه عليه مولانا السلطان الملك الأشرف أعز الله
أنصاره .

٢٤ - وأدام اقتداره أضيف الى ربع باقى الموقوف المذكور وصرف على الحكم الـــذى
يشرح فيه فان .

٢٥ - عاد امكان الصرف اليه عاد ويصرف الى أمير مكه المذكور أعلاه فى كل سنة مـــن
النقره خمسة آلاف .

٢٦ - درهم نقره عوضا عما كان يتناوله من بني شيبه على فتح الكعبة وأخذ ســــتر
الباب وفتح المقام الشريف مقام .

٢٧ - ابراهيم عليه الصلاة والسلام يتناول ذلك على ابطال ذلك عنهم فى كل سنــة
بحيث أنه .

٢٨ - لا يتعرض اليهم فى شيء من ذلك ويصرف لأمير المدينة الشريفة على مشرفهـا
أفضل الصلاة .

٢٩ - والسلام والرحمة فى كل سنة من النقره مائة ألف درهم نصفها خمسون ألـــف
درهم .

٣٠ - بشرط ألا يتناول شيئا من المكوس مما قرره على أمير مكه والتزامه بما شرط عليـه
من الشروط .

٣١ - المعيّنه أعلاه بشرط اتصافه بها وعدم خروجه عنها بحيث يكون حكم أمير المدينة
كحكم أمير مكه .

٣٢ - فيما شرط عليه من الشروط المعينه أعلاه بسبب ابطال المكس وعدم التعرض اليـه
فان لم .

٣٣ - يتصف بالصفة المشروحه أعلاه صرف فيما يذكر فيه فان عاد متصفا بالصفة .

٣٤ - المشروحه أعلاه صرف اليه يجرى الحال فى ذلك كذلك وجودا وعدما الـى أن
يرث الله .

٣٥ - الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ويصرف بحرم مكه شرفها الله وعظمها فى كل

٣٦ - سنة من النقره ألف درهم وثمان مائة درهم نقره النصف من ذلك تسع مائـــة
درهم نقره .

٣٧ - لستة نفر من القراء الحافظين لكتاب الله العظيم على أنهم يجتمعون فى كـل
يوم بعد صلاة الصبح خلف .

٣٨ - المقام الشريف شرفه الله تعالى وعظّمه ويقرؤون جزءا واحدا من تجزئة ستـين
جزءا من كتاب الله .

٣٩ - قراءة حسنه مرتلة ويصلي على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات ويهدون ثواب قراءتهم .

٤٠ - لمولانا السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه ضاعف الله ثوابه ولوالديه وذريته .

٤١ - ومن سلف منهم ولجميع المسلمين ويجتمعون أيضا بالمكان المذكور بعد صلاة العصر ويقرؤن حزبا .

٤٢ - من كتاب الله العظيم كما ذكر أعلاه ويهدون ثواب القراءة كما ذكر أعلاه ويصرف لقارئ .

٤٣ - الحديث يوم الجمعة بعد الصلاة ثلثمائة درهم نقره وستين درهما نقره على أنه يحضر بعد صلاة الجمعة .

٤٤ - بالمسجد الحرام يقرأ ما تيسرت له قراءته من تفسير القرآن العظيم ومن صحيح البخارى أو صحيح مسلم أو ما .

٤٥ - أختصر منهما أو من بقية الكتب الصحيحة ومن كتب الرقايق المعتمدة ومناقب الأبرار والصالحين .

٤٦ - ويقرأ بعد ذلك سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وخواتيم البقرة ويدعوا عقيب ذلك .

٤٧ - لمولانا السلطان الواقف المسمى فيه عز نصره ولوالديه وذريته ومن سلف منهم بالرحمة والمغفرة .

٤٨ - ولجميع المسلمين ويرتب الناظر بالحرم المذكور مدرسا محدثا من أهل الصدق والديانة والعدالة والصيانة .

٤٩ - له رواية ودراية بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حافظا لما تيسر له حفظه من متون .

٥٠ - الأحاديث والأسانيد عارفا ببعض علومها ويرتب معه عشرة من طلبة الحديث المشتغلين .

٥١ - به يجلس وطائفته فى رواق من أروقة الحرم المذكور أو بمكان يراه المدرس من الحرم المذكور يلقي .

٥٢ - درس حديث نبوى فى الأيام التى جرت العادة بحضور الدروس فيها ويبين لطلبته ما يظهر له في .

٥٣ - ذلك من كشف غامض وحل مشكل ويبيّن لهم أسماء الرجال وذكر أحكام الحديث وفقهه وصحة .

٥٤ - متنه على عادة المدرسين ويصرف لجميعهم فى كل سنة من النقره ثلاثـــة آلاف درهم . . .

٥٥ - من ذلك ماهو للمدرس المذكور ألف درهم ومائتا درهم وما هو للطلبة العشره ألف درهم .

٥٦ - وثمان مائه درهم لكل منهم فى كل سنة من النقره مائة درهم وثمانون درهمـــا نقره ويرتب بالحرم .

٥٧ - الشريف المذكور أربعة من المدرسين ذوى المذاهب الأربعة شافعى وحنفـــى ومالكي وحنبلى ويرتب .

٥٨ - مع كل مدرس من مدرسي الشافعية والحنفيه والمالكيه عشرة من طلبة العـــلم الشريف من أهل مذهبه .

٥٩ - ومع مدرس الحنابله خمسة نفر من طلبة مذهبه يجلس كل مدرس من المدرســين الأربعة وطلبته بالحرم المذكور في .

٦٠ - الأيام التي جرت العادة بحضور الدروس فيها فيما بين طلوع الشمس الـــى الزوال يستفتح كل .

٦١ - كل مدرس وطائفته درسه بقراءة ما تيسرت لهم قراءته من ربعة شريفه يطـــاف عليهم بأجزائها .

٦٢ - أو من صدورهم ثم يقرأ أحدهم ما تيسرت له قراءته من كتاب الله العظيم ثـــم يدعو عقيب ذلك لمولانا .

٦٣ - السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره ولجميع المسلمين ثم يأخذ كل مدرس .

٦٤ - لطائفته درسا من فروع مذهبه ويبين لطلبته ما يظهر له فى ذلك من كشـــف غامض أو حل مشكل .

٦٥ - ويبحث معه من تأهل للبحث على العاده ويسلك كل مدرس من المدرســين الأربعة المذكورين .

٦٦ - أعلاه في وظيفته مسلك التعليم والافادة ويصرف لكل مدرس من مدرسي المذاهب.

٦٧ - الثلاثة الشافعي والحنفى والمالكي وطلبته فى كل سنة من النقره ثلاثـــة آلاف د رهم نقره .

٦٨ - من ذلك ما هو لكل مد رس من المد رسين المذكورين في كل سنه من المقره ألـف د رهم وثمان .

٦٩ - ومايتا د رهم نقره وما هو للطلبة المذكورين فى كل سنه من النقره ألف د رهـــم وثمان مائه د رهم نقره .

٧٠ - لكل طالب منهم فى كل سنه ماية د رهم نقره وثمانون د رهما نقره ويصرف لمد رس.

٧١ - الحنابله فى كل سنة سبع مايه د رهم وعشرين د رهما نقره ولطلبته الخمسة فى كل سنة ستمائة د رهم نقره .

٧٢ - لكل منهم فى كل سنة مائة د رهم وعشرين د رهما نقره ويرتب بالحرم المذكـــور مؤد بـــا .

٧٣ - من أهل الخير والد يانة حافظا لكتاب الله العظيم وعشرة من أيتام المسلمـين الذ ين لم يبلغوا .

٧٤ - الحلم يجلس هو والأيتام المذكورين فى الأيام التى جرت العادة بالحضور فيهـا للتعليم بالحرم المذكور .

٧٥ - ويبطلون البطالة الجارى بها عادة مكاتب السبيل بمكة شرفها الله تعالـــى يعلمهم ما يطيقون .

٧٦ - تعليمه ويحتملون قراءته من كتاب الله العظيم وما يحتملون تعلمه من الخــط العربى وهجاية واستخراجه ويأخذ .

٧٧ - ويأخذ كل منهم ما مضى له من القراءة ويصحح عليه ما كتب له على (العـادة) على أنه من بلغ من الأيتام .

٧٨ - المذكورين استبد ل الناظر به غيره الا أن يكون قد بقي عليه اليسير من حفظــه وهو ممن يرجى فلاحه وخيره .

٧٩ - فيبقى بالمكتب المذكور الى أن يستكمل حفظ كتاب الله العزيز فاذا استكمل ذلك استبد ل .

٨٠ - الناظر به غيره بالصفة المشروحة أعلاه ويصرف لجميعهم فى كل سنة من النقرة أربعة آلاف د رهم .

٨١ - وثلثمائة درهم نقره وعشرين درهما من ذلك ماهو لمؤدبهم فى كل سنة من النقره
سبع مائة درهم وعشرون درهما نقره .

٨٢ - وما هو للأيتام المذكورين بقية المبلغ المذكور وهو ثلاثة آلاف درهم وستمائــــــة
درهما نقره لكل يتيم منهم في .

٨٣ - كل سنة من النقره ثلثمائة درهم وستون درهما نقره غير نفقته وكسوته ولوازمــــــه
الشرعية ويرتب .

٨٤ - بالحرم المذكور مادحا يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من القصايد
المشهورة بعد صلاة العص[ر] .

٨٥ - في يوم الاثنين والخميس والجمعة ويختم بقراءة ما تيسرت له قراءته من كتاب الله
العزيز ثم يدعو لمولانا .

٨٦ - السلطان الملك الأشرف الواقف المسمى فيه تقبل الله منه برّه وصدقته ولوالديه
ولذريته ومن .

٨٧ - سلف منهم ولجميع المسلمين ويصرف فى كل سنه من النقره ثلثمائة درهـــــم
وستين درهما نقره وقرر مولانا السلطان .

٨٨ - الواقف المذكور عز نصره لهذه الوظيفة المذكورة الفقيه حسين بن يوســــف
المادح ثم من بعده يقرر الناظر .

٨٩ - لهذه الوظيفه من يراه ويصرف له المعلوم المذكور ويرتب بالحرم المذكور خمسة
من المؤذنين الحسنى الصوت .

٩٠ - فأربعة منهم يعلنون بالأذان الشرعي فى الميادن (هكذا) التى بالحـــــرم
المذكور كل منهم فى ميذنه منها والمؤذن .

٩١ - الخامس يعلن بالأذان علي سطح زمزم وقرر لوظيفة الأذان علي زمزم الفقيـــه
حسين المسمى أعلاه ثم بعده .

٩٢ - يقرر الناظر لهذه الوظيفة المذكورة من يراه ويصرف لجميعهم فى كل سنة مـــن
النقره ألفى درهم لكل منهم .

٩٣ - أربع مائة درهم نقره ويصرف للأيمه الأربعة المرتبين بالحرم المذكور للامامــــــه
فى الصلوات .

٩٤ - الخمس فى كل سنة من النقره ألف درهم وستمائه درهم نقره لكل امام منهم فى كل
سنه من النقره .

٩٥ - أربع مائة درهم زيادة على ماهو مقرر له من المعلوم من غير الواقف المذكـــور
ويصرف للمكبرين خلف الأئمه .

٩٦ - الأربعة المذكورين فيه زيادة على ماهو مقرر لهم من المعلوم فى كل سنه مـــن
النقره ثمان مائه درهم لكل مكبر منهم في .

٩٧ - كل سنه مائتا درهم ويصرف لقاضي الحكم بمكة شرفها الله تعالى فى كل سنـــة
من النقره ألف درهم نقره .

٩٨ - بشرط أن يكون نظره على ما قرره مولانا السلطان المسمى فيه أعز الله أنصاره
وأدام اقتداره من .

٩٩ - الوظائف بالحرم المذكور واجرائها على ما شرطه الواقف المسمى فيه عز نصـــره
بحيث تكون مستمرة على .

١٠٠ - الدوام والاستمرار ويصرف لثمان نفر من الفراشين في كل سنة من النقره ألفـي
درهم .

١٠١ - وأربع مائة درهم بالسوية بينهم على أنهم يتولون خدمة الحرم المذكور وتنظيف
أروقته وأسطحته من .

١٠٢ - الأوساخ وكنس أبواب الحرم المذكور وما حولها من الأوساخ ليكون نظافتهـــا
مستمرة على الدوام .

١٠٣ - ويصرف فى كل سنة من النقره ألف درهم وثمان مايه درهم نقره من ذلك مــــا
يصرف لسدنة .

١٠٤ - الكعبة الشريفة ومن معهم في كل سنه من النقره ألف درهم وخمس مائه درهـــم
نقره وما يصرف لخدام .

١٠٥ - السلم الذى يتوصل من عليه الى فتح باب الكعبة الشريفه شرفها الله تعالـــى
وعظمها فى كل سنة ثلثمائة .

١٠٦ - درهم نقره ويصرف للمؤذنين بالجبال الأربعة فى كل سنة من النقره أربع مايـــة
درهم وثمانين درهما نقره لكل .

١٠٧ - منهم فى كل سنة من النقره مائة درهم وعشرون درهما نقره ويدعوا كل منهم في
وقت السّحر لمولانا السلطان .

١٠٨ - الواقف المسمى فيه أعز الله أنصاره ولجميع المسلمين ويصرف فى كل سنة مـــن
النقره خمس مائة درهم وستين .

١٠٩ - درهما نقره لمصالح بير زمزم ومن يسقى الماء منها لساير الناس أجمعين من ذلك ما يصرف لمصالحها فى ثمن دلاء وسلب .

١١٠ - وبكر في كل سنه من النقره مائتا درهم وما يصرف للمسبّل المذكور فى كل سنة من النقره ثلثماية وستين درهما نقره .

١١١ - ويرتب بالحرم المذكور سقايين أحدهما يسقى الماء بالليل والآخر بالنها فيما بين المقام الشريف.

١١٢ - والنعبة الشريفه شرفها الله تعالى يسقيان الطائفين بالكعبة وغيرهم ويصرف لهما عن ثمن ماء وأجرة .

١١٣ - ماعون وأجرتهما عن تسبيل الماء المذكور فى كل سنه من النقره ألف درهم وخمس مائه درهم نقره لكل .

١١٤ - منهما سبع مائة درهم وخمسون درهما نقره ويصرف فى كل سنة من النقرة ستمائة درهم من ذلك ماهو ثمن طيب.

١١٥ - وبخور لتطييب الكعبة الشريفه وأركانها وتخليقها وتبخير من يحضر للطواف من الطائفين ماعدا أيام الحج .

١١٦ - ما جملته مائتا درهم نقره وأربعون درهما نقره وما هو أجره من يفعل ذلك فى كل سنة من النقره ثلثمائه وستون درهما .

١١٧ - نقره ويصرف فى كل سنة ثلثمائة وستين درهما نقره لثلاثة نفر يتولى كل منهم تنظيف الحرم المذكور من الكرش .

١١٨ - والعقارب وساير الهوام على العادة ويصرف فى كل سنة من النقره ألفي درهم للبوابين بالحرم .

١١٩ - المذكور زيادة على ماهو مقرر لهم من المعلوم من غير الواقف المذكور ويكون ذلك بينهم بالسوية ويصرف .

١٢٠ - في كل سنة للوقاد بمكة شرفها الله تعالي خمس مائة درهم نقره ويصرف فى كل سنة من النقره ألف درهم .

١٢١ - للمباشرين لعمارة الحرم المذكور وترميمه واصلاحه يكون ذلك بينهم بالسّوية زيادة على ماهو مقرر لهم من .

١٢٢ - المعلوم من غير الواقف المذكور ويصرف في كل سنة لنفرين يتوليا تنظيف مابين الصفا والمروة .

١٢٣ - من العظام والأوساخ على عادة أمثالهما فى ذلك بحيث يكون الصفا والمروة والمسعى بطائفيهما [م]ستمره .

١٢٤ - على الدوام والاستمرار ما جملته من النقره ألف درهم نقره بالسّوية بينهما ويصرف في كـ[ل] .

١٢٥ - سنه من النقره ستمائة درهم نقره لمن يسقى الماء فى طول النهار بمكة شرفها الله تعالى عن ثمن ماء عذب وثمن د و[ارق] .

١٢٦ - وأجرة تسبيله على الناس أجمعين بالحرم المذكور ويصرف فى كل سنه من النقره ألف درهم نقره .

١٢٧ - النصف من ذلك خمس مائه درهم نقره فى ثمن قمصان من الكتان والقطن ويرسل ذلك فى كل سنه الى مكة شرفها [الله] .

١٢٨ - تعالى صحبة الركب الشريف السلطاني مع من يثق به يصرف ذلك على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطع[ين] .

١٢٩ - ويقدم منهم أصحاب الأخصاص ويصرف فى كل سنه من النقره ثلاثة آلاف درهم نقره يشترى .

١٣٠ - منها الناظر بألف درهم وخمس مائة درهم نقره أكفانا ويرسلها مع بقية المبلغ المذكور الى الناظر على الحرم .

١٣١ - المذكور صحبة الركب الشريف ليصرف الأكفان المذكورة لتكفين الأموات بالحرم المذكور وأجرة من يتولى غسلهـ[م] .

١٣٢ - وتكفينهم وموازاتهم فى لحدهم أسوة أمثالهم على الوجه الشرعي ويصرف فى كل سنه من النقره ماية .

١٣٣ - درهم وخمسين درهما نقره يشترى بها الناظر ابرا وخيوطا من الكتان والقطن ويرسل ذلك الى الحرم يفرق .

١٣٤ - ذلك على من يراه من الفقراء والمساكين بالحرم المذكور ويصرف فى كل سنة من النقره خمسة آلاف درهم نقره .

١٣٥ - نصفها ألفا درهم وخمس مائة درهم نقره يرسلها الناظر على الوقف المذكور صحبة الركب الشريف .

١٣٦ - يتولى تفرقة ذلك من يراه الناظر على الفقراء والمساكين والأرامل والمنقطعين به والواردين [اليه غير] .

١٢٧ - الروافص ويقدم فى الصرف أصحاب الأخصاص الذين هم بظاهر مكة شرفهـا
الله تعالى ويصرف فى .

١٢٨ - كل سنه من النقره خمسة آلاف درهم وثمان مائة درهم نقره لمصالح الميضـأة
المستجدة الانشاء الكائنة .

١٢٩ - بباب علي الذى استحدها مولانا السلطان الواقف المسمى فيه تقبل الله منه
برّه وصدقته فمن ذلك .

١٤٠ - ما يصرف منه لسواق يقوم بادارة الساقية المذكورة ومصالح العوامـل
لادارتها فى كل سنة سبع مائة .

١٤١ - درهم نقره وعشرين درهما نقره وما يصرف للبواب المرصد لفتح باب الميضأة
المذكورة في كل سنة من النقره .

١٤٢ - وغلقها فى الأوقات المحتاج اليها وغلقه علي عادة أمثاله في كل سنة من النقره
سبع مايه درهم وعشرون .

١٤٣ - درهما نقره وما يصرف للمقيم بالميضأة المذكورة فى كل سنة من النقره ألـف
درهم وثمانون درهما .

١٤٤ - نقره على أن يقوم بتنظيف الميضأة والمراحيض ومسح مابها من الأوسـاخ
والمستقذرات علىعادة أمثاله.

١٤٥ - فى ذلك ويصرف فى ثمن جمل برسم دوران الساقية ما يحتاج اليه ويصـرف
فى كلفة علوفة .

١٤٦ - الجمل المذكور فى كل سنة ألف درهم وثمانون درهم نقره ويصرف فى ثمن زيت.

١٤٧ - من زيت الزيتون يستضىء به فى الميضأة المذكورة فى الأوقات المحتاج اليهـا
فى كل سنة من النقره مايتا .

١٤٨ - درهم وخمسون درهما نصفها مائة درهم وخمسة وعشرون درهما نقره ويصرف فى
كل سنة من النقره.

١٤٩ - مائتا درهم وخمسون درهما نقره فى ثمن سلب وأدلية وغير ذلك مما تحتـاج
اليه الساقية المذكورة .

١٥٠ - ويصرف فى كل سنة لمشارف الميضأة المذكورة ما جملته من النقرة خمس مائـة
درهم نقره .

١٥١ - وما فضل بعد ذلك ادّخره الناظر تحت يده لما تحتاج اليه الميضأة والساقية من العمارة والمرمّة وشراء .

١٥٢ - جمال لادارتها مدة سنة كاملة فان حصل الاستغناء عنه صرفه الناظر لما يحتاج اليه المارستان .

١٥٣ - الآتى ذكره فيه واستأنف الادخار ويصرف فى كل سنه لمصالح المارستان الذى .

١٥٤ - استجده مولانا السلطان خلد الله ملكته بمكة شرفها الله تعالى وعظمها ما يذكر فيه فتصرف .

١٥٥ - في ثمن دقيق وقمح وطحنه ما جملته ستة وسبعون اردبا من النقره خمسة عشر ألف درهم ومائتا .

١٥٦ - فان كان السعر أقل من ذلك اشترى ببقية المبلغ دقيقا أو قمحا وطحنه وصرفه على الحكم الذى شرح .

١٥٧ - فيه فيصرف فى مدة أولها الثالث عشر من ذى الحجة من كل سنة والى آخر المحرم من السنة الثانية .

١٥٨ - في كل يوم نصف اردب المدة ثمانية وأربعون يوما عن المدة أربعة وعشرون اردبا وان زاد .

١٥٩ - الدقيق أضيف الزيادة الي هذه المدة ويصرف على الحكم الذى يشرح فيه وبقية فى كل يوم سدس .

١٦٠ - اردب المدة ثلثمائة يوم واثنا عشر يوما عنها اثنان وخمسون اردبا يقيم الناظر طباخا .

١٦١ - يطبخ الدقيق فى كل يوم جريره ويفرق ذلك على الضعفاء من الرجال والنساء والرّمدا والزمناء .

١٦٢ - المقيمين بالمارستان المذكور ويصرف فى كل سنه من النقره سبع مائة درهم وعشرين درهما .

١٦٣ - نقره فى ثمن سمن برسم المذكورين فيه يجعل ذلك فى الجريره المذكورة ويفرقها على الحكم المشروح .

١٦٤ - فيه ويصرف فى كل سنة ألفى درهم وثمان مائة درهم نقره لثمان نفر من الفراشين والفراشات .

١٦٥ - من النسوه علي أن كل واحد من الغراشين من الرجال والنسوة يتعاهد من
بازائه من المرضي ويقوم .

١٦٦ - بمصالحهم فى شربهم وأكلهم وغسل ما يحصل منهم من الأوساخ وتنظيفهم
وملازمتهم على .

١٦٧ - العادة ويتقى كل منهم الله تعالى فى ذلك ويعلم أنه رقيب عليه فيما هو لازم
له من الخدمة يصرف المبلغ .

١٦٨ - اليهم بالسويّة ماهو للغراشين من الرجال نصف المبلغ المذكور ألف درهم
وأربع مائة درهم .

١٦٩ - وما هو للفراشات من النسوة بقية المبلغ المذكور ويصرف لمن يسقي الماء
العذب للمرضى بالمارستان .

١٧٠ - المذكور أعلاه فى كل سنة من النقره سبع مائة درهم وستين درهما نقره ماهو
عن المرة الأولى المعينة أعلاه .

١٧١ - ثلثمائة درهم نقره وما هو عن المرة الثانية بقية السنة أربع مائة وستون درهما
نقره ويصرف فى جامكية .

١٧٢ - البواب فى كل سنة من النقرة ثلثمائة درهم وستين درهما نقرة على أن يتولى
ماجرت به عادة أمثاله .

١٧٣ - من غلق باب المارستان المذكور وفتحه وصونه عن أرباب التهم والفساد ويصرف
فى كل سنة من النقره .

١٧٤ - ثلثمائة درهم وستين درهما نقره لأمين الحواصل بالمارستان المذكور وعلى
تفرقة الطعام والشراب .

١٧٥ - للمرضى بالمارستان المذكور فى كل يوم على عادة أمثاله فى ذلك ويصرف فى كل
سنة من النقره ثلثمائة درهم .

١٧٦ - في ثمن حطب تطبخ به الحريرة المذكورة وغيرها مما يحتاج اليه المرضى
بالمارستان المذكور فى كل يوم .

١٧٧ - على العادة ويصرف فى كل سنة من النقره ألفى درهم نقره وأربع مائة درهم
نقره لحكيم طبائعي كحّال .

١٧٨ - يقوم بمداواة المرضى والرّمدا ومداواة الجرحي بالمارستان المذكور على
العادة فى مثل ذلك .

١٧٩ - ويصرف في ثمن زيت من زيت الزيتون وما يقوم مقامه في كل سنة من النقره أربع مايه .

١٨٠ - وخمسين درهما نقره يشترى بها زيتا يستضيء به على الضعفاء بالمارستان المذكور في طول السنة .

١٨١ - ويصرف في كل سنة من النقره أربعةآلاف درهم نقره يصرف في ثمن لحم برسم الضعفاء .

١٨٢ - في طول المدة وفي ثمن سكّر وأشربة وغير ذلك مما يحتاج اليه في كل سنة ويصرف في كل سنة .

١٨٣ - من النقره ألف درهم نقره لشاهدين يحضرا في كل يوم الى المارستان المذكور يصرفان ما يحتاج .

١٨٤ - اليه المرضى بالمارستان المذكور ويضبطان مابه من الحواصل على عادة أمثالهما في ذلك ويصرف.

١٨٥ - في كل سنة من النقره خمس مائة درهم نقره للناظر على المارستان المذكور وفعل ما تقتضيه مصلحة المرض[ى] .

١٨٦ - ويصرف في كل سنة ما يحتاج اليه بسبب المرضى من سكّر وأدوية وأشربة وغير ذلك .

١٨٧ - وما يحتاج اليه المارستان المذكور من عبى ومكانس وأسطال نحاس وغير ذلك بحيث يستمر نفعه .

١٨٨ - على الدوام والاستمرار وعلى كل من له وظيفة بالمارستان المذكور يلازمها ويراقب الله تعالى .

١٨٩ - ويخشاه ويتقيه ويصرف في كل سنة من النقره الجيدة ألفي درهم وخمس مائة درهم نقره .

١٩٠ - ماهو للشيخ شهاب الدين أحمد بن ظهيرة المكي الشافعي ألف درهم على أن يتصدى للأشتغال .

١٩١ - بالعلم الشريف ونشره واحياء معالم الدين وشد أزره في كل يوم تجاه الكعبة الشريفة على عادة أمثا[له] .

١٩٢ - وماهو للشيخ عبد الرحمن بن أبي الخير المكي المالكي خمس مائة درهم على أنه يفعل نظير ذلك في كل .

١٩٣ - يوم وما هو للشيخ الصالح محمد يعقوب الفيروزبادى بن صاحب التنبيه ألف
د رهم على أنه .

١٩٤ - يتصدر فى كل يوم على عادة أمثاله ومتى تعذر اشتغال المذكورين أو واحد
منهم قرر الناظر .

١٩٥ - عوضه بالصفة المذكورة ويصرف لصالح رباط السّدره بمكة فى كل سنة من النقرة
ألف د رهم .

١٩٦ - ويصرف للحاكم بمكة شرفها تعالى عن انتصابه للحكم والفصل بين الخصوم
ورد الظالم عن .

١٩٧ - المظلوم وخلاص الحقوق والنظر فى المصالح العامة والخاصة فى كل سنة
من النقره ألفي د رهم .

١٩٨ - وخمس مائة د رهم نقرو ويصرف فى كل سنة من النقره ألف د رهم نقره من ذلك
ماهو لعمارة .

١٩٩ - مسجد الخيف بمنى وترميمه فى كل سنة خمس مائة د رهم وماهو لبواب يقيم
بالمسجد المذكور ويفتح بابه .

٢٠٠ - ويغلقه ويتقيم بتنظيفه وصيانته ومنع من يتطرق اليه من أرباب التهم والفساد
ومن يقصد .

٢٠١ - الدخول اليه بما يصان عنه المسجد المذكور من نشر اللحوم والأثواب وغير
ذلك ويحترز فى ذلك .

٢٠٢ - كل الاحتراز ويجتهد في صيانته الاجتهاد التام لتكون نظافته مستمرة على
الدوام ما جملته من .

٢٠٣ - النقره خمس مائة د رهم ويصرف فى كل سنة من النقره ألف د رهم نقره لعمارة
الفساقي بعرفه .

٢٠٤ - وأجرة من يتولى تنظيفها على عادة أمثاله ويصرف فى كل سنة من النقرة
ألفى د رهم لتنظيف .

٢٠٥ - العين المعروفه بالجوبانية وترميمها وأجرة من يتولى تنظيفها على عادة
أمثاله فى ذلك ويصرف فى .

٢٠٦ - كل سنة من النقره ألف د رهم فمن ذلك ماهو لمشائخ عر [ب] خليص
خمس مائه د رهم نقره على أنهم يخفرون .

٢٠٧ - الحاج ذهابا وايابا وماهو لعمارة العين وترميمها والفسقيّة وترميمها فى كل سنة بقية المبلغ المذكور .

٢٠٨ - وهو خمس مائة درهم نقره ويصرف لمشائخ حنين الذى تجرى العين فى أرضهم الأربعة .

٢٠٩ - في كل سنة من النقره ألفي درهم نقره لكل منهم فى كل سنة من النقـــرة خمس مائه درهم بحيث يسقون .

٢١٠ - من العين المذكورة من يمر بهم ويخفرون الحاج ذهابا وايابا على العــادة يصرف اليهم المبلغ المذكور .

٢١١ - مادامو[ ] ا متصف[ين] بالصف[ة] المش[ـر] و[ ] حة فيـــه فان تعذر صرفه ذلك صرف فى وجوه البّر والقربات .

*

ملحق رقم " ٤ "

هذا الملحق هو نص اللوحة التأسيسية لعمارة عين عرفة في عهد السلطان قايتباى (٨٧٢هـ - ٩٠١ هـ) مؤرخ بعام ٨٧٥هـ[(١)].

النص :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم و به ثقتي

٢ - الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبمنته وفضله تكمل المسرات

٣ - وبتوفيقه تجرى الخيرات على يد من اختار من أهل السعادات وصلى الله وسلم

٤ - على سيدنا محمد الذى نبع الماء من بين اصابعه في الأزمات وفتح الله تعالى به أعيننا عميا وآذانا

٥ - صما وقلوبا غلفا وختم ببعثته الرسالات صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه أولى البر والصلات

٦ - ازكى السلام وافضل الصلاة وبعد فان عين عرفة المشرفة كانت قد محى اسمها وتعطل

٧ - رسمها وعفا أثرها ولم يبق الا خبرها وهمّ كثير من الملوك والسلاطين بعمارتها فلم تساعدهم

٨ - القدرة على مقاومتها ومضى على ذلك دهور ويئس منها لما أتى عليها من العصور فلما منّ الله

---

(١) محمد الفعر : الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني ص ١٩٨ - ٢٠١.

٩ - على العباد بولديه من صلحت به الرعية والبلاد وانحسمت بوجوده
مواد الجور والفساد هو مولانا السلطان

١٠- الأعظم مالك رقاب الأمم حاوى فضيلتي السيف والقلم ظل الله تعالى
الممدود على العالم سلطان

١١- الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين محى مآثر الخلفاء الراشدين
ملك البرين والبحرين خادم الحرمين

١٢- الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف ابو النصر قايتباى نصره
الله نصرا عزيزا وفتح به فتحا قريبا

١٣- بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم برز أمره الشريف باجرائها بتلك
الأماكن المشرفة لوفد الله تعالى

١٤- وأضيافه المباهى بهم الملائكة قربة الى الله تعالى لا رياء فيها
ولا امترا (١) يجد ثوابها يوم تجد كل نفس ما عملت

١٥- من خير محضرا فجرت بحمد [ا] لله تعالى وتوفيقه في اسرع مدة
احصاؤها اشهر المعدّة مع تنظيف قعرها وبناء

١٦- مصانعها وبركها وعمل شرعتها لنفع أهل الشريعة وبناء قناتها المحيطة
بجبل رحمة الله الوسيعة فالله يجدد لمولانا

١٧- السلطان في كل لحظة عزا ونصرا ويجرى له على ما أجرى في الدارين
أجرا وذلك على يد الجنابين العاليين الاميرين

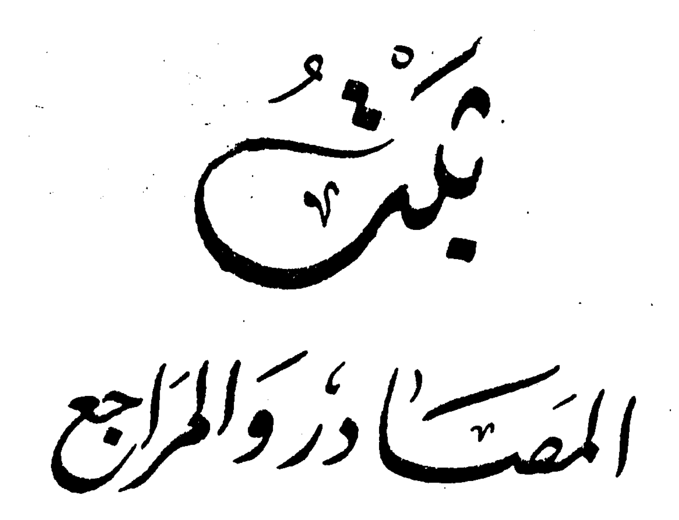
---

(١) هكذا وردت .

١٨- الكبيرين شاهين الجمالي الأشرفي وشقيقه المباشر للعمـل السيفي سنقر الجمالي الأشرفي أجزل الله تعالى ثوابهمـا وأحسن املهما في [مـدة]

١٩- أولها شهر ربيع الآخـر وآخرها شهر رجب الفرد الحرام عـام خمسة وسبعين وثماني مايه وصلى الله على سـ[يد]نـا محمـد وا لـ[ـه]

٢٠- وصحبه وسلم


ثبت
المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

ثالثا : المراجع العربية .

رابعا : المراجع المعربة .

خامسا : المراجع الأجنبية .

سادسا : البحوث .

أولا : المصادر المخطوطة :

١ - الإسفرائيني (ت ٧٦٢ هـ) ، محمد بن عمر بن محمد بن علي ،
زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال في تاريخ مكة والمدينة ،
مكتبة الحرم رقم ٩٩ تاريخ .

٢ - بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ) ،الأمير ركن الدين بن عبدالله المنصوري ،
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ،
مخطوط مصور بجامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨ .

٣ - التحفة المملوكية في الدولة التركية ،
نسخة مصورة بجامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٩ .

٤ - الشريف الجنابي ،أبو محمد مصطفى بن السيد حسن الهاشمي القرشي ،
البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ،
مكتبة الحرم رقم ٢ تاريخ .

٥ - ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ) ،الحسن بن عمر الحسين أبو محمد بدر الدين .
درة الأسلاك في دولة الأتراك ،
مخطوط مصور عن نسخة يكي جامع الملحقة بمكتبة السليمانية
باستنابول ٥٨٤٩ .

٦ - الحضراوي (ت ١٣٢٤هـ) ،أحمد بن محمد بن أحمد المكي الشافعي .
مختصر حسن الصفا والإبتهاج ومن ولي إمارة الحاج ،
مكتبة الحرم رقم ١٦٣ تاريخ .

٧ - الخزرجي (ت ٨١٣هـ) ،شمس الدين أبو الحسن بن علي ،
تاريخ اليمن الميمون و من ملكها من الملوك والولاة من أيام عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عهد دولة بني رسول ،

مخطوط مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي ،
كلية الشريعة - جامعة أم القرى مكة المكرمة .

٨ - السنجارى (ت ١١٢٥هـ) ،علي بن تاج الدين بن تقي الدين الحنفي المكي ،
منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم،
مخطوط مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي -
جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

٩ - ابن الصباغ (ت ١٣٢١هـ) ،محمد بن أحمد المكي ،
تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام و مكة
المكرمة وولاتها الفخام،
مكتبة الحرم المكي رقم ٤٨ تاريخ دهلوى .

١٠- ابن الضياء (ت ٨٥٤هـ) ،أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشي الحنفي ،
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف ،
معهد المخطوطات العربية - القاهرة رقم ١٢١ تاريخ .

١١- الطبرى (ت١٠٧٠ هـ) ،محي الدين علي بن عبد القادر الشافعي الحسني ،
الأرج المسكي في التاريخ المكي ،
مكتبة الحرم رقم ٣ تاريخ .

١٢- الطبرى (ت ١١٧٣هـ) ،محمد بن علي بن فضل بن عبدالله ،
إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ،
معهد المخطوطات العربية - القاهرة رقم ٨٧٠ تاريخ .

١٣- ابن عبد الهادى ،الطاهر عبد الهادى بن محمد بن صالح ،
الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر ،
دارة الملك عبد العزيز الرياض رقم ١٢١ ق .

١٤- الفاسي (ت ٨٣٢ هـ) ،تقي الدين محمد بن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الهاشمي ،
تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام .

١٥- الزهور المقتطفة عن تاريخ مكة المشرفة ،
مكتبة المتحف العراقي بغداد .

١٦- مؤلف مجهول ،
أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى ،
مخطوط نسخها احمد نافع سنة ١٢٧٦هـ ،
دارة الملك عبد العزيز بالرياض رقم ٥٨ ق .

*

ثانيا- المصادر المطبوعة :

١ - ابن أيبك الدوادار (ت ٧٠٩ هـ) ،أبو بكر بن عبد الله ،
كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر
تحقيق هانس روبرت القاهرة ١٩٦٠م.

٢ - ابن إياس (ت ٩٣٠هـ) ،أبو البركات محمد بن أحمد ،
بدائع الزهور في وقائع الدهور بولاق ١٣١١هـ - وجمعية المستشرقين الألمان بالقاهرة ،
تحقيق محمد مصطفى ١٩٦٠م - ١٩٦٣م.

٣ - الأزرقي (ت ٢٢٣هـ) ،أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ،
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، مكة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٤ - البخارى : ابن عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخارى الجعفي ،
صحيح البخارى طبعة الأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ،دار الفكر .

٥ - ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ،
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،
القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٦ - البلوى (ت قبل سنة ٧٨٠هـ) ،خالد بن عيسى ،
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ،
صندوق إحياء التراث الإسلامي ،المغرب ١٢٤٢هـ .

٧ - البكرى (ت ٤٨٧هـ) ،عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي ،
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٥١م.

٨ - الديار البكرى (ت ٩٦٦ هـ) ،حسين بن محمد بن الحسن ،
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،ج ٢ ،بيروت ١٢٨٣هـ ،
مؤسسة شعبان للنشر .

٩ - ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ) ،جمال الدين يوسف أبو المحاسن ،
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،
دار الكتب المصرية ،القاهرة ١٣٧٢هـ.

١٠ - الدليل الشافي على المنهل الصافي ،تحقيق فهيم شلتوت ،
نشر مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي ،جامعة أم القرى ،
مكة المكرمة ،١٩٨٣م

١١ - حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، نشرها وليام بوبر
بيركلي ، طبعة كاليفورنيا ،١٩٣٢م

١٢ - التجيبي (ت ٧٣٠هـ) ،القاسم بن يوسف السبتي ،
مستفاد الرحلة والإغتراب ،تحقيق عبد الحفيظ منصور ،
ليبيا ،تونس ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

١٣ - الترمذي : (ت ٢٩٧هـ) ابي عيسى محمد بن عيسى بن سوره
الجامع الصحيح ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،
إحياء التراث العربي ، بيروت

١٤- ابن جبير (ت ٦١٤هـ) ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الاندلسي ،
الرحلة - طبعة بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٥- الجزيري (ت ٩٤٤ هـ) ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد
بن إبراهيم ،
درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ،
تحقيق حمد الجاسر - الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦- ابن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ) ،شرف الدين يحيى ،
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ،طبعة بولاق ١٨٩٨م.

١٧- الحربي (ت ٣٨٥هـ) ،أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ،
المناسك وأماكن وطرق الحج ومعالم الجزيرة ،
تحقيق حمد الجاسر - دار اليمامة الرياض ١٣٨٩هـ.

١٨- ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ،
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،تحقيق محمد سعيد جاد الحق ،
حيدر آباد - الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٩- إنباء الغمر بأبناء العمر ،تحقيق حسن حبشي ،
القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٩م.

٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة ،الطبعة الاولى ،القاهرة ١٣٢٨هـ.

٢١- الحميري (ت ٩٠٠هـ) ،محمد بن عبد المنعم ،
الروض المعطار في خبر الاقطار ،تحقيق إحسان عباس ،
لبنان ١٩٧٥م.

٢٢- الحموى (ت ٦٢٦هـ) ،شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومي البغدادى ،
معجم البلدان - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٣- ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ) ،الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ،
تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ،
تحقيق محمد محمد أمين- سعيد عبد الفتاح عاشور ،القاهرة ١٩٧٦م.

٢٤- ابن خرداذبه (ت ٣٠٠هـ) ،أبو القاسم عبدالله بن عبدالله ،
المسالك والممالك - طبعة ليدن ١٩٠٩م.

٢٥- الخزرجي (ت ٨١٣ هـ) ،شمس الدين أبو الحسن بن علي ،
العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ،
تحقيق محمد بسيوني عسل ،القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

٢٦- ابن الديبع (ت ٩٤٣هـ) ،أبو الضياء عبد الرحمن علي بن محمد بن عمر ،
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ،تحقيق محمد الأكوع ،
القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٠٧م.

٢٧- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ،تحقيق عبدالله الحبشي ،
مركز الدراسات اليمنية ،صنعاء ١٩٧٩م.

٢٨- دحلان (ت ١٣٠٤هـ) ،أحمد زيني ،
خلاصة الكلام في أخبار أمراء البيت الحرام ،
القاهرة ١٣٠٥هـ.

٢٩- ابن الرفعة (ت ٧١٠هـ) ،أبو العباس نجم الدين بن الرفعة الأنصارى ،
الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ،
تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٠- الرشيدى (ت ١١٧٨هـ) ،أحمد

حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ،

تحقيق ليلى عبد اللطيف ،القاهرة ١٩٨٠م.

٣١- السيوطي (ت ٩١١هـ) ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،

تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ،

القاهرة ١٩٦٩م.

٣٢- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ،القاهرة ١٣٢١هـ.

٣٣- السمهورى (ت ٩١١هـ) ،نور الدين علي بن أحمد ،

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ،تحقيق محمد محي الدين بن

عبد الحميد ،بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٣٤- السخاوى (ت ٩٠٢هـ) ،شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن

أبي بكر بن عثمان ،

التبر المسبوك في ذيل السلوك ،بولاق ١٨٩٦م.

٣٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،

تحقيق أسعد طرابزوني الحسيني ،القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .

٣٧- الشجاعي (ت ٧٤٥هـ) ، شمس الدين

تاريخ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيه ،

تحقيق بربارة شيفر ، دار النشر فرانز شتاينز ،المعهد

الألماني بالقاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٨ - ابن شبه (ت ٢٦٢هـ) ابو زيد عمر به شبه النميرى البصرى
تاريخ المدينة المنورة واخبار المدينة المنورة ،
تحقيق فهيم شلتوت ،
المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

٣٩- أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ) ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان ،
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،
تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ،القاهرة ١٩٥٦م.

٤٠- ابن الصيرفي (ت ٩٠٠ هـ) ،علي بن داود الجوهرى ،
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ،
تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٧٣م.

٤١- إنباء الهصر بأبناء العصر ،تحقيق حسن حبشي ،
دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٧٠م.

٤٢- الصفدى (ت ٧٦٤هـ) ،صلاح الدين خليل بن أيبك ،
الوافي بالوفيات ،تحقيق رس - ريد ربينغ ،الطبعة الثانية
١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤٣- ابن طولون (ت ٩١١هـ) ، شمس الدين محمد ،
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ،تحقيق محمد مصطفى ،
القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

٤٤- ابن ظهيرة (ت ٩٨٦هـ) ،جمال الدين محمد ،
الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ،
مكة الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٤٥- العبدرى (ت ٦٨٨ هـ) ،أبو عبدالله محمد بن أحمد ،
الرحلة المغربية ،تحقيق محمد الفاسي ،الرباط ١٩٦٨م.

٤٦- العباسي (توفى في القرن العاشر الهجرى) ،أحمد بن عبدالحميد ،
عمدة الأخبار في مدينة المختار ،تحقيق محمد الطيب الأنصارى ،
صححه حمد الجاسر ، مكة ١٣٥٩هـ.

٤٧ - عمارة اليمني : نجم الدين بن أبي الحسن الحكمي (ت ٥٦٩هـ)
تاريخ اليمن ،تحقيق حسن سليمان محمود ،القاهرة ١٩٥٧م.

٤٨- ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) ،محي الدين عبد الله بن رشيد ،
تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ،
القاهرة ، ١٩٦١م.

٤٩- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ،
الرياض،الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٥٠- الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية ،
تحقيق Exelmoperg ، ١٩٠٢م.

٥١- العصامي (ت ١١١١هـ) ، عبد الملك بن حسين ،
سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي ،
المطبعة السلفية ،القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٥٢- ابو الفدا ،(ت ٧٣٢ هـ) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل
المختصر في أخبار البشر ،القاهرة ١٣٢٥هـ .

٥٣- الجزء الرابع ،تحقيق عبد الكريم الباز ،رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة
أم القرى ، ١٤٠٥هـ .

٥٤- الفاسي (ت ٨٣٢هـ) ،أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد ،
شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، دار إحياء الكتب ،
القاهرة ١٩٥٦م.

٥٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،تحقيق فؤاد السيد ،
الجزء الأول إشراف حامد الفقي ، والجزء الثاني تحقيق محمود
الطناحي ،والأجزاء ٣-٧ تحقيق فؤاد السيد ،القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٥٦- ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ) ،ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي
المصرى الحنفي .
تاريخ ابن الفرات - تحقيق قسطنطين زريق ج ٧-٩ ،
بيروت ١٩٤٢م ، والجزأين الرابع والخامس تحقيق حسن الشماع .

٥٧ - ابن فهد (ت ٨٨٥هـ) نجم الدين عمر بن فهد بن محمد ،
إتحاف الورى باخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ٣ أجزاء
جدة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
الجزء الرابع تحقيق عبد الكريم الباز ، رسالة دكتوراه مقدمة
لجامعة أم القرى ، سنة ١٤٠٥هـ لم تنشر .

٥٨- الفيروزآبادى (ت ٨٢٣هـ) ،مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب ،
المغانم المطابة في معالم طابه ،تحقيق حمد الجاسر ،
الطبعة الاولى ،الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥٩- ابن فرج (ت١٠١٠هـ) ، عبد القادر بن احمد بن فرج ،
السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة ،
تحقيق أحمد عمر الزيلعي ،وريكس سميث ،
الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٠ - القلصاوى (ت ٨٩١ هـ) ، أبو الحسن علي الأندلسي ،
رحلة القلصاوى ،تحقيق محمد أبو الأجفان ،
نشر الدار التونسية للتوزيع زيتونة ،١٩٧٨م.

٦١ - القلقشندى (ت ٨٢١ هـ) ،شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،القاهرة ١٩١٣-١٩١٩م.

٦٢ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ،
تحقيق إبراهيم الأبيارى ،القاهرة ١٩٥٩ م،

٦٣ - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ،
الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٦٤ - القزويني (ت ٦٨٢هـ) ، زكريا بن محمد بن محمود ،
آثار البلاد وأخبار العباد ،بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٦٥ - أبو الفرج قدامة (ت ٣٢٠هـ) ،أبو الفرج قدامة بن جعفر ،
الخراج وصفة الكتابة ،طبعة بغداد .

٦٦ - القرماني (ت ١٠١٩هـ) ،أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي ،
أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ ،
القاهرة - مطبعة بولاق ١٢٩٠هـ .

٦٧ - قطب الدين الحنفي (ت ٩٨٨هـ) ،
تاريخ القطبي المسمى الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ
مكة المشرفة ،مكة - المكتبة العلمية .

٦٨ - القطبي (ت١٠١٤هـ) ،عبد الكريم بن محب الدين ،
تاريخ البلد الحرام ، تحقيق أحمد محمد جمال ،عبد العزيز الرفاعي
القاهرة ١٣٦٩هـ .

٦٩ - ابن كثير (ت ٧٧٥ هـ) ،عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الحافظ ،
البداية والنهاية ،بيروت ١٩٦٦م .

٧٠ - الكاتب (ت ٧٣٠هـ) ، شافع بن علي عباس ،
حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ،
تحقيق عبد العزيز الخويطر ،الطبعة الأولى - الرياض
١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

٧١ - المقريزى (ت ٨٤٥هـ) ،تقي الدين أحمد بن علي ،
السلوك لمعرفة دول الملوك ،تحقيق محمد مصطفى زيادة ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ،طبعة القاهرة .

٧٢ - الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ،
تحقيق جمال الدين الشيال ،القاهرة ١٩٥٥م .

٧٣ - إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة - جمال الدين الشيال
طبعة القاهرة ١٩٤٥م .

٧٤ - المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ،
طبعة القاهرة ١٢٧٠هـ/١٩٥٥م.

٧٥ - الموسوى (١٠٧٠هـ) ،محمد بن عبدالله الحسنى ،
رحلة الشتاء والصيف ،تحقيق محمد سعيد الطنطاوى ،
الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٩٣هـ ،
الطبعة الثانية - بيروت ١٣٨٥هـ .

٧٦ - المقدسي (ت ٣٨٧هـ) ،أبو عبدالله محمد بن أحمد ،
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طبعة ليدن ١٩٠٩م.

٧٧ - المطرى (ت ٧٤١هـ) ،أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف ،
التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ،
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ،طبعة بيروت ١٤٠٢هـ.

٧٨ - المراغي (ت ٨١٦هـ) ،زين الدين ابي بكر بن الحسين بن عمر بن أبو الفخر،
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ،
تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، المطبعة العلمية
المدينة المنورة ،الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧٩ - ابن النجار (ت ٥٧٣هـ) ،محمد بن محمود ،
الدرة الثمينة في أخبار المدينة ،مكة مكتبة النهضة ،
١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٨٠ - النهروالي (ت ٩٨٨هـ) ، قطب الدين الحنفي ،
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،القاهرة ١٩٧٤م.

٨١ - أخبار مدينة الرسول ،تحقيق صالح محمد جمال ،
مكتبة الثقافة - مكة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٢ - الهمذاني (ت ٣٣٤ هـ) ،الحسن بن أحمد بن يعقوب ،
صفة جزيرة العرب ،تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي
الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٨٣ - ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ) ، زين الدين عمر بن مُظَفَّر بن عمر ،
تاريخ ابن الوردى ،القاهرة ١٢٨٥هـ.

٨٤ - يحي بن الحسين بن أبو القاسم (ت ١١٠٠هـ) ،
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،
القاهرة دار الكتاب العربي ،١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

*

ثالثا - المراجع العربية :

١ - إبراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين ،
الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

٢ - إبراهيم على طرخان ،
- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ،
القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م.

٣ - - مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ،
القاهرة ١٩٦٠م.

٤ - إبراهيم العياشي ،
المدينة المنورة بين الماضي والحاضر ،
المدينة المنورة ١٩٧٢م.

٥ - أحمد السباعي ، تاريخ مكة ،

طبعة نادى مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦ - أحمد دراج ،

المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى ،

دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١م.

٧ - أحمد عمر الزيلعي ،

مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ هـ - ٤٨٧م ،

الطبعة الأولى - الرياض عمادة شئون المكتبات ، جامعة الرياض

١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨ - أحمد بن إبراهيم الغزاوى ،

مكة المكرمة في شذرات الذهب ، تحقيق عبد العزيز صقر الغامدى ،

محمد محمود السرياني ، مطبوعات نادى مكة الثقافي ، ١٤٠٥هـ.

٩ - أحمد إبراهيم الشريف ،

مكة والمدينة في الجاهلية و عهد الرسول ، الطبعة الثانية

القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م.

١٠- الشريف أحمد البرادعي ،

المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ،

الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

١١- أحمد عيسى بك ،

تاريخ البيمارستانات في الإسلام ،

دمشق ، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.

١٢- أيوب صبري باشا ، مرآة جزيرة العرب ،
ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي - الصفصافي مرسي ،
الطبعة الأولى - الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٣- جميل حرب محمود حسين ،
الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ،
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤- حسن الباشا محمود ،
المدخل إلى الآثار الإسلامية ،
القاهرة - دار النهضة ١٩٨١م.

١٥- دراسات في الحضارة الإسلامية ،
القاهرة دار النهضة ١٩٧٥م.

١٦- حمد الجاسر ، بلاد ينبع ،لمحات تاريخيه جغرافية وانطباعات خاصة ، الرياض .

١٧- = في شمال غرب الجزيرة العربية،الطبعة الثانية ،
الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

١٨- = رسائل في تاريخ المدينة . الرياض ،دار اليمامة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٩- علي بن موسى : وصف المدينة .
محمد خضر الرومي : التحفة اللطيفة .
السمهوري : الوفاء بما يجب بحضرة المصطفى ،تحقيق حمد الجاسر.

٢٠- حياة عبد القادر مرسي ،
دور السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي في اليمن
٤٧٣هـ - ٥٣٢هـ / ١٠٨٠هـ /١١٣٨م
رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩/ ١٤٠٠هـ
١٩٧٩/ ١٩٨٠م. (لم تنشر).

٢٠- حسن محمود الشافعي ، العملة وتاريخها ،
القاهرة ١٩٨٠م.

٢١- حياة ناصر الحجي ،
السلطان ناصر محمد بن قلاوون و نظام الوقف في عهده
الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢- ريتشارد مورتيل ،
الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ،
جامعة الملك سعود ،عمادة شئون المكتبات ،الرياض ،
١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٣- سيد عبد المجيد بكر ،
الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،الطبعة الأولى جدة ،
١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٤- سليمان عبد الغني مالكي ،
مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة
منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية
،رسالة ماجستير ،كلية الآداب جامعة القاهرة ،
١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. (لم تنشر) .

٢٥- = بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة
العباسية في بغداد، من منتصف القرن الرابع الهجرى حتى منتصف
القرن السابع الهجرى ،الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٦- = سلطنة كلوة الإسلامية ،دار النهضة القاهرة
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧- سعاد ماهر ،

البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ،

دار الكتاب العربي - القاهرة ، ١٩٦٧م.

٢٨- = العمارة الإسلامية على مر العصور ،

دار البيان العربي ، جدة - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٩- سامح عبد الرحمن فهمي ،

المكاييل في صدر الإسلام ،

مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٠- = الوحدات النقدية في الوثائق المملوكية ،

مكة - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣١- = الوحدات النقدية المملوكية ،

الطبعة الأولى - جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٢- السيد الباز العريني ،

مصر في عهد الأيوبيين ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٣٣- شرف بن عبد المحسن البركاتي ،

الرحلة اليمانية لأمير مكة الشريف حسين باشا ،

الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٤هـ .

٣٤- صالح لمعي مصطفى ؛

المدينة المنورة تطورها العمراني ، وتراثها المعماري ،

بيروت ١٩٨١م.

٣٥- = التراث المعماري الإسلامي في مصر ،

دار النهضة العربية بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٦- علي محسن عيسى مال الله ،

أدب الرحلات عند العرب في المشرق نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجرى ، بغداد ١٩٧٨م

٣٧- علي باشا مبارك ،

الميزان في الأقيسة والأوزان ، طبعة الأزهر .

٣٨- علي بن حسين السليمان ،

العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٣٩- = النشاط التجارى في الجزيرة العربية في العصور الوسطى ، ١٢٥٠هـ - ١٥١٧م ،

رسالة دكتوراه - كلية الأداب جامعة القاهرة ، ١٩٣٤م - ١٩٧٤م.

٤٠ - عطيه القوصي ،

تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ،القاهرة ١٩٧٦م.

٤١- عاتق بن غيث البلادى ،

معالم مكة التاريخية ، مكة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٢- = بين مكة واليمن ،الطبعة الأولى ، مكة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٣- = معجم قبائل الحجاز ، مكة ١٣٩٨هـ/ ١٣٩٩هـ .

٤٤- عبدالرحمن فهمي محمد ،

النقود العربية ماضيها وحاضرها ،مكتبة الثقافة ، القاهرة ١٩٦٤م.

٤٥ - عبد القدوس الأنصارى ،

آثارالمدينةالمنورة ، المدينة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤٦- " تاريخ مدينة جدة ،الطبعة الثالثة - القاهرة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤٧- " مع ابن جبير في رحلته - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤٨- عائشة عبدالله باقاسى ،

بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ٥٦٧ هـ - ٦٤٨ هـ.

نادى مكة الثقافي - الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٩- عبد العزيز الخويطر ،

الملك الظاهر بيبرس ، الرياض ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥٠ - عبدالرحمن محمود عبد التواب ،

قايتباى المحمودى ،القاهرة ١٩٧٨م.

٥١ - عبد السلام هاشم حافظ ،

المدينة المنورة في التاريخ ،الطبعة الثانية القاهرة ١٣٩٢هـ.

٥٢ - عبدالرحمن صالح ،

تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، جدة دار الشروق ١٤٠٣هـ/١٩٦٨م.

٥٣ - محمد رضا كحالة ،

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،

دار العلم القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٥٤ - فريد شافعي ،

العمارة العربية في مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٠م.

٥٥ - فوزية حسين مطر،

تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتى

العصر العثماني ،رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ،

١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. (لم تنشر).

٥٦- محمد لبيب البتنوني ،

الرحلة الحجازية ، القاهرة ١٣٢٧هـ/ ١٣٢٩هـ

٥٧ - محمد ضياء الدين الريس ،

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ،

دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٧٧م.

٥٨ - محمد هزاع الشهرى ،

عمارة المسجد النبوى في العصر المملوكي ،٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ

رسالة ماجستير في الحضارة والنظم المالية ،مقدمة لجامعة

أم القرى بمكة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. (لم تنشر).

٥٩ - محمد جمال الدين سرور ،

دولة بني قلاوون في مصر ،القاهرة ١٩٤٧م.

٦٠ - محمد محمد أمين ،

الأوقاف والحياة الإجتماعية في مصر ، ٦٤٨ هـ - ٩٢٣هـ /

١٢٥٠م/ ١٥١٧م.

دراسة تاريخية وثائقية ،دار النهضة القاهرة - الطبعة الأولى ،

١٩٨٠م.

٦١ - محمد فهد عبدالله الفعر ،

الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني

من القرن الثامن الهجرى حتى القرن الثاني عشر الهجرى .
رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ١٤٠٦-١٤٠٧هـ(لم تنشر) ،

٦٢ - محمد أنور شكرى ،

لوحان أثريان للسلطان قايتباى والسلطان سليمان القانوني

مكة دار الثقافة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٦٣- محمد طاهر عبد القادر الكردى المكي ،

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ،مكة المكرمة ،

مكتبة النهضة ١٣٨٥هـ.

٦٤- محمد عبد العال أحمد ،

البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه

القاهرة ١٩٨٠م.

٦٥ - محمد عمر رفيع ،

مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ،

المطبعة الأولى مكة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٦٦ - محمود الشرقاوى ،

المدينة المنورة ، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٦٧ - محمود رزق سليم ،

عصر سلاطين المماليك ونتائجه العلمية والأدبية ،

الطبعة ٢١ -مكتبة الآداب القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٦٨- ملك محمد الخياط ،

السيدة زبيدة ودورها السياسي والعمراني ،

رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بمكة ١٤٠١هـ/١٤٠٢هـ.
(لم تنشر) .

٦٩ - نعيم زكي فهمي ،

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر

العصور الوسطى ،القاهرة ١٩٧٣م.

٧٠ - هشام محمد حسن عجيمي ، قلعة المويلح ،

دراسة معمارية حضارية ،رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى

بمكة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. (لم تنشر) .

٧١ - يوسف أحمد ،

المحمل والحج ،القاهرة ١٣٥٦هـ.

٧٢ - يوسف درويش غوانمه ،

التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي ،

الطبعة الثانية عمان ١٩٨٢م.

*

رابعا - المراجع المعربة :

- أيوب صبرى باشا ،

بحرية ميرالا يلدندن (مرآة الحرمين) برنجى جلدى ،

برنجى طبعي ،قسطنطينة ١٣٠١هـ.

*

خامسا - المراجع الأجنبية :

1 - Ahmad Darrag : L'Eggpte Sous le regne de Barsbay Damas, 1961.

2 - Saad Al-Rashid: Darb Zubaydah, The Pligrim Road from Kufa to Mecca, Riyad 1980.

3 - Jacques Jomier : Le Mahmal et la caravane Egyptienne des pe'lerine de la Mecque, le Caire 1953.

4 - Abdallah A-Ankawi, The Organization and Role of the Pilgrimage during the Mamluk period ph.D thesis University of Cambridge (December, 1968).

سادسا - البحوث :

١ - إسماعيل أحمد إسماعيل ،
مدرسة السلطان قايتباى ،
مجلة العرب - ج ١ - س ٢ - ١٤ رجب سعبان ١٣٩٩هـ ،
حزيان / تموز يونيو - يوليو ١٩٧٩م .

٢ - أحمد دراج ، عيذاب ،
مجلة نهضة أفريقية - السنة الأولى - العدد التاسع يوليو ١٩٥٨م
العدد العاشر اغسطس ١٩٥٨م .

٣ - = إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ
مطلع القرن التاسع الهجرى ، مقال بمجلة
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨م .

٤ - = رسالتان متبادلتان بين السلطان الأشرف قايتباى و محمود شاه
خلجي سلطان مندوة بالهند - مجلة معهد المخطوطات
العربية ، المجلد الرابع - الجزء الأول - شوال ١٣٧٧هـ/
١٩٥٨م .

٥ - = الحسبة وأثرها على الحياة الإقتصادية في مصر المملوكية ،
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلة التاريخية المصرية ،
العدد الرابع عشر ١٩٦٦م - ١٩٦٧م .

٦ - أحمد بن عمر الزيلعي ،
المواقع الإسلامية المندثرة في وادى حلى ، حوليات كلية الآداب
جامعة الكويت - الرسالة التاسعة والثلاثون ، الحولية السابعة ،
١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٧ - = حاكم السرين راجح بن قتادة ودوره في العلاقات المصرية اليمنية في
مكة ،مجلة العصور ،المجلد الاول - الجزء الأول ١٥ - ٢٦ ،
دار المريخ للنشر لندن - جمادى الأولى ١٤٠٦هـ .

٨ - حمد الجاسر ،
الحجاز في القرن السابع الهجرى على ما في رحلة ابن رشيد
الأندلسي ،
مجلة العرب - ج ٥ - س ٣ ذو القعدة ١٣٨٨هـ تشرين الثاني
نوفمبر ١٩٦٩م .

٩ - = طريق الخيرة مكة ،
مجلة العرب - ج ٥ - س ٦ ، غـ١ ذو القعدة - ذو الحجة ،
١٣٩٩هـ .

١٠ - حسين افندى الروزمانجي ،
مصر عند مفترق الطرق ،تحقيق شفيق غربال ،
مجلة كلية الاداب - جامعة فؤاد الأول المجلد الرابع - ج ١ -
مايو ١٩٣٦م الطبعة الثانية .

١١ - حسنين محمد ربيع ،
البحر الأحمر في العصر الأيوبي ،
ندوة تاريخ البحر الأحمر لجامعة عين شمس ،١٩٧٩م .

١٢ - سعد الراشد ،
شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحاج من الكوفة الى مكة ،
مجلـة كلية الآداب - جامعة الرياض العدد الخامس ،١٣٧٧هـ .

١٣ - = برك المياه على طريق الحج ،مجلة أطلال - حولية مديرية الآثار
العربية السعودية ،العدد الثالث ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٤ - صلاح الحلوة - نيل ما كنزى ،

التقرير المبدئي عن المرحلة الرابعة لمسح درب زبيدة ،

١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

مجلة أطلال - حولية الآثار العربية السعودية ،العدد الرابع

١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م لوحة ٤ ب.

١٥- صلاح عبد الجبار عيسى ،

رؤية جغرافية للأبعاد المكانية في أعمال ومناسك الحج .،

مجلة الدارة - العدد الأول - السنة الحادية عشرة ، شوال

١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م.

١٦- ابن طولون ،

البرق السامي في تعدد منازل الحج الشامي ،تحقيق حمد

الجاسر ، مجلة العرب ،ج ١١ - ١٢ س ١٠ - جمادى أول

وثاني ١٣٩٦هـ - أيار - جزيران - مايو - يونيو ١٩٧٦م.

١٧- عمر الفاروق السيد رجب ،

الحج والزيارة إلى مكة والمدينة المنورة ،

مجلة الفيصل العدد الثامن عشر - السنة الثانية - ذو الحجة

١٣٩٨هـ نوفمبر ١٩٧٨م.

١٨- عبد المنعم رسلان ،

الأزنم خاناً وبرجاً ،

مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي ،جامعة أم القرى ،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،مكة ،العدد الرابع ،

سنة ١٤٠١هـ.

١٩ - عبدالله عقيل عنقاوى ،

المحمل ،نشأته وارا؛ المؤرخين فيه ،

مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الرياض- المجلد الثاني -

السنة الثانية ١٣٩١هـ/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م/ ١٩٧٢م.

٢٠- عبداللطيف إبراهيم ،

وثائق الوقف على الأماكن المقدسة،الندوة العالمية ،دراسات تاريخ

الجزيرة العربية ٥-١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ ،

٢٣ - ٢٨ ابريل ١٩٧٧م ،جامعة الرياض.

٢١- محمد محمد التهامي ،

الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية ، مجلة الدارة ،

العدد الأول - السنة الحادية عشرة - شوال سنة ١٤٠٥هـ ،

يونيو ١٩٨٥م.

٢٢- موزل ، طريق الحج العراقي القديم ،

مجلة العرب -ج ٣ -س ٧ رمضان ١٣٩٢هـ ،تشرين الأول -

اكتوبر ١٩٧٢م.

٢٣- لجنة من العلماء ،

تحديد موقع يلملم ،

مجلة العرب -ج ١ - س ١٨ - رجب - شعبان ١٤٠٣هـ ،

ابريل - مايو - نيسان - أيار ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضـــوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة